

عبد الرّحمن بن عطيّة

تاريخ ٱلعربيّة لسان ٱلعالمين





عبد الرّحمن بن عطيّة

تاريخ العربيّة لسان العالمين

ترجمه عن الفرنسيّة

حفناوي بالي

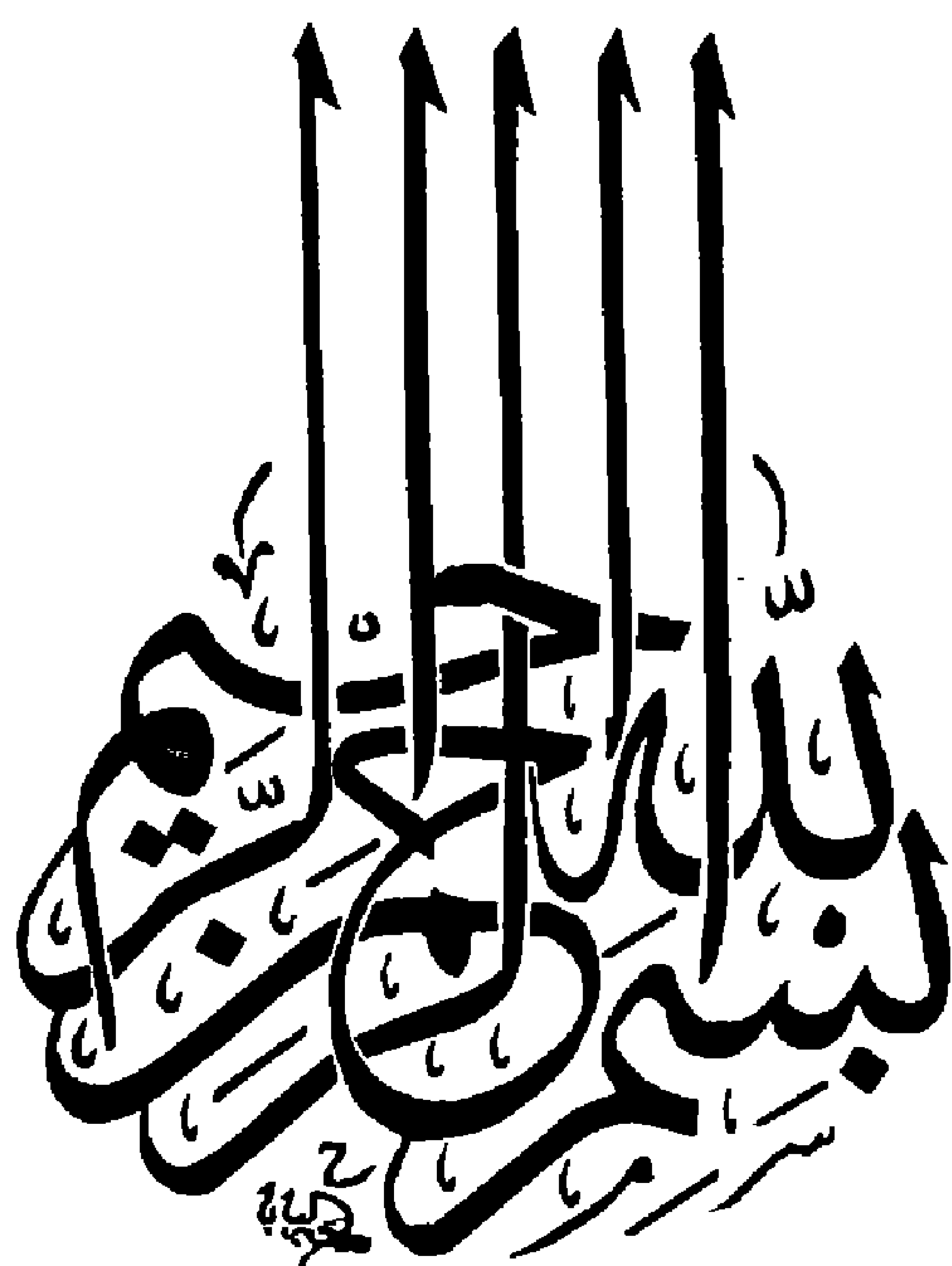


تمت الترجمة في المعهد العالي العربي للترجمة



صنف: 4/244
– الإيداع القانوني: 2007/1297
– ردمك : 4–071–65–9961–978

www.editionshouma.com
email : Info@editionshouma.com


بسم الله الرحمن الرحيم

من المؤلّف إلى القارئ

لقد ظلّت كتابة أسماء الأعلام العربيّة من لدن المؤلفين ذوي اللّغات الأروبيّة، فيما يبدو، أمرا ميسورا دائما، وما طرح إشكالا لغويّا ولا حاك في الضّمير منه شيء. وها نحن اليوم نعاينه حين قراءتنا أعمال المؤلفين العرب المترجمة من قبل العلماء الأوائل (اللّغويّين منهم) لأروبا، بخاصّة انطلاقا من العهد الإيسبانيّ المتألّق للآداب والعلوم العربيّة، بأسماء مكتوبة بوجه يتنكّر لكلّ علاقة -صوتيّة أو حرفيّة- مع التسميات الأصليّة.

وعلى الميدن ذاته، درج مؤلفون كثر إلى غاية القرن العشرين، على الرّغم من تطوّر البحث العلميّ واللّسانيّ، ونشر دراسات أثريّة (انطلاقا من وثائق أصليّة، كتابات منقوشة ...) وإتقان أكبر للّغات العروبيّة أو اللّغة العربيّة.

فعلى سبيل المثال، سمّي كلّ من الملوك : خوفو وخاف-رع ومنكو-رع، بعد التحويل الصّوتيّ لأسمائهم، على الترتيب : Chéops و Chéphren وMykérinos !

إنّ استعمالا لهذه الأسماء، امتدّ على عقود كثيرة، قد كرّس استخدامها بين أيدي القرّاء. فلو أنّا تجرأنا اليوم على الكلام عن خوفو، فما من أحد يسعه الإدراك أنّ رغيمة كلامنا هو Chéops.

بهذا الوعي، اعترت صناعة ترجمة كتابنا هذا، من الفرنسيّة إلى العربيّة، معوّقات كثيرة، ينبغي أنها ذلّلت. ولقد خوّل لنا نشر عناوين عدّة -يضمّ كلّ واحد منها باب بحث علَميّ- حلّ بعض من إشكالات التحويل الصّوتيّ للأسماء :

1. هناك أسماء أعلام أصليّة، تكتب بصورة متحرّرة في التّرجمات، أُنصِفت، موافقة لكتابة اللّغة الأولى (أو لتفسيرات هذه الأسماء).
2. هناك حروف صوتيّة، شوّه رسمها، أعيدت لشكلها الأوّل : ككتابة Y (الذي يقرأ "ou") أصبحت I، كما في Syrie سوريّة؛ وككتابة C (الذي ينطق كافا K أو قافا Q) كما في Cirta قرتة.
3. في كتاب سابق "العرب في أروبا قبل العهد المسيحيّ"، شرحنا الأصل العربيّ لتسمية لعمر (Homère). اسمه السّلفيّ -حسب بعض المؤلّفين- هو Méionidis (أي ابن معان).

   في هذا السّياق نجد أنّ تسمية موسى بن ميمون القرطبيّ عند المؤلّفين الأروبيّين هي Maïmonide، (التي تعني ابن ميمون في اليونانيّة) دون أن يحدث الأمر حيرة عند أحد. بكتابة تناظريّة عمدنا إلى كتابة Homère تارة عمر بن معان وتارة أخرى عمر اللّوذيّ، تلافيا لكلّ لبسٍ مع شخصيات تاريخيّة جنيسة.
4. يمكن استبدال حرف P الذي لا وجود له في الهجاء العربيّ، إمّا بحرف الباء أو الفاء. فلذا Platon هو تحويل صوتيّ للاسم بلاطون، تواطأ جميع الكتاب العرب اعتباطا على كتابته فلاطون، الاسم Penjab "بلاد الأنهار الخمسة" جرت العادة بكتابته في العربيّة بنجاب، في حين أنّ الحرف P ها هنا موافق لحرف الفاء، الذي نجده في كلمة "خمسة" (Pen) في اللّغات الأروبيّة، يتعلّق الكلام بـ Fünf في الألمانيّة وFem في الدّانماركيّة وFive في الإنجليزيّة ... ممّا يدفعنا لقراءة تسمية هذا المكان على النّحو : فنجاب.
5. لقد أرجعت بعض الكلمات التي تدارسنا أصلها العروبيّ إلى معانيها الأولى؛ على سبيل المثال، المصطلح philosophie هو كلمة عربيّة-فانقيّة، مرّت

نحو اللّغة اليونانيّة الفصحى (المشتركة)Koinè[1]. هي الكلمة فم الصّفاء، حيث التركيب المزجيّ من الكلمتين : فم (مع تناوب بين اللأم والميم)، وصفاء/ صفو"خلوص، صحو، نقاء"[2] أو صفوة "الخيرة، ذؤابة الشّيء". هذه الدّلالة "الفم الخالص" تتوافق مع تفسير الكلمة philosophie، العبارة التي تترجم المعرفة العميقة للأشياء التي يمكن لإنسان حيازتها، مرتبطة بنقاء ووضوح الكلام الذي يعكس هذه المعرفة، دونما زيف ولا كذب. وأمّا الكلمة "philosophe"، فقد ترجمت في كتابنا بـ"فمصفانيّ" (اسما منحوتا، الجمع منه فمصفانيّون)،

6. أسماء أخرى، تلك التي ألفنا نقلها حرفيّا، عن الأسماء اللأتينيّة أو اليونانيّة، ترجمت ها هنا بكلمات درجت في استعمال الكتاب العرب القدامى، في توافق مع المعنى الدّقيق لهذه الأسماء. لذا ترجم مصطلح géographie، الذي يعدّ تحديدا عنوانا لمصنّف لابن حوقل "كتاب صورة الأرض"، والذي ترجمه مع ذلك J.H. Kramers وG.Weit بـ"Configuration de la terre"، في كتابنا هذا باستوصاف الأرض.

7. هناك اسم جنسٍ آخر، غير موجود (بالوضع المشار إليه) في معجم اللّغة العربيّة، وكان واجبا علينا كشفه مجدّدا : يتعلّق الأمر بالمصطلح "colonialisme" وبتكريس هذه النظريّة اللأأخلاقيّة والباطلة على أرض الواقع، أي مصطلح "colonisation". هذا المصطلح المتقدّم الذي ترجم إلى العربيّة بالاستعمار، مصطلح جديد طرأ في المعجم العربيّ بحبل من المستشرقين، متسربلا معناه السّلبيّ من أجل تبرير الاحتلال العسكريّ لبلاد ما واستغلالها. في حين أنّ هذه الكلمة وردت بمعنى نبيل وشريف، في القرآن الكريم :

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (سورة هود-الآية : 61).

---

1. انظر كتابنا "الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة".
2. تعني كلمة sophôs في اليونانيّة "حكيم (ثقف، مستنير، فطن) و"sophia" الحكمة (فطنة، اهليّة، نجابة)".

ممّا يحظر علينا استصحابه في ترجمة فعل سلبيّ وضارّ لاحتلال أجنبيّ لبلد ما وتسخير أهاليه واستغلال مصادره بجموح، ونتائجه ... لذا فقد ترجمنا هذا المصطلح متقيّدا بهذا المعنى المتقدّم بالغلّ والاستغلال[1]، آخذين في الحسبان استعمال كلمة الغلّ في النّصّ القرآنيّ :

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ (سورة الأعراف-الآية : 43)

بالمعنى المضاعف المقدّم في الإحالة. وأمّا المصطلح "colonialisme" الذي لا أثر له في المعجم العربيّ، فقد ترجم بالتسلّطيّة.

8. لقد تعوّد مؤلّفون عرب كثر تسمية الأماكن والأشخاص والشّعوب، إلخ. ليس بإحالتها على البلد الأصليّ أو كتابتها الأولى، ولكن بالإحالة على البلدان الأروبيّة، التي "تسلّطت"[2] على بلدان أخر من حيث انحدر هؤلاء المؤلّفون ذاتهم. لذا نجد المصريّين، بالرّجوع إلى التسمية الإنجليزيّة يدعون بلاد ألمانيا "جرمانيا". في حين يستخدم الجزائريّون تسمية "ألمانيا" الفرنسيّة، تماما كما يسمّون العاصمة البيريتانيّة بلندرا (في الفرنسيّة Londres). في حين أنّ العرب الشّارقة يسمّون هذه المدينة لندن (في الإنجليزيّة London) بوجه أصوب.

من المنظور نفسه، كتبنا أسماء بلدان وأنهار وجبال في أروبا، إلخ. لا اعتمادا على التحويل الصّوتيّ لأسمائها الأروبيّة إلى العربيّة ولكن بإثبات تسميتها الأصل توافقا مع معناها الأصل. من ذلك كتب اسم "إسبانيا" بصورة "إيسبانيا" (حيث المقطع إيـ يتطابق مع الكلمة الفانقيّة التي تعني "جزيرة"، كما الحال في إيبريا أو إيطاليا)، كما كتب اسم "بريطانيا" على هيئة

---

1. - الغلّ (بكسر الغين) : العداوة والحقد الكامن، الوارد أيضا في سورة الحشر (الآية : 10).
- الغلّ (بضمّ الغين) : طوق من حديد أو جلد يوضع في عنق الأسير. الوارد أيضا في سورة سبإ (الآية : 33) وكذا في سورة يس (الآية : 8) وفي سورة غافر (الآية : 71) وسورة الإنسان (الآية : 4).

2. ما كان فعل هذا المصطلح موجودا في اللغة الفرنسيّة، فكان لزاما "اجتباؤه" لترجمة حالة واقع مناف للحضارة، لم يكن دائما مقرّا به عند اتباع "النّظريّة التسلّطيّة". هذا الفعل تركّب انطلاقا من الصّيغة الفعليّة للاسم، مثلما : - christianisme ← christianiser
- islamisme ← islamiser
- socialisme ← socialiser
وبالتالي : - colonialisme ← colonialiser.

بيريتانيا، منطقة احتلّها فانقيو بيريت (أو بيروت)[1]، كما كتب اسم قارة "أوربا" أو "أوروبا"، التي تتلقّب باسم الأميرة الفانقيّة عروبا بصيغة "أروبا"[2] ! ما من أحد اليوم يقضّ عليه مضجعه كتابة اسم البلد الجزائر بالفرنسيّة "الجري" أو بالإنجليزيّة "ألجريا"، وهو تحويل صوتيّ لا يمتّ بصلة لا من قريب ولا من بعيد للكلمة العربيّة التي تعني "الجُزُر" (أي الجزائر).

دوننا الكلام عن اللّغة العربيّة -لسان حضارة- إلاّ أن نبوّءها المقام اللأئق بها، خلال محفل اللّغات العلميّة والأدبيّة الأخرى. لا يحقّ لنا الكلام عن العربيّة، لسان العالمين، إلاّ باستعمال واف، واستغلال أمثل لـ ثرائه ومرونته وكماله..

ختاما، أزدجر تشكّراتي للمترجم، السيّد حفناوي بالي، الذي أبدى، طيلة هذه الصّناعة، انضباطا وصرامة ملحوظين، بسعيه الدّؤوب نحو ترجمة دقيقة لكلّ جملة، وتمحيص كلّ كلمة، لئلاّ يشوّه ظاهر الكتاب أو تغمط روح النّصّ الأصل.

هذا، وامتناني الخالص لدار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، التي رعت هذا العمل بغية وضعه بين أيدي القرّاء بالعربيّة، بمناسبة سنة الثقافة العربيّة بالجزائر، 2007.

المؤلّف : ذو الحجة 1427

الموافق لـ ديسمبر 2006

---

1 . انظر كتابنا "العرب أسلاف الجاليّين ؟"

2. انظر كتابنا "العرب في أروبا قبل العهد المسيحي".

من المترجم إلى القارئ

تاريخ العربيّة، لسان العالمين، هذا الكتاب الذي نقدّم ترجمته العربيّة نقلا عن الفرنسيّة بين يدي القارئ، هو ملتقى مباحث متراكبة المستويات، يعضد بعضها بعضاً في تعميق فكرة الكتاب وتكريس منهجيّة الكشف عن الحقيقة وفق سياق الموضوعيّة: عالميّة اللّغة العربيّة، وعلويّة اللّسان العربيّ، بما يفسح المجال لتبدّي حقائق أخر -مدارها وروافدها اللّسان- حول حقيقة العروبة ومعنى العربيّ وماهيّة هذا المفهوم وفحواه ومتحدّر هذا المعنى ودلالته الحقّة، بمنأى عن كلّ تقصّد أو ترصّد، بل سلوك مقتضى المنهجيّة الموضوعيّة.

فالكتاب بهذا، يفتح الباب على مصراعيه مفسحا لغير ما مجال: التاريخ واستوصاف الأرض كما علم الطّبائع واللّسانيّات خائضا في ميدان الهجرات والملاحة، غير مفرّط في النّقل الدّينيّ، بتحليل متزن متأنّ مسترسل ...

ولمّا كانت هذه طبيعة الكتاب فقد اقتضت اللّغة الصّنو نفسه: بمعاجم متدفّقة، غزيرة التّنوّع، فإذا الواحد منها على التّاريخ وألفاظه وعباراته يحيل، وآخر على الاستوصاف الأرضيّ وما يقتضيه من سبك لغويّ ورصف اصطلاحيّ، وصعيد آخر فيه لعلم الطّبائع باب وآخر للدّين بنقوله ومفاهيمه وعباراته. فالكتاب بذلك مراوحة معجميّة بها من الموسوعية مسحة.

فكان لزاما أن تسلك صناعة الترجمة كلّ هذه التعاريج، وتتسنّم كلّ تلكم المستويات، للظّفر بتوافق في المقابلة، إن على صعيد المصطلح وانتقاء الألفاظ

وإرسال العبارات معجمةً، أو على مستوى توجيه الخطاب مراعاةً. وكان الحرص منّا على ذلك مشوبا بالخوف على المحتوى أن يغمط والمبنى أن يهمل، فالثنائيّة لا تنفكّ أمرا واحدا رأسا وأصالة.

ولقد كان العمل ليتيسّر لولا خصوصيّة اعترت المصنّف ذاته، فهو نفسه درّة ضمن نفائس عقد بحث مرصوف، اقتضى فيه مؤلّفه الدّكتور عبد الرّحمن بن عطيّة منهجا خاصّا -لا يندّ عن البقيّة- في تمحيص الحقائق والأخبار وتخريج المعاني والأفكار، فضلا عن مفارقته -على غرار الحلقات الأخر- الخطّيّة المعجميّة، التي اقتضاها جلّ الباحثين ودأبوا ينهلون منها، على عُجَرها وبُجَرها، فالدّكتور سَجِيسَ الأوْجس رجّاع إلى الأصل، يتأبّى كلّ دخيل، مناوئ لكلّ غريب، رافض لأيّ تشويه، رغيمته إنصاف الحقائق. ولولا أن منّ الله فتداركنا بتوفيق منه بهمّة الدّكتور المؤلّف ومرافقته خلال مراحل الصّناعة كلّها، لما بلغ الضّبط اللّغويّ والاصطلاحيّ، ما نحسب أنّه عليه من احتفاء تدقيق وبلغة، ولو ما مداولة الضّبط والمراجعة لما اهتدت العبارة ولا الإشارة إذا أبدا. وحسبك أنّ المؤلّف قد حصّل بما دبّج من أبحاث وتحقيقات قوائم معجميّة تحيل على حقائق دلاليّة ومفاهيم اصطلاحيّة صقيلة ...

وما لنا ولألفاظ دخيلة، نشاز ؟ والأصيل عندنا متوافر كفاية ومحقّق للغاية، ولا يتعذرنّ الواحد منّا بشيوع الخطإ ولا يحتجنّ باستشراء اللّحن، ما دام السّبيل إلى تحرّي الأصيل واقتضاء الأصوب ممكنا متاحا أبدا ... وليت الخطب ألمّ بجزئيّات المباحث وفروع العلوم، ولكن أن يرد حياض تسميات العلوم ذاتها، التي كان العرب مدبّجيها وممهّديها فذلك ما يستنكر ولا يفارقه الاستقباح. وغير بعيد منّا تسمية : الجغرافيا والفلسفة، اللّتين لا يظنّ أنّ العربيّة بهما ضنينة، فكان الواجب أن نعود إلى الأصل فنقول : علم استوصاف الأرض والفمصفاء، مرّة باقتضاء التركيب الضيف المتزن، وأخرى باستغلال النحت الذي هيّأ له العرب قبل اليوم ... ولئن تبدّت الغرابة في خراقة بعث الأصيل سماعا أو قياسا، فالنقيصة في التزام الخطإ.

هذا وأسماء الأعلام ترجمت كلّها باقتضاء مبرّر، فإن كان الاسم لمؤلّف أوربيّ، ترك على حاله الصّوتيّ، حتى نجتنب العربيّة عجمة هي في غنىً عنها، وإن كانت له بالعروبة وشيجة تقصّيناها (والفضل الأكبر للمؤلّف) وأثبتنا التحويل الموائم، وقاربنا وسدّدنا، والأمثلة في ذلك كثيرة، وبها نوّه المؤلف في مقدّمته، والمتن الذي بين أيدينا يجلّيها.

وأبى المؤلّف، وأبينا إلاّ أن تسلك المعاني والمباني مسلك الموضوع وتكون على المستوى نفسه، فحاولنا تحرّي السّلامة اللّفظيّة والقياس الأصيل، فنخّلنا الألفاظ جهدنا مخلّصينها من شوائب العجمة وقذى التّخيل وهجين اللّكنة وركيك الرّطانة، وأرسلنا العبارات وسعنا غير متكلّفة ولا متجشّمة، دونما تنازل عن الأصيل أيّا صعيده. وكانت لنا بالرّعيل الأوّل الأسوة، سبكا وصياغة ومنطقا وتواضعا. وما لا يدرك كلّه لايترك جلّه.

ثمّ إنّ المترجم كصاحب كلّ صناعة، متندّم أبدا، كَسْعِيٍّ مدى الدّهر، فلو خالف نظره وبصره إلى ما دبّج توّا أو اطّلع في غدوته عمّا حسم في بكرته، لقال لو وضعت ذا بدل ذاك، ولعلّي إن أبدلت كذا بذا، لكان للمعنى أجود وللعبارة أسبك. وذلك طبع في النّفس وسجيّة للفكر ودليل استيلاء النّقص على البشر. وحسبنا أن نسلم في ترجمتنا هذه من غيلة المعاني أو غفلة الإسقاط أو زلّة التحميل أو اعتلال في اللّغة أو قصور في العبارة. ونخالنا ما عدمنا في ذلك حكما، وهو المراجعة المرّة بعد الكرّة، انفرادا ومداولة مع المؤلّف، فاطمأنّنا إلى ما قصد واطمأنّ إلى تبليغنا.

ولقد تعمّقت عندنا من خلال ترجمة هذا الكتاب حقيقة هي جوهر الصّناعة (التّرجمة)، وهي التي إليها ألمح الجاحظ بقوله . يكفي من حظّ البلاغة أن لا يؤتى النّاطق من سوء فهم السّامع وأن لا يؤتى السّامع من سوء إفهام النّاطق. ولا نشطط بسحبنا هذا الفهم على المداولة في التّرجمة، نعني بين واضع النّص والمترجم، إن توافر الالتقاء والاجتماع، وإلاّ فعبر تدبيج الأوّل ومن خلال

كتاباته وآثاره. فتلك عصمة أبلغ في النّجاة، وجنّة أسلم للنّصّ مبنى ومعنى وروحا وأخدم وأفيد للقارئ.

هذا ولا نحسبنا حزنا القياس ولا حفظنا الشّاذّ ولا ملكنا ناصية اللّغة ولا ذلّلنا بعد معتاصها ولا أحطنا بغريبها ولا تعرّفنا إلى جملة دارجها ... فإن أصبنا فبتوفيق من الله، ثمّ بفضل معلّمينا (وعلى رأسهم معلّمي الأوّل سي محمّد الطّاهر غربي والنّاصح المخلص الشّيخ الهاشمي موساوي ومحمّد الأمين بناي والسّعيد هيمه) وإن أخللنا فعثرة نقال، وزلّة ينبّه إليها ونبرأ من كلّ تحميل ما لنا فيه يد ولا نسلنا إليه بحال قصد ولا لنا به قِبل. فليحسن القارئ الظّنّ وإنّا لننزل منه ذلك عرفانا منزلة المنّ.

وليس يفوت الكريم في موسم الجنى وإبّان القطاف، أن يحمد الله على ما وهب وما إليه وفّق، فهو مولانا لا إله سواه. وكما أنّه لا يحمد الله من لايشكر النّاس، فشكرا لوالدينا رأسا، ذوي الأيادي المتصلة منّا وعطاء، وإلى كلّ من كانت له علينا حقّ رحم في الدّين أو النّسب أو العلم أو الفضل أو الصّحبة والرّفقة أو الجوار، وأزدجر جامّ شكري للمؤلّف الفاضل، الدّكتور عبد الرّحمن بن عطيّة، الذي ظلّ طيلة مراحل الصّناعة حريصا ممحّصا ممعنا النّظر دونما كلل، منبّها مشيرا ناصحا مشفقا. وإنّا لعلى سعة صدره لمن الشّاكرين. وإلى من رعى تصفيف وتطريس القمطر ونظم السّطر للسّطر وسهر على إخراجه وأبدى في ذلك اجتهادا ونجابة، خالص تشكّراتي وامتناني. وإلى دار هومة، التي خصّت بالحظوة نشر هذا العمل وتوجيهه لسنة الثّقافة العربيّة، فائق الامتنان ولطاقمها -وأخصّ طاقم التّحرير- جميل الشّكر والعرفان.

ولله الأمر من قبل ومن بعد

ربّ أنعمت فزد

المترجم : ذو الحجّة 1427 للهجرة

الموافق لـ ديسمبر 2006 للميلاد

المقدّمـــة

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[1]

درج الأجنبيّ عن الثقافة العربيّة، في عصرنا الحاضر على إلحاق مصطلح "عربيّ" بكلّ شخص يتكلّم العربيّة، أو بكلّ امرئ يلتزم بتعاليم الإسلام، ولو لم يكن يتكلّم العربيّة. وبالمقابل فأولئك الذين لا يتكلّمون العربيّة أو لا يدينون بالإسلام يعتبرون عجما، ولو انحدروا عن أصول عربيّة، مثال أولئك الأحباش والمالطيّين والإيسبان (الإيبر).

وأمّا قاطنو البلدان المكوّنة للعالم العربيّ، فهم يتلقّبون بأسماء ذات علاقة بالنّطاق الاستوصاقيّ-الأرضيّ الجهويّ بدل أن يتسمّوا بالعرب؛ على غرار نعت قاطني وادي النّيل بالمصريّين والنّوبيّين أو السّودانيّين، وكذا وسم أهل العراق بالرّافديّين، أو وصف ساكني سوريّة بالأرميّين أو بالشاميّين، وتسمية ساكني شمال إفريقيا بالمغاربة أو البربر، وتسمية ساكني الجزء الجنوبيّ من شبه الجزيرة العربيّة باليمنيّين، إلى غير ذلك. بل إنّ ساكني الحرمين الشريفين؛ مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة يتسمّون بالحجازيّين أو السّعوديّين.

فضلا عن هذا، فمتقدّمو الذّكر هؤلاء لا يُعتبرون عربا (من جهة الأصل)، لأنّ الكتاب العرب أنفسهم يصنّفونهم ضمن العرب المستعربة (المنحدرة عن إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السّلام-)، هذا ما يعني ،أعاجم تعلّموا العربيّة بعد نزولهم بالحجاز ... ..

فأين هم العرب إذا ؟ ومن هم ؟ ومن أين انحدروا ؟ وهل حقّا هم موجودون ؟ أو أنّ كلمة "عربيّ" ليست سوى مفهوم شامل، من السّعة والغموض بمكان حتى غدا مفرغا من كلّ دلالة ؟

---

1. الآية الثالثة عشر بعد المائة (113) من سورة طه.

جميع هذه الأسئلة وغيرها تشي بطائل عن مدى تعقيد تفسير "العربيّ"، حيث أنّ كلّ واحد يسعه توظيفه وفق هواه، أو بمقتضى لون العصر. وعلى هذا فالمصطلح بحدّه هذا والذي أوغل في القدم، يظهر له أثر في المخطوطات المنقوشة المصريّة أو الأشوريّة البابليّة بداية من الألفيّة الثالثة (أو الرّابعة حسب بعض المؤلّفين)، التي سبقت العهد المسيحيّ[1].

لقد تناول "العهد القديم" العرب بتسميتهم في غير ما سفر : الأيّام (الأوّل والثاني)، الملوك (الثاني)، إلخ. وعرّفهم باعتبارهم ساكني منطقة من مناطق شبه الجزيرة العربيّة متاخمة فلسطين. أمّا "العهد الجديد" (رسالة إلى الجالطيّين) فيجعلهم شبيهين بالأنباط، في حين أنّ القرآن أشار إليهم باعتبارهم بدوا (أعرابا) طورا. وتارة، في مواضع أخرى من النّصّ القرآنيّ أشار غير ما مرّة للنعت " عربيّ"، باعتباره وصفا يلحق بـ"القرآن" (أو اللّسان)، وهو النعت الذي قد لا ينعطف جهة القوميّة.

ولقد أعطى الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- في حديث مشهور تفسيرا لمعنى " العربيّ "، يجمل معناه في "كلّ من تكلّم العربيّة فهو عربيّ".[2]

ولقد أورد بعض الرّواة المسلمين أنّ اللّسان الذي تكلّم به آدم -عليه السّلام- في الجنّة قبل هبوطه إلى الأرض هو اللّسان العربيّ. كما أنزل القرآن على سيّدنا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- بوساطة الرّوح الأمين جبريل -عليه السّلام- باللّسان العربيّ.

يستحيل الكلام عن العربيّة دون الكلام عن الدّين، فلئن كانت اللّغة العربيّة لسان الوثنيّة العابثة عند العرب، فهي أيضا لسان الإسلام، وكذا

---

1. اورد I. Wolfensohn (في كتابه "اللغات السامية") إشارة العرب هذه في المخطوطات المنقوشة البابليّة المرتبطة بالملك سرجون وحفيده نار-رم-سين.

2. حديث رواه ابن عساكر في "تاريخ الشّام" عن مالك عن الزّهريّ عن بن سلمة بن عبد الرّحمن : أيّها النّاس الرّبّ واحد والأب واحد وانّ الدّين واحد. وليست العربيّة بأحدكم من أب ولا أم، وإنّما هي اللّسان فمن تكلّم العربيّة فهو عربيّ ».

لغات دیانتي التوحيد الأصليتين الأخريين (المسيحيّة واليهوديّة) كانت لغات عروبيّة، فلقد كان لسان التوراة الكنعانيّ (الفانقيّ)، ولسان الإنجيل الأرميّ.[1]

لقد أطلق الكتاب الأوروبيّون على اللّغات التي نسمّيها بالعروبيّة، تسمية اللّغات "السامية" (أو "الحاميّة السّاميّة"). ولقد عمد هؤلاء إلى استعمال قسمين لتصنيف اللّغات العروبيّة ضمنهما : قسم اللّغات الساميّة (منها العربيّة، والبابليّة، والأرميّة ...)، والقسم الثاني هو قسم اللّغات الحاميّة (منها الأكاديّة، والمصريّة، والحبشيّة، والعربيّة الجنوبيّة، والفانقيّة، واللّيبيّة-البربريّة، ...).

لقد عمد بعض اللّغويّين إلى إدراج العربيّة الجنوبيّة والحبشيّة ضمن القسم الأوّل، وآخرون يعدّون الأكاديّة ضمن اللّغات الحبشيّة، وغيرهم حدّد الأرميّة والفانقيّة ضمن السّاميّة الغربيّة. ولعلّة الاختلاف إن لم نقل اللّبس الذي يتسربل مختلف تصنيفات هذه اللّغات، فضّلنا تسمية "اللّغات العروبيّة"، ولذلك مبرّراته :

1- هذه اللّغات تتشابه جميعها صرفا ومعجمة. فلقد أفضى تحليل اللّغات العروبيّة الذي أجراه اللّغويّون وكثير من الكتاب[2]، إلى نتيجة أنّها جميعها تنحدر عن لغة واحدة. فقد صرّح Ph. Hitti في مؤلّفه "تاريخ العرب" بصدد السّياق بأن : ، اللّغات الأشوريّة والبابليّة والأرميّة والعبرانيّة والفانقيّة والعربيّة الجنوبيّة والحبشيّة، جميعها لهجات مشتقّة من لغة وحيدة، هي اللّغة-الأمّ : العربيّة. كافّة هذه اللّغات تتشابه حقيقة ... يفضى من هذا كلّه إلى أنّ أسلاف هؤلاء الأهالي المتعدّدين (مثل البابليّين والأشوريّين، والكلد والعموريّين والأرميّين والفانقيّين والعبرّانيّين والعرب والأحباش) شكّلوا شعبا واحدا في الماضي السّحيق عاش في فضاء واحد ،.

---

1. انظر كتابنا "العرب محرّكو الديانات الحنيفيّة الثلاث".
2. من بينهم Ph. Hitti وG. Lebon عن المعاصرين، وسطرابو وديودور الصقلّيّ وأرودوت عن القدامى.

2- لقد حُسِمَ تحديد صرف ونحو العربيّة بفضل لسان القرآن. ممّا وطّن لهذه التسمية مقياسا علميًا وأعطاها صبغة الدّيمومة. وفي هذا السّياق أورد G. Dhorme[1] : « إنّ العربيّة، إلى جانب اللّغات التي نصطلح عليها "اللّغات الجنوبيّة السّاميّة"، يبدو لنا خرافة محافظتها على النّظام المشترك لما يمكن تسميته بالسّامية القديمة، إن لم نقل البدائيّة. إنّ العربيّة وجنيساتها استطاعت أن تصمد في وجه صروف الزّمن، دون أن تنثني ولو عند الصّغائر، وذلك خصوصا في معالجة الحروف الصّامتة التي تؤلّف هيكلا للجذور والكلمات لجميع اللّغات السّاميّة ... ».

3- اليمنيّة (اللّغة الحميريّة)، القريبة من المصريّة والآكاديّة، إلخ. تنعت، حسب اللّغويّين بالصّفة "عربيّة" : وهي اللّغة العربيّة الجنوبيّة.

4- تكنّى العربيّة من طرف اللّغويّين بلغة الضّاد، الذين يقرّون بأنها الوحيدة التي تستعمل هذا الصّوت "ض"، على الرّغم من أنّ اللّغات العروبيّة الأخرى تستعمل هذا الصّوت أيضا (بخاصّة البربريّة والأكاديّة والعربيّة الجنوبيّة).

5- لقد جلّى اللّسانيّ G. Dhorme من خلال كتابه "العربيّة الفصحى ولغة حمو-ربي" التّشابه النّحويّ والمعجميّ بين اللّغة البابليّة والعربيّة الفصحى. والحال أنّ البابليّة هي فرع من الأكاديّة، هذه الأخيرة صنّفها كثير من المؤلّفين ضمن اللّغات الحبشيّة (مجموعة اللّغات الحاميّة).

6- يقترح E. Renan الاستعاضة عن مصطلح "ساميّة " بـ"سوريّة عربيّة" لوصف هذه اللّغات. أمّا Leibnitz[2] فقد طرح فرض تسمية "عروبيّة" لهذه اللّغات.

---

1. في كتابه "العربيّة الفصحى ولغة حمو-ربي".
2. G.W. Leibnitz هو فمصفانيّ وعالم رياضيّات للانيّ ولد في Leipzig (1646-1716).

والخلاصة، هو أنه باعتبار المبرّرات التي أسلفنا نضدها وتقديمها، فإنه يسعنا أن نسمّي اللّغات المسمّاة بالسّاميّة أو "الحاميّة السّاميّة"[1] باللّغات العروبيّة.

إذا كانت التصنيفات الاعتباطيّة للّغات العروبيّة المسمّاة بالحاميّة السّاميّة، المجتباة من لدن مصنّفين أوروبيّين تخفي وراء الأكمة ما وراءها من إيحاءات غير لغويّة، فإنّ تصنيفات النّاطقين بالعربيّة من قبل المصنّفين العرب على القدر ذاته من الذّاتية ومدعاة للنّظر. إنّ المؤلّفين العرب في الواقع يقسّمون المتكلّمين بالعربيّة إلى مجموعات ثلاث :

- العرب الأوائل، الذين لم يبق لهم أثر، هم المسمّون بالعرب البائدة.
- العرب أنقياء العرق، هم المسمّون بالعرب العرباء والعاربة.
- العرب الذين انحدروا من سلالة أخرى ويتكلّمون لغة أخرى، وأصبحوا عربا، وهم المسمّون بالعرب المتعرّبة والمستعربة.

كتب Ph. Hitti بالاعتماد على النّسابين العرب، أنّ السكّان الأصليّين للجزيرة العربيّة هم القحطانيّون (أهال عربيّة جنوبيّة)، أمّا الآهالي الآخرون المستعربون، فتعتبر أجنبيّة هاجرت لهذه البلاد، وهم العدنانيّون.

وسنتناول في صلب المدوّنة هذه، الادّعاءات الجذريّة والجازمة والشّبيهة بالأطروحات الآريّة لـ Gobineau.

إنّ المصريّة التي أُنكر اعتبارها لغة عربيّة من بعض المؤلّفين المعاصرين (على الرّغم من أقوال الكتاب القدامى -من أرواذوت إلى سطرابو- الذين نسبوها اشتقاقا إلى العربيّة الجنوبيّة) أخذت شيئا فشيئا ترجع إلى أصولها العروبيّة

1. كتب E. Renan بهذا الصدد في كتابه "حياة عيسى" : "انوّه بأن هذا الاسم ينعت ها هنا ببساطة الشعوب التي تتكلّم أو تكلّمت إحدى اللّغات المسمّاة ساميّة. مثل هذا الوصف بطبيعة الحال يشوبه القصور، ولكنّه إحدى الكلمات التي ينبغي استصحابها دفعا بالتفاهم، حتى بعد تأشيرنا على الخطإ المترتّب".

بفضل استقراء أمثل للنقوشات المصرية وبفضل دراسة مقارنة دقيقة للّغات العروبيّة ومعرفة أوسع باللّسانيّات التاريخيّة.

لقد بيّن B. Hrozny[1] (على غرار كتاب آخرين) أنّ جزءا من الكلم المصريّ أصله بابليّ. كما أنّ أعمال E. Dhorme التي أشار إلى نتائجها في كتابه ("العربيّة الفصحى ولغة حمو-ربي") تتيح، من جهة أخرى، لبعض الكتاب العرب أن يعترفوا بأنّ البابليّة كانت لغة عروبيّة. إذ قبل ذلك كان هؤلاء الكتاب ينكرون نسبتها تلك، نسبة لغة النبيّ إبراهيم الخليل -عليه السّلام- إلى أرومة اللّغات العروبيّة.

علاوة على ذلك، إذا كان كتاب كُثر نوّهوا بالوشيجة التي تربط اللّغات العروبيّة بعضها ببعض (اللّغات الحاميّة السّاميّة حسب اصطلاح آخر)، فقليل منهم من أشار إلى اللّغة البربريّة (أو اللّيبيّة) ضمن هذه العائلة، ولعلّ السبب وراء ذلك يكمن في كون هذه اللّغة ظلّت ولا تزال محكيّة أساسا، لم تترك أدبا ولا كتابة منقوشة متوافرة (نسبيّا قياسا إلى اللّغات العروبيّة الأخرى). وهذه اللّغة التي صمدت في وجه صروف الدّهر والتّاريخ لا تزال حيّة دائما، بعد آلاف السّنين من الاستعمال، على عكس شقيقاتها كالفانقيّة والأكاديّة والمصريّة، على سبيل المثال، اللّتي تداعَيْن للاندثار والموت.

ثمّ إنّه في الألفيّة الثالثة التي سبقت العهد المسيحيّ، امتدّ الفضاء الاستوصاقيّ-الأرضيّ الذي كان يقطنه المتكلّمون باللّغات العروبيّة، من ضفاف المحيط الأطلسي إلى ضفاف المحيط الهنديّ، ومن قمم جبال البرانس إلى قمم إمالاين. وفي الغرب أُعملت الإيبيريّة البربريّة من المحيط الأطلسيّ إلى غاية النّيل، والمصريّة والحبشيّة من القرن الإفريقيّ وصولا إلى البحر الأبيض المتوسّط، والفانقيّة في شرق البحر الأبيض المتوسّط وفي الأناضول، والعربيّة الوسطى والعربيّة الجنوبيّة، من سيناء وسوريّة إلى خليج عدن، والأكاديّة والبابليّة في

---

1. في كتابه " تاريخ آسيا الغربيّة، والهند وقرتا".

كافّة بلاد الرّافدين، واللّغات القوقصيّة التي تدلي بقرابة إلى الإيبريّة - البربريّة في القوقص وفي شمال آسيا الصّغرى.

لقد شهدت بلاد فارس الحاليّة، ووادي السّند استخدام لغات عروبيّة عدّة من طرف مستعمرين عروبيّين قدموا من مناطق مختلفة من العالم العروبيّ[1]. ولقد كنّا بيّنّا في كتابين سابقين أنّ المستعمرات العروبيّة في الألفيّة الثّانية قبل الميلاد، امتدّت إلى أروبا الشّرقيّة (بلاد الإغريق ووادي الدّانوب) كما وصلت إلى أروبا الوسطى (البلقان وساحل بحر أذريا)، وبلغت أروبا الغربيّة (شبه الجزيرة الإيطاليّة وجاليا والجزر البيريتانيّة)، وكذا أروبا الشّماليّة (ألمانيا وإسكانيا الحاليّة)، كلّ هذا بقرون كثيرة قبل مجيء القبائل، ذات لغات هنديّة-أروبيّة في جميع هذه الأصقاع[2].

لئن كانت المملكة الرّومانيّة قد قضت على استعمال اللّغات العروبيّة وكذا لغات أخرى دون الهنديّة-الأروبيّة، باحتلالها جزءا من أروبا (بخاصّة الإيبريّة في إيبريا وفي فرنسا الحاليّة، والجاليّة والفانقيّة في جاليا، والتّورسكيّة في إيطاليا، والإيليريّة في البلقان). فالحال على خلاف ذلك بالنّسبة للّغات العروبيّة في شمال إفريقيا، وفي شرق البحر الأبيض المتوسّط وفي بلاد الرّافدين، حيث حوفظ عليها.

إنّ ميلاد مملكة فارس على أيدي "بني أخمينا" لم يؤدّ إلى عدم إلغاء استعمال اللّغات العروبيّة في البلاد الخاضعة للإيرانيّين فحسب، بل إنّ لغة عروبيّة، ألا وهي الأرميّة، أصبحت اللّغة الرّسميّة لمملكة فارس. فضلا عن هذا، مع ترقية اللّغة الهنديّة-الإيرانيّة (قرونا كثيرة بعدها) كلغة رسميّة للدّولة الفارسيّة، ولقد حفظ -قبل وبعد مجيء الإسلام- العديد من ألفاظ الكلم العربيّ

1. انظر كتابنا " الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة".
2. انظر كتابينا : -" العرب في أروبا قبل العهد المسيحي"،
-" العرب، أسلاف الجاليّين ؟".

في معجم اللّغة الإيرانيّة ، فلا غرو إذا أن يوجد في وقتنا الحاضر حوالي ثلث هذا المعجم من أصل عربيّ (وهو ما يجمع عليه جميع الكتاب).

وعلى هذا النحو يجري الأمر في تركيا ، إذ ورغم التغييرات التي أقحمها كمال "أتاترك" في تركيا، "لتطهير" هذه اللّغة من جوهرها العربيّ، فحوالي ثلث كلم الثروة اللّغويّة التركيّة لا يزال مكوّنا من الكلم العربيّ (وجميع المؤلفين يقرّون ذلك).

والظّاهرة اللّسانيّة نفسها تسجّل في اليونان حيال اللّغة الهلأنيّة[1]، أو في إيسبانيا حيال اللّغة اللأتينيّة ـ الإيسبانيّة، حيث أحصي في هذه اللّغة الأخيرة ما يربو عن ألفي كلمة عربيّة.

إنّ هذا التّأثير المعجميّ الذي تكرّسه اللّغة العربيّة، ليس فقط على اللّغة الإيسبانيّة، بل على جميع اللّغات الأروبيّة " الحديثة" لهو طبيعيّ بالنّظر إلى :

- إذا علمنا أنّ هذه اللّغات الأروبيّة الحديثة انحدرت عن اليونانيّة واللأتينيّة، وأنّ اللأتينيّة سليلة اللّغة الهلأنيّة. وما من مؤلّف يسعه إنكار تأثير اللّغة اليونانيّة على اللّغة اللأتينيّة، وهو الأثر الذي يرجع أساسا إلى التّاريخ والحضارة اليونانيّة[2]، وهو ما تبرّره الدّراسة التقابليّة لنحو اللّغتين.

- إذا علمنا -لقد بيّنّا هذا في مؤلّفاتنا السّابقة- أنّ أهال أروبيّين كثر، الذين سبقوا القبائل الهندية-الأروبيّة تكلّموا لغات عروبيّة، وهي لغات أثرت -بشكل بالغ أو يسير تبعا للأقاليم- في اللّغات الهند يّة-الأروبيّة للوافدين الجدد[3].

---

1. انظر كتابنا "أهميّة جوهر اللّغة العربيّة في اليونانيّة الفصحى".

2. يصرّح A. Meillet (في كتابه "لمحة حول تاريخ في اليونانيّة") بهذا الصّدد : «كرّست اللّغة اليونانيّة المشتركة (Koinè)على كلم جميع اللّغات الأروبيّة اثرا غالبا ما نجهل اهمّيته، إمّا بالتأثير المباشر للّغة اليونانيّة للفمصفانيّين والعلماء، أو بصورة غير مباشرة بوساطة اللأتينيّة، التي استعير كلمها الفمصفانيّ والعلميّ من اليونانيّة أو اقتبس عن الهلأنية..».

3. ما كتبه A. Meillet (في المصدر السّابق) بخصوص اللّغة اليونانيّة يمكن إسقاطه دونما تجشّم على اللّغات الأروبيّة : « لقد تقاطع الغزاة (الهلأنيّون) مع أهل البلاد، الذين ظلّوا بلا ريب الجوهر الأساس للأهل. بهذا تتفسّر الميزات التي تقلّدت الهنديّة-الأروبيّة على التراب الهلأنيّ».

تلكم هي العناصر جميعها المشار إليها، والتي ستكرّس مادّة دراستنا التاريخيّة للّسان العربيّ، وريث جميع اللّغات العروبيّة القديمة، مطيّة الدّين الإسلاميّ وترجمان الحضارة العربيّة - الإسلاميّة.

ولمّا كان تاريخ اللّسان العربيّ موغلا في القدم «يعود إلى أصل الإنسانيّة»، حسب تعبير E. Renan، فإنّ ذلك يجعلنا نقرّ مسلّمين بصعوبة بحثنا وتعقيده، فالوثائق "التاريخيّة" لهذه الحقب المعنة في القدم منعدمة. والمصادر الموثوقة الوحيدة التي تحت التصرّف تتألّف من أسفار "الكتاب المقدّس" ("العهد القديم" و"العهد الجديد")، وفق استقراء متّسق تاريخيًا ولغويًا مع موضوعنا، وبخاصّة من القرآن الكريم الذي يقول عنه المولى سبحانه :

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ (سورة الكهف - الآية : 54)،

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة فصلت - الآية : 3).

والله أعلـــــم.

البابُ الأوّل

التّاريخُ واللّسانيّاتُ

﴿وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾

(سورة النحل - الآية : 103)

إنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة بحتة ... فعلى الأرجح -بداهةً- أنّ كلّ تغيّر يطال البنية الاجتماعيّة يترجم بتغيّر الظّروف التي فيها تتطوّر اللّغة[1].

فاللّغة نفسها الموحّدة في الأصل، تتغيّر إن يسيرا أو كثيرا وبخاصّة في مستوى كلمها، بفعل تموقعها الفضائيّ والملابسات والتطوّرات التجاريّة والتاريخيّة والدّينيّة ... وكذا بفعل مجاورتها لشعوب أخرى، غير أنّ الجوهر والجذور الأصليّة يبقى ويخلُد. ولا يسع منكر إنكار الأثر الاستوصاقيّ-الأرضيّ والبيئيّ على اللّغة؛ فالقنّاص الذي يعيش في غابات جبليّة، تختلف تعابيره عن فلّاح السّهول، كما تختلف مفرداتهما الوظيفيّة.

إنّ اللّسانيات علم اجتماعيّ. وإذا صحّ أنّ البنية الاجتماعيّة موجّهة بفعل التاريخ، فليست أبدا الظّروف التاريخيّة ذاتها من يحدّد منحى التغيّرات اللّغويّة، بل تغيّرات البنية الاجتماعيّة هي الوحيدة المخوّلة تحوير شروط وجود الكلام، مشفوعة بشعور الانتماء للجماعة اللّغويّة نفسها[2].

وهذه للقولة الأخيرة لـ A. Meillet المتعلّقة باللّسانيات التاريخيّة التي تجبرنا، سعيًا لساجلة أصوب وفهم أوفق للموضوع، على اعتماد سرد اجتماعيّ-تاريخيّ ولغويّ وجيز للعالم العربيّ المعاصر ثمّ للعالم العربيّ في عهد أقدم، في عهد يصل بنا إلى ثلاثة آلاف سنة ممّا يسبق العهد المسيحيّ، وفق دراسة جدّ وجيزة لمختلف

---

1. A. Meillet في كتابه "اللّسانيات التاريخيّة واللّسانيات العامّة".
2. سبق ذكره.

الحضارات العربيّة قبل الإسلام واللّغات التي كانت الأهالي العروبيّة تتكلّم في جميع الأصقاع التي كانت تقطن.

وسنعاين في ما يُستقبل أنّ ظهور (كما تعدّد) اللّغات العروبيّة تداعى (قسم منها) مستجيبا لتغيّرات البنية الاجتماعيّة، التي بحدّ ذاتها تخضع لتنوّع الفضاء الاستوصافيّ-الأرضيّ والمناخي الذي آوى إليه كلّ واحد من هذه الأفواج البشريّة المهاجرة، وهي الأفواج البشريّة التي عاشت أصلا في المناطق نفسها، وفي ظروف اجتماعيّة متجاورة إن لم نقل متطابقة، وتكلّمت بلغة مشتركة.

الفصل الأوّل

العالم العربيّ المعاصر

يمثل العرب عرقا قديما خاصا، مع تأكيدنا على مفهوم العرق، حيث هو تجمّع أفراد ينحدرون عن أسلاف مشتركة (وبالتالي يتكلمون اللغة نفسها)، وهو ما يميّز إرثا من الصفات الجسمانيّة والخلقيّة والنفسيّة المشتركة. فالعرب ينتمون إلى الجنس الأبيض، ميزتهم بشرة فاتحة أو سمراء، وشعر عَكِف نوعاً ما، وأنف دقيق، هم بذاك جنس يدانون كثيرا أو يختلطون بجنس البحر الأبيض المتوسّط[1].

1. خصائص استوصافيّة-أرضيّة واجتماعيّة

يشكّل العالم العربيّ كتلة بشريّة وحضاريّة، تمتدّ دونما فاصل من المحيط الأطلسيّ إلى المحيط الهنديّ، من نهر إسّنغل إلى الفرات، مماسّة خطّ الاستواء (عند الصومال)، منتهية عند أعمدة عركتيل (مضيق جبل طارق)، في القرن الجنوبيّ لأروبا. يتحدّد في أقصى امتداده، من الغرب عند خطّ طول 5° غربا عند طنجة (المغرب الأقصى) وخطّ طول 17° غربا وخطّ عرض 17° شمالا عند موريتانيا، جنوب مدار السّرطان. ويتحدّد شمالا بخطّ عرض 38° شمالا على السّاحل الإفريقيّ، ودرجة العرض نفسها تقريبا عند سوريّة والعراق. ومن الشّرق ينحصر عند خطّ طول 60° شرقا وخطّ عرض 23° 27′ (مدار السّرطان) عند عمان، يحدّه المحيط الهنديّ. وينتهي عند خطّ الاستواء (درجة عرض 0°) عند الصّومال من جهة الجنوب.

وبما يحوز من امتداد وتنوّع استوصافيّ-أرضيّ ومناخيّ، يزخر العالم العربيّ بأنواع بشريّة مختلفة كما هي عليه في أروبا، في حين أنّ سيمة الوجه

---

1. G. Lebon في كتابه " حضارة العرب".

والهيئة العامّة هي نفسها. فالمسافر المحتك الذي يزور هذه البلدان يمكن أن يُميّز بلا ريب كعربيّ، الجزائريّ أو السّوريّ الأشقر بعينين زرقاوين، أو المصريّ الأسمر بعينين سوداوين. وفي كلّ من هذه الدّول أعضاء الجامعة العربيّة، يمكننا أن نقف على تشابه متعدّد في البشرة ولون العيون والشّعر، يتراوح من اللّون جدّ الفاتح والأعين الملوّنة والشّعر القميحيّ إلى البشرة السّمراء والعيون النّاصعة والشّعر الفاحم.

كما يمكن أيضا إحصاء النّوع الأسود أو الزّنجيّ، كما هو الحال في الأقاليم الصّحراويّة في المغرب وفي المملكة العربيّة أو في السّودان. وعلى الرّغم من ذلك فهذا النّوع البشريّ الأسود لا يشبه النّوع البشريّ الإفريقيّ دون الصّحراء أو الجنس الأسود الأمريكيّ. فهو يتمتع بالخواصّ الخِلْقيّة والخُلُقيّة العربيّة، رغم شعره الأجعد وأنفه الأفطس نتيجة للوسط والتّشابك والوراثة المكتسبة على مرّ القرون بل والألفيات.

اللّغة الرّسميّة والشّعبيّة لهذه الدّول هي العربيّة. وهذا لا يمنع من وجود فروقات في المفردات والغنّة والنّطق في كلام هؤلاء الأهالي، ولكنّه بالتّأكيد أقلّ من نظيره في اللّغات اللاّتينيّة المتجاورة أكثر (الإيطاليّة والفرنسية على سبيل المثال). فالفلاّح المغربيّ يستطيع التّخاطب بيسر مع فلاّح من النّيل، أو قرويّ عراقيّ.

وموازاةً للعربيّة توجد لغات أو لهجات إقليميّة (كالبربريّة في شمال إفريقيا، والقبطيّة في مصر[1]، ولهجات بلاد الرّافدين أو اليمن، والأرميّة في ثلاث قرى من سوريّة)، بيد أنّ جميع هذه اللّهجات مشتقّة من لغة واحدة مشتركة. وكلّ لغة ولهجة سلكت بطبيعة الحال تطوّرا خاصّا بها، بالأخذ بعين الاعتبار ترامي أبعادها الفضائيّة نوعا ما، واستعمالاتها في نطاقات استوصافيّة-أرضيّة مختلفة والاستعارة من لغات بلدان مجاورة و/ أو سيّدة في عصر ما (مختلف أشكال "الغلّ والاستغلال" الأوروبيّ -المكرّسة للأطروحة التّسلّطيّة- في شمال

1. القبطيّة في مصر، هي بخاصّة لغة شعائريّة، على غرار السّريانيّة (في سوريّة) والكلديّة (في بلاد الرّافدين).

إفريقيا، والاحتلال الهلأني لمصر، إلخ)، وكذا تباينها الدّينيّ أو الحضاريّ (فلقد ظلّت اللّغة القبطيّة راسخة لدى المصريّين الذين لم يتقبّلوا غزو بلادهم من طرف الإغريق، وبعد ذلك عند المسيحيّين موحّدي الطّبيعة في المسيح الذين لم يتوافقوا مع الكنائس الرّوميّة والرّومانيّة).

الدّين السّائد بريادة إن لم نقل الرّسميّ في جميع هذه الدّول هو الإسلام. ولكن إلى جانبه يمكن إحصاء ديانات أخرى كالمسيحيّة واليهوديّة. فهناك أقلّيّات معتبرة مسيحيّة في مصر (الكنيسة القبطيّة)، وفي سوريّة والأردن والعراق وفلسطين (الكنائس الرّومانيّة والإغريقيّة واليعقوبيّة والأرميّة ...). كما أنّ ما يقارب نصف سكّان لبنان هم نصارى (وبخاصّة الكنيسة المارونيّة)[1]. وعلى ذلك تؤكّد هذه الأقلّيّات المسيحيّة[2] على عروبتها، على حدّ السّواء عند السّياسيّين والشّعراء كما الفنّانين.

وعلى غرار مواطنيهم المسلمين، فالمسيحيّون يشغلون مواقع مهمّة في الحكومة والجيش والماليّة. ولا شيء يفرقهم عن مواطنيهم المسلمين ما لم يكن أحيانا اسما مسيحيّا، أو التردّد على أماكن عبادةٍ غير المسجد. وهناك أقلّيات ضعيفة يهوديّة لا تزال في شمال إفريقيا (فلقد اتفق أن كان يهوديّ وزيرا ضمن حكومة ملك المغرب السّابق) وكذا في الشّرق الأوسط. والجزء الأعظم من اليهود الذين عاشوا في البلاد العربيّة قبل ثمان وأربعين وتسعمائة وألف 1948 (الموافق لسنة سبع وستين وثلاثمائة وألف 1367 للهجرة) هاجروا نحو أروبا وأمريكا أو فلسطين بعد الحروب العربيّة-الإسرائيليّة.

---

1. مذهب سوريّ تابع للكنيسة الرّومانيّة، مؤسّسه هو "القدّيس" مارون، الذي انفصل عن موحّدي الطّبيعة في المسيح.
2. جبران خليل جبران، لبنانيّ، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة (امريكا الشّماليّة) في بداية القرن العشرين (القرن الرّابع عشر للهجرة)، احد اعمدة النّهضة للآداب العربيّة. تغنّى في أشعاره بحنين وحبّ أرضه. هناك كتاب نصارى اخرون درسوا الصّرف والنّحو العربيّ في القرآن وصولا إلى استخدام لغة نقيّة وعلميّة.

إنّ حجما مساحيّا بهذه الأهميّة، يمتدّ نطاقه على أكثر من سبعة آلاف وخمسمائة كيلومتر، يمدّ ضرورة بسبب لظهور تنوّع تضاريسيّ ومناخيّ. فمن جهة الغرب يحدق بالعالم العربيّ المحيط الأطلسيّ، ومن الشّمال البحر الأبيض المتوسّط، ومن الشرق البحر الأحمر فالخليج العربيّ (او خليج فارس) وبحر عمان، ومن الجنوب يحيط به المحيط الهنديّ. وثاني أكبر نهر عالميّا في الطّول وهو النّيل يتواجد بالسّودان ومصر، كما يجتاز نهرا دجلة والفرات سوريّة والعراق (وينبع هذان النّهران من تركيا)، كما أنّ هناك أنهارا ذات أهميّة متوسّطة في المغرب الأقصى (سبو، سوس)، وكذا مع إسنغل (نهر حدوديّ مع موريتانيا)، وأنهار اقلّ أهمّيّة في سوريّة ولبنان.

إنّ استوصاف الأرض الطّبيعيّ للعالم العربيّ يقف على تشكيلة جدّ واسعة : سواحل وسهول وهضاب عليا وصحاري وجبال (او سلاسل جبليّة).

وتبلغ بعض قمم الجبال أكثر من 3000 متر علوّا : جبل طوبقال (4165 مترا) بالمغرب، وجبل النّبيّ شعيب (3760 مترا) في اليمن، وجبل حاصر (3607 مترا) في العراق، وجبل كيتي (3187 مترا) في السّودان وجبل القرنة السّوداء (3090 مترا) في لبنان، وجبل طاهات بالأهقار(3003 مترا) في الجزائر، والجبل الأخضر (3000 مترا) في عمان وجبال الحجاز بالمملكة العربيّة، وقمم اخرى تداني هذه الأرقام كجبل حرمون (2814 مترا) في سوريّة وجبل القدّيسة كاثرين (2641 مترا) في سيناء (مصر).

يمتدّ النّيل في إفريقيا على طول 6700 كيلومتر. وينبع النّيل الأزرق من إثيوبيا، عابرا السّودان، ليلتقي بالنّيل الأبيض (الذي ينبع من أوغندا) حتى الخرطوم، ثمّ يمضي صعودا بكامل مصر من الجنوب إلى الشّمال ليصبّ نهاية في البحر الأبيض المتوسّط.

تعيّن أكبر صحراء في العالم الحدود الجنوبيّة للعالم العربيّ، أساسا في إفريقيا. تحدّ الشّواطئ الرّمليّة للمحيط الأطلسيّ (في موريتانيا)، وتقترب بأقلّ من 250 كيلومترا من سواحل البحر الأبيض المتوسّط في الجزائر، وبسورت

الكبرى يلتقي رمل السّواحل اللّيبيّة برمل الصّحراء. وفي مصر تتخطّى قناة السّويس بعد الانعطاف على ضواحي القاهرة، مرورا إلى سيناء ثمّ انتهاء عند أقصى شرق شبه الجزيرة العربيّة (عمان). ولقد استضافت الصّحراء القاسية والخالية النّيل، حيث شقّ واديه الشّهير : لقد أخصب النّهر هذه الصّحراء فأنجب حضارة مصر المتألّقة.

وكما كنّا رأينا حول التضاريس، فإنّ النّظام المناخيّ هو الآخر جدّ متنوّع. واختلاف المناخ في هذه المناطق هو نشاط -كما في سائر العالم- لتباين العرض، والتوزّع غير المتساوي للأراضي والبحار ومجاري المياه، والتضاريس فيما يخصّ طبيعتها، وامتدادها وارتفاعها وتأثيرات التغيّرات الجوّية. ويتّفق الوقوف على مناخ متوسّطيّ أو بحريّ ومناخ تحت المداريّ، ومناخ مداريّ ومناخ استوائيّ، ومناخ قاريّ ومناخ صحراويّ، ومناخات إقليميّة (قرب الغابات والجبال والتجمعات البشريّة المهمّة). باستثناء المناخ القطبيّ كلّ مناخات المعمورة ممثلة في العالم العربيّ.

العوامل نفسها التي تحدّد المناخ هي من يحدّد منحى الغطاء النّباتيّ والزّراعة. ترتكز التغذية في البلاد العربيّة أساسا على الحبوب (القمح، الشّعير، الذّرة، والأرز) : حيث يستهلك سكّان شمال إفريقيا بشكل أساس القمح (الكسكس)، وفي مصر ودول شرق النّيل الأرز. وفي المناطق الصّحراويّة يعتبر التّمر هو العنصر الغذائيّ المختار : حيث يعرض على الضّيف العابر من أجل إكرامه الحليب والتّمر. وأمّا دول حوض البحر الأبيض المتوسّط فيستهلكون بشكل كبير الزّيتون وزيوته. ويعتمد المطبخ العربيّ كثيرا على استخدام التوابل : هذه التي أدخلها العرب إلى أروبا. ومن أجل أن يبسط الرّومان نفوذهم على هذه الموادّ، حاولوا غزو جزيرة العرب في غير ما مرّة، دونما نجاح.

وعلى غرار تباين العناصر السّابقة فالزّيّ هو الآخر يتباين تبعا لهذه المنطقة أو تلك : الجلابة (وخاصّة ذات القبّعة)، وهي ثياب فضفاض ونفعيّ،

والبرنس (وهو رداء أو مِشمَل ينسج من الصّوف أو وبر الإبل)، والسّروال "العربيّ"، جميعها في شمال إفريقيا. والقميص (وهو ثوب مسترخ من الأكتاف حتى الكعب) في مصر والمملكة العربيّة. والتّنورة التي تحيط بالنّطاق وتغطّي الرّكب في اليمن، إلخ. كما أنّ سترة الرّأس هي الأخرى متعدّدة، العمامة (من عمان إلى المغرب الأقصى)، الكمّة البسيطة في شمال إفريقيا، والكوفيّة في شبه الجزيرة العربيّة، وكذا الشّاشيّة أو الطّربوش (وهي قبّعة مخروطيّة) من أصل فانقيّ. لقد أخذ العرب شيئا فشيئا، لا سيما في الدّول التي احتلّها الأوروبيّون، يميلون للّباس الأوروبيّ (السّروال والصّدرة) ويتخلّون عن زيّهم التّقليديّ، الذي لا يلائم بزعمهم أعمال العصر (في المصانع والورشات ...).

وأمّا بخصوص الثّياب النّسويّ، فقد ظلّ محافظا على مرّ القرون، مع متغيّرات في كلّ منطقة. فالمرأة لا تزال دائما كما هو الحال في جميع المجتمعات ضمانة العادات والأعراف، التي تنتقل كما هي من الأمّهات إلى البنات.

2. الهـجـرة العـربية في العـالـم

إنّ مجال هجرة العرب المعاصرة في العالم على قدر كبير من الأهمّيّة يشفع في فهم تشكيلة العالم العربيّ، الذي يعود تكوّنه إلى آلاف كثيرة من السّنين، والذي سنعاين مظاهره المختلفة في الفصل التّالي :

فالعربيّ المعاصر، على غرار أسلافه، رحّالة كبير. يهاجر متغرّبا بيسر لأقاليم أخر، رغيمته الأولى تحصيل المعاش له ولعائلته، بسبب بور الأرض أو المجاعة أو الجوائح الطّبيعيّة (فيضانات، الجفاف، التّصحّر).

تستدعي الهجرة نحو آفاق أخر ثقةً في النّفس والهويّة، وتحكّما في الأحاسيس النّفسيّة-العاطفيّة، وسهولةَ التّكيّف مع الوسط المضيف (مجتمعا بشريا ومناخا ولغةً وغذاءً)، وتجاوز بعض الفروقات (الدّينيّة والثّقافيّة أساسا).

هاجر العرب إلى إفريقيا ما دون الصّحراء وأمريكا وأروبا مستصحبين حضارتهم وفنونهم وعلومهم وفطانتهم، فأسهموا في إثراء الرّصيد الثقافي والفنيّ للمناطق المستقبلة.

بدأت هجرة العرب إلى أمريكا الجنوبيّة في النّصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (الموافق للقرن الثالث عشر للهجرة)، وفي أمريكا الشّماليّة بدأت سنة ثمانية وسبعين وثمانمائة وألف 1878 للميلاد (الموافق لسنة خمسة وتسعين ومائتين وألف 1295 للهجرة). وهي الهجرة المنحدرة خصوصا من آسيا، وبالأخصّ من سوريّة (حينها كانت لبنان منطقة تابعة لسوريّة)، وتليها الهجرة من مصر. وقد حافظ العرب في بلدانهم المختارة -على الرّغم من توالي الأجيال، واقتران بعضهم بأسر غير عربيّة- على عاداتهم وطابعهم الخاصّ.

أهّل جَلَدُ ومثابرةُ وشجاعةُ كثير من المهاجرين الذين كانوا حين وفودهم خاليَي الوفاض وصعاليك في البلاد المضيفة، لأن يبلغوا مراحل من السّعة : فهم أساتذة في الجامعات ومقاولون بناؤون وعُمَد ونوّاب وأعضاء مجالس الشيوخ ووزراء ومصرفيّون وضبّاط سامون في الجيش ورجال أعمال ناجحون وملاّك كبار للأراضي، إلخ. فواحد منهم وصل إلى الرّئاسة في الأرجنتين، في العشريّة الأخيرة من القرن العشرين (الموافق للقرن الخامس عشر للهجرة). وعدد كبير من هؤلاء العرب استعاضوا عن أسمائهم الأصليّة بأخرى إنجليزيّة-إسكسونيّة أو لاتينيّة، من أجل تنسية انتمائهم للعالم العربيّ، الذي يذمّ غالبا، أو بفعل الضّغط الاجتماعيّ الذي لا ينكر في هذه البلدان "ذات الحكم الجماهيريّ والحرّة".

أمّا الهجرة نحو أروبا فانطلقت أساسا من بلدان شمال إفريقيا، وفي البداية خضعت لعوامل أخر. فبعد الحرب العالميّة الأولى شجّعت فرنسا -مولاة الجزائر أو "حامية" تونس والمغرب- الهجرة لعوزها للأيادي العاملة من أجل إعادة بناء بلادها التي دمّرتها الحرب.

وبعدها فرّ سكّان شمال إفريقيا هروبا من ظروف المعيشة القاسية ولإعالة أسرهم بحوالات بريديّة هزيلة، ولكن منتظمة. وبعد الحرب العالميّة الثانية، تحت تأثير الكمّاشة التي أخذت سلطة "الغلّ والاستغلال" تُطبق فكّيها شيئا فشيئا، أخذ المغاربة يهاجرون طواعيّة نحو فرنسا ودول أوروبيّة أخرى.

عموما، لقد حافظ عرب الجيل الأوّل في جميع هذه القارّات على جنسيّاتهم الأصليّة. غير أنّ الأجيال التي تلت، في معظمها، ولمبرّرات اجتماعيّة-اقتصاديّة فضّلوا التجنّس بجنسية البلاد التي يقيمون فيها، مشجّعين في ذلك من طرف الدّول المضيفة. دون أن يقطعوا بهذا وشيجتهم السّرّيّة التي تربطهم ببلدان آبائهم، أو يتنكّروا للجنسيّة الأصليّة أو ينقطعوا عن الغبّ.

ويمكن أن نلاحظ في جميع هذه البلاد (في أروبا وفي امريكا) مذ هذه السّنين الأخيرة نوعا جديدا من الهجرات العربيّة. هذه الهجرات ليست طلبا للرّزق ولكن سعيا وراء المعرفة والعمل. مئات بل وآلاف من عرب الغرب (المغاربة) وعرب آسيويّين اخر توجّهوا لأروبا أو امريكا الشماليّة (كندا، الولايات المتحدة الأمريكيّة) من أجل مواصلة دراستهم، تحضير الماجستير أو الاطّلاع على آخر الفنيّات (الكيمياء النفطيّة، والكهيربيّة، الإعلام الآلي ...) ولم يعودوا للبلاد، مع أنّ مهامّهم انتهت. وآخرون طيّارون ومهندسون وأساتذة فضّلوا التغرّب طموحا في ظروف عمل افضل وفي مقابل يتوافق ومجالهم المهنيّ. وقد شكّلوا هنالك مستعمرات صغيرة في لندن ومونتريال ونيويورك وهوستن، بمناخهم الثقافيّ والطّبخيّ الصّغير (الموسيقى الشّعبيّة، الرّاي والكسكس).

وفي إفريقيا بدأت الهجرة العربيّة المعاصرة قبل الحرب العالميّة الأولى. وهي دون أهميّة نظيرتها الأروبيّة أو الأمريكيّة، وطالت بلدانا كثيرة دون الصّحراء. وأغلبيّة هؤلاء المهاجرين تجّارٌ.

الفصل الثّاني

العالم العربيّ قبل مجيء الإسلام

كلمة "عربيّ" مصطلح عامّ ينعت أهال من الثقافة نفسها، ولجميعها لغات تتقارب فيما بينها، وتنحدر عن أرومة مشتركة.

وكلمة "عربيّ" بالاعتبار الدّلاليّ، تدلّ المادّة "عرب" منها على ملك ناصية العربيّة (اللّسان)، وعلى الأصل العربيّ (كإنسان).

وتنعت كلمة أعرابيّ أهل البدو، الرّحّل، في حين أنّ كلمة "عارب" (أو عاربة) لها معنى "الامتلاء والفيض (نهر، سيل)" وكلمة عربة وجمعها عرب وعربات، تصف سيلا دافقا كما تصف أيضا مركبة أو سيّارة. يتبدّى إذا أنّ هذه الكلمات كلّها ذات علاقة بمفهوم حركيّ ومور ... أو الترحال.

في الأصل (وحتّى يومنا هذا) كان العرب (ولا يزالون) مُمَثّلين بفئتين من الأهالي :

- أهال حضريّة اتصلت أو جاورت مجاري المياه والأنهار والسّيول، وهؤلاء هم العرب بما للكلمة من معنى، حتّى ولو لم يسمّون بالعرب، بل بدل ذلك تلحق بهم أسماء الأقطار والأقاليم التي يقطنون (مصريّون، بابليّون، أرميّون، سوريّون ...). ولطائفة العرب الحضر هذه فضل ميلاد حضارات بلاد الرّافدين وحضارات الفانقيّين والمصريّين (أساسا)،

- أهال وقبائل عاشت نمطا معيشيّا ظعِنا، ركيزتها الرّعي امتيازا أو أساسا. هم الأعراب أو البدو. وانتحالا من اسمهم لقّبت شبه الجزيرة العربيّة المؤلّفة في معظمها من أقاليم صحراويّة بجزيرة العرب.

1. العـــرب (الحضر) والأعراب (البدو)

في كتابه المعنون بـ "حضارة العرب" وصف G. Lebon في صفحته الأولى جزيرة العرب كما يلي : « هي شبه جزيرة واسعة تغطّي جزءا منها الصّحاري وتحدّها أبحر ثلاثة : من الغرب البحر الأحمر، ومن الشّرق بحر عمان وخليج فارس ومن الجنوب بحر الهند ... ومن الشّمال يعتري تحديدها غموض، فهي تقريبا في منحى خطّ يمتدّ من غزّة، المدينة الفلسطينيّة التي تقع على ضفاف البحر الأبيض المتوسّط، إلى غاية البحر الميّت ومنه إلى دمشق، ونهاية من دمشق إلى الفرات، الذي يذيّل وصولا عند خليج فارس ... »[1].

وفي الصّفحة الثالثة عشرة أورد : «الجزيرة العربيّة قسّمها القدامى إلى مناطق ثلاث : البلاد العربيّة الصّخريّة، في الشّمال الغربيّ، والبلاد العربيّة السّعيدة في الجنوب الغربيّ. والبلاد العربيّة الصّحراويّة في الوسط والغرب. بحيث تضمّ البلاد العربيّة الصّخريّة كلّ المنطقة الممتدّة بين فلسطين والبحر الأحمر. وتتألّف البلاد العربيّة الصّحراويّة من المفازة الرّمليّة الكبرى الممتدّة من تخوم سوريّة وما بين النّهرين حتّى الفرات وخليج فارس. أمّا البلاد العربيّة السّعيدة فتحتضن كامل الجزء الجنوبيّ لشبه الجزيرة العربيّة، نجد والحجاز واليمن وعمان، إلخ ».

وفي كلامه عن البلاد العربيّة الصّخريّة في الصّفحة الرّابعة عشرة، استطرد : « لقد قلنا آنفا أنّ البلاد العربيّة الصّخريّة لم يحملها علماء استوصاف الأرض العرب على أنها جزءا من جزيرة العرب، ولكن من الوجهة الاستوصافيّة- الأرضيّة والقوميّة يستحيل إقصاؤها. فهي تضمّ جلّ شبه جزيرة سيناء، وتمتدّ من حدود فلسطين إلى البحر الأحمر. ويرتبط نعت "الصّخريّة" تماما بطبيعة البلاد. ويشغل وسط شبه الجزيرة الجبل الصّوّانيّ العالي الذي شكّله سيناء ... غير أنّ هذه المنطقة المهجورة هي من أشهر مناطق التّاريخ. هي أرض أدوم،

---

1. عيّن E. Renan (في كتابه "تاريخ اللّغات السّاميّة") حدود شبه الجزيرة العربيّة كما يلي : من الشّمال، سلسلة طورس وجبال أرمانيا، ومن الشّرق الجبال التي تبلغ حوض دجلة، وفي الجهات الأخرى البحار المحيطة.

بالنسبة لـ"الكتاب المقدّس"، وأرض العمالقة وأهل مدين والأنباط، وأرض جميع هؤلاء الشّعوب الذين حفلت صفحات الأسفار العبريّة بذكرهم ».

إنّ رسم حدود شبه الجزيرة العربيّة كما أوردنا للتوّ، عنG. Lebon يتوافق مع ما يذهب إليه المؤلّفون العرب أنفسهم، إذ يسمّون جزيرتهم بجزيرة العرب.

وتبرّر هذه التسميّة كون أرضهم -أرض شبه الجزيرة العربيّة- تطوّقها أربعة أبحر : البحر الأحمر من الغرب، وبحر عمان والخليج العربيّ من الشّرق، والمحيط الهنديّ من الجنوب، والبحر الأبيض المتوسّط من الشمال، ومن الشّمال الشّرقيّ، ونهايةً بنهر الفرات.

والواقع الطّبيعيّ لشبه الجزيرة، مغطّى بصحار وسهوب، وفي مواضع أخر بمناطق جبليّة جدّ مرويّة وبهضاب خصيبة، وجميع المظاهر محاطة بمسطّحات مائيّة (بحار وأنهار) تؤثر بالضّرورة على نمط معيشة سكّان أيّ من هذه المناطق أو نوع مجتمعهم.

وضمن سياق الكتاب نفسه، أثبت G. Lebon في الصّفحة الثانية والعشرين بخصوص العرق : « ينبغي اعتبار كلمة عرق، اليوم في إسقاطها على الإنسان، كمرادف لكلمة جنس. فيمكن ببساطة جدّ مجرّدة تحديد معنى مصطلحي العرق والجنس البشريّ، بأن نقول بأنهما يصفان تجمّعات أفراد يحوزون مجموعة من السّمات المشتركة تنتقل بانتظام بوساطة الوراثة ... شعبٌ هو تجمّع أفراد ينتمون إلى أعراق غالبا جدّ متنوّعة، يجتمعون تحت لواء دولة واحدة ولهم بالتالي عدد من المصالح المشتركة. فهناك اليوم شعب إنجليزيّ وألمانيّ ونمساويّ وفرنسيّ، إلخ. ولا وجود لعرق إنجليزيّ وألمانيّ ونمساويّ وفرنسيّ. وأفراد هذه الشّعوب هم من أصول جدّ متباينة ومنقوصة الالتحام حتى الآن بحيث يسوغ إعطاؤها هذا اللّقب ».

وأضاف المؤلّف نفسه : « مجموعات أفراد يمكن أن تتحد تحت لواء القوانين نفسها، تنقاد لممارسة الشعائر الدينيّة ذاتها، وتتكلّم اللغة عينها، ولكن لا تبلغ تشكيل عرق متجانس إلاّ إذا رسمت فيها البيئة والتشابك والوراثة جملة من الصفات البنويّة والخلقيّة المشتركة ... ومن بين المؤثرات القادرة على تحويل وتثبيت خصائص داخل عرق ما نذكر البيئة. ولئن كانت البيئة عاملا ذا بال، فالوراثة التي تمثل استعدادات تراكمت على امتداد ماض مترامٍ، عامل جدّ حاسم وأبلغ أثر أيضا ». وضمن السّياق نفسه وفي موضع أدنى، لخّص : « نعتبر بصفة عامّة أنّ العرب يشكّلون عرقا واحدا ».

عمليّا، جميع المؤلّفين يفرّقون بين العرب والأعراب، يورد G. Lebon عن هؤلاء المتقدّمين : « الأعراب أو كما نسمّيهم عموما البدو، لهم من المغرب الأقصى وحتى شبه الجزيرة العربيّة أنماط وعادات وطباع، هي اليوم ما كانوا عليه منذ آلاف كثيرة من السّنين نفسه، وهو ما سيبقون عليه سجيج الأوجس ». وأضاف في الكلام عن الحضر : « يختلف عرب حاضرة شبه الجزيرة العربيّة كثيرا عن الأعراب الذين كنا تكلّمنا عنهم غير بعيد ... فرغم أنهم يلهجون بلسان أعراب الصّحراء نفسه، ويجري في عروقهم الدّم ذاته، ولكن ما أشسع البون بينهما ! فلعرب الحاضرة كما باقي الشعوب المتحضّرة فروقات معتبرة من بلاد لأخرى. فهذه الفروقات موجودة في شبه الجزيرة العربيّة. في مقاطعة نجد، مقاطعة أكبر بكثير من بعض الدّول الأروبيّة حقيقة، حيث توجد فروقات عميقة بين العرب كتلك التي تفرّق ساكني شمال أروبا عن ساكني جنوبها ». ولقد جاهر ابن خلدون مذ قرون كثيرة خلت بوجهة الرّأي نفسها، من تفريق الفصل بين الحضر والبدو.

أمّا بالنسبة لنا، فإنّنا نشاطر Ph. Hitti[1] وجهة نظرته ذات الأطياف الأكثر فيما يتعلّق بالتقسيم بين عرب وأعراب. إذ يورد : « في بعض الحالات يكون ارتقاء البدو نحو الحاضرة حثيثا، وأحيانا تكون التجمّعات البشريّة

1. في كتابه " مجمل تاريخ العرب".

نصف بدويّة، وأحايين نصف حاضرة. ومن بين هؤلاء الأعراب من أصبح حضريًا، بالإضراب عن جميع صور البداوة، وهناك آخرون في طور الرّقيّ نحو الحضر. وهكذا ينبعث الوريد الحضريّ ويلتحم التيّاران. ويمكن أن نشاهد على تخوم سوريّة مساكن في الحالة الوسيطة بين البيوت والخيم ».

ولا نزال نراوح الكاتب نفسه ومؤلّفه، حيث فرّع العرب إلى فئتين :

« - عرب الشمال وهم أساسا بدو (نجد والحجاز)، الذين يتكلّمون العربيّة (لسان القرآن) ويرتبطون بأهالي البحر الأبيض المتوسّط لشمال شبه الجزيرة،

- عرب الجنوب هم أهالٍ حضر (اليمن وحضرموت والمناطق السّاحليّة) ويتكلّمون اللّغة العربيّة الجنوبيّة (السّبئيّة والحِميَريّةِ) ويرتبطون بالأهالي الجبليّة (ومنهم الأرمان والحثيّون والعبرانيّون).

وموازاة لميوله الرّعويّة فقد يمارس الأعرابيّ الفلاحة في الوقت ذاته[1]، إذا ما اتفق وجوده قرب واحات واسعة ومضيافة. فقد يفلح الأرض خلال موسم (أو أكثر) بغية تأمين الخبز (الحبوب) لعائلته، وبعدها يغيّر المكان.

لقد كان البدو يقطعون مسافات طويلة وعائلاتهم ومواشيهم بحثا عن الكلإ ومواقع الماء. وغالبا ما يضطرّ الأعراب تحت طائلة جفاف المحيط والحرارة المحرقة فغور الآبار، وحيث تغدو المراعي الكلّة سرابا، ويُجبرون بأن يرحلوا بالآلاف قُدُما أبعد، وأن يصعدوا نحو الشّمال (أو يتوجّهوا نحو الجنوب) حيث يعلمون أنّه بوسعهم العثور على الماء وبالتالي عتق حياتهم.

وكلّ عائلة كانت تتألّف على الأقلّ من ربّ العائلة وزوجاته وأولاده الذّكور. ولكلّ من الأولاد زوجة أو أكثر وله بالتالي ذريّة كثر. ويتسنّى الجزم بنسبة المواليد العالية للأعراب باعتبار تعدّد الزّوجات للرّجل، هذا من جهة، ومن أخرى فلزاما إكثار عدد الولد الذّكور، لما يقتضيه العمل في

1. كما يمكن ان يكون بحّارا.

مجتمع ذي طبيعة رعوية، وكذا ما يقتضيه ردّ الغارات المحتملة من الجيران، وربّما هناك مبرّر آخر وهو حيازة الأسرة وزنا داخل القبيلة. بالاعتبار المذكور كان هناك تقاطع ثلاثة أجيال داخل العائلة الواحدة. وقد يقدّر عدد أفرادها بمائة ونيف، إذا ما اعتددنا فقط بخمسة أولاد ذكور من الجيل الثاني، متزوّجين وأبنائهم. وإذا ما قدّرنا منهم عشرة، أي عدد العائلات في كلّ عمارة (في أدنى تقدير)، وعشر عمائر في كلّ قبيلة، قد نحصل على رقم يربو عن عشرة آلاف نسمة.

ننوّه بأنّ الأعراب كانوا يتجمّعون في شعاب، إذ كلّ شِعب كان يتألّف من مجموع قبائل تلتقي في نسبة اسم سلف واحد، وكلّ قبيلة تتفرّع إلى فصائل (خيم). وكان رئيس الشّعب يُختارُ من بين شيوخ القبائل لحنكته وشخصيّته. وكان التّضامن بين أفراد الشّعب فعّالا، وينبغي تحرّيه من أجل استبقاء الحياة في ظروف قاسية، كهذه التي كانوا يعيشون. وكانت القاعدة هي طاعة ربّ العائلة بالتوافق مع مجلس القبائل.

ولقد أمدّنا أبو العبّاس القلقشندي[1] بتشعّبات القبيلة المختلفة (من الشّعب إلى الفصيلة) كما يلي :

- الشّعب (جمعه الشّعوب).
- القبيلة (جمعها القبائل).
- العمارة (جمعها العمائر).
- البطن (جمعه الأبطان).
- الفخذ (جمعه الأفخاذ).
- الفصيلة (جمعها الفصائل).

1. القلقشندي، في كتابه " نهاية الأرب في معرفة انساب العرب".

لقد نمّى الأعرابيّ بتكيّفه الدّؤوب مع المحيط -المتسم بالتذبذب بلا انقطاع- صفات ثابتة من النّشاط والفطانة على مدّ تاريخه. ولقد وصفه الخليفة الفاروق عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- : « إنّ البدويّ هو أصل العرب وعجينة الإسلام ».

وقد كان لكلّ شعب مرعاه ونجعته، ولم يكن من المستساغ -حسب الأدبيّات البدويّة- أن ترعى قبيلة مواشيها في نطاق ليس تابعا لها. وفيما يتعلّق بموارد الماء خارج نطاقها، فعلى شيخ القبيلة أن يتقدّم بطلب لنظيره في القبيلة المجاورة. ولأنّ الماء كان ضرورة حيويّة في الصّحراء، فقد كان الإذن دائما مُرتفَقًا ما استثنينا حالات الحرب المعلنة بين القبيلتين.

وفي الحال الأخير كانت القبائل تأمُّ الشّمال أو الغرب أو الجنوب من أجل الحصول على الماء والقوت لها ولماشيتها لا من أجل الإقامة. لكون الأعرابيّ لم يكن يخطّط حياته، بل يتجه إلى حيث الظّروف الموائمة لبيئته ومعيشته.

2. الحضارات العربيّة قبل العهد الإسلاميّ

آلاف السّنين قبل العهد الإسلاميّ أسّس العرب على غرار حضارة شبه الجزيرة العربيّة (في قسمها الجنوبيّ) حضارات أخرى في الشّمال، في بلاد الرّافدين وفي مناطق الهلال الخصيب (العراق وسوريّة) وعلى ضفاف النّيل (من الحبشة إلى مصر). وتبعا لهذه التطوّرات الحضاريّة فلم تقطع هذه الأقاليم وشيجتها التي تربطها ببلدانها الأصليّة، من جهة العلاقات الاجتماعيّة-التاريخيّة، والتجاريّة والثّقافيّة أو الدّينيّة[1] وبدرجات متفاوتة. فقد تعترض مصالح مملكة ما أحيانا الدّولة الشّقيقة والجارة، فتنشب عنها حروب مع هيمنة سياسيّة، لمنطقة على أخرى أو بلد على آخر، كما هو الحال في عالمنا اليوم.

---

1. في هذا العهد، كان العرب وثنيّين ومشركين.

1.2. في بلاد الرّافدين والهلال الخصيب

تتموقع هذه الحضارات أساسا في ما بين النّهرين، (دجلة والفرات) وفي الهلال الخصيب، بشكل أساس في العراق وسوريّة الحاليّتين. واللّغات التي استعملت قبل الألفيّة الثالثة، والموالية لهذه الحقبة في بلاد الرّافدين والهلال الخصيب هي : الأكاديّة والكلديّة (البابليّة) والأرميّة والعموريّة ... كلّها لغات عروبيّة تدعى "الساميّة". وكما أشار G. Lebon : « إنّ دراسة اللّغات المسمّاة بالسامية تبيّن حقيقة أنّ العبرانيّة والفانقيّة والسّريانيّة والأشوريّة والكلديّة والعربيّة لها قرابة متينة، وبالتالي أصل مشترك ».

لقد كانت بلاد الرّافدين مهدا للعديد من الحضارات، وواحدة من الحضارات الأولى، يرجع تاريخها إلى نهاية الألفية السّادسة قبل العهد المسيحيّ : ألا وهي الحقبة المسمّاة بـالعُبيد، وتتميّز بتشييد المعابد والزّيقورات، وصناعة الخزف الذي يطلى. وشهدت نهاية الألفيّة الرّابعة إقامة مدن-دول مع أور وأوروك وأريدو ولاجاش، إلخ : وهي حقبة ما قبل سرجون.

ومع إنشاء أوّل مملكة لما بين النّهرين من طرف سرجون فقد استحْوذ على المدن-الدّول من طرف السّلطة الأكاديّة، التي تأسست سنة أربعين وسبعمائة وألفين قبل الميلاد (2740). فقد استولي على إقليم سوسة. وظهرت سلالة أور الملكيّة بداية من سنة خمسين ومائة وألفين (2150) في بابل (بلاد الرّافدين السّفلى) : ودامت حتى سنة ستّة عشر وألفين (2016). كما بعثت بعض المدن-الدّول الكبرى : أور ولاجاش، إلخ. وقد دمّرت مدينة أور نحو سنة خمس وثلاثين وألفين (2035) من طرف العموريّين، وقد دامت مملكتهم قرنين وكانت عاصمتها ماري (على ضفاف الفرات المتوسّط).

وسنة خمس وتسعين وثمانمائة وألف (1895) قبل الميلاد ظهرت السّلالة الملكيّة البابليّة، وكان أوّل ملك لها سمو- أبوم عموريّا. أحد ذرّيته، حمو- ربي الذي اعتلى سدّة العرش سنة اثنين وتسعين وسبعمائة وألف (1792) المؤسّس

الحقّ لمملكة بابل. وقد شرع ناموسا مقدّسا يحمل اسمه، وهو قانون محرّر باللّغة الأكّاديّة (البابليّة).

ثمّ تلت المملكة الأشوريّة سلطة بابل، سنة خمس وخمسين ومائتين وألف (1255) قبل الميلاد، وهي الفترة المسمّاة بالأشوريّة، والتي امتدّت لأكثر من ستة قرون؛ إلى غاية خمس وعشرين وستمائة (625) قبل الميلاد. وقد حكم ببابل ملوك مثل تاج-اللأت-ننوى-الحارث الأوّل (أوّل ملك في هذه الفترة)، وأشور-نصر-بعل الثاني، وسلمان-آزر وتاج-اللأت-فن- آزر وسرجون الثاني، وسنَ-أخ-رب، إلخ.

وبداية من سنة خمس وعشرين وستمائة (625) قبل الميلاد، تأتي الحقبة المسمّاة بالكلديّة، آخر أطوار مملكة بابل. حيث شهدت أعظم ملوكها نبو-خذ-نصر (604-562). وسنة تسع وثلاثين وخمسمائة (539) احتلّ الفارسيّ قورش من بني أخمينا بابل، التي ألحقت فيما بعد بسلطة فارس.

وقبلها في الألفيّة الثالثة، شهدت بلاد الرّافدين في كلدا وحدها (جنوب البلاد)[1] دولة سميت بالسّومريّة "ليست ساميّة"، كما يضبط المؤلّفون. وقد ظهرت هذه الأخيرة في أواخر الألفيّة الخامسة (حوالى 4000 قبل الميلاد).

وفي تقدير هؤلاء المؤلّفين أنفسهم أنّ السّومريّين -ذوي الحضارة العريقة والمتألّقة- ليسوا عربا. فحسب Ph. Hitti[2] : « إنّ العرب (البدو) الذين وفدوا إلى وادي الرّافدين نحو أربع آلاف سنة قبل الميلاد، قد حلّوا ما بين النّهرين وتواجدوا في حالة جهل وهمجيّة. فقد أخضعوا الأهالي المحلّيّين وامتزجوا بهم. وأفضى التحام الفئتين القوميّتين لميلاد البابليّين وحضارتهم ».

الأمر القمين بالتنويه ها هنا، هو أنّ الدّولة السّومريّة -التي أنشأت في الوادي السّفليّ للفرات، قريبا من خليج فارس- كانت جارة على مرّ العديد من القرون للممالك العروبيّة في وسط وشمال بلاد الرّافدين، قبل أن تبتلعها السّلطة الأكّاديّة.

---

1. كلدا (أو بلاد الرافدين السفلى) تسمّى أيضا بابل.
2. في كتابه "تاريخ العرب".

2.2. في مصـــــر

قرونا كثيرة قبل أوّل مملكة موحّدة، شهدت مصر إمارات كثر في الشمال والجنوب. ثمّ تجمّعت هذه الإمارات مشكّلة مملكتين : مملكة الشمال والأخرى الجنوبيّة بعد مجيء موجات الهجرات قدوما من شبه الجزيرة العربيّة أكثر من ستة آلاف سنة (6000) قبل الميلاد[1]. وبعد شغل البلاد من طرف هؤلاء. وقد التحم هنالك العنصران البشريّان (المنتسبان للعرب أي العروبيين والأهالي المحلّيين) وتأسّست مملكة موحّدة ملكها مينا[2]، وذلك خمسة آلاف سنة (5000) قبل الميلاد. والرّعايا المصريّة تقدّسه وتعتبره ابنا لحور (حور هو اسم آلهة عربيّ عند وثنيّي شبه الجزيرة العربيّة، وكان يرمز إليه بالصّقر).

قسّم أحمد كمال[3] تاريخ مصر إلى ثلاث سلالات ملكيّة، وبدورها تنقسم كلّ واحدة منها إلى أسر كثر :

- تكوّنت السّلالة الملكيّة الأولى من إحدى عشرة أسرة، على أقرب تقدير من خمسة آلاف (5000) إلى ألفي (2000) سنة قبل الميلاد. وقد شيّد الفرعون خوفو من الأسرة الرّابعة أولى وأكبر أهرامات الجيزة. وشيّد الفرعون خاف-رع ثاني (أكبر) الأهرامات. وشيّد الفرعون منكو-رع ثالث (أكبر) الأهرامات؛
- تكوّنت السّلالة الملكيّة الثانية من ستّ أسر، بين ألفين (2000) وثمانين وخمسمائة وألف (1580) قبل الميلاد، وهي الحقبة التي شهدت حكّام الهكسوس (أو الملوك الرّعاة)، الذين حكموا من سنة ثلاثين وسبعمائة وألف (1730) إلى ثمانين وخمسمائة وألف (1580) قبل الميلاد.
- تكوّنت السّلالة الملكيّة الثالثة من أربعة عشرة أسرة (اثنتين منها أصلها من بلاد فارس)، من سنة ثمانين وخمسمائة وألف (1580) إلى ستّين وخمسمائة (560) قبل الميلاد.

---

1. محمّد عزّة دروزة في كتابه "تاريخ موجات الجنس العربيّ في وادي النّيل".
2. Ménès بالنسبة للكتاب الأوربيّين.
3. في كتابه "العقد الثمين".

لقد جرت رواية المصريّين على إلحاق نسب المصريّين ببلاد بُنت (بون) مصرّحة بأنّ هذه المنطقة مقدّسة. ولقد كتب ديودور الصّقليّ : « إنّ المصريّين القدامى تعود أصولهم إلى البلاد العربيّة الجنوبيّة، قدموا مصر عن طريق الحبشة والسّودان (ساكنو الحبشة والسّودان هم خليط من العرب والأفارقة السّود) ». وحسب ديودور الصّقليّ ذاته، فإنّ اللّغة المصريّة والعربيّة : « لهما الأصول نفسها ».

لم تنقطع هجرات شبه الجزيرة العربيّة البشريّة (انطلاقا من الشّمال أو الجنوب) البتّة : جالبة معها دمًا جديدًا، واندمجت بشكل سريع، ومن هذا المبدإ يبرّر التطابق بين الأعراف الاجتماعيّة والدّينيّة للجماعتين وكذا التقارب الشّديد بين اللّغتين.

لقد كانت أسماء الآلهة المصريّة هي نفسها عند بلاد العرب الوثنيّة : حور هو آلهة السّماء. وفي عهد الأسرة الملكيّة الثامنة عشر استوطنت قبائل كنعانيّة في منطقة القاهرة الحالية، وأعطت اسم آلهتها حور أو هول لأبي الهول[1]. وبلاد سيناء، هو اسم آلهة القمر سين، ومنه اشتقّت هذه التسمية : ونجده في بلاد الرّافدين، في أور (بلاد بابل) حيث يتواجد معبد سين؛ وكذلك في بلاد الرّافدين العليا، في حاران (حسب ألواح ماري).

كان التحنيط والتطييب ممارسين من طرف عرب جنوب شبه الجزيرة العربيّة، وكان هؤلاء يستخدمون فيه البخور وموادّ مخصوصة موجودة في اليمن. وإلى هناك قدم المصريّون للتزوّد منها واستخدامها في طقوسهم الجنائزيّة. وكان الختان يجرى إجباريًا لكلّ المصريّين الذّكور.

ولقد عاشرت إثيوبيا في تاريخها طويلا مصر : إلى غاية الأسرة الملكيّة الخامسة والعشرين، فقد حكم الملوك المصريّون إثيوبيا وكذا الملوك الأحباش

1. محمّد عزّة دروزة. سبق ذكره.

مصر، لأنّ المملكتين كانتا موحدتين[1]. ويمكن أيضا الوقوف على التناظر الكامن في فنّ البناء : فقد أحصيت أهرام ثمانون ذوات النمط المصريّ في إثيوبيا.

3.2. في جنوب شبه الجزيرة العربيّة

مذ أمد سحيق عُرفت اليمن في جنوب شبه الجزيرة العربيّة. وسمّاها المؤلّفون القدامى بالبلاد العربيّة السّعيدة ولا ينون يتحدّثون عن غناها وخصوبة تربتها. وكلّ المؤلّفين (او على الأقلّ الأغلبية العظمى منهم) لا يختلفون حول كون هذه المنطقة كانت مهد العرب.

وكانت هذه البلاد مركز توزيع العلاقات التجاريّة مع الهند والصّين وبلدان الهلال الخصيب وكذا مصر. حيث توجد التوابل والنباتات العطريّة التي يحتفي بها المصريّون لمعابدهم (وقد كان البخور والطّيب يستخدمان في تحنيط الموتى)، وكذا الكافور والعنبر والبلسمين والقرفة ... وحتى الذّهب والفضّة.

وكان عرب اليمن بنّائين وفلاّحين، فضلا عن كونهم بحّارة. وكانوا يجلبون على متن سفنهم حرير الصّين، والتوابل والأسلحة المفلوذة من الهند، والذّهب والعاج من إفريقيا.

وقد حدّثنا G. Lebon[2] عن حضارة اليمن المتقدّمة حين كتب : «تتضافر المصادر (أخبار الأيّام العربيّة القديمة وقصص الكتاب المقدّس، وعدد قليل من المخطوطات المنقوشة مثل تلك الأشوريّة أو الأخرى التي اكتشفت غير بعيد من دمشق والكتاب القدامى) فيما بينها حول إثبات أنّ اليمن كان مقام مدن مزهرة بلا ريب كمدن مصر القديمة، ولها حضارة متقدّمة. يقبع حطامها اليوم تحت وطأة الغبار. ويدلّل على رخاء مدن اليمن الكبرى قدمها وامتداد علاقاتها التجاريّة. ومن الصّعوبة بمكان أن نظفر في التّاريخ بشعب كانت له علاقات تجاريّة ذات بال على غير ما حضارة. والحال أنّ علاقات العرب امتدّت لأطراف العالم المعروف آنذاك واستمرّت منذ عهد سحيق، إذ أنّ "الكتاب المقدّس" أومأ لذلك».

---

1. المصدر نفسه.
2. في كتابه "حضارة العرب".

وأضاف هذا المؤلّف، في أدنى السّياق قليلا (ص : 61) : « على الرّغم من العوز الشّديد فالقرائن الأثريّة التي سبقت مكمّلة ببالِ المعلومات التي استقيناها من الكتاب القدامى، بشكل يسمح بحدس حضارة متألّقة في ماضي البلاد العربيّة نسيت اليوم، رهن رصد تاريخها ».

كان العرب الذين هاجروا نحو الأنحاء والقارّة المجاورة منذ بعض آلاف السّنين، ورثة حضارة متألّقة وعرفوا فنّ البناء (العمارات ذات الطّوابق العديدة، الحواجز، السّدود)، وفنّيات الزّراعة وجرّ المياه والتّجارة وملاحة أعالي البحار وعلم الفلك والأدب ... تكلّم G. Lebon عن الثقافة العربيّة قائلا : « الواقع أنّ أيّ أدب أو لغة لا قبل بارتجالهما، ووجودهما لهو شاهد على ماض سحيق. فلقد أفضت دائما العلاقات العريقة مع الأمم الأكثر تحضّرا إلى الحضارةِ بالشّعوبَ سريعة القابليّة للتأثر، وقد أقام العرب كفاية الشّواهد على أنهم من ذلكم الصّنو. فمن أجل النّجاح نهاية في خلق سلطة واسعة وحضارة جديدة[1] في أقلّ من قرن، يستدعي استعدادات هي دائما ثمرة تراكم وراثيّ طويل، وبالتالي ثمرة ثقافة عريقة سابقة ».

2. 1.3. المملكة المعينيّة [2]

هي مملكة الجنوب التي لها أقدم وأطول تاريخ، حسب أقوال المؤلّفين الإغريق والرّومان (سطرابو وديودور الصّقلّيّ وفلّين). مَعين [بالميم المفتوحة] أو مُعان [بالميم المضمومة] كانت العاصمة. وقد اكتشفت بقايا آثارها سنة أربع وسبعين وثمانمائة وألف 1874 للميلاد (الموافق لواحد وتسعين ومائتين وألف 1291 هجريّ) من طرف J. Halévy ثمّ من بعده Josong Glaser.

وهناك كتاب قدامى أمثال سطرابو وديودور الصّقلّيّ -أخذ عنهم كتاب آخرون محدثون- تكلّموا عن المملكة المعينيّة على أنها مملكة ظهرت

---

1. يتعلّق الأمر بالحضارة العربيّة الإسلاميّة.
2. بعض المؤلفين يكتبونها "معانيّة".

في جنوب شبه الجزيرة العربيّة (اليمن)، نحو منتصف الألفيّة الثانية قبل الميلاد. في حين أنّ جلّ المصادر تعزو الفانقيّين لأصل شرق وجنوب شبه الجزيرة العربيّة. علما بأنّ الفانقيّين كانوا حضورا في بلاد كنعان في بداية الألفية الثالثة ممّا سبق العهد المسيحيّ، وعلى ذلكم العهد كانت الحضارة الفانقيّة متألّقة، يمكننا القول بأنه في اليمن (البلاد العربيّة السّعيدة)، وقبل الألفية الثالثة هاجر فرع من فروع شعب إلى فانقيا، ناقلا إليها حضارته ولسانه.

ولا نغادر سياق المملكة المعينيّة التي ذكرها المؤلفون، وقد بلغنا أنّ أرضها جاورت الأراضي الفانقيّة وبلاد مدين ودودان ومملكتي بلاد الرّافدين ومصر. وقد خفي عن الكتاب القدامى -الذين لم يحصل لهم علم بالاكتشافات الأثريّة التي تُوصّل إليها في منتصف القرن العشرين الميلادي (الموافق للقرن الرّابع عشر للهجرة)، فهم يجهلون بالتالي وجود مملكة في أرخبيل البحرين، لها عاصمة اسمها دلمون التجاريّة، وفي جنوب شرقيّ شبه الجزيرة العربيّة، بلاد مجان، وهي مموّن ناحية الرّافدين الأساس بالنّحاس. وإذا ما درسنا الاسم مجان أو مجون، فمن الممكن ربطه باسم علم فانقيّ، مجون[1]. وهذا التقارب مع الفانقيّين وتماشيا مع ما ذكره أروادوت وسطرابو بصدد متقدّمي الذّكر هؤلاء، يفضي إلى أنّ أصولهم ترجع إلى البلاد العربيّة السّعيدة. وفي اعتبار الكتاب القدامى لا تتحدّد البلاد العربيّة السّعيدة فقط في جنوب شبه الجزيرة العربيّة (اليمن) ولكنها تشمل أيضا المناطق الشرقيّة، أي بلدان الخليج العربيّ (البحرين، عمان ...) وحضرموت.

تشير الكتابات المنقوشة المكتشفة حديثا (في النّصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، الموافق للقرن الرّابع عشر الهجري)، المتناثرة في جميع أطراف شبه الجزيرة العربيّة (في شمالها كما جنوبها وشرقها) والتي يسمّيها المؤلفون "النّقوش الثموديّة"، إلى كتابة واحدة ولكن لا تحيل ضرورة على الأهالي

1. حسب Z. S. Harris مجون، هو اسم علم فانقيّ (في كتابه "صرف ونحو اللّغة الفانقيّة").

ذاتهم. صرّح Ph. Lippens[1] بصدد النقوش الثموديّة : « يصف هذا الاسم بطريقة غير دقيقة بعض قبائل شمال البلاد العربيّة، قوم ثمود الذي نعثر على آثاره على الأقلّ حتى اليمن. ولقد طرحت التسعة آلاف (9000) نقش الثموديّة التي عثر عليها خلال الحملة العلميّة إشكاليّة تشتت هؤلاء العشائر بل وتواجدهم تحت هذا الاسم الخاصّ ».

يأتي ترتيب الثموديّين، الذين يلقّبون باسم سلفهم ثمود، زمنيًا بعد قوم عاد، الذين خلفوا أنفُسَهم قوم نوح. وهو ما يعني أنّ الثموديّين تواجدوا في شبه الجزيرة العربيّة آلافا كثيرة قبل العهد المسيحيّ.

هو التّأريخ المتزامن مع وجود مملكة دلمون، أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، والمتوافق مع إشارة P. B. Cornwell[2] للدّلمونيّين في العصر القلّزيّ (البرونزيّ).

تشير الكتابات المنقوشة البابليّة التي تروي أخبار الأيّام لنار-رم-سين نحو خمسين وسبعمائة وثلاثة آلاف (3750) قبل الميلاد[3]، للمعينيّين (أو الميناويّين) على أنهم عمالقة، أصولهم من العراق (بلاد الرّافدين). وقد ذكر هذا الاسم مكتوبا "معانيّين" في "العهد القديم" (كتاب أخبار الأيّام الثاني)؛ كما لَمح إلى العمالقة في القرآن الكريم ، بصدد ذكر قوم عاد، خلفاء قوم نوح :

﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ (سورة الأعراف-الآية : 69).

حسب ما ورد في "العهد القديم"، تموقعت المملكة المعينيّة في جنوب شرق البحر الميّت. وعلّم ياقوت وجواد علي، ديدان (دودان) والعلاء في شمال الحجاز، وهما اسما أهمّ مدينتين معينيتين. وكتاب آخرون عرب وأوروبيّون

---

1. في كتابه "رحلة استكشافيّة في البلاد العربيّة الوسطى".
2. في "المجلة الوطنيّة لاستوصاف الأرض". افريل-1948.
3. يؤرّخ مؤلفون اخرون (مثل B. Hrozny) حكم نار-رم-سين، ما بين عشرين وثلاثمائة وألفين (2320) واربع وثمانين ومائتين وألفين (2284) قبل الميلاد.

على حدّ السّواء حدّدوا سكنى الثّموديّين في منطقة وادي القرى (قرب الحجر)، في شمال مكّة المكرّمة. إذاً لقد أقام المعينيّون في شمال شبه الجزيرة العربيّة، قبل هجرتهم نحو الجنوب، تماما مثل السّبئيّين الذين عوّضوا الأوّلين (المعينيّين) في الشّمال كما الجنوب.

يوسع تاريخ المعينيّين وقرابتهم القوميّة والثّقافيّة بالفانقيّين تفسير التّشابه في أحرف الهجاء الفانقيّة والمعينيّة الذي أشار إليه Hummel : الكتابة العربيّة الجنوبيّة هي في الأصل عربيّة شماليّة، حيث عناصرها المكوّنة ممثّلة في الكتابات الثّموديّة، واللّحيانيّة والفانقيّة. وتطوّرت الكتابة باتّجاه العربيّة الجنوبيّة مع موجات الهجرات المعينيّة، ثمّ السّبئيّة في اليمن.

ويمكننا الآن التفهّم بصورة أحسن تقسيم اللّغات العربيّة الذي اقترحه الكاهن القانونيّ G. Ryckmans ضمن فئتين[1] :

- العربيّة الشّماليّة، تنقسم إلى اللّحيانيّة والثّموديّة والصّفائيّة، في حين أنّ الثّموديّة استعملت بشكل معتاد بعيدا في جنوب مكّة المكرّمة،
- العربيّة الجنوبيّة تجزّأ إلى لهجات مختلفة : السّبئيّة من جهة، ومن جهة أخرى اللّهجات المنتسبة إلى الميناويّة، وهما القتبانيّة والحضرموتيّة.

وهكذا نجد أنفسنا بين يدي مملكة معينيّة كبيرة، سابقة للألفيّة الثّالثة، تستغرق جزءا كبيرا من شبه الجزيرة العربيّة : وهي ما تسمّى بمملكة دلمون، أو مملكة العمالقة أو بلاد مجان، أو المملكة الثّموديّة، والواقع أنّ هذه المملكة دونما ريب، هي من سمح بهجرة جزء من شعبها نحو شرق البحر الأبيض المتوسّط (بلاد كنعان) ثمّ بعدها نحو آفاق أخر وراء الجبال والبحار.

فضلا عن هذا، فقد عثر على آثار تواجد تجاريّ للمعينيّين في الجيزة (مصر) وفي جزيرة دلس (بحر أجا) وفي أور (في بلاد الكلد). وهذا التواجد خارج شبه الجزيرة العربيّة (بمصر واجا) أو في تخومها (بلاد بابل) يذكّرنا بإشارة

---

1. "رحلة استكشافية في البلاد العربيّة الوسطى" لـ Ph. Lippens.

سطرابو حيال بلاد اللّود (لوذيا): ، لقد حملت لوذيا في الأصل اسم معان ... أسماء موسيّون ومعانيّون ومعينيّون تنعت شعبا واحدا، وهو ما يقوم حجّة على الرّابط الحميميّ الذي كان بين اللّوذيّين والموسيّين ،.

لقد رأينا في كتاب سابق[1] الأصل السّامي أوالعروبيّ للّوذيّين، مع إشارة Ph. le Bas (في كتابه " آسيا الصّغرى منذ العصور الأقدم"، ص. 31) : ، خضع كلّ من لوذيا وموسيا لملك واحد، هو مينا أو معان (والد عطاء، السّلف الأسطوريّ للّوذيّين) منذ القرن الخامس عشر قبل عصرنا، هذا الملك أسّس عبادة قبائيل (آلهة الطّبيعة) وعطاء (آلهة أناضول) ،. وهو ما يثبت أنّ المعينيّين (يطلق عليهم سطرابو اسم الميناويّين) استعمروا هذا الجزء من آسيا الصّغرى محتفظين بالاسم ذاته، "المعانيّين".

علاوة على ذلك، نستطيع إجراء تقريب عَلَميّ (بين أسماء الأعلام) بين المملكة المعينيّة والحضارة الميناويّة لِقرتا، التي سمّيت تبعا لميناو، أوّل ملك للجزيرة وابن الفانقيّة عروبا أخت قادم الفانقيّ .

وإذا ما علمنا أنّ المعينيّين ذوو أصول رافديّة، فسنتفهّم بصورة أفضل تسمية الحضارة الميناويّة المرتبطة بجزيرة قرتا. ولهذه العلّة أشار B. Hrozny[2] أنّ : ، المخطوطات المنقوشة القرتويّة تقرّ التّأثير الخطير الذي كرّسته بابل (بلاد الرّافدين السّفلى) على قرتا في العهود الأقدم ،. كانت قرتا في عهد حكم سرجون (جدّ نار-رم-سين ومؤسّس المملكة الأكاديّة) حسب المؤلّف نفسه : ،مستعمرة بابليّة : والدّليل وجود أسماء كثر لأماكن بابليّة في النّصوص القرتويّة ،. في موضع أدنى من الكتاب نفسه يخبرنا B. Hrozny أنّ : ،نار-رم-سين احتلّ أيضا بلاد مجان، متاخمة للبلاد العربيّة، من حيث جلب النّييوريت (صخر بركانيّ متبلور) لتماثيله ونقوشه ،.

1. عنوانه " العرب في أروبا قبل العهد المسيحي".
2. في كتابه "تاريخ آسيا الغربيّة، الهند وقرتا".

كانت مجان، على سواحل الخليج العربيّ (عمان اليوم) في الألفية الثالثة، المؤمّن الرّئيس بالنّحاس لناحية الرّافدين.[1]

حسب المؤلّفين، وطأ القرتويّون شبه الجزيرة الإغريقيّة في جنوب البلاد (بلو بنّاس)، نحو القرن التاسع عشر قبل الميلاد، واصطحبوا معهم حضارتهم، ثمّ تبعهم بعدها الميناويّون الذين اجتاحوا شبه الجزيرة الإغريقيّة قدوما من مناطق آسيويّة. وبخصوص هؤلاء الأخيرين كتب Severyns[2] : .امتزج الميناويّون ذوو الأصول الإغريقيّة في جنوب البلاد (بلوبنّاس وأرجوليظة)، بالأهالي المحليّين من سلالات أخرى وانتهى الأمر بتسلّم مقاليد الأمور للأوّلين ... ثمّ احتكّوا بميناويّي جزيرة قرتا وتأثروا بهم وبحضارتهم ..

وبما أنّ الميناويّين يقال أنّهم من أصل إغريقيّ، فينبغي أن ندرك إذاً أنّهم من أصل فانقيّ (أي معينيّ أو قرتويّ) لأنّه، بالنّسبة لنا[3]، يختلط الإغريق والفانقيّون في التسمية. والـميناويّون (لبلاد الإغريق) ليسوا سوى المعينيّين.[4]

وتماما مثلما قاربنا بين الاسم ميناو (ملك قرتا) واسم مينا (ملك لوذيا)، واسم أوّل ملك للملكة المصريّة الموحّدة مينا، الذي حوّره المؤلّفون الأروبيّون إلى "Ménès". فإنّنا نعلم من النّصوص الأساطيريّة أنّ "الضّوء" (Zeus) بعد خلع الأميرة الفانقيّة عروبا قدم إلى قرتا في شرم مصرة (بحر ليبيا) الذي يتواجد في مركز المنطقة السّاحليّة جنوب الجزيرة.

وليس توافق اسم هذا الشّرم مع اسم مصر وليد الصّدفة العلميّة، فحتى في شمال شرم مصرة نجد جبل أيدا (صنو ذلك الموجود في آسيا الصّغرى)، وكذا أسماء أخرى ذات تناغم عربيّ.

---

1. وهو ما صرّح به S. Méry رئيس المهمّة الأثريّة لـ CNRS (باريس) في الإمارات العربيّة المتحدة.
2. في كتابه "بلاد الإغريق والشرق الأدنى قبل عمر".
3. انظر كتابينا : -" العرب في اروبا قبل العهد المسيحي".
-"تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديم".
4. لقّب ديودور الصّقليّ وسطرابو المعينيّين بـ Minaei.

كتاب كثر، منهم S. Alexiou[1] يخبروننا بأنّ : « نحو الألفيّة الثالثة قبل الميلاد قدم أهالٍ من آسيا الصغرى مهاجرون نحو الأرخبيل الجنوبيّ لبحر أجا وجزيرة قرتا وبلاد الإغريق القاريّة. وقد جلب هؤلاء الأجانب معهم النّحاس ... وفي الوقت نفسه وفدت موجة مستعمرين ثانية قدموا من ليبيا وانتصبوا على قرتا الجنوبيّة. ومع إدخال النّحاس واستعماله في صناعة الأدوات والأسلحة، بدأ عصر جديد في قرتا مضربا عن نمط معيشة عصر الحجر المصقول البدائيّ ».

ولقد رأينا في كتاب سابق[2] أنّه في الألفيّة الثالثة قبل الميلاد سكن آسيا الصغرى أساسا الفانقيّون والسوريّون. وبهذا الصدد صرّح E. Curtius[3] : « كانت قرتا متموضعة بشكل جيّد يسمح بمتابعة العلاقات بين بلاد الإغريق وليبيا. وكانت مدينة إيطانس[4] (وصيّادو الأرجوان التابعون لها) على اتصال بجزيرة ثيرا[5] .... وقد وُهِبَ تاريخ هذه الجزيرة وثبة جديدة بمجيء عائلات غادرت جبل التاج في جنوب البلاد. كان هؤلاء المهاجرون من بني آجا، أي عائلات فانقيّة رجعت إلى الشرق من حيث أتت رأسا ». وفي الكتاب نفسه يؤكّد Curtius وجود الاستعمار القديم في جزيرة قرتا : « في حين قدم مهاجرون كنعانيّون من سوريّة ومن مصر السفلى وتوطّنوا البلاد مبكّرا وبوفود جدّ معتبرة قياسا إلى أجزاء النّطاق الفالجيّ الأخرى. فقد أصبحت مستعمراتهم حصونا قويّة منيعة، كما تبيّن الأسماء الفانقيّة لمدن مهمّة، مثل إيطانس وقرت، التي سمّيت فيما بعد كنوسس ».

---

1. في كتابه "قرتا القديمة".
2. في كتابنا " العرب في أروبا قبل العهد المسيحيّ".
3. في كتابه "تاريخ إغريقيّ".
4. مدينة في قرتا.
5. حسب أرواِدوت : تسمّت ثيرا بهذا الاسم وهو لقب حاكم سابق لزافرة، هاجر إلى هذه الجزيرة، وهو فانقيّ الأصل ... سكّان هذه الجزيرة هم ذريّة أتباع قادم، ومن بينهم الفانقيّ مينا-بعل-رأس، أحد أقاربه. بطو، ابن ابو لونست، الذي سيصير ملكا لقورن في ليبيا، وهو أحد مواطني ثيرا.

يمكننا القول بأنّ انصهار الأهالي الوافدين من فانقيا ومن آسيا الصّغرى ومن بلاد الرّافدين من جهة، ومن ليبيا ومصر من جهة أخرى، أفضى إلى تشكيل الشّعب القرتويّ، وكان نقطة انطلاق الحضارة الميناوية. وفي هذا الخصوص كتب S. Alexiou[1] : ، إنّ كثافة التبادل مع مصر ومع أهالي آسيا الصّغرى السّاحليّين وأهالي سوريّة كرّست أيضا تأثيرا إيجابيا على تطوير الفنون. وبهذا -على سبيل المثال- فإنّ قرتا مدينة لهذه البلدان بفنّ عمل الحجارة والمعدن ..

وقدّر بعض المؤلّفين، مثل محمّد عزّة دروزة[2] أنّ استغلال مناجم النّحاس والمعادن الأخرى عرف في مصر قبل السّلالة الملكيّة الأولى. وهي الممارسة التي أدخلت بفضل موجات مهاجري شبه الجزيرة العربيّة الذين قدموا وادي النّيل سواء عن طريق الشّرق (سيناء والدّلتا) أو عن طريق الجنوب (ساحل البحر الأحمر)، مرفوقين بحضاراتهم وطقوس موتاهم ودياناتهم وفنونهم وكذا تنظيماتهم الاجتماعيّة والسّياسيّة. وهذا قبل أوّل مملكة موحّدة لـمينا، وهو ما شهدت عليه ألواح الأردواس المنحوتة بأشكال مختلفة مرتبطة بهذا العصر.

تكميلا لهذه المعطيات الكتابيّة المنقوشة والأثريّة (التي أشار إليها عالم الآثار Evans منذ تسعمائة وألف -1900- ميلادي، الموافق لثمانية عشر وثلاثمائة وألف -1318- هجري فيما يتعلّق بالتّأثيرات المصريّة) والمعطيات الحضاريّة المرتبطة بتأثيرات مصر ومنطقة بلاد الرّافدين في قرتا، فهناك معطيات لغويّة كشفها اللّسانيّ B. Hrozny[3] : ، إنّ مسألة تشفير الكتابة القرتوية الخطّيّة "ب" (من خمسين وأربعمائة وألف -1450- إلى مائتي وألف -1200- قبل الميلاد)، التي كتبت بها أغلب المخطوطات المنقوشة، قد حلّت بفضل كتابات آسيا الغربيّة (الحثيّة بالخطّ المقدّس القديم، الكتابة ما قبل الهنديّة، المسماريّة البابليّة، السينائيّة)، وبصفة أبلغ بفضل الكتابة الفانقيّة من جهة، والخطّ المقدّس القديم المصريّ من جهة أخرى ..

---

1. مصدر سبق ذكره.
2. مصدر سبق ذكره.
3. مصدر سبق ذكره.

يؤكّد لنا هذا الاستطراد حول الحضارة الميناويّة في قرتا وحول أوّل مملكة موحّدة في مصر، حقيقة تطابق الأسماء بين ملك قرتا المسمّى ميناو والحضارة الميناويّة وميناويي بلاد الإغريق وملك مصر مينا من جهة، والمملكة المعينيّة ومجان (في شبه الجزيرة العربيّة) والـمعانيّين في آسيا الصّغرى من جهة أخرى.

وبهذا قد وجدت مملكة عروبيّة كبيرة قبل الألفيّة الثالثة، امتدّت على أكبر جزء من شبه الجزيرة العربيّة، وصلت إلى شرق البحر الأبيض المتوسّط بداية من الألفيّة الثالثة بوساطة أحد فروعها، ألا وهي المملكة الفانقيّة.

وبفضل التوسّع السّياسيّ والإقليميّ للمملكة الأكاديّة، وتأسيس احتكار تجاريّ وملاحيّ فانقيّ، فقدت المملكة المعينيّة أهمّيتها أو خبت، لتظهر من جديد، ولكن هذا الطّور كمملكة جنوبيّة نحو منتصف الألفيّة الثانية قبل العهد المسيحيّ.

2.3.2. مملكةُ سـبإ

كان السّبئيّون في الأصل بدوا ثمّ تحضّروا في اليمن. وتتبدّى قوّتهم في ضعف المملكة المعينيّة، نحو ثمانمائة (800) قبل الميلاد. تمتدّ مملكتهم على حساب المملكة المعينيّة، وبعدها عاوضتها كلّيّة وببساطة في إرث مجالها التّجاريّ.

وكانت أوّل عاصمة صرواح ثمّ تلتها مأرب. وامتدّت أرض سبإ نحو الشّمال إلى غاية واحة ديدون ، كان الحجاز (الّذي يشمل مدن مكّة المشرّفة والمدينة المنوّرة) مدمجا في هذه المملكة. كما تبلغ حدودها في الشّرق حضرموت وخليج عمان.

كانت الزّراعة، خلال هذه الحقبة جدّ متطوّرة. وجرى تشييد سدّ مأرب سنة خمسين وستمائة (650) قبل الميلاد (؟) بغية سقي أراض جديدة وتخزين مياه الأمطار والسّيول. ثمّ بنيت بعد ذلك سدود أخرى، ممّا جعل من المنطقة كأنّها «جنّات عدن».

4.2. في البحر الأبيض المتوسّط

كان الفانقيّون، عروبيّو الشّمال (فلسطين ولبنان وسوريّة السّاحليّة اليوم) بحّارة عتاة وبسطوا سيادتهم على كلّ البحر الأبيض المتوسّط (من بحر أجا إلى الحوض الغربيّ للبحر الأبيض المتوسّط) واستعمروا كافّة الجزر (من صقلّيّا إلى غاية أرخبيل الباليار).

بداية من الألفيّة الثّالثة قبل العهد المسيحيّ تمتّعت المدن البحريّة من فانقيا كلّ منها بحكم ذاتيّ واسع في ظلّ الاتحاد العهديّ المرن نوعا ما، وأصبحت بالتّطوّر والتوسّع الاستعماريّ حواضر يحكمها أمير أو ملك. وأشهر هذه الحواضر وأشدّها قوّة هي ثور (سور أو صور). وشيّد معبد "ملك القرية" (آلهة كنعانيّ) حسب ما روي نحو سنة خمسين وسبعمائة وألفين (2750) قبل الميلاد.

وكان البحّارة التّجار الفانقيّون بالخصوص من احتكر فعلا في هذا العصر العلاقات التجاريّة في جميع بلدان البحر الأبيض المتوسّط. فقد أهّلهم عتوّهم الملاحيّ والتّجاريّ بداية من فتح مراكز نفوذ تجاريّة في شمال كما في جنوب البحر الأبيض المتوسّط، ثمّ بناء موانئ، ونهاية تأسيس مستعمرات سكّانيّة ومدن في أروبا (بحر أجا وقبرس ومالطا وصقلّيّا وإيطاليا وفي المناطق الأذريّوّيّة وسردانيا وقرسيكا وإيسبانيا وكذلك في جنوب فرنسا الحاليّة) وعلى جميع السّاحل الإفريقيّ، وصولا إلى المحيط الأطلسي.

أسّس الفانقيّون قادس (مدينة قادس) على المحيط الأطلسيّ نحو مائة وألف (1100) قبل الميلاد. وهنا يفترض أنهم عبروا أعمدة عركئيل (مضيق جبل طارق) في أقرب تقدير خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد. ومن هنا سطّروا الطّريق البحريّ للقصدير، وهو المجلوب من بيريتانيا (جزر القصدير أساسا).

وقد اشار G. Lebon[1] إلى تواجد الفانقيّين في أروبا الغربيّة خلال الألفيّة الثّانية. حيث كتب : ، كانت تجارة الفانقيّين تتمّ بخاصّة عبر البحر، كما استفادت أيضا من الطّرق البرّية، بل قد فتحت أخر جدد. فمثلا

1. في كتابه "أولى الحضارات".

قبل عبور أعمدة عركثيل وإيجاد مسلك بحريّ إلى غاية الجزر البيريتانيّة، اتجر الفانقيّون مع هذه الجزر بوساطة قوافل تجتاز جاليا، من مرساليا وصولا إلى الضفاف التي نسميّها مضيق كلت ».

فقد كانت مرساليا بالتالي، وحتى قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد، مدينة فانقيّة تسمّى مسّاليا. وفي الكتاب نفسه يؤكّد G. Lebon تواجد الفانقيّين (ما لم يكن استعمارهم) في مصبّ نهر الأردان (خليج البندقيّة)، حيث صرّح : « وأيضا بفضل قوافل تجوب جرمانيا استطاع الفانقيّون عند مصبّ الأرِدان استلام العنبر الملتقط على ضفاف بحر البلط، حيث لم تذهب سفنهم قطّ لذلك البحر ».

أمّا بالنّسبة لنا، فقد دندنّا -في أحد كتبنا-[1] على أنّ الفانقيّين قدموا بحر البلط (جنوب إسكانيا، شمال ألمانيا وروسيا الحاليّة). لقد كان الأحاويّون والإغريق والثوراويّون قرونا عديدة قبل غزو القبائل الهلأنيّة (ذات لسان هنديّ-أروبيّ) لبلاد الإغريق عروبيّين (سوريّين-فانقيّين ورافديّين ومصريّين)[2]. وبهذا الصّدد يقرّ G. Lebon[3] بأنّ : « أهمّ مراكز النفوذ التجاريّة أو المستعمرات للصّيدائيّين كانت تلك الموجودة في كلّ من : قبرس وقرتا وقيليقيا وفروس وتازس، إلخ. فقد أبحروا سفنا في البحر الأسود إلى غاية بلاد الكلش[4] ... وبهذا العهد أيضا يلحق تأسيس طيبة في بيوتيا من طرف الفانقيّ قادم ».

لقد رأينا في كتاب سابق[5] أنّه مثل الدّانوب (الذي يصبّ في البحر الأسود) فإنّ نهر بولغا (يصبّ في بحر قصوين) يرتبط بطريق علَم للمهاجرين العروبيّين، طريق العنبر بالنّسبة للتجار المصريّين-السّوريّين-الفانقيّين، بل لقد

---

1. في كتابنا "العرب أسلاف الجاليّين ؟".
2. انظر إلى كتابنا "العرب في أروبا قبل العهد المسيحيّ".
3. في كتابه "أولى الحضارات".
4. أورد المؤلف أقوال سطرابو في "استوصافه للأرض".
5. في كتابنا "العرب اسلاف الجاليّين ؟ ".

ذكرنا بعض أسماء الأماكن من أصل عروبيّ مرصوفة على طول هذا النهر من بحر قصوين حتى المناطق المجاورة لبحر البلط.

ومع طرق القصدير والعنبر نلاحظ خلال الألفيّة الثانية قبل العهد المسيحيّ أنّ موجات هجرات من بلاد الرّافدين وسوريّة أو مصر عموما، وفانقيا خصوصا استعمرت مناطق كثيرة من أروبا وآسيا (من البحر الأسود ومن بحر قصوين إلى المحيط الأطلسي، ومن البحر الأبيض المتوسّط إلى بحر البلط) وهكذا ارتبطت طرق العنبر بطرق القصدير.

كما أنّ الضفاف الآسيويّة لبحر أجا استقبلت هي الأخرى زيارات السّفن الفانقيّة. انطلاقا من جزيرة ورد -التي تفتح بحر أجا- التضاريس المتقطّعة للسّواحل والخلجان العديدة التي تتيح رسوّا آمنا للمراكب من العواصف العاتيّة السّائدة، قد سمحت للفانقيّين بفتح مراكز نفوذ تجاريّة على طول السّاحل الآسيويّ وصولا إلى ثورا، المدينة التي تحدّد مدخل مضيق بوغاز. ووجدوا هنالك أهالٍ استقبلوهم بحفاوة وتحقّقوا من أخوتهم في العرق، يتكلّمون اللّغة نفسها ويعبدون الآلهة ذاتها، ويمارسون الثقافة عينها.

ولقد كانت آسيا الصغرى عقودا بعد الظّهور الملحوظ للفانقيّين بشرق البحر الأبيض المتوسّط ، مسرح الأحداث الكبرى التي لو ما المؤرّخون المصريّون لظلّت مدفونة في ثنايا التّاريخ.. وحسب أروادوت، لقد أخضع الفرعون سحو-رع (من الأسرة الخامسة)، الذي بدأ حكمه سنة سبعة عشر وسبعمائة وألفين (2717) قبل الميلاد[1]، آسيا الصّغرى، وفي كلّ منطقة محتلّة نصب أعمدة تحمل كتابات تحوي اسمه واسم وطنه وتفاصيل القوى التي اضطرّ إلى استخدامها لإخضاعها.

ومنها مرّ سحو-رع إلى أروبا أين أخضع الإسكوتيّين والأطراق. يؤكّد ديودور الصّقلّيّ الحقائق التي نقلها أروادوت ويصرّح بأنّ سحو-رع بعد فراغه من

1. هذا التّاريخ يراه M. Bunsen (أورده Ph. Le Bas)، حسب بالرّجوع إلى المباني المصريّة.

إخضاع آسيا والجزء الأكبر من الأرخبيل الجنوبيّ لبحر أجا تحت سلطته، نفذَ إلى بلاد الأطراق (طراقيا) ودخل أروبا.

حينما قرّر الفرعون سحو-رع الرّجوع إلى مصر كان لابدّ من أن يعهد بسلطته، وأن يَكِلَ آسيا الصغرى لمستشاريه ومُقطيعه الفانقيّين. واقتصر على أن يفرض كما على سائر البلدان المُقطعة إتاوة سنويّة، أبدى الفانقيّون قبولها والترحيب بها، باعتبار الثراء الطّبيعيّ لهذا البلد وخصوبة أرضه. وبهذا تحوّلت مراكز النفوذ الفانقيّة على بحر أجا بالتدريج إلى مستعمرات سكّانيّة، وأصبحت بعدها مدنا بحريّة مزدهرة. ودُعّمت هذه المستعمرات بأهال فلاّحين محليّين من داخل البلاد، الذين عُنوا أوّلا بالأسواق الفانقيّة، ونال منهم سحر المدن، فانتهوا إلى المدنيّة.

الفصل الثّالث

الموطن الأوّل لمتكلّمي اللّغات العروبيّة

1. المهد الأوّل للنّاطقين بالعربيّة

بعد أن كانت محلّ أخذ وردّ، حظيت الأطروحة المتعلّقة بالأصل العربيّ الجنوبيّ للعرب من قِبَل جميع العرب بالترحيب، وتبنّاها أغلبيّة الكتّاب الأروبيّين. أمّا الأطروحة الثانية والتي لم تنل الترحيب إلاّ من نفر قليل من الكتّاب فهي المتعلّقة بالأصل الإفريقيّ للعرب (في القرن الإفريقيّ). في حين أنّ الأطروحة الثالثة تفترض الأصل الشّماليّ (أعلى بلاد الرّافدين أساسا) مدعومة بكتّاب يعدّون على الأصابع. أمّا بالنّسبة لنا فإنّنا نذبّ عن الطّرح الشّماليّ؛ وبصورة أدقّ : ذلك الذي يحدّد المهد الأوّليّ للعرب، أو بالأحرى المتكلّمين بلغات عروبيّة، نحو مناطق شمال بلاد الرّافدين والقوقص. وغير ما حجّة ترافع لصالح هذا الطّرح.

1.1. الأدلّة اللّغويّة والعَلَميّةُ

أ)- هنالك ظاهرة ينبغي التنويه بها : لقد قادنا بحثنا من أجل تحرير موضوع كتاب سابق "إيبريا وبربريا" إلى التعرّف على موطن الإيبر الأوّل ألفيات كثر قبل العهد المسيحيّ، في مناطق جنوب القوقص، بين البحر الأسود وبحر قصوين. وكانت إحدى هذه المناطق تحمل اسم إيبريا ، في شمال أرمانيا.

ويرى B. Hrozny[1] في هذا الاسم -إيبريا- عاملا يشفع لصالح فكرة هجرة أهال بشريّة انطلاقا من هذا الموطن الأصليّ نحو شمال إفريقيا : ، فيما يبدو، لقد هاجر الحاميّون أوّلا انطلاقا من جنوب بلاد القوقص، وبعدها تلاهم

---

1. مصدر سبق ذكره.

الساميون، منتشرين في آسيا الغربيّة من جهة، وشمال إفريقيا من أخرى ... والإيبر هم ممثلو الحاميّين، يتكلّمون لغة ذات مكوّنات حاميّة ملحوظة. ويرتبط هذا الاسم (إيبريا) بالإيبر القوقصيّين ... ».

ومن جهته كتب A. Garrigou[1] : « إذا كان الإيبر، الذين قدموا من جنوب القوقص مع أفواج آسيويّة أخر، قد أعطوا أسماءهم لإيسبانيا، فهذا يعني أنّ هذه القبائل اللّيجويّة (الإسكوان، الإوسك، البابُرقة، الويسك) اعتبرت من قِبَل المؤلّفين القدامى كإيبريّة، ممّا يدلّنا على أنّ من بين جميع هؤلاء المهاجرين الآسيويّين، كان الإيبر الأقوى ... ». وقد أقرّ مؤلّفون قدامى آخرون أمثال، فلّين وبرّون وسطرابو وسلّوست بهذه الظّواهر التاريخيّة واللّسانيّة.

ب)- صرّح G. Lebon في كتابه "حضارة العرب" أنّ : « لقد برهنت لنا اللّسانيّات أنّه في عهد جدّ عتيق[2]، كانت جميع هذه المناطق الواسعة، التي تنحصر بين القوقص وجنوب جزيرة العرب مأهولة بشعوب ذات لغة واحدة، إن لم يكونوا من عرق واحد ».

ج)- لقد سمح لنا موضوع عالجناه في آخر كتبنا مسومٍ بـ"الرّحلة المجهولة للغة قديمة : البربريّة-من الإمالاين إلى الأرضوان" بالتعرّف على الأصل الإيبريّ (أو البربريّ) من تسميات الأماكن والأنهار والجبال والشّعوب، ليس في جنوب القوقص فقط بل وفي شمال هذه السّلسلة الجبليّة؛ ما بين البحر الأسود وبحر قصوين. كما يتستى لنا ذلك من المعنيين المزدوجين لأصل كلمة واحدة (من الأصل الفانقيّ والإيبريّ أو الإيبريّ-البربريّ).

د)- لقد أكّد كثير من المؤلّفين القرابة اللّسانيّة بين الإيبريّة "الأروبيّة" والبربريّة من جهة، وبين البربريّة ولغات القوقص الجنوبيّة من جهة أخرى.

---

1. في كتابنا "الإيبر. إيبريا".
2. قبل العهد الإبراهيميّ.

هـ)- الكتاب القدامى قاطبة يحدّدون موقع كلدا الأولى في شمال بلاد الرّافدين، في أرمانيا وفي البحر الأسود (المناطق الساحليّة) مع الأكراد أو الكلد. وهو ما يفسّر لنا تسمية بلاد بابل بكلدا (كلدا الثانية) : تطابقاً مع أطروحتنا بخصوص الوطن الأصليّ للمتكلّمين بلغات عروبيّة، وهم أهال سكنوا المناطق الشماليّة ثمّ هاجروا نحو الجنوب، محاذاة لأودية النّهرين (دجلة والفرات)، إلى غاية مصبّهما، عند الخليج العربيّ. ويُلمَح لهذه الهجرات من خلال تواجد العائلة الطّارحيّة[1] في أور، في أسفل بلاد الرّافدين، حيث أسلاف وجدّ إبراهيم -عليه السّلام- لم يغادروا أعلى بلاد الرّافدين. وهو ما يوضّح أيضا أنّ اللّغة البابليّة منحدرة من اللّغة الأكاديّة.

الحاصل أنّ أطروحات المؤلّفين التي حدّدت أصل العرب والمصريّين والإيبر-البربر وشعوب أخرى ناطقة بلغات عروبيّة في اليمن أو في القرن الإفريقيّ، تحتاج إلى مراجعة، إلاّ إذا ما وافقنا -اعتراضا لكلّ منطق- أنّ اللّغات الباسكيّة والقوقصيّة مصدرها اليمن أو الحبشة.

2.1. الأدلّة التّأريخيّة والحضاريّة

أ)- إذا ما تقبّلنا مصطلح اللّسانيّين الذين يتكلّمون عن الجذع المشترك للّغات "السّاميّة-الحاميّة". فلا مناص من الإحالة على سرد تاريخيّ مقتضب، يرتقي عهده إلى ما بعد الطّوفان. يخبرنا "الكتاب المقدّس" ("العهد القديم") أنّ نوحا -عليه السّلام- وأبناءه الثلاثة : سام وحام ويافث وأقاربهم سكنوا بعد الطّوفان في منطقة حدّدت تقليدا في الأنحاء القوقصيّة الجنوبيّة (أرمانيا وشرق تركيا اليوم)، في شمال بلاد الرّافدين، وتكلّموا لغة واحدة :

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (سورة يونس-الآية : 19).

[وكانت الأرض كلّها لسانا واحدا ولغة واحدة] (سفر التكوين).

---

1. طارح هو والد إبراهيم (حسب "الكتاب المقدّس").

- فإذا ما علمنا أنّ عهد الطّوفان يحدّد تقريبا حوالي عشر الفيات ونيف من السّنين قبل بداية العهد المسيحيّ،

- إذا ما سلف علمنا في كتاب سابق[1]، أنّ أولى هجرات الشّرق نحو الغرب بدأت متقدّمة للألفيّة الخامسة قبل الميلاد، نحو وادي النّيل وشمال إفريقيا،

- إذا ما استذكرنا أنّ المصريّين والبربر تكلّموا لغات عربيّة-حاميّة على منوال العرب الجنوبيّين والأحباش

يمكننا القول إذاً أنّ تقسيم الجذع العربيّ المشترك إلى فرعين -أحدهما عروبيّ-حاميّ، والآخر عروبيّ-ساميّ- كان في هذا العهد، أي نحو الألفية السّادسة قبل الميلاد. أو سابقا لها.

ب) - في هذه الحقبة[2]، وكانت بلاد الرّافدين مهد إحدى أولى حضاراتها : وهي مرحلة عهد العبيد، تميّز بتشييد المعابد والزّقّورات وصناعة الفخار الذي يطلى. وتسمح لنا الفخّاريات المقدّمة في كتاب B. Hrozny[3] من خلال مجموعة صور الفخّار المطليّ التي تنتمي لعهد العبيد، بملاحظة التماثل البيّن مع فخّاريّات بلاد بربريا (في بلاد الجزائر الحاليّة)، من حيث الشّكل كما الزّخارف الهندسيّة المرسومة، وهو ما يساير التّزامن المفترض لانطلاق موجات الهجرات الإيبريّة (الإيبريّة-البربريّة) من آسيا نحو إفريقيا.

ج)- وحسب بلاطون في مؤلّفه "القوانين" -ذكره سطرابو في "استوصافه للأرض، الجزء الثالث عشر"- فإنّه يحدس أنه بعد فيضانات كبيرة وكوارث قد كان على البشر سلوك ثلاثة أشكال من المجتمعات جدّ متباينة :

---

1. في كتابنا "إيبريا وبربريا".
2. يبدو أنّ مرحلة العبيد، التي تشهد عليها الطبقات الأثريّة XII-XVII اورك، بدأت نحو القرون الأولى للألفيّة الرّابعة، او في القرون الأخيرة للألفيّة الخامسة قبل الميلاد (حسب B. Hrozny) وقد ارجع مؤلّفون آخرون بدايته لنهاية الألفيّة السّادسة.
3. مصدر سبق ذكره.

- مجتمع أوّل، بسيط ومتوحّش، يتكوّن من بشر يطردهم الخوف من الماء الذي لا يزال يغطّي السّهول ليستعصموا بأعلى القمم ؛

- مجتمع ثان، انتصب على سفوح الجبال الأولى، راح يطمئنّ شيئا فشيئا لمشاهدته بداية جفاف السّهول،

- مجتمع ثالث، أقام في السّهول ذاتها.

يمكن لهذا الفرض أن يسقط بصورة ملائمة على الإيبر وجبليّي القوقص الأخر، الذين هم سكّان هذه السّلسلة الجبليّة، وهم سكّان جدّ قدامى بهذه الأقاليم المنيعة والمُطمئِنَةِ (بالنّسبة للمجتمع الأوّل)، وكذا يصلح إسقاطه على أهال آخرين مجانسين (بالنّسبة لشكلي المجتمع الآخرين) ناطقين بلغات عروبيّة.

د)- تحقّق B. Hrozny[1] من أنّ أهال حاميّين وساميّين (عروبيّين، حسب اصطلاحنا) أقاموا في المناطق الجنوبيّة للقوقص تقع بين البحر الأسود وبحر قصوين، أي المناطق الحاليّة لأزربيجان، وجرج (كرج) وأرمانيا، إلى غاية الجزء الشّرقيّ من الأناضول، المحدود بالبحر الأسود.

وإذا ما تكلّم لنا المؤلّفون القدامى عن استقرار الفرس والأرمان بإيسبانيا (إيبريا) في هذا العهد بجوار الإيبر، فالكلام هنا غير متعلّق بالفرس والأرمان الذين نعرفهم اليوم وهم يتكلّمون لغات هنديّة-أروبيّة، ولكن بأهال عروبيّين، يسكنون مناطق قصوين والقوقص، ويتكلّمون لغات عروبيّة. وعلى كلّ حال، فإنّ استعمال هؤلاء "الفرس والأرمان" اللّغات "السّاميّة" أشار له المؤلّفون، وقد وصفت هذه الشّعوب من طرف هؤلاء المؤلّفين أنفسهم بنعت "السّاميّين". وقد عرف الفرس والأرمان بعدها بهذه الألقاب، وهم يتكلّمون لغات هنديّة-أروبيّة ولم يظهروا عدا بعد القرن السّابع قبل العهد المسيحيّ، بعد توغّل قبائل ذات لغات هنديّة-أروبيّة في كلّ هذه المناطق.

---

1. مصدر سبق ذكره.

هـ)- إنّ تشابه حضارة بلاد الرّافدين والحضارة المصريّة (عدد كبير من المؤلّفين وافقوا على أنّ الحضارة الأولى هي إرهاص الثانية)، وتماثل ديانات وشعائر بلاد الرّافدين وآسيا الغربيّة مع الأخر المصريّة[1]، الاستعارات المعجميّة المصريّة البيّنة من البابليّة : كلّ هذه الظّواهر ترافع لصالح قدوم موجات هجرات من بلاد الرّافدين والأناضول، إلخ، إلى مصر، سواء عن طريق الشّمال (الطّريق الذي يسلك ساحل البحر الأبيض المتوسّط)، أو عن طريق الجنوب (عابرا اليمن ووادي النّيل)، بتفوّق العنصر العروبيّ-الحاميّ[2].

و)- لقد قطن -في عهد سحيق- الفانقيّون والإيبر (أو الإيبر-البربر)، شعبان جدّ متقاربان لغة وتاريخا، المنطقة نفسها (تنحصر ما بين القوقص والأناضول وشمال سوريّة وأعلى بلاد الرّافدين) واستعمروا بالتواطؤ المناطق ذاتها في آسيا الغربيّة وفي وادي السّند، في الشّرق؛ كما تواجدوا قرونا كثيرة بعدها في الغرب (بربريا وإيبريا وجاليا، إلخ.). ممّا يعني أنّ الفانقيّين هاجروا نحو الجنوب (شرق وجنوب شبه الجزيرة العربيّة) قبل استقرارهم النهائيّ في بلاد كنعان، في حين يمّم الإيبر-البربر شطر إفريقيا (بعضهم عن طريق الجنوب عابرا اليمن والقرن الإفريقيّ ثمّ وادي النّيل، وبعضهم عن طريق ساحل البحر الأبيض المتوسّط، مرورا بسيناء، ودلتا النّيل).

ز)-يخبرنا التّاريخ أنّ مهد أو شعاع الحضارات الخطيرة كان دائما -خصوصا في القدم- منطقة مكتنفة بنهر أو أكثر، كحال بلاد الرّافدين (ما بين النّهرين) أو وادي النّيل، مكتفين بذكر هاتين الحضارتين الأهمّ إن لم نقل الوحيدتين، متقدّمتين للألفية الثالثة قبل العهد المسيحيّ.

---

1. B. Hrozny، مصدر سبق ذكره.

2. ترتقي الرّواية المصريّة بأصل المصريّين إلى بلاد بون (بنت) -التي يحدّدها المؤلّفون في اليمن أو الحبشة- ويصرّحون بأنّ هذه المنطقة مقدّسة. كتب ديوبور الصقلّيّ أنّ : « المصريّون القدامى أصلهم من جنوب البلاد العربيّة، وقدموا مصر عبر الحبشة والسّودان ».

التبرير هاهنا يسير : دون الماء، هذا الأساس الحيويّ، لا وجود لأرض خصبة ولا لازمتها الزّراعة. ودونما ماء جار وسهل الورود، لا أثر لحصول زراعيّ (حبوب وخضر وفواكه) ولا أثر للقطعان (غنم وبقر وماعز وإبل، ...) التي تمدّ بالحليب ومستخلصاته، واللّحم، والجلود ومشتقّات حيوانيّة أخرى. وجميع هذه الموادّ الغذائيّة ضروريّة من أجل نظام غذائيّ متوازن للإنسان والأنعام، ضروريّ للأعمال المجهدة كبناء العمارات (بناء الأهرامات والسّدود، ...)، والفلاّح أو الجنديّ.

في غياب الماء لا تشييد للبيوت ولا الحواجز ولا القصور ولا المقامات الدّينيّة والجنائزيّة أو غيرها. لولا الماء لما وجدت الغابات ولا غرست الأشجار التي تموّن بالخشب لصنع السّفن، والتعدين أو أشغال المناجم، ولما وجدت الفخّاريّات ولا الفخّار الفنّيّ، ولما عرفت صناعة النّسيج ولا الدّباغة. ولوما الأنهار لما كان نقل موادّ البناء الثّقيلة ولا الأحجار هائلة الحجم، إلخ. إنّ مزايا الماء كثيرة ومختلفة معروفة. وجملة القول أنّه لا تقوم للحضارة قائمة دون الماء.

وأقرب النّماذج تمثيلا لهذه الحالة تقدّمه حضارة خطيرة، وهي الحضارة المصريّة مع النّيل الذي أخصب صحراء، وأنجب حضارة وادي النّيل من منطقة البحيرات الكبرى (أوغندا-السّودان) وصولا عند البحر الأبيض المتوسّط.

وعلى طرف النّقيض، فجنوب شبه الجزيرة العربيّة متمثّلا في اليمن وحضرموت -اللّتين أخبرنا أنهما كانتا في سالف الزّمان مُشْجرَتين وبهما غابات غنّاء (حسب إثعوفرست)- لا يملك أنهارا كبيرة بوسعها أن تلد حضارة كبيرة. ومع ذلك، فالحضارة العربيّة الجنوبيّة عرفت الوجود، ولا يمكن إلاّ أن يكون تكوينها يرقى إلى منبع آخر، ينحدر من منطقة أنهار كبيرة، مثل وادي الرّافدين. لقد كانت الحضارة العربيّة الجنوبيّة -بالتالي- حضارة مُزْدَرَعة مطعّمة، سليلة حضارة أخرى، هي حضارة بلاد ما بين النّهرين.

إنّ الحضارة العربيّة الجنوبيّة نسيج وحدها، ذلك الذي يتلافى مجاري المياه، بإقامة السّدود الكثيرة والحواجز التي يسعها تخزين ماء المطر، في هذه

المناطق التي تشهد تهاطلا هائلا، وبالتالي حيازتها نهائيًا في أحواض الرّيّ من أجل الحاجة الزّراعيّة وحاجة الإنسان. كما يلاحظ ميلاد ممالك قويّة وحضارات إقليميّة في شمال شبه الجزيرة العربيّة -مثل مملكة تدمر، في نهاية الألفيّة الثانية، والنبطيّة بداية من القرن السّادس قبل الميلاد- بفعل تمركزها الخطير على الطّرق التجاريّة، وخاصّة بفعل وفرة مياه الينابيع.

وفي جميع بلدان العالم العروبيّ كانت -كما تتواجد اليوم- مناطق سكنيّة آهلة بالحضر، محاذية للمناطق الصّحراويّة : في شمال إفريقيا ومصر والحبشة ووسط وجنوب شبه الجزيرة العربيّة وسوريّة وفانقيا والعراق كما في فارس وأفغانستان أو الهند.

ما يعني، أننا من يوم لآخر، يمكننا الانتقال من منطقة ذات طابع رعويّ إلى منطقة مكرّسة للفلاحة، أو العكس، في الجيل نفسه، فالبدويّ يمكن أن يصبح حضريًا، أو أن يتحوّل الحضريّ إلى بدويّ، وهكذا، بسهولة تكيّف كبرى أو تمثل، من حالة لأخرى.

وهذا ما يتفسّر بالظّواهر الوراثيّة للعرب الذين كانوا بدوا كما حضرا على حدّ السّواء، واتخذوا لهم قوتا التمور والحليب في الصّحراء، أوجميع أنواع المآكل والفاكهة اللائقة بالطّبقة الرّفهة في المدن. وغور مورد ماء في الصّحراء كفيل بجعل الأعراب يهاجرون إلى تجمّع سكّانيّ، كما قد يؤدّي انبثاق ظروف غير ملائمة (حروب وفيضانات وأسباب اقتصاديّة-اجتماعيّة) إلى مور الحضر إلى حالة البداوة، تحت الخيم أو تحت دثار النّجوم.

ويمدّنا "العهد القديم" بمثال النّبيّ إبراهيم -عليه السّلام- الذي ولد في أور[1]، بكلدا، وهو ابن أحد وجهاء بلاد بابل، فلأسباب عقديّة معروفة، هاجر وأصبح بدويًا، وظلّ على ذلكم الحال حتّى وافته المنيّة -عليه السّلام-.

1. أور، في اللغة الأرميّة-البابليّة تعني "المدينة". نقف على هذا الاسم في أور سلام. وتعني ايضا "النور" (اورو في الكلديّة والفانقيّة).

جميع هذه التفسيرات التاريخيّة والحضاريّة، تسنح لنا المضيّ قدما بفكرة تموقع المهد الأوّل للعرب الأوائل -أو بالأحرى المتكلّمين بلغات عروبيّة- الذي كان على الأرجح نحو أعلى بلاد الرّافدين والمناطق القوقصيّة. وليس اليمن، الذي يقدّم على أنه مهد العرب إلاّ مناوبة : فبعد قرون كثيرة من التحضّر، هاجر جزء من سكّانه أصلهم من الشّمال، متوزعين على هجرات أخر. وكانت هذه هي نقطة جديدة لانطلاق حركات التجمّعات البشريّة نحو الغرب، شطر إفريقيا ووادي النّيل أساسا. واستدلّ المؤلّفون من هذا الفائض السّكانيّ المتدفّق نحو المناطق المجاورة قدوما من البلاد العربيّة السّعيدة، أنّ اليمن هو مصدر الهجرات العروبيّة. أي أنّ جنوب شبه الجزيرة العربيّة هو مهد العرب.

هذه المسلّمة التي تجاهلها هؤلاء المؤلّفون ذاتهم، بأنه قبل الألفيّة الخامسة، كان أصل هجرات العرب يختلف عمّا هو عليه ... : فقد كانت لموجات الهجرات هذه نقطة انبثاق أخرى، مصدر آخر يقع في ناحية خصيبة، مكتنفة بأنهار، ألا وهي بلاد الرّافدين[1].

---

1. يرافع محمّد بهجت القبيسي، في كتابه "ملامح في فقه اللّهجات العربيّات" لصالح الطرح الشماليّ (الأصل الشمالي للعرب) ويقدّم شفعا لهذا حججا عدّة :

أ/ كون القرابة المعجميّة تراوح نسبة :

- 75% بين العربيّة الوسطى، التي يسمّيها "العدنانيّة" والأرميّة
- 94 % بين العربيّة الوسطى والكنعانيّة

وفقط 65 % بين السّبئيّة (العربيّة الجنوبيّة) والعربيّة الوسطى، هذه الحقيقة اللّسانيّة، كما كتب، ترافع لصالح أصل شماليّ للعرب بصفة عامة -بني قريش بالخصوص.

ب/ تسمية الأشهر القمريّة، المستعملة في الحساب الهجريّ، تسمية فضائيّة-مناخيّة ذات علاقة بالسّنة الشّمسيّة، لا علاقة لها بمحيط اقاليم العربيّة الوسطى : من مجموع اثني عشر شهرا، ثمانية ذات دلالة متعلّقة بالفصول، واضحة ومتمايزة من سوريّة، بينما اربعة هي اسماء ذات طابع دينيّ.

ج/ اسم العلم "محمّد" كان قليل الاستعمال في الحجاز -خمسة أشخاص فحسب تسمّوا بهذا اللقب (من بني قريش)- في حين انه تظهر في المخطوطات الأوقريتيّة -رأس شمرة- في فانقيا.

صرّح محمّد محفال، في كتابه "مدخل لدراسة اللغة الأرميّة" -ذكره محمّد بهجت قبيسي- انه منذ العهود الغابرة، تنقّلت القبائل العربيّة من منابع دجلة والفرات نحو جبال إسكروس والأطلس ...

واضاف المؤلّف ان الدّراسات الحديثة تبيّن أنّ ساكني شبه الجزيرة العربيّة استخدموا الجمل، وذلك منذ الألفيّة الثالثة قبل العهد المسيحيّ، ممّا اتاح هجرات كبيرة وتنقّلات بعيدة.

كثير من المؤلفين يقدّرون أنّ حضارة بلاد الرّافدين لم تسبق فقط زمنيّا حضارة وادي النّيل، ولكن كانت هي المولّدة لها. وهذا الطّرح يتوافق مع رصدنا الزّمنيّ لموجات الهجرات العروبيّة، التي وصلت انطلاقا من آسيا الغربيّة (القوقص وما بين النّهرين) إلى مناطق الهلال الخصيب وعلى سواحل البحر الأبيض المتوسّط الشّرقيّة وسيناء ثمّ مرّت لإفريقيا (دلتا النّيل)، من جهة، ومن جهة أخرى وصلت هذه الهجرات إلى وسط وجنوب شبه الجزيرة العربيّة، ثمّ من هنالك عبرت نحو إفريقيا مجتازة البحر الأحمر.

وكما كانت حضارة بلاد الرّافدين نموذجا أو مولّدا للحضارة المصريّة، فقد كانت أيضا مصدر الحضارة العربيّة الجنوبيّة في اليمن. فنحن نقف على معالم اشتراك كثيرة علاوة على القرابة اللّغويّة بين اللّغتين (الأكاديّة والعربيّة الجنوبيّة)، في كلا البلدين وفي مجالات متعدّدة كالفنّ المعماريّ والزّراعة والرّيّ وفنّ الملاحة، إلخ، كما في الشّعائر الدّينيّة (مجموع الآلهة وعبادات جدّ متقاربة إن لم نقل متطابقة)، وكذا الأعراف والحياة الاجتماعيّة. كما شهد العديد من المؤلّفين على وجود أواصر حضاريّة بين البلدان الثّلاثة (بلاد الرّافدين ومصر واليمن).

والحاصل أنّ أطروحات المؤلّفين الذين يجعلون أصلا لعرب الجزيرة وسكّان بلاد الرّافدين والإيبر-البربر والمصريّين ولشعوب أخرى ناطقة بلغات عروبيّة، اليمن أو قرن إفريقيا، ليست مستساغة إلاّ إذا لم نقبل كون الحضارتين المصريّة والعربيّة الجنوبيّة ظهرتا متأخّرتين عن حضارة بلاد الرّافدين، وأنّهما منبثقتان عنها، وإذا قدّرنا، على العكس، أنّ الحضارة اليمنيّة تقدّمت وقدّمت مثالا لحضارة ما بين النّهرين، لأنّ الحضارتين تتقاطعان نقاطا كثيرة مشتركة[1].

1. حسب E. Dhorme، في مصدر سبق ذكره، الهجاء السماريّ لبلاد الرّافدين، يمثل إرهاصا للتهجيات الساميّة الجنوبيّة في العدد وطبيعة حروفه الصامتة التي تتوافق مع الصّوامت العربيّة.

فضلا عن هذا

- إذا علمنا أنّ الإيبر الذين انحدروا من مناطق قوقصيّة هم أساسا جبليّون (جميع تسميات الشّعوب القوقصيّة والمتقاربة معها لها علاقة دلاليّة بالجبل) -وقد رأينا هذا في كتاب سابق[1]-،

- إذا ما طبّقنا طرح بلاطون المتعلّق بالسكنى الفضائيّة للجماعات البشريّة أو الأهالي بعد النوازل " الطّبيعيّة"،

تأتى لنا أنّ شعوب القوقص -التي يشكّل الإيبر جزءا منها-، مكوّنة من عناصر بشريّة سكنت هذه المناطق الجبليّة منذ زمن سحيق يرقى إلى ما بعد الطّوفان. يبدو أنّ هؤلاء الأهالي اللاّجئين في الأعالي لم يغادروا (بالنّسبة للبعض منهم) هذه السلسلة الجبليّة إلاّ ليهاجروا نحو نواح أخر، بتفضيل تأسّليّ يسجّل لصالح المناطق المرتفعة (التلال والجبال والهضاب العليا)، في إفريقيا بخاصّة فيما يتعلّق بأولئك الذين سيصبحون فيما بعد بربرا. وأيضا، مطابقة لهذا الطّرح، يشير جميع المؤلّفين إلى أنّ اللّغة البربريّة لغة جدّ قديمة. وفي كتاب سابق[2]، بيّنّا أنّ البربريّة (على غرار الفانقيّة)، كانت لغة عروبيّة قديمة.

3.1 أدلّة تتوافق مع معاني آيات قرآنيّة

1.3.1. العرب (الحضر) سبقوا الأعراب (البدو)

- في سورة الحجرات، تتكلّم الآية الثالثة عشر عن خلق الله، بعد الذّكر والأنثى (الرّجل والمرأة)، لشعوب وقبائل. وتقديم كلمتي الذّكر والشّعب عن كلمتي أنثى وقبائل، على الترتيب وضعٌ ذو دلالة، وهي أنّ الشّعوب (المكوّنة من حضر) قد سبقت القبائل (المكوّنة من بدو) -تماما كما سبق خلق الذّكر الأنثى-، وكلمة شعوب جمع مفرده شعب، وقبائل جمع قبيلة.[3]

---

1. في كتابنا "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة".
2. المصدر نفسه.
3. يترجم قاموس Belot الشعب (جمعه شعوب) بـ"tribu, peuple" وشعب (جمعه شعاب من جذر واحد) بـ"طريق في الجبال". "grande tribu". "مسلك ماء في الأرض". في حين أن قبيلة (جمعها قبائل) لها معنى"tribu" (عند الشعوب البدو). اما صحيح البخاري (الجزء الثاني، الصفحة 153).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

- في الآية الثمانين (80) من سورة النحل، ورد ما يلي :

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾

إنّ الترتيب في الجملة، الذي يشير إلى المساكن (الصلبة) قبل البيوت المتنقّلة (خيم، أكواخ، إلخ.) يفهمنا بأنّ الحضر ساكني المراكز والقرى أو القصبات سبقوا البدو (الرّحّل).

- آي كثير (منه الآية التاسعة بعد المائة -109- من سورة يوسف، أو الآية الثالثة والعشرون -23- من سورة الزّخرف) يذكر أنّ الأنبياء إنّما بعثوا إلى المدن وسكّانها فحسب : فنوح -عليه السّلام- أوّل الرّسل في عهد الطّوفان، كما جميع أبنائه وأقاربه وعائلاتهم كانوا حضرا. وليس إلاّ بعدها تواجد البدو، كنتيجة للهجرات (لبعض منها) نحو مناطق قاحلة.

2.3.1. التسلسل الزّمنيّ لأهالي ما بعد قوم نوح حسب نصوص القرآن

إنّ توالي موجات الهجرات العروبيّة، في مجملها تتفق مع النّصّ القرآنيّ :

أ/ فحسب نصّ القرآن (الآية التاسعة والسّتون -69- من سورة الأعراف)، يأتي قوم عاد، الذين يلقّبون نسبة لأبيهم "عاد" زمنيًا مباشرة بعد قوم نوح (نوح- عليه السّلام- وأبناؤه بعد الطّوفان) :

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾

بصدد تفسير هذه الآية ذاتها، يدلّ مصطلح شعوب على مفهوم نسبة (أو أصل) بعيدة، على عكس مصطلح قبائل، ذي العلاقة بقرابة وطيدة.

وكان نبيّهم هود -عليه السّلام-. ولم يشر إلى اسم هذه القبيلة "عاد" إلاّ في القرآن، وجلّ المصادر تومئ إلى أنّ هذه النّسبة عربيّة : فقد أخبر ابن عبّاس-رضي الله عنهما- بأنّ عاد هو أوّل من تكلّم العربيّة، في حين أنّ هناك بعض الشّهادات تجعل من يعرب[1] أوّل المتكلّمين بالعربيّة. انتمى بنو عاد، الذين كانوا وثنيّين، إلى شعب العمالقة، وسمّوا نظرا إلى عظم قوامهم وقوّة أبدانهم. ولقد أشار "الكتاب المقدّس" ("صموئيل الثّاني") إلى قوم عملاق، تحت اسم رفع أو رفاعم ، قوم ظهروا متقدّمين الأهالي الكنعانيّين ، (في "الرّواية المجمعيّة للكتاب المقدّس"). وفي سياق آخر "التّثنية"، هناك إشارة في بلاد موآب ، من شعب كبير، كثر وذو قامات فارعة ، للأناقم (أو العناقم) وهو الاسم ذاته للعمالقة[2] يأتى بعد إقلاب وإبدال الميم إلى نون أو لام : وفق القواعد العربيّة-الفانقيّة).

وجعل بعضٌ، كمحمّد بن إسحاق، هود ابنا لشالح أو صالح، ابن أرفخشذ، ابن سام، وابن عمّ أبي عاد، وعدّه آخرون ابنا لعوص ابن أرم/ عرم ابن سام، وأخيرا، قدّمه آخرون كحفيد الحفيد (من الجيل الرّابع) لعوص ابن أرم/ عرم.

وكانت مساكن عاد شمال حضرموت، غرب عمان[3]. وحسب ابن عبّاس -رضي الله عنهما- فقد عبدوا الأوثان : صمّود والهتّار. وبعد إصرار هؤلاء القوم على وثنيّتهم، أهلكوا بريح صرصر عاتية :

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (سورة الحاقّة- الآية السّادسة : 6)

ب/ حسب القرآن، يأتي **الثّموديّون**، الذين يلقّبون نسبة إلى سلفهم ثمود، زمنيًا مباشرة بعد قوم عاد :

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (سورة الأعراف- الآية : 74)

---

1. يعرب هو، ابن قحطان، ابن عابر.
2. Amalécites هو رواية ثانية للعمالقة (كما هو مبيّن في "الكتاب المقدّس" في نسخته العربيّة).
3. لقد اكتشف في شمال حضرموت اوان رخامية، مع محطوطات بخط مسماري، في إحدى المدن البائدة.

ونبيّهم هو صالح -عليه السّلام-. ويذهب بعض المؤلفين إلى جعل ثمود ابناً لعامر، ابن أرم/ عرم، ابن سام، في حين يشير آخرون إلى أنّه ابن عاد، ابن عوص، ابن أرم/ عرم.

كانت سكنى قوم ثمود بين الحجاز وسوريّة، في جنوب شرقيّ مدين، نحو خليج العقبة. وألحقهم بعض المؤلفين كجزء من العمالقة، الذين هاجروا من غرب الفرات، ووصفهم آخرون، بانتسابهم للعمالقة، بأنهم طردوا من مصر، في حكم أحمس الأوّل (من السّلالة الملكيّة الثامنة عشر)، في القرن السّادس عشر قبل الميلاد، حيث كانوا مهرة في نحت الصّخور. وقد عوقب ثمود على وثنيّتهم بالرّجفة[1].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (سورة الأعراف- الآية : 78).

ويقوم أهالي حضرموت شاهدا على أنّ الثموديّين كانوا مستعمرين انحدروا من عاد. فقد أورد عبد الوهّاب النجّار في كتابه "قصص الأنبياء" نقلا عن جورجي زيدان بك أنه ذكر أنّ الأنباط الذين كتبوا (ونحتوا على الصّخر) بالأرميّة، متحدّرين من الثموديّين. ولقد روى ابن سعد (صاحب الطّبقات) رواية عربيّة تجعل من شعب عاد الأسطوريّ شعبا أرميّا؛ فبعد عاد أطلق اسم الأرميّين على قوم ثمود، وبعد هؤلاء لقّب جميع أبناء أرم (أو إرم) بالأرميّين (أرمان) : وهم الأنباط.[2]

وحسب Ph. Lippens[3] : ، يصف اسم "الثموديّين" بوجه غير دقيق بعض القبائل في شمال الجزيرة العربيّة، شعب ثمود ... نجد آثاره (في المنحوتات أو الكتابات المنقوشة) على الأقلّ حتى اليمن : فلقد اكتشفت حوالي تسع آلاف منحوتة ثموديّة خلال الحملة (العلميّة)، منحوتات على مقربة من الآبار أو على

1. عبّر في الآية الخامسة من سورة الحاقّة، بصدد الكلام عن عقوبة قوم ثمود كلمة طاغية "صاعقة أو قصف جدّ قويّ".
2. توفيق فهد، في كتابه : "الكهانة العربيّة".
3. في كتابه، "رحلة استكشافيّة في البلاد العربيّة الوسطى".

طول خطوط السَير الورودة أكثر، مشكّلة من رسومات حيوانات متوحّشة أو داجنة، وأناس مرفوعيّ الأذرع (متعبّدين)، تذرّعا للآلهة، ومناحات على الموتى، ودعوات موجّهة للأرباب (بالعافية، وبالمنتجع المبهج، وبوفرة القطعان، وبالغنائم في الإغارات، وبالمراعي الخصيبة ...). وقد نقشت هذه المنحوتات بالكتابة العربيّة الجنوبيّة..

هكذا، إذا استقرأنا معاني النّصّ القرآنيّ وشرّاحه، للاحظنا أنّ موجات هجرات انطلقت من بلاد الرّافدين (موطن نوح -عليه السّلام- وأولاده)[1] ووصلت جنوب شبه الجزيرة العربيّة (حضرموت) أين استقرّت في عهد جدّ قديم (مباشرة بعد عهد نوح وأولاده وأحفاده)، كما أنّ هناك أهال عروبيّين (في عهد يلي مباشرة عهد قوم عاد)، هاجروا من بلاد الرّافدين نحو الغرب، بين سوريّة، والبلاد العربيّة الصّخريّة والحجاز. كما أنّ القرآن (قد ذكرنا هذا) جعل قوم عاد، من شِعب العمالقة بعد الطّوفان، ووصفهم بـ"خلفاء قوم نوح"، وهو ما يثبت القرابة القوميّة والثقافيّة لهاتين الفئتين.

فضلا عن هذا، فإنّ اسم والد شالح، أرفخشذ، ابن سام، نجده عند العمالقة : فقد أشار عبد العزيز سالم، في كتابه "تاريخ الدّولة العربيّة": . سلف بني عملاق (أو العمالقة) هو الذي يسمّى "عملاق بن أرفخشذ" : إنهم هؤلاء العمالقة من سكن أوّلا المدينة المنوّرة ..

وفي هذا المدرج، ألحقت الرّواية تأسيس هذه المدينة (المدينة المنوّرة، في شمال مكّة المكرّمة وليس بعيدا عن البلاد العربيّة الصّخريّة) بيثرب[2] بن أرم/ عرم، ابن سام، أي ابن عمّ عملاق بن أرفخشد بن سام.

---

1. يبدو ان نصّ القران -في راينا- (الآية السادسة من سورة الأنعام) جليّا. بإشارته ﴿وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾. لا ينبغي ان يكون الكلام ها هنا متعلقا إلاّ بالنهرين (الرافدين) او ايّ منطقة اخرى مروية بمجاري مياه. تنصّ تتمة الآية كما يلي : ﴿فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين﴾. هذه الآية تتوازى مع ما قاله نوح لقومه ﴿ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا﴾ (الآية 12 ، من سورة نوح).
2. يثرب، هو الاسم القديم للمدينة.

ولا يخالف أصل اسم شالح هذه القراءة -بالأخذ[1] في الحسبان التحويل الصوتي المحرّف، حين الانتقال من اللغة العربيّة إلى اللاتينيّة أو اليونانيّة- يمكن أن يكتب صالح (مع تناوب مألوف بين : -س -ش -ص) من الجذر ص. ل. ح- الذي معانيه على التوالي : "أمين، نزيه، شريف". وهذا اللقب العربيّ لا يزال مستعملا بتواتر إلى اليوم. واسم صالح بن أرفخشذ، متطابق مع اسم النبيّ -عليه السّلام- المرسل إلى قوم ثمود، الذين أخبر عنهم القرآن (سورة الأعراف- الآية : 74) "خلفاء من بعد عاد".

ونصّ "الكتاب المقدّس" لا يتعارض مع طرح الهجرة هذا، لأنّ "العهد القديم" قصّ أنّ واحدا من أبناء عابر (أحفاد أحفاد سام) وبالضّبط قحطان (المسمّى يقطان في "الكتاب المقدّس") هو الاسم الذي كان يلقّب به القحطانيّون نسبة إلى سلفهم وهم من أوّل سكّان مكّة المكرّمة وافدين من اليمن. ممّا يعني أنّ المنحدرين عن سام (في الجيل الثالث) هاجروا من بلاد ما بين النهرين إلى اليمن، وبعد استعمارهم الجزء الجنوبيّ من شبه الجزيرة العربيّة، حوّلوا واحدا من فروعهم نحو البلاد العربيّة الوسطى (الحجاز) أين استقرّ هذا الفرع.

وها هنا يمكن ملاحظة التناظر بين هجرة عابر (مع عائلته أو قبيلته) وهجرة ابن أحفاده إبراهيم -عليه السّلام- (ستّة أجيال بعدها لهذا النبيّ، كما أوردها كما "العهد القديم"-"سفر التكوين")، وهي هجرات مصدرها بلاد الرّافدين.

4.1. تــــاويلات

إنّ قوما يسكنون منطقة جدّ محدّدة، حيث لا يهاجر أفرادهم، ولا اتصال لهم بالعالم الخارجيّ يحافظون -نظريّا- بصورة أبديّة على لغتهم. وعلى طرف النقيض، إذا تضاعفت العلاقات مع الآخر، فإنّ هؤلاء القوم ينعطفون شيئا

1. هذا الاسم الذي يذكره المؤلفون، بحروف عبرانيّة هو ش. ل. ح. ، ممّا يتوافق مع الاسم العربيّ. تقابل النسخة العربيّة للكتاب المقدّس Shélach بشالح.

فشيئا نحو التغيّر، الاجتماعيّ كما اللّغويّ. ما دام العرب -المتكلّمون باللّغة العربيّة المشتركة- قد أقاموا في مناطقهم الأصليّة، فاللّغة لم تتنوّع. ونظرا لمبرّرات نسوق ذكرها في مدرج العنوان الموالي، قد هاجر هؤلاء الأهالي نحو آفاق أخر وتعرّضوا حتما لتغيّرات نالت بنية مجتمعاتهم : ولهذا تصدّعت اللّغة العربيّة المشتركة، وتجزّأت إلى لغات كثيرة.

ينبغي أن يعود العصر الذي تجزّأت فيه اللّغة العربيّة إلى حقبة ما بعد نوح -عليه السّلام-، وهو ما لا يتيحنا إلاّ أن نحدس، محاولين استغلال ما أمكن جميع المؤشّرات والمعلومات التي بحوزتنا.

ومن بين هذه المؤشّرات نجد : العلميّات والمفردات (أنبياء، شيوخ، أهال، إلخ) بسبب ديمومة اللّغة العربيّة.

1.4.1. علميّات ومفردات

لقد رأينا أعلى السّياق أنّ قوم عاد، خلفاء قوم نوح (حسب نصوص القرآن)، ينتسبون إلى شعب العمالقة، الذي يلقّب باسم سلفه عملاق بن أرفخشذ :

أ/ الاسم "عملاق"، الجمع منه عمالقة، والذي من بين دلالاته "شخص ضخم وقويّ"، جذره ع. م. ل. ق.، الذي له معنى "خفّف، قلّل" (مشيرين إلى بعض من كميّة الماء) أو "امتزج وتخثّر"؛

ب/ الشّطر الأوّل من اسم أرفخشذ يمكن قراءته بوجوه مختلفة :

1- أرفق من الجذر رفق، أي "أيّد، ساعد شخصا، وكان له عونا" ومع الاسمين رفق أي "عطف وحلم"، ورفقة جمع أرفاق أي "مصاحبين ومجتمع وجماعة من النّاس يسافرون معا" والصّفة رفق أي "ما يتدفّق بيسر (الماء)، سهل (قضيّة)".

2- أرفخ أو أرفح (مع إبدال الحاء خاء والخاء حاء) مع أرفح، من الجذر ر.ف.ح. وهناك كتابة أخرى لـ : ر. ف. ح. هي رفا، حسب معجم J. B. Belot، وهو جذر من بين معانيه "أرسى (سفينة) على السّاحل"، ومع الاسمين رفاء أي "سلم ووئام ووفاق". ومرفأ أي "ميناء، مرسى" وصيغة الفعل أرفأ الّتي تعني "دنا من، والتجأ إلى ... "،

- أمّا الشطر الثاني شدّ أو شذّ فيمكن كتابته بصورتين :

1- مع الجذر شدّ : ش. د. د. أي : "ثبّت، قوّى (شجاعته، عزمه)" كما يعني "قوّى شخصا(الله)" وشدّ إلى "اتجه إلى"، ومع الاسم شِدّة أي "قوّة، بأس، حزم" والصفة شديد، تعني "قاس، قويّ، صلب" كما تعني "غليظ، كثيف"؛

2- ومع الجذر شذّ : ش. ذ. ذ. يعني "معزول، مقطوع عن الآخرين (إنسان)" أو "غير مطّرد، مخالف للقياس (اسم، فعل)" ومع الصفة شاذّ يعني "وحيد، معزول، غير مطّرد"؛

ج/ وإذا ما أخذنا في الحسبان الترجمات المختلفة لتسميات عملاق وأرفخشذ، فإننا نلمس بين الكلمتين دلالات مشتركة (كلّيّة أو جزئيّة).

1- "قويّ، صلب، كبير" (لصورة العملاق).

2- "غادر، هاجر" : "التخفيف" -معنى الجذر ع. م. ل. ق.- يمكن أن يعتبر كجزء (من ماء أو أهل) يذهب إلى مكان آخر "أخرج من المجموع" يعني "مفصولا عن الآخرين"؛

3- "امتزج وتخثر" -معنى الجذر ع. م. ل. ق.- هي نظيرة " غليظ، كثيف" من الجذر شدد (شدّ)؛

كما أنّ هناك معان أخر لها علاقة بالسّفر والهجرة (برّا وبخاصّة بحرا)، بصفة حازمة وجازمة.

د/ اسم ثمود له الجذر ث. م. د. الذي يعني "استحضر غدير ماء" مع الاسم ثمْد "غدير ماء ينضب صيفا".

هـ/ الاسم عاد من الجذر ع. و. د.، بمعنى " آب، رجع إلى (مكان)؛ كرّر، ردّد (فعلا)". وفي هذا المعنى الأخير ينبغي فهم هذا الاسم، مسقطا على الكفّار

الذين هم قوم عاد ؛ وقد استعمل هذا الجذر بهذا المعنى في الآية الواحدة والثلاثين (31) من سورة المعارج، "العادون" :

﴿ . . . فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾.

2.4.1. استقـــراء

تسمح لنا قراءة هذه الدلالات باستنتاج ما يلي :

- بدأت موجات الهجرات من المهد المفترض للناطقين بالعربيّة نحو فضاءات أخر انطلاقا من جيل أرفخشذ، حفيد نوح -عليه السلام-،

- لمجتمعات جديدة، مشاهد ولغات جديدة ؛ حدث انقسام الجذع المشترك للغات كثيرة في عهد أرفخشذ وابنه عملاق. وهو أوان اختفاء اللّغة الأمّ بما هي عليه، وأوان مسخها أو تحوّلها إلى لغات عروبيّة أخر ؛ وهو معنى الجذر ع. م. ل. ق. "امتزج وتختّر" (يعود على لغة فقدت نقاءها ووضوحها) أو "خفَف" (لصورة نهر فقد تدفّقه ونشاطه وصفاءه وانقسم إلى جداول ماء تغدو شيئا فشيئا أقلّ غزارة)،

- كما تمّت الهجرات أيضا عن طريق البرّ كما عن طريق البحر، ويستنتج منه أنّ بعض الأهالي المهاجرين عبروا مضيق هرموز، من فارس إلى حضرموت، منطقة مجاورة للأقاليم البحريّة لعمان، أو عبروا بحر عمان من وادي السّند نحو الجزيرة العربيّة الجنوبيّة،

- وتذكّرنا الآية الموردة أعلى السّياق بأنّ قوم عاد (الذين نبيّهم واخوهم هو هود -عليه السلام-) هم خلفاء قوم نوح. سكن هؤلاء (اي قوم نوح) في الناحية الموجودة بين الأناضول والقوقص واعلى بلاد الرّافدين. تخبرنا الآية الواحدة والعشرين (21) من سورة الأحقاف أنّ النبيّ هود -عليه السّلام- انذر قومه في الأحقاف -منطقة صحراويّة في جنوب الجزيرة العربيّة، في شمال صنعاء (اليمن)- ممّا يستنتج منه أنّ أهالي عاد هؤلاء جاؤوا إلى جنوب شبه الجزيرة العربية على إثر هجرات تعدّ مدّتها بالقرون لا بالعشريات، وهي هجرات

انحدرت حتما من الشمال، من المهد الأوّل لـ"العرب"، لأنّ قوم عاد تحدّروا مباشرة عن أحفاد نوح -عليه السّلام-.

- تلتقي دلالة اسم ثمودِ باسم عملاق (معنى ذي علاقة بكمّية الماء الهزيلة)، ممّا يعزّز من طرح المؤلّفين الذين قدّروا أنّ ثمود هم فرع من العمالقة، من جهة، ويدفع لاستنتاج أنّ هؤلاء الثموديّين أنفسهم غادروا موطنهم الأصليّ، البلد الذي كان فيه الماء متوفّرا بسخاء، نحو أنحاء أجدب، من جهة أخرى.

يلزم عن كلّ هذا، أنه انطلاقا من أنحاء شماليّة (مجاورة للبحر الأسود وأعلى بلاد الرّافدين) وإلى غاية المناطق الجنوبيّة لشبه الجزيرة العربيّة، مرّت موجات الهجرات ضرورة بجميع الأراضي المحصورة بين أقصى العرضين هذين، وهي موجات خلّفت فروعا من أهاليها في كلّ المحطّات التي علّمها خطّ السّير هذا، وحتى أبعد من منحاها هذا، على الفارق نحو البلدان المجاورة (مصر وفارس والهند ...). وهو ما يفسّر انتشار حضور العمالقة (أو أهال يحملون تسميات أخر : الثموديّون والمعينيّون والفانقيّون والقحطانيّون والدّلمونيّون، إلخ.) في جميع شبه الجزيرة العربيّة.

وتكلّم هؤلاء الأهالي الكثر، حسب استقرارهم في مناطق منفصلة وبعيدة نوعا ما عن بعضها بعضا، لغات عروبيّة تقترب نوعا ما أكثر من اللّغة-الأمّ تبعا لتضاريس ومناخ، إلخ. البلد المضيف ونوع المجتمع الذي اختاروا.

2. عوامل الهجرة من أعلى بلاد الرّافدين والمناطق المجاورة إلى آفاق أخر

عموما، كلّ هجرة تفترض من موقّعيها التخلّي عن مناطق منفّرة (بور الأرض، وشحّ الماء، وتصحّر وقحط الأقاليم، وظروف معيشة ضنكة، إلخ) وشدّ الرّحال إلى مناطق مضيافة. ولا بدّ لأن يغادر سكّان بلد خصيب

ومضياف حال بلاد الرّافدين وطنهم طلبا للمغامرة من اقتضاء أسباب ملحّة[1]:

- عوامل تكاثريّة واجتماعيّة : لقد أفضت نسبة المواليد العالية إلى فائض سكّانيّ، مرفوق بتزاحم العائلات على التفوّق في المدينة والإقليم. "فالعشيرة" الأقوى أو الأقدر يمكن أن تستدرج لإقصاء الأضعف من المجتمع وتحكم عليها بالهجرة، وهو شكل آخر من النّفي أو الطّرد؛

- عوامل صحيّة : فقد يحدث من وقت لآخر أن ترد أوبئة أجميّة في بلاد الرّافدين (بخاصّة في سهول المستنقعات)، مثل تلك التي أصابت في عهد نبوندا، آخر ملوك بابل (القرن السّادس قبل الميلاد) وكذا أوبئة الطّاعون؛

- عوامل مناخيّة (أو طبيعيّة، بصفة عامّة) : قد يكون تغيّر المناخ، وأمطار غزيرة مؤدّية إلى فيضانات، سببا في مغادرة أهال نحو أراض أخر. كما أنّ هناك نوع ثان من الكوارث، كالزّلازل المتكرّرة، وحرائق الغابات، إلخ.؛

- عوامل سياسيّة : فحينما تستحوذ ممالك بلاد الرّافدين على بلد أو منطقة، فإنّ ملوكها يتبعون الأهالي المهزومين ناقلينهم إلى مناطق أخر، ويحلّون مكانهم جماعات بشريّة قدمت من مناطق مختلفة. وقد اعتادت المملكة الآشوريّة هذا السلوك؛

- عوامل تجاريّة : لقد عُرفت مناطق الهند، ومناطق شرق وغرب جنوب شبه الجزيرة العربيّة منذ أمد سحيق، بوجود موادّ مطلوبة لممارسة طقوس العبادة، أو لاستخدامها في الطّبخ (بخور ونباتات عطريّة وصبر وخشب الصّندل والصمغ العربيّ وجوز الطّيب والقرفة، إلخ.) على أرضها، كما اشتهرت أيضا هذه البلدان بثرائها المعدنيّ (ذهب وأحجار كريمة في ظفر وعمان واليمن والهند، والفيروزج في سيناء، إلخ.) وكذا بما تزخر به من مستخرجات بحريّة (لؤلؤ البحرين والمرجان والإسفنج، إلخ.)؛

1. لقد حدثت هجرة أهال من بلاد خصيبة، اليمن، نحو مناطق شبه صحراويّة : الغساسنة في شمال شبه الجزيرة العربيّة (حوران)، واللّخميّين على الحدود الشرقيّة لبلاد الرّافدين، على سبيل المثال.

- عوامل عشائريّة : كتلك التي نقف عليها في القديم، إذ يكون النبيّ نوح -عليه السّلام- (أو أحد أولاده) قد أمر بعضا من سلالته بالهجرة نحو نواح أخر لإعمار الأرض (بعد الطّوفان)[1]، أو التماسا لأقوات جديدة أو ميلاد شعوب جدد : ونحن نتذكّر أنّ عابر (واحد من أحفاد نوح -عليه السّلام- من الجيل الثالث) هاجر وعبر الفرات (كما يدلّ اسمه) وأتاح لأسرته الاستقرار في اليمن مع واحد من أولاده، وهو قحطان (يقطان حسب "الكتاب المقدّس")، وهو سلف القحطانيّين[2].

وكذلك للعوامل نفسها. بعدها بكثير، الملك الفانقيّ الذي ألزم أبناءه (قادم وإخوانه) بأن يذهبوا ويؤسّسوا مدنا في بلاد الإغريق وفي بلاد الأطراك وإليريا. فأسّس قادم طيبة (إقليم بيوتيا) قبل مغادرة بلاد الإغريق نحو المناطق الأذريَويّة (إليريا).

- عوامل دينيّة : وهذه العوامل قد تكون جوهريّة. فبوسع عقوبة إلهيّة أن تسلّط نفيا وهجرة على أهال، في عهد ما بعد نوح، نحو أراض صحراويّة وغير ذي زرع، عقوبة على وثنيّتهم وكفرهم، في حين أنهم كانوا يعيشون في رخاء وأمن، ويتمتعون "ببساتين مدهامّة غنّاء، وينعمون بكلّ أنواع الفواكه"[3]. ويمكننا ملاحظة المفارقة الكامنة، في آي كثير، بين النّار والغيث، وبين الجنّة والسّعير، وبين الظّلّ والحرور، إلخ.

زيادة على هذا، فقد شرّع القرآن (سورة النّساء-الآية : 97) للأفراد والعوائل أو الأهالي -في حال جور الحاكم، واستبداده أو إكراه المؤمنين على

---

1. جبل الجودي (الاسم العربيّ لأرارات) . ليس بعيدا عن أعلى بلاد الرّافدين، وبالتأكيد هو الجبل الذي رسا عليه فلك نوح -عليه السّلام-، حسب ابن حوقل في " تصوير الأرض" (الصفحة : 224).

2. عابر، هو اسم من الجذر ع. ب. ر. الذي يعني "مرّ، اجتاز نهرا"، في حين تعني الكلمة عبر" شاطئ، حافّة، ضفّة".

3. لقد بيّنت بوضوح الآيتين السادسة عشر والسّابعة عشر من سورة سبإ هذه العقوبة، التي طالت "أهالي سبإ" : ﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليهمْ سَيْلَ العَرِمِ وبدّلْناهم بجنّتيهمْ جنّتيْنِ ذَواتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وأثْلٍ وشيْءٍ مّن سدْرٍ قليلٍ {16} ذلك جزيْناهُم بمَا كَفَروا وهلْ نُجازِي إلاّ الكَفُورَ {17}﴾.

الارتداد عن عقيدتهم أو تعطيل عبادتهم (التوحيديّة)- أن يهاجروا إلى مناطق أخر مضيافة. وكانت هذه الحال مع النبيّ إبراهيم -عليه السّلام-، وهو مدنيّ في الأصل وأصبح وظلّ بدويًا بعدها. وإبراهيم ذاته -عليه السّلام- الذي نعت في "الكتاب المقدّس" ("سفر التكوين") بالعبريّ أي البدويّ העברי לאברם توافقا مع ترجمة السّبعين، التي تورد لنا إبراهيم العَبَري "إبراهيم البدويّ". وهنا يسعنا أن نؤكّد معنى اسم عابر(أبي قحطان) وهو " بدويّ"[1].

3. أولى الهجرات العروبيّة وتسلسلها الزّمنيّ

خلال الحقبة الممتدّة ما بين الألفية الخامسة والثالثة قبل الميلاد، تقاسم عالمان عربيّان مجموع البلدان الآهلة بالناطقين بلغات عروبيّة :

- بالنسبة للأهالي متكلّمي لغات عروبيّة-حاميّة : القوقص وأعلى بلاد الرّافدين والأناضول وفانقيا وجزء من بلاد فارس والهند واليمن والحبشة ومصر وبلاد البربر؛

- بالنسبة للأهالي الذين استعملوا لغات عروبيّة-ساميّة : بلاد بابل (أو بلاد الرّافدين السّفلى في الجنوب)، وفارس وغرب الهند وسوريّة والجزيرة العربيّة الصّحراويّة (الوسطى)، وكذا المناطق الشّماليّة لمصر(الدّلتا).

جميع هذه المناطق استعمرها المتكلّمون بلغات عروبيّة الذين غادروا موطنهم الأوّل -ليس ضمن موجة واحدة، بطبيعة الحال، ولكن في موجات هجرات عديدة تتدرّج على مدّ القرون، كثيرة نوعا ما من جهة العدد البشريّ تبعا للعصور والتقلّبات الاجتماعيّة-السّياسيّة، والأحوال الاقتصاديّة أوالدّينيّة لكلّ بلاد أو منطقة-.

إذا كانت المخطوطات المنقوشة أو الكتاب القدامى لا يكادون يستعملون كثيرا مصطلح "عربيّ" لوصف الأهالي من أرومة واحدة، المسمّين باختلاف

---

1. حسب G. Dhorme (في مجلة "الكتاب المقدّس" - سنة 1909)، عابر עבר ينعت " الذي يأتي من ما وراء (النهر) الفرات ". وهو ببساطة المعنى الذي يكتسبه الجذر ع. ب. ر. في العربيّة.

الكلد-البابليّين، والآشوريّين، والكنعانيّين-الفانقيّين والعموريّين والمعينيّين والسّبئيّين، إلخ.، فما ذلك إلاّ لأنهم يقصدون أساسا العرب الحضر، مدنيّين لهم حضارة، وقد انتحل اسم هؤلاء المذكورين أخيرا من اسم مكان أو بلد إقامتهم، أو بالإشارة إلى اسم سلفهم.

لم تصبح هذه الفئات القوميّة عربا (أي بدوا أو أعرابا) إلاّ حين عبورهم "النّهر" (أي الفرات) ليمرّوا إلى داخل الصّحراء العربيّة ("بلاد الأعراب")، إمّا إلى صحراء سوريّة أو العراق، وإمّا إلى صحراء البلاد العربيّة الوسطى أو فلسطين، حيث استقرّوا مستعيضين عن مجتمعهم الزّراعي بآخر رعويّ. وهو التفسير ذاته لكلمة أعرابيّ.

ولا أفضل تمثيلا من النموذج الذي يقدّمه المصريّون، حيث أطلقوا تسمية حكّام الهكسوس أو "الملوك الرّعاة" على إحدى موجات الهجرات الوافدة لبلادهم، قدوما من صحراء سوريّة.

وقد استخدم مصطلح الهكسوس لأوّل مرّة من طرف مانيطون : وهو ترجمة للكلمة المصريّة حتا نا سو "الملوك البدو". وقد كان هؤلاء أسياد الدّلتا نحو ثلاثين وسبعمائة وألف (1730) قبل الميلاد. وطردوا من مصر نحو ثمانين وخمسمائة وألف (1580) قبل الميلاد. وتعود بداية انتشار هؤلاء الرّعاة في البلاد إلى القرن التاسع عشر، وقد دخلوا ضمن موجات متتابعة. وقد وصفهم بعض المؤلّفين بعرب قدموا من الشّرق، وبقوا في الحكم مائة وواحدا وخمسين سنة قبل أن يحاربهم الملوك الطّيبيّون. وذحروا وأتبعوا من مصر، وانقلبوا نحو سوريّة وبلاد كنعان، حيث أسّسوا قرية يابوس (المسمّاة فيما بعد أور سلام).

يعتقد سليم حسن في كتابه "مصر القديمة" أنّ الهكسوس انحدروا عن أهال مختلفين من سوريّة وبلاد الرّافدين، بتفوّق العنصر العربيّ (عموريّين وكنعانيّين وأرميّين ...). وقد قدّم جورجي زيدان في كتابه "تاريخ العرب قبل الإسلام" حججا كثيرة لغويّة وغير لغويّة تشفع لعروبتهم، وقال بأنهم

أرميّون. وهو ما يؤكّده شارويم بذكر نصوص لعلماء الآثار (ومنهم درايتون)، الذين استقرأوا أشكال الرّسومات على القطع الأثريّة القديمة. من أنّ عدد موجات الهجرات هذه كان مهمًا.

يقدّر مؤلفون آخرون، اعتمادا على الوثائق المصريّة القديمة التي تشهد بأنّ الهكسوس، الذين أدخلوا الفرَس والعربة إلى مصر كما أدخلوا صناعة القلز والحديد وطوّروا الزّراعة، ليسوا بدوا : يحتوي اسمهم على كلمة "سوس" أو "ساس"، وهي كلمة تعني "فرس" في الكنعانيّة أو المصريّة، في حين أنّ الجذر "ساس" في العربيّة يعني "احتفى، اعتنى (بفرس)". كما يعني أيضا "حكم (شعبا)". وتسمية "هكسوس" هذه تترجم إلى "الملوك الفرسان".

وحسب شارويم وسليم حسن وأحمد كمال، الذين نقلوا المخطوطات الأثريّة والوثائق المصريّة، سمحت تدفّقات الهجرات هذه للّغة السّوريّة من أن تتأصّل وتزدهر في مصر (في وسط وأسفل مصر). وتشير المخطوطات الشّماليّة المصريّة إلى أنّ مهاجري مناطق الهلال الخصيب تبنّوا تقاليد وعبادات المصريّين؛ فقد حصل تمازج قوميّ وتبادلات ثقافيّة بين البلدين.

كتب المطران دابس في كتابه "تاريخ سوريّة" أنّ : « لم تتبرّم القبائل العربيّة في سوريّة من سلطة الهكسوس قط، بفعل اشتراك اللّغة والدّم من جهة، والثّراء الذي حثّ على التّجارة بين سوريّة ومصر من جهة أخرى؛ كما أنّ أهال كثر هاجروا إلى مصر، وبخاصّة زمن الجدب والمجاعة».

وصرّح G. Lebon[1] بأنّ : « يحتمل أنهم عمالقة انضموا إلى بدو سوريّين، اجتاحوا مصر ألفي (2000) سنة قبل الميلاد، بلقب الملوك الرّعاة، حيث بسطوا نفوذهم خلال قرون كثيرة ». بهذا الوعي، يتوافق هذا المؤلف مع المصريّ مانيطون، الذي أشرنا إليه أعلى السّياق.

1. في كتابه " حضارة العرب".

تثبت استشهادات المؤلّفين -القدامى والمعاصرين- المختلفة هذه، حيال الهكسوس، الذين كان قدومهم مصر في بداية الألفية الثالثة (أو نهاية الألفية الثانية) قبل الميلاد، أنّ موجات الهجرات القادمة من الشرق (مناطق الهلال الخصيب) لم تنقطع طيلة جميع هذه الألفيات : فهجرة الهكسوس كانت تسلسلا منطقيا لتدفّق الهجرات، التي انطلقت من بلاد الرّافدين ومن سوريّة ألفيّات كثيرة فيما مضى من جهة، ومن جهة أخرى هذه الأفواج البشريّة المتنقّلة كانت مكوّنة أساسا من رعاة-بدو، "أعراب"، بخاصّة زمن "المجاعة والقحط"[1]. كما نسجّل أيضا، مدى وقْع التبادلات الثقافيّة والدّينيّة بين أهلين متقاربين قوميا ولغويا.

موازاة للمصطلح "عربيّ"، من الجذر : ع. ر. ب. -الذي قدّمنا دلالته- يمكن إيجاد مرادفه المركّب من الأصوات ذاتها، وهو المصطلح "عبريّ"، من الجذر ع. ب. ر.، الذي معناه "يعبر ويجتاز (نهرا)". وبهذا الصّدد، أشار "العهد القديم" مرّة واحدة ("سفر التكوين") إلى إبراهيم بوصفه عبريّ، أي مهاجر قدم من بلاد الرّافدين واستقرّ بكنعان، بعد عبوره الفرات (قد رأينا ذلك في العنوان المدرج سابقا). يبيّن لنا "الكتاب المقدّس"، في جميع الصّفحات المكرّسة لذكر إبراهيم -عليه السّلام-، أنّ ابن العرب هذا (بابليّ) كان "بدويا لا ينفكّ يغيّر المقام، مصطحبا قطعانه"، على عكس ابن أخيه لوط -عليه السّلام-، الذي سكن المدينة.

كتب سليم حسن : .حسب رسائل تلّ العمارنة، كان العبيرو (العبرانيّون) الذين دخلوا مصر -بكثافة- جزءا من اجتياحات الهكسوس. وقد هاجرت عائلة يعقوب -عليه السّلام- (بنو إسرائيل) التي كانت حليفة لهؤلاء العبيرو في فلسطين وسوريّة، بعد أن استولى الملوك الهكسوس على الحكم في مصر، نحو

---

1 . يشير القرآن (الآية السادسة عشر من سورة يوسف)، إلى القحط الذي حلّ بالشرق الأدنى، في عهد النبيّ يوسف -عليه السّلام- ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم، كان الأمين الكبير لمصر : قدم إخوة يوسف -عليه السّلام- وكذا أفواج أخرى كثيرة، من فلسطين، في قوافل (الآية : 82) ليميروا من حبّ وادي النيل.

مصر كسائر موجات الهجرات العروبيّة. وقد تطوّرت هذه العائلة (بنو إسرائيل) وتضاعفت، وأصبح اسم العبرانيّين بعدها يخلط معها... ».

كما أنّ اسم عابر هو كتابة ثانية لمصطلح عَبَرِيّ. وكان سام سلف عابر (في الجيل الثالث)، وهذا الأخير سلف إبراهيم -عليه السّلام-. وحسب تسميته، كان عابر بدويًا، قدم من ما وراء الفرات (بلاد الرّافدين) -عكس ابنيه فالج ويقطان، اللّذين أصبحا حضرا. قحطان-، اسم سلف القحطانيّين، اسم ذو علاقة بالجفاف (جفاف بلاد) أو احتباس الغيث (قحط)، لقب أثيرٌ عند البدو كما يعني أيضا الجذر ق. ح. ط. "ضرب شخصا بقوّة".

يتبدّى بالتالي أنّ عابر، بعد اجتيازه النّهر (أو البحر) هاجر نحو اليمن أين استقرّ ابنه قحطان، مؤسّسا القحطانيّين. ويحمل أخوه (الابن الآخر لعابر)، فالج، اسما عرّفه الكتاب المقدّس «إذ كانت الأرض في زمنه مقسّمة». وهو معنى الجذر العربيّ ف. ل. ج. : "التّشطير إلى جزأين والتّقسيم"، كما أنّ لهذا الجذر دلالة أخرى : "الذي يحرث الأرض، الذي نصره اللّه"، وهي دلالة تتوافق مع بداية تحضّر هؤلاء البدو، الذين راحوا يفلحون الأرض، كقحطان واليمنيّين - أين كانت المناطق غنيّة وخصيبة-.

بالإشارة إلى الترادف الملحوظ بين الجذرين ع. ر. ب. و ع. ب. ر. ("عربيّ" و"عبريّ"، على التّرتيب)، نستخلص أنّ اسم عابر يمكن أن يتحوّل إقلابا، إلى عارب أو عرب[1]. وإذا كانت شواهد كثيرة تورد يعرب كأوّل متكلّم بالعربيّة (يعرب هو الشكل العربيّ الجنوبيّ لاسم عرب[2]، كما توضّحه الأسماء اليمنيّة المبدوءة بالحرف يو أو يا)، فبوسعنا استنتاج أنّ اللّغة العربيّة (العربيّة الجنوبيّة) -نسيب قريب ولكن مختلف عن الأكاديّة-البابليّة- ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربيّة خلال جيل قحطان، بن عابر.

---

1. كذا بالنّسبة للاسم يقطان (حقطان)، الذي تحوّل إلى قحطان (حروف مشتركة ق أو ك، ح، ط).
2. حسب Z.S. Harris في كتابه " قواعد اللّغة الفانقيّة". عرب، لقب فانقيّ.

والقمين بالتنويه، أنّ هناك علاقات وتبادلات بين اللّغة العربيّة الجنوبيّة (لغة عربيّة-حاميّة) واللّغة العربيّة الوسطى، لأنّ أهال بدو استقرّوا في اليمن فصاروا حضرا، في حين عاشت قبائل مصاهرة لعائلات حضريّة من البلاد العربيّة السّعيدة كرعاة. وهكذا سكنت قبيلة خولان اليمنيّة التضاريس المرتفعة في جنوب الحجاز (البلاد العربيّة الوسطى)؛ وأقامت القبيلة القحطانيّة لبني جرهم في مكّة المكرّمة، زمن إسماعيل -عليه السّلام-، وهي ذاتها التي منها اتخذ نجل إبراهيم زوجا.

حسب عبد العزيز سالم[1] : ، تورد الرّواية أنّ أوّل قاطني الحجاز (منطقة تضمّ مدينتي مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة) هم العمالقة، وكان شيخهم هو سُميداع بن هوبر بن لاوي، نحو سنة ستمائة وألفين (2600) قبل الميلاد ، وقريبا من زماننا، في عهد محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- كان "أنصار" الرّسول محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- من أهالي المدينة وهم من أصل عربيّ جنوبيّ، ومن بينهم أفراد قبيلتي الأوس والخزرج.

لقد أدّى تجاور مناطق وسط الجزيرة العربيّة لمناطق جنوبها، وبخاصّة التبادلات الاجتماعيّة-الاقتصاديّة والأسريّة، إلى أنّ اللّغتين العروبيتين (العربيّة الوسطى والعربيّة الجنوبيّة -على الرّغم من انتمائها إلى فرعين لغويين مختلفين حسب تصنيف مؤلّفين كثر-)[2]، غير متباعدتين جدّا لسانيّا، بصفة خاصّة. عموما جميع هذه اللّغات العروبيّة تتشابه ويدرك خاصّة المسافرون والتجار والملاحون هاتين اللّغتين، نوعا ما حسب العصور والنواحي. وقد وضّح بجلاء[3] E. Dhorme الصّلة النحويّة والمعجميّة القريبة بين العربيّة الفصحى والبابليّة في عهد حمو-ربي.

---

1. مصدر سبق ذكره.

2. حسب Ph. Hitti ، ديدار المشار اليه في "الكتاب المقدس"، كان مركزا سكنيا وتجاريا مهمّا للسبئيّين في شمال شبه الجزيرة العربيّة، يبدو أن مملكة سبإ، في ذروتها تحكّمت في طرق الشمال، عبر الحجاز إلى غاية بوابات البحر الأبيض المتوسّط، وطنت على طول هذا المحور مستعمرات سكّانيّة.

3. مصدر سبق ذكره.

1.3. الهجرات العروبيّة

من مشهد تدفّق هجرات أهال ناطقين بلغات عربيّة-حاميّة من مناطق بلاد الرّافدين العليا والقوقصيّة، وهو التّدفّق حسب المؤلّفين[1] الذي تحرّك في حقبة تنحصر بين الألفيّة السّادسة والخامسة، نحو شمال إفريقيا (بربريا) وأروبا الغربيّة (إيبريا)، يمكن استنتاج أنّ الجذع المشترك للّغات العروبيّة انشقّ إلى فرعين : الفرع العروبيّ-الحاميّ بلغاته المختلفة (كالأكاديّة واللّغات القوقصيّة التي منها الإيبريّة، والمصريّة والفانقيّة والحبشيّة والعربيّة- الجنوبيّة ...)، والفرع العروبيّ-السّاميّ (كالبابليّة أوالكلديّة والأرميّة والعربيّة الوسطى ...). انطلاقا من هذا يمكننا رسم جدول عامّ بموجات الهجرات العروبيّة وحقبها، وهي التّابعة من أعلى بلاد الرّافدين والقوقص.

1.1.3 الحقبة الأولى

أ/ نحو الغرب والجنوب الغربيّ

خلال مدّة تمتدّ على ألفيات كثيرة، اندفع سكّان بلاد الرّافدين والهلال الخصيب (العراق وسوريّة اليوم) نحو الصّحراء المجاورة لأوطانهم. فاستقرّوا في صحاري العراق، وسوريّة، وصحراء البلاد العربيّة الصّخريّة وشمال الحجاز، وانتشروا على كافّة شبه جزيرة سيناء، بوّابة مصر. وأصبحوا بالتّالي بدوا أي أعرابا.

وقد ألجأت الضّرورة، هؤلاء العرب البدو -على مرّ القرون- لأن يتأقلموا مؤسّسين مجتمعات أبويّة، منقسمين إلى شعوب وقبائل، لكلّ واحدة من هذه العشائر، إقليم محدّد. وقابليّة الاستقرار في هذه المناطق الصّحراويّة تعود أوّلا لأنّ هذه القبائل لم تقطع البتّة الوشيجة التي تربطها مع مجانسيها في الشّمال وتصلها بالإخوان الذين ظلّوا حضرا، ثمّ كنتيجة لتضامن عائلات القبيلة

1. انظر كتابنا " إيبريا وبربيريا".

نفسها فيما بينها والقبائل من الشّعب ذاته، ونهاية وبخاصّة تواجد مواقع الماء (ينابيع وآبار) وإنشاء واحات، كانت جزرا مدهامّة في خضمّ بحر من الرّمال. هذه الواحات التي هي ضيعات حقيقيّة في قلب الصّحراء، كانت معلم الاجتماع للبدو ومرفأ فعليًا بعد رحلات الانتجاع الطّويلة. وتؤمّن للبدو التمور، غذاءهم الأساس، كما تسمح لهم بالتّلاقي وتبادل أخبار عائلاتهم القريبة والبعيدة، وعقد أسواق ومهرجانات تجاريّة أو شعريّة، والتئام اجتماعات ذات طابع دينيّ عقائديّ -في عهد الأشهر الحرم خصوصا- قاطعين بذلك "رتابة" المجتمع الرّعويّ كلّ سنة ببضعة أيّام.

طبيعيّ أن لا يسعف شظفُ العيش في الصّحراء الأضعف؛ فبالتالي تختفي بعض القبائل إمّا تحت طائلة أثر الاصطفاء الطّبيعيّ وإمّا بالاندماج في قبائل أخر أشدّ قوّة، أو بالهجرة إلى فضاءات أرحم، نحو وادي النّيل أو جنوب شبه الجزيرة العربيّة.

ب/ نحو الجنوب

مراوحة للمدّة نفسها، نزلت بعض العائلات جهة الجنوب (المناطق السّاحليّة للخليج العربيّ)، ونحو السّاحل الهندي أو السّواحل الشّرقيّة لشبه الجزيرة العربيّة (البحرين أو عمان الحاليّة) -إمّا عن طريق البرّ بمحاذاة السّاحل، أو عن طريق البحر- وصولا إلى جنوب شبه الجزيرة العربيّة (حضرموت واليمن) أين تتوافر الظّروف الملائمة لدعتها، وبخاصّة منها الماء الوفير (هواطل مهذارة).

كان هؤلاء المهاجرون على عكس إخوانهم الذين اندفعوا نحو الصّحراء، قد تحضّروا في مناطق جنوب شبه الجزيرة العربيّة وأنشأوا حضارة بالاسم نفسه. وربطوا صلات من جميع الأنواع مع المهاجرين الذين كانوا مستقرّين في الأقاليم السّاحليّة للهند، وبخاصّة في مجال التّجارة. وأصابوا

رخاء هناك، بفضل زراعة مزدهرة وتبادلات تجاريّة ثمينة ومربحة مع البلدان الجارة ممّا وراء البحر.

ج/ نحو الشرق والجنوب الشرقيّ

موازاة لموجات الهجرات المحاذية لساحل شبه الجزيرة العربيّة انحدارا نحو الجنوب، هناك أهال مهاجرون آخرون كانوا يسلكون السّاحل الشّماليّ للخليج العربيّ-الفارسيّ وصولا إلى المناطق التي شكّلت فيما بعد بلاد فارس. وعبر بعض من هؤلاء الأهالي بيسر مضيق هرمُوز (إذ يفصل السّاحل العربيّ عن الفارسيّ اثنا عشر كيلومتر فحسب) ليلتقوا بإخوانهم الذين يسلكون الطّريق البرّيّ في الجنوب (جهة عمان). وآخرون يواصلون هجراتهم نحو الجنوب وصولا إلى بلاد السّند : واستعمروا الهند الغربيّة، وأيضا في أقصى الجنوب، سلسلة الجزر على عرض البحر من السّاحل الغربيّ للهند (أرخبيل الدّيبة "المالديف" وأرخبيل الكالديف وجزر خوريا موريا، إلخ.).

وهكذا استمرّت اللّغة العربيّة الجنوبيّة في جميع جزر المحيط الهندي هذه، بعد مجيء الإسلام (في المهرة وسقطرى بالخصوص، حسب Ph. Hitti).

وقد كانت هناك مستعمرات عربيّة عدّة في السّند (باكستان الحاليّة) ومراكز نفوذ تجاريّ على طول السّاحل الغربيّ للهند، يشرف عليها تجّار عرب يموّنون السّفن اليمنيّة بالتوابل والبخور والنّسيج والسّيوف وموادّ هنديّة ثمينة أخر. ومثلها كانت في الغرب[1] التبادلات التجاريّة التي سنذكرها خلال الحقبة الموالية، بين اليمنيّين وأقاربهم وأصهارهم المقيمين في الحبشة.

---

1. نلاحظ التطابق التاريخيّ والسّياسيّ، بصرف النظر عن العلاقات التجاريّة المذكورة، بين اليمن والحبشة من جهة، واليمن وبلاد فارس، من جهة أخرى. وجّه اليمن مستعمرات سكّانيّة نحو الحبشة، الفيّات كثيرة قبل العهد المسيحيّ، في حين أنّ الأحباش غزوا اليمن، في القرن السّادس للميلاد. ووصلت موجات الهجرات العروبيّة إلى بلاد فارس، الفيّات كثيرة قبل الميلاد، في حين أنّ الفرس (ذوي لغة هنديّة-أوروبيّة) أدخلوا اليمن ضمن الفلك الإيرانيّ، وعوّضوا الأحباش.

وفي الشّرق استقرّت موجات الهجرات القادمة من بلاد الرّافدين في واديي قارون وقرخة، وفي هذه المنطقة الأخيرة، أشهر المدن هي سوسة (في إيران اليوم). وقد أدخل ملك أكاد، سرجون هذه المنطقة في حوزة مملكة أكاد في النّصف الأوّل من الألفيّة الثّالثة قبل الميلاد، أين تتواجد جبال إسكروس. وقد امتدّت مملكة أكاد شرقا حتى ضفاف بحر قصوين (آسيا الوسطى). ونذكّر أنّه في هذا العصر وخلال أكثر من الفي سنة كان الفرس الذين يتكلّمون لغة هنديّة-أروبيّة غائبين عن مشهد التّاريخ، وليس إلاّ بعدها في القرن السّابع قبل الميلاد ظهورهم في هذه المنطقة.

إذا ما عاينّا خريطة استوصافيّة لآسيا الغربيّة، للاحظنا أنّ المناطق السّاحليّة الجنوبيّة للبحر الأسود مجاورة للمناطق الشّماليّة لبلاد الرّافدين. لقد رأينا في بداية هذا الكتاب، أنّ موجات الهجرات العروبيّة انطلقت بعضها من القوقص، منطقة مفصليّة بين البحر الأسود وبلاد الرّافدين من جهّة، وبين البحر الأسود وبحر قصوين من جهة أخرى. كما بيّنّا أيضا في سياق أعلاه، من أعمر الأناضول وساحل البحر الأسود في الألفيّة الثّالثة قبل العهد المسيحيّ.

2.1.3. الحقبة الثّانية

تميّزت هذه الحقبة بموجات هجرات غادرت محطّات الحقبة الأولى نحو آفاق أخر، نحو أراضي ملاذ أكثر ترحيبا. وقد سمح الوفود المكثّف للمهاجرين الجدد في المواقع المستعمرة بإتبّاع القادمين الأوّل في حال كونهم أقلّ نفيرا وأضعف قوّة، وإلاّ تعايش الجميع بسلام. وفي حالة العكس، يتابعون هجراتهم أبعد ما لم يجدوا أرض استضافة ملائمة. وينبغي مراعاة أنّ موجات هجرات هذه الحقبة الثّانية وجدت في أماكن وجهتها أو خلال الطّريق عربا مثل أولئك المهاجرين ممّا سهّل استقرارهم إلى جانب الوافدين الأوائل. وبعد مرحلة طويلة نوعا ما في الزّمان، شجّعهم هذا على متابعة هجراتهم نحو المناطق المجاورة، وهي مناطق تبعد دائما شيئا فشيئا. وبعض القبائل التي

استقرَت في هذه الأماكن تكون قد امتدحت أمام أقاربها وأصهارها الماكثين في المحطّات الأولى ظروف المعيشة الأحسن على أراضيها الجديدة، وكذا الرّقيَ الإيجابيَ لحالتهم الاجتماعيَة.

أ/ نحو الجنوب ووادي النّيل

من بين المهاجرين الذين استقرّوا شمال الحجاز، هاجرت بعض القبائل نحو الغرب (البحر الأحمر)، وأمام هذا الحاجز انحدروا نحو الجنوب مقتفين الطّريق السّاحليَ. عبرت بعض الجماعات البشريَة البحر الأحمر من أماكن غير بعيدة من السّاحل المصريَ وبلغوا وادي النّيل. وقد توطّن الوافدون الأوائل في جزر البحر الأحمر -وهي جزر تستطيل بين السّواحل الآسيويَة والإفريقيَة- وبعدها في إيريثريا والسّودان؛ في حين استقرّ الآخرون على طول وادي النّيل إلى غاية البحر الأبيض المتوسّط.

ونهاية تابع آخرون تقدّمهم نحو الجنوب، محاذاة للشّريط السّاحليَ قرب اليمن الحاليَ. ولم يستطع حضر البلاد العربيَة السّعيدة تقبّل رؤية مشهد موجات البدو تتدفّق على أرضهم، وتسلب محاصيلهم وتنهك حدائقهم، وهم يكتسحون البلاد بقطعان أغنامهم وماعزهم وإبلهم. وبالتالي حرّم وطأ هذه المنطقة على البدو، باعتبارهم جماعة بشريَة هائلة. وهذا الأمر لا ينطبق بطبيعة الحال على الأعراب الذين تربطهم صلات أسريَة مع الحضر الذين يقاسمونهم السّلف نفسه. ولم يبق أمام هذه القبائل حتى لا تبيد إلاّ أن تعبر البحر الأحمر من مضيق باب المندب.

ب/ نحو الغرب وشرق إفريقيا

أصبح اليمن بعد حقبة الهجرة الأولى، دولة منظّمة وآهلة بقوّة، بحيث لم يجد المهاجرون الجدد مكانا يستقرّون به، أو رفضوا وطردهم الأهالي المحلّيون، فما من خيار بحوزتهم سوى الإبحار لموافاة السّاحل الإفريقيَ القريب، ساحل يفتح ذراعيه مرحبا ومستقبلا. وهكذا عبروا باب المندب -الذي يبلغ عرضه حاليًا سبعة عشر ونصف كيلومتر-، ومن بُعد كهذا يمكن إبصار السّاحل

الإفريقيّ مَميزا، وانطلاقا من السّاحل العربيّ. اجتاز البدو بجرأتهم ونكهة المغامرة، ممتطين إرادة الحياة القويّة، بسهولة هذا الامتداد من الماء الأجاج، مرفوقين بعوائلهم وقطعانهم، على متن قوارب صغار.

وسنرى فيما يستقبل من الفصول، المكرّس للملاحة عند العرب، أن لا سلطان لخوف البحر عليهم. البحر بالنّسبة لهم صحراء ثانية. بالصّفة نفسها، غير أنّ الرّمل يستبدل بالماء.

وهكذا رسوا على السّاحل الشّرقيّ لإفريقيا، في الحبشة، أين استقرّوا. وتفرّقوا في الصّومال والحبشة والسّودان الحاليين، أين وجدوا الصّحراء نفسها وظروف المعيشة عينها التي في "بلاد الأعراب"، الجزيرة العربيّة. وفضّلت جماعات بشريّة أخرى أكثر إقداما مواصلة هجرتها نزولا مع النّيل، أين التقوا عربا آخرين، قدموا مباشرة من الحجاز (عن طريق البحر).

توزّعت كلّ هذه الجماعات البشريّة على طول وادي النّيل، حتى الدّلتا على البحر الأبيض المتوسّط أين تواجد إخوان من العرق من "الجيل" الأوّل، قدموا مباشرة من سوريّة أو من بلاد الرّافدين، أو من أبعد من ذلك.

إنّ طريق الشّمال هذه، تحديدا من القوقص -عبر القطر ما بين النّهرين- من تبعها، على مرّ قرون كثيرة فيما خلا، المهاجرون الآسيويّون الذين أهلوا شمال إفريقيا (بربريا)، وأروبا الغربيّة (إيبريا) وهم مهاجرون يتكلّمون لغات عروبيّة-حاميّة. إنّ طريق الشّمال هذه، تحديدا من شمال شبه الجزيرة العربيّة هي من سيسلكها، ألفيات من بعد، معتنقو الدّين الحنيف، الذين هم المسلمون، تقصّدا لبلوغ المغرب وإيسبانيا، عبر مصر.

3.1.3. الحقبة الثالثة

إذا ما تكلّمنا عن الحقبة فيما يتعلّق بموجات الهجرات العروبيّة، فمناط كلامنا حيّز زمنيّ لا يحسب بالأجيال وإنّما بالألفيّات : تمتدّ الحقبتان، الأولى

والثانية على ألفيّات مديدة، أي حتى نهاية الألفيّة الرّابعة أو بداية الألفيّة الثالثة، فيما يسبق العهد المسيحيّ. وقد صرّح Ph. Hitti أنّ : « لقد تتابعت الهجرات، الواحدة عقب الأخرى، دونما انقطاع (حيث دامت بعضها، مستمرة إلى غاية ألف سنة) »[1]. وحسب أطروحته، لقد تدفّق فائض الجنوب البشريّ نحو الشّمال.

وبداية من الألفيّة الثالثة قبل العهد المسيحيّ، صفا الأفق أكثر، فالمؤلّفون الذين تحدّثوا عن هذه الحقبة أغزر تعاطيا والكتابات أكثر ثقة وقلّ الجدل حولها -بخاصّة حينما دعّمت بمنقوشات أثريّة (أكاديّة ومصرية بدرجة أولى)-.

وبعد الحقبة الأولى التي شهدت توجّه التنقّلات الكثيف لأهال نحو الجنوب انطلاقا من بلاد الرّافدين، فاليمن هي من سيصير نقطة انطلاق أساسة جديدة لازدراع الجماعات البشريّة، وهذا الطّور نحو اتجاهات أخر، هي الغرب والشّمال بشكل رئيسيّ.

في بداية الألفيّة الثالثة قبل الميلاد شغلت موجات هجرات منحدرة -فيما يبدو- من المناطق السّاحليّة لجنوب الجزيرة العربيّة[2]، موطنا يمتدّ من سيناء إلى غاية شمال سوريّة، شاملا فلسطين ولبنان الحاليتين، الكيان الإقليميّ الذي سمّي ببلاد كنعان أو فانقيا. وفي هذه الحقبة يلاحظ قيام الممالك الكبرى، مثل المملكة الأكاديّة، في مناطق بلاد الرّافدين والمناطق المحيطة بها، وهي المملكة التي يصفها المؤلّفون بمملكة "منافسة" لمملكة مصر. وقد حدّد المؤرّخون، تاريخ أوّل سلالة ملكيّة للمملكة المصريّة، نحو خمسة آلاف سنة (5000) قبل الميلاد[3]. إنّها هذه المملكة النيليّة، من سيتلو ممالك وادي النّيل (مملكة الشّمال ومملكة الجنوب)، وهي ممالك تأكّد وجودها خلال الألفيّة السّادسة.

---

1. في كتابه "تاريخ العرب".
2. حسب أرواذوت، ينحدر الكنعانيّون (الفانقيّون) من أصول البلاد العربيّة السّعيدة، ولغتهم هي فرع من اللّغة العربيّة الجنوبيّة.
3. لقد أشير إلى تواجد للمملكة السّومريّة، في بلاد الرّافدين السّفلى، بداية حوالى أربعة آلاف سنة (4000) قبل الميلاد، وقد احتوتها فيما بعد المملكة الأكاديّة.

وهكذا، في بداية هذه الألفيّة الثالثة ظهرت مملكة (أو إمارات) فانقيا. في هذا العصر، كانت الحضارة الفانقيّة متألّقة، ممّا يفترض أنّ الفانقيّين كانوا موجودين في البلاد التي تحمل اسمهم، سابقا لهذا العهد. أو أنّ هؤلاء الفانقيّين أنفسهم الذين لم يكونوا أهال أصليّين في كنعان، جلبوا حضارتهم من منطقة أخرى كانوا أقاموا بها أوّلا.

قد قدّم مؤلّفون آخرون فرضيّة مصدر استوصاقيّ-أرضيّ آخر غير العربيّ الجنوبيّ، للفانقيّين، معتبرة أنّهم ينحدرون من السّواحل الشّرقيّة لشبه الجزيرة العربيّة، بالتّحديد من أقاليم البحرين وعمّان (الخليج العربيّ). لا تتعارض هذه الفرضيّة أبدا مع الأولى، التي ينافح عنها أروادوت ومؤلّفون كثر آخرون، قدامى ومحدثون، وهي الفرضيّة التي تردّ أصل الفانقيّين إلى البلاد العربيّة السّعيدة. وما ذلك إلاّ لمبرّرات عدّة :

- حينما تحدّث أروادوت عن البلاد العربيّة السّعيدة، هذه المنطقة، في تفسيره القديم لها، لا تتحدّد فقط باليمن الحاليّ، ولكن تشمل كلّ السّاحل الغربيّ للخليج العربيّ (أو الفارسيّ)، من الكويت جهة الشّمال، إلى غاية رأس الحدّ جهة الجنوب (عمان) مرورا بالبحرين.
- لقد مرّت موجات الهجرات التي توزّعت، من مناطق بلاد الرّافدين إلى غاية أقصى جنوب شبه الجزيرة العربيّة، المكتنفة بالمحيط الهنديّ، أثناء تنقّلها، ضرورة بالسّاحل الشّرقيّ لشبه الجزيرة العربيّة، إمّا عن طريق البرّ أو البحر. وقد استقرّ أهال مهاجرون كثر على جميع نقاط هذا السّاحل، في حين واصلت جماعات بشريّة أخرى تقدّمها نحو الجنوب.

كون الفانقيّين قدموا من اليمن ثمّ هاجروا من هناك إلى الشّمال الشّرقيّ لشبه الجزيرة العربيّة، أو كون هؤلاء الفانقيّين عينهم قدموا اليمن بعد استقرارهم في البحرين، عمان، ....، كلّ هذا لا ينتقّص بحال مهاراتهم التجاريّة أو الملاحيّة، ولا يغيّر من وظائفهم كبحّارة-تجّار. فيمكن أن نجد إثر الاكتشافات

الأثريّة التي جرت في المناطق الساحليّة الغربيّة للخليج، أسماء مدن ظهرت مجدّدا في كنعان، بعد قدوم الفانقيّين إلى مناطق البحر الأبيض المتوسّط[1].

- يتكلّم الفانقيّون والعرب الجنوبيّون لغات انحدرت من فرع واحد، هو الفرع العروبيّ-الحاميّ : فهم بالتالي انحدروا أصلا من موجات هجرات واحدة، على غرار مصريّي وادي النيل أو إيبر-بربر الغرب.

- كون هؤلاء االبحارة-التجّار كانوا يسمّون قبل قدومهم كنعان معينيّين[2]، مجانيّين[3]، دلمونيّين، ثموديّين، عمالقة أو أسماء أخر، فمن المؤكّد أنّ الذين سيلقّبون فانقيّين بعدها، حازوا حضارة متألّقة وهم قادمون مباشرة من مناطق جنوبيّة أو شرقيّة (الشرق والشمال الشرقيّ) لشبه الجزيرة العربيّة، أو من المنطقتين معا.

- أورد كتّاب كثيرون (واحد منهم D. Kosambi[4]) وجود علاقات تجاريّة بين وادي السند من جهة وبلاد الرّافدين وجزيرة البحرين (المسمّاة تلمون في كتابات بلاد الرّافدين) من جهة أخرى. ممّا يعني أنّ التجارة مورست على ساحلي الخليج العربيّ (شرقا وغربا)، لا اقتصارا على طريق البرّ ولكن عن طريق البحر أيضا. ووحدهم بحّارة-تجّار مثل الفانيقيّين (أو الكنعانيّين)، كان بمقدرتهم إجراء هذه العمليّات التجاريّة على ضفّتي الخليج[5].

يظهر لنا إذا، أنّ البحّارة-التجار للبلاد العربيّة السّعيدة، الذين كانوا إلى جانب هذا فلاّحين، وسيطروا على مقاليد التجارة في البحر الأحمر والمحيط الهندي، بخاصّة مع الهند وشرق إفريقيا وحتّى الصّين، كانوا يرغبون في

1. يخبرنا سطرابو أنّ جزيرتين من خليج فارس، صور وأرواد، حازتا معابد فانقية. سكّانها من أصول واحدة مع نظرائهم المتوسطيّين.
2. للعينيّون أو المعانيّون، حسب بعض المؤلفين والبقايا الأثرية، كانوا حضورا في البلاد العربيّة الوسطى والشماليّة الغربيّة، قبل استقرارهم بكثير في الجنوب (حيث بدأت المملكة المعينيّة في منتصف الألفيّة الثانية).
3. شكّلت البعثة الأثرية لـ CNRS (باريس) بدقّة صورة جزء من ماض جدّ قديم لبلاد مجان وتكلمت عن تبادلات كانت موجودة بين مناطق الخليج وساحل شبه الجزيرة الهنديّة.
4. في كتابه "ثقافة وحضارة الهند القديمة".
5. لقد حدسنا اعلى السّياق مع دراسة الاسمين ارفخشد، وعملاق، ان العمالقة -الذين شكّل احد فروعهم الفانقيّين- قد وصلوا المناطق الساحليّة للخليج العربيّ (موطن قوم عاد) عبر البحر.

استغلال ثراء بحر الشّمال، الواقع على الجهة الأخرى من البحر الأحمر : يقصد من هذا الأراضي الشّرقيّة للبحر الأبيض المتوسّط، المجاورة لمصر، أراض ليس لها سفن. فقرّروا إرسال أحد فروعهم، وهم الذين سيصبحون فانقا مستقبلا، إلى البحر الأبيض المتوسّط ليضمنوا إشرافهم على هذا البحر من وجهة تجاريّة (في مرحلة أولى). وهكذا نجد مهاجرين، بحّارة-تجّارا وعائلاتهم في كنعان (فانقيا)، لهم مؤهّلات إخوانهم نفسها من جنوب أو شرق شبه الجزيرة العربيّة : الملاحة والتجارة.

ونلمح في هذه الحقبة، في العالم العروبيّ، بحّارة-تجّار آخرين غير أولئك يمنيّي الجنوب أو فانقيّي الشّمال.

ممّا يدلّ على أنّ كلا هذين الأهلين، اللّذين يتكلّمان لغتين متجاورتين، لغات عروبيّة-حاميّة، قد ورثا من رصيد مشترك، فنّ الملاحة مشفوعا بتجارة مربحة. كما فعل العرب الجنوبيّون -يلقّبون بفانقيّي بحار الجنوب بالالتفات إلى قرابتهم الملاحيّة والتجاريّة التي يتقاسمونها مع الكنعانيّين- الذين عرفوا الطّرق البحريّة والنّظام الموسميّ واستطاعوا أن يطوفوا حول شبه الجزيرة العربيّة عن طريق البحر (من الخليج العربيّ إلى خليج العقبة)، سنرى فيما يستقبل أنّ هؤلاء الفانقيّين أنفسهم طافوا حول إفريقيا عن طريق البحر ووصلوا إلى غاية بحر البلط بسفنهم، عبر المحيط الأطلسي وجزر القصدير البيريتانيّة[1]. وتحكّم البحّارة-التجار الفانقيّون عمليّا في العلاقات التجاريّة في جميع بلدان حوض البحر الأبيض المتوسّط خلال الألفيّة الثانية قبل الميلاد.

2.3. المعنى الأصليّ للمصطلح فانقيّ

بالأخذ بكلّ ما سبق، بوسعنا الآن عقد مباحثة حول المعنى الأصليّ للمصطلح القوميّ "فانقيّ"، وهو الموضوع الذي اختلف حوله الكتّاب.

1. انظر أحد كتبنا السّابقة " العرب، أسلاف الجاليّين ؟"

نحن، نتذكّر أنّ فانق، ملك فانقيا هو اسم سلف الفانقيّين. وحسب سلسلة نسب نوح -عليه السّلام- كما يشار إليها في "الكتاب المقدّس" ("سفر التكوين")، كان لعابر -حيث يعني الاسم هذا (عابر) "الذي يجتاز نهرا" (الفرات تحديدا)- ولدان : فالج وقحطان. ولقد رأينا في أعلى السّياق، أنّ الابن الثاني، قحطان هاجر نحو اليمن وأصبح سلف العرب الجنوبيّين أو اليمنيّين أي القحطانيّين، الذين هاجر جزء منهم من جديد ليستقرّوا في منطقة الحجاز (وسط الجزيرة العربيّة).

وبالنسبة للابن الأوّل لعابر، يخبرنا "العهد القديم"، أنّ زمن فالج "قسّمت الأرض": وهو معنى هذا الاسم، ويترجم الجذر ف. ل. ج. "الشّطر إلى اثنين وتقسيم شيء ما، حَرْثُ (الأرض)، ومع اسم الفاعل فالج "الذي يقسّم". والجذر ف. ل. ق. نظير ف. ل. ج، مع تناوب بين القاف والجيم، يحتفظ بالمعنى نفسه.

وفيما يبدو لنا، هذا الجذر (فلج. أو فلق) هو أصل المصطلح القوميّ "فانقيّ"، ولهذا مبرّراته :

1- التسمية "فانقس" هي الاسم الهلاني مرفوق باللاّحقة "س"، وأصله فانق أو فانك.

2- بإبدال حروف اللاّم والنون، نحصل على اسم فالك (حيث يعتبر الاسم فالج أحد كتاباتها).

3- إذا كان قحطان (يقطان المذكور في "الكتاب المقدّس") هو اسم سلف القحطانيّين، فأخوه فالك (فالج) هو سلف الفالكيّين (فانكيّو الإغريق Φοινιξ, ιχος)، أي الفانقيّين (مع تناوب بين حرفي الكاف والقاف).

4- حسب "العهد القديم" ، في زمانه قسّمت الأرض، : تحيل هذه الإشارة حقيقة إلى "تقسيم"، جزء من شبه الجزيرة العربيّة بين القحطانيّين[1] من جهة، والفانقيّين الذين استعمروا المناطق السّاحليّة الغربيّة من الخليج العربيّ قبل أن يستقرّوا في البحر الأبيض المتوسّط (بلاد كنعان) ، من جهة أخرى.

---

1. امتدّت القطاعية البلاد العربيّة الجنوبيّة -أو مستعمراتها- إلى غاية الحجاز وحضرموت.

التقسيم المشار إليه أعلى السّياق هو تفسير لهجرات مختلفة وقعت في حقب متعدّدة، نحو الأقاليم التي استقرّ فيها أولئك الذين سيصبحون قحطانيّين، أو نحو أراض أخر سيستعمرها الفانقيّون[1]. وعلى أيّ حال فهذا التقسيم الفضائيّ ليس منهجيًا، لأنّ البلدان موطن كلّ هذه الأهالي لم تكن منعزلة عن بعض؛ فلقد كان بينها تبادل علاقات وانصهار جميعها بعضها في بعض؛

5- إنّ القرابة بين اللّغة العربيّة الجنوبيّة والفانقيّة (الكنعانيّة) طبيعيّة، لأنهما بنتان من فرع لسانيّ واحد، مثلما أنّ فالج وقحطان أخوان وابنان من أب واحد.

6- فضلا عن هذا، إذا اعتبرنا جذرا مجاورا ف. ل. ك. بتناوب بين الكاف والقاف، هذا الجذر مرتبط من جهة بالكواكب وعلم الفلك، ومن جهة أخرى بالملاحة والبحر، تباعا مع المصطلحات فلك "كرة سماوية، كوكب، علم الفلك" و"فُلْك" أي سفينة، مركب.

جميع هذه المعاني تتناسب مع إحدى الوظيفتين الأساسيّتين للفانقيّين، ألا وهي الملاحة. في الواقع (حسب عبارة عمر"اللّوذيّ") ، هؤلاء الملأحون العظام للبحر الأبيض المتوسّط القديم، ومكتشفو كلّ الأراضي، وأسلاف الملأحين الإغريق ، لم يستطيعوا الوصول إلى المحيط الأطلسيّ، بحر البلط، إلخ. إلاّ بتحكّمهم في مفتاح ملاحة أعالي البحار، الذي هو علم الفلك. فحينما نفتقد إبصار السّواحل، فالفيصل للملاحة الفلكيّة (فنهارا بالشّمس وليلا بالقمر والنّجوم والكواكب). وهو ما يتيح للسّفينة بلوغ وجهتها؛

1. الاستعمار القديم (مثل استعمار الفانقيّين في اروبا او في شمال إفريقيا)، هو قبل كلّ شيء حركة أهال، حدثت بصفة مسالمة وبموافقة سكّان البلد المضيف. لقد كانت نتيجة الاستعمار الفانقيّ في بربريا الانصهار، في جميع الميادين، الانصهار الذي أفضى لميلاد الليبيّين-الفانقيّين. ينبغي الفصل بين هذا الاستعمار"la colonisation (pacifique)" والغلّ والاستغلال"la colonisation (violente)"، والتسلطيّة "le colonialisme" وهو الطرح الذي استقرّ مكرّسوه في اراض اجنبيّة عنوة، باستعباد الأهالي المحليّين (من اجل الاستزادة في الموضوع، انظر كتابنا "إيبريا وبربريا"، صفحتي : 104 و105).

7- يقدّر كثير من المؤلفين أنّ مصطلح "فانقيّ" ذو أصل إغريقيّ وترجمته أحمر أو أرجوانيّ. ولقد تكلّمنا في كتاب سابق[1]، عن جوهر اللّغة العربيّة في اليونانيّة الفصحى، مبيّنين أنّ كلمات كثيرة من معجم لغة الضّاد انتقلت إلى اللّغة اليونانيّة الفصحى. وقد تكون كلمة فانقيّ أو Phoiniks واحدة من الكلمات اللائي انتقلن.

نظرا لشهرة الفانقيّين بصناعة الأرجوان، ذهب الهلأنيّون إلى إطلاق الاسم الأوّل -Phoinikos- على اللّون الأحمر، في لغتهم وليس العكس. ولأنّ الفانقيّين-العروبيّين الأوائل الذين "تعرّف" عليهم الهلانيّون حين غزوا شبه الجزيرة الإغريقيّة -اهتمّوا بزراعة النّخيل، في إغريقيا كما في كنعان، على غرار عروبيّي شبه الجزيرة العربيّة، فقد ذهب الدّوريّون ذوو لغات هنديّة-أروبيّة إلى إطلاق هذا الاسم -Phoinikos- على النّخلة، لا العكس[2].

8- كما أنّ المصطلح القوميّ قحطانيّ (المنحدرمن قحطان، ابن عابر) لاقى قبولا من المؤلّفين، العرب منهم وغير العرب. فالمصطلح فانقيّ القوميّ أو فالقيّ (مشتقّ من فالق أو فالج بن عابر) قد يكون اعتبر أيضا كاسم أصل لهؤلاء الأهالي، وليس ككنية أطلقها الدوريّون-الهلانيّون.

3.3. التسلسل الزّمنيّ المفترض لموجات الهجرات هذه

حسب الكتاب[3]، كان شمال إفريقيا قبل مجيء البيض، مأهولا بأهال سود. وقد حلّ أهالي البحر الأبيض المتوسّط البهق محلّ الأهالي ذوي البشرة الدّاكنة في الصّحراء، بعد أن شغلوا المناطق السّاحليّة. وقد كانت المنحوتات والرّسوم الصّخريّة لشمال إفريقيا وأوروبا الغربيّة (شبه الجزيرة الإيبريّة وجزء كبير من فرنسا الحاليّة)[4] عملا أساسا لشعوب زنوج، صنعةً سبقت الألفيّة الخامسة قبل العهد المسيحيّ. وكان البربر انحدروا من الشّرق ، من الجزء الشّرقيّ لحوض البحر

---

1. "تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة".
2. كلمة نخلة تقابلها phoinix في اليونانيّة (مجانسة "ارجوان").
3. انظر كتابنا "إيبريا وبربريا".
4. إيبريا القديمة حسب أقوال سطرابو، تصل إلى غاية نهر الوردان.

الأبيض المتوسط ، (كما ضبط Ch. A. Julien[1])، على غرار الإيبر. تصنّف لغتهم (الإيبريّة-البربريّة) ضمن المجموعة العروبيّة-الحاميّة، على نحو المصريّة.

وإذا ما اعتبرنا أنّ اللّغة البربريّة هي جارة اللّغة المصريّة، فهي أيضا قريبة اللّغة العربيّة الجنوبيّة. وجميع هذه اللّغات، كما الأكاديّة واللّغات القوقصيّة تضمّ في فرع اللّغات العروبيّة-الحاميّة.

وهكذا ترتسم الخطوط العريضة لاستعمار الشّعوب ذات لغات عروبيّة-حاميّة، من القوقص وأعلى بلاد الرّافدين نحو اليمن ووادي النّيل وإيبريا-بربريا.

يكون إذا هذا الاستعمار السّكّانيّ، في شكله الأساسيّ، قد وصل إلى شمال إفريقيا، نحو الألفيّة الخامسة، وفي وادي النّيل سابقا للألفيّة السّادسة (طريق الشّمال) وفي جنوب شبه الجزيرة العربيّة في الحقبة نفسها، قليلا قبل انطلاق موجات هجرات جديدة من اليمن نحو الحبشة والجزء الجنوبيّ لوادي النّيل (طريق الجنوب)، وهو ما يتطابق مع التّقدّم الفضائيّ-الزّمانيّ لتدفّق الهجرة من الشّرق إلى الغرب ومن الجنوب نحو الشّمال.

يؤيّد رصدنا الزّمنيّ هذا محمّد عزّة دروزة (وعلماء مصر القديمة آخرون)، حيث أشار في كتابه[2] : ، يصرّح المؤلّفون، اعتمادا على المخطوطات المنقوشة بالخطّ المقدّس القديم، أنّه في مصر (في الشّمال كما الجنوب) قد وجدت، قبل المملكة الموحّدة الأولى -الّتي يرقى تأسيسها إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، بالنّسبة لبعضهم، وثلاثة آلاف وخمسمائة لبعضهم الآخر- عدّة إمارات أو ممالك صغيرة. وقد اجتمعت هذه الأخيرة تباعا في مملكتين (مملكة الجنوب ومملكة الشّمال) ثمّ توحّدت ضمن مملكة واحدة، بعد القدوم المكثّف لموجات هجرات عروبيّة قادمة من شبه الجزيرة العربيّة. ومن المنطقيّ القول بأنّ هذا (توحيد المملكتين في واحدة) حصل بعد قرون عديدة. وهو ما يرتقي بموجات

---

1. في كتابه "تاريخ شمال إفريقيا".
2. مصدر سبق ذكره.

الهجرات العروبيّة إلى ستين أو خمس وأربعين قرنا (حسب بعض الأطروحات) قبل العهد المسيحيّ.

أثبت محمّد عزة دروزة، نقلا عن عالم مصر القديمة Breasted أنّ الهجرات الساميّة في مصر، التي يعود تواجدها إلى أصل تأسيس الإمارات، ثمّ تأسيس المملكتين، فواحدة موحّدة في النهاية، حدثت في ماض بعيد من الصّعوبة بمكان تحديده. ثمّ تابع محمّد عزة دروزة مصرّحا أنّ موجات الهجرات العروبيّة طوّعت البلاد بتقسيمها حسب شعوبها وقبائلها. وأمّا الأهالي المحلّيين، فقد أذعنوا، وانصهروا بعد أمد طويل في الأهالي المصريّين الجدد.

ويقدّر عالم مصر القديمة سليم حسن[1] أنّ مينا انحدر من هؤلاء الأهالي الجدد، وقد يكون ملك المملكة الجنوبيّة. ثمّ بعد أن ورث عن أمّه مملكة الشّمال أصبح أوّل ملك للمملكة الموحّدة لمصر.

وفيما يخصّ موجات الهجرات ذات لغات عروبيّة-ساميّة، تمّ انطلاق الاستعمارات نحو بلاد فارس والهند، أو نحو وسط شبه الجزيرة العربيّة وشمال وادي النيل، فعليا في الفترة نفسها، أي سابقا للألفيّة السادسة قبل الميلاد.

يبدو أنّ مصر استقبلت مهاجرين يستخدمون لغات عروبيّة-ساميّة، بأقلّ عدد من أولئك الذين يستخدمون لغات عروبيّة-حاميّة (وهو الحال نفسه الذي ستعرفه بربريا) لأنّ المصريّة (لغة من هذا الفرع الأخير) هي التي سيتكلّمها ساكنو وادي النيل. وهو أمر منطقيّ، لأنّ الرّواية المصريّة تزعم -كما أشرنا أعلى السّياق- أنّه بالنسبة للمصريّين، كانت اليمن (بلاد يتكلّم سكّانها لغة عروبيّة-حاميّة) منطقة مقدّسة وأنّهم ينحدرون منها (حسب ديودور الصقلّيّ، تنحدر اللّغة المصريّة من لغة حمير العربيّة الجنوبيّة).

إنّ هذه اللّغة هي من يضمن الاستعلاء، عالة على حساب لغة عروبيّة-ساميّة، في مصر، وفق منطق الغلبة للأكثر، حيث النتيجة هي التفوّق الاقتصاديّ والهيمنة السّياسيّة واللّغويّة.

---

1. في كتابه "مصر القديمة".

4. جملة القول

يقع الوطن الأولي للمتكلّمين بلغات عروبيّة في أعلى بلاد الرّافدين وفي المناطق القوقصيّة. باكرا قبل الألفيّة السّادسة قبل الميلاد، بدأت انطلاقة موجات الهجرات الكبيرة من هذه المناطق، وأساسا نحو الشّرق (بلاد فارس والهند الغربيّة وآسيا الوسطى)، نحو الجنوب (شبه الجزيرة العربيّة، انطلاقا من بلاد ما بين النّهرين حتّى المناطق السّاحليّة للخليج العربيّ-الفارسيّ وللمحيط الهنديّ وللبحر الأحمر)، نحو الغرب (الأناضول والمناطق السّاحليّة للبحر الأسود وشرقيّ البحر الأبيض المتوسّط إلى غاية دلتا النّيل).

يبدو أنّه في هذه الحقبة، بدأت اللّغات العروبيّة، كلّ واحدة على حدة، يثبّتن فرديّتهنّ : فلقد وصل النّاطقون بلغات عروبيّة-حاميّة إلى ضفاف المحيط الأطلسيّ (بربريا وإيبريا) في حين ظلّ جزء منهم في جنوب القوقص (كرج وأزربيجان الحاليتين)، وفي أعلى بلاد الرّافدين وفي شمال بلاد القوقص (بلاد الشّاشاون وإنجوشيا وأدوغستان الحاليين)، وأمّا المتكلّمون بلغات عروبيّة-ساميّة، فقد استعمروا جميع باقي شبه الجزيرة العربيّة (وتضمّ أسفل بلاد الرّافدين أو بلاد بابل) -باستثناء اليمن، التي شغلها "عروبيّون-حاميّون"- وكذا البلدان المجاورة.

وهكذا سكن شبه الجزيرة العربيّة، مجموعتان بشريّتان تنتمي كلّ واحدة منهما إلى فرع لغويّ مختلف (حسب تصنيف المؤلّفين الأروبيّين) : أعلى بلاد الرّافدين والبلاد العربيّة الجنوبيّة لمتكلّمي لغات عروبيّة-حاميّة، متكلّمين تباعا الأكاديّة والعربيّة الجنوبيّة، في حين أنّ الجزء الباقي من "جزيرة العرب" آل إلى حصّة المتكلّمين بلغات عروبيّة-ساميّة، متكلّمي العربيّة الوسطى (التي يطلق عليها غير ما تسمية : المضريّة، المعينيّة، العاديّة، الحجازيّة ...) في البلاد العربيّة الصّخريّة وفي البلاد العربيّة الصّحراويّة، أو البابليّة في بلاد بابل في أسفل بلاد الرّافدين.

كما تكون اللّغة-الأمّ أو العربيّة المشتركة قد تطوّرت وتحوّلت، إثر هذه الهجرات، مولّدة لغات عروبيّة كثيرة، التي تباينت هي الأخرى، تبعا للتموقع الاستوصاقيّ-الأرضيّ للمواطن التي استعمرها المهاجرون وصروف الدّهر والمحيط والاحتكاك بلغات أخر لأهال دخلاء، وتغيّر المجتمع، إلخ.

والقمين بالملاحظة، هو حقيقة أنّ النّاطقين بلغات عروبيّة لم يصبحوا عربا (أو لم يسمّوا أعرابا) إلاّ بعد مرورهم من حالة الحضر إلى حالة البدو.

يتطابق الجذران عرب وعبر، بشكل ملحوظ : حيث يعني الفعل عبر "اجتاز، قطع (نهرا)"؛ والاسم عبْر له معنى "حافّة، حرف، ضفّة نهر"، في حين أنّ عبّارة تعني "القارب الذي به يجتاز النّهر أو الشّرم". والكلمة عبور تعني "فعل الاجتياز" ويوصف المارّ والمسافر بعابر. جميع هذه الأسماء تعني على غرار الجذر عرب، فعل حركة ومور وترحال.

وضمن هذا السّياق، يلحق اللّغويّون العرب كابن قتيبة في "أدب الكاتب" (القرن الثّالث للهجرة) وابن جنّيّ في "الخصائص" (القرن الرّابع للهجرة) وابن فارس في "الصّاحبي في فقه اللّغة" (القرن الرّابع للهجرة)[1] بمعنى الكلمة الأصليّ نفسه، الاشتقاق نفسه، تناوب الحروف الصّامتة في جذر ما. وهي الحالة التي يمكن إسقاطها على الحروف الصّامتة ع. ر. ب . و ع. ب. ر. على التوالي في الكلمتين "عربيّ" و "عبريّ".

وبالنّسبة لمختصّي فقه اللّغة "السّاميّ"، الكلمتان "عربيّ" و"عبريّ" هما كلمتان عربيّتان كنعانيّتان، تعنيان "بدويّ أو أعرابيّ". ويشير I. Wolfensohn[2] أنّ مصطلحي : عربيّ وعبريّ هما شيء واحد : وقد طرأ تناوب بين المقطعين.

وقد سمّي شبه الجزيرة العربيّة، بخاصّة الجزء الواقع في جنوب الفرات "جزيرة العرب" أو البلاد العربيّة، أي "بلاد البدو"، نظرا إلى الجزء الكبير من هذه المنطقة المتكوّن من أقاليم صحراويّة. ويمكننا ملاحظة تطابق هذا الاسم

---

1. اللّسانيّ "الصّاحب بن عبّاد".
2. في كتابه "اللّغات السّاميّة".

الأخير مع تسمية نظيره الإفريقيّ، نميديا (أي بربريا)، التي عرّفها المؤلّفون كبلاد مأهولة من طرف البدو.

وهكذا، اقتضت الأقدار، أن يضطرّ المتكلّمون بلغات عروبيّة، الذين كانوا حضرا في الأصل ومؤسّسي حضارة كبيرة، حضارة بلاد الرّافدين، للهجرة (بعض منهم) نحو مناطق صحراويّة أين كان ينبغي أن يتكيّفوا مع المحيط المحلّيّ : وأصبحوا بالتالي أعرابا-رعاة. وفي سياق كلامه عن هؤلاء، صرّح Ph. Hitti[1] : «يمثّل البدو في أحسن صورة النّوع البشريّ الأمثل تكيّفا مع وسطه».

والأمر الأهمّ الجدير بالتنويه ها هنا، في منحى موضوعنا، بخصوص المرور من حالة المدنيّة إلى حالة البداوة، هو أنّ وضعيّة الانعزال؛ انعزال الحياة في الصّحراء -في حوجلة- سمحت بالحفاظ على اللّغات العروبيّة في أحسن صور نقائها، بمنأى عن كلّ تبديل أو تأثير لغويّ "دخيل"، على مدّ ألفيات كثيرة، أحسن بكثير من أيّ ظروف استوصافيّة-أرضيّة واجتماعيّة أخرى.

المقارنة، بالنسبة إلى أصالة اللّغة، يمكن إجراؤها مع اللّغة البربريّة التي بقيت، في وجه أعاصير ومدّ وجزر التّاريخ، وظلّت قارّة الأركان وثابتة. فملاذ هذه اللّغة الأخيرة، أساسا، داخل الأقاليم المعزولة والمطوّقة والصّحراويّة أو الجبليّة أتاح الحفاظ عليها ودوامها.

---

1. مصدر سبق ذكره.

الفصل الرّابع

التّـــجارة والملاحـــة

يبدو أنّ أوّل من ابتنى فلكًا في الكون، هو نوح -عليه السّلام- ببناء سفينته التي جرت على مياه الطّوفان لعدّة أسابيع. وحملت السّفينة بداخلها النبيّ نوح -عليه السّلام- (أو "الشّيخ" حسب "سفر التكوين")، وعائلته وأزواجا من البهائم (من كلّ زوجين اثنين).

لقد أنجبت شبه الجزيرة العربيّة، المسمّاة بـ"جزيرة العرب" منذ أقدم الأزمنة، من أجل الخروج من حصارها الفضائيّ شبه الكامل (فهي محاطة بأربعة أبحر) ملاّحين وبحّارة، يبحرون على مجرى الأنهار مجتازين مناطقها : دجلة والفرات في بلاد الرّافدين، وأنهار سوريّة، وفانقيا وآسيا الصغرى. وعبر الطّرق النّهريّة أساسا نقلت الحجارة الثقيلة ذات الحجم من أجل تشييد البناءات الدّينيّة والجنائزيّة (الأهرامات على سبيل المثال)، والقصور الملكيّة والسّدود، إلخ.

لقد كانت المواد النّفيسة -كالنباتات العطريّة والبخور والتوابل والذّهب والعاج، إلخ، التي حقّقت نجاحا وشهرة ومجدا للممالك القديمة- توجّه، إلى الموانئ والمحطّات البرّيّة عبر الطّرق البحريّة. ثمّ إنها هذه الطّرق الرّطبة من دلّ على عدّة مستعمرات سكّانيّة، انطلاقا من جميع المناطق العروبيّة، نحو آسيا الوسطى وإفريقيا وأروبا الغربيّة والشّماليّة (النيل، الدّانوب، البولغا، السّند ...).

وأعطت بلاد الرّافدين بجدارة المثال في عبور المسطّحات المائيّة الصّغيرة المالحة أو العذبة، بفضل توافر الصّفصاف (أرمانيا وأعلى بلاد الرّافدين) والقصب (في مستنقعات بلاد بابل)، وهي النباتات التي أسهمت في صناعة المراكب الخفيفة. كما قد عثر على بقايا مراكب مصنوعة من جلد الحيوانات ومدسورة بالألياف

القنباريّة[1]. ولقد اشتهرت غابات الأناضول وفانقيا واليمن والهند بما تجود به من الأخشاب التي تستخدم في بناء السّفن : فقد اشتهر شجر أرز جبال لبنان (في فانقيا) في ضبط ألواح السّفن الشّراعيّة.

لقد سمح قرب الأراضي الجزريّة، وضيق عرض الأنهار، للإنسان، في مرحلة أولى، بأن يألف العنصر السّائل، وأن يتدرّب على التوّجيه وعلى الترشيد عبر الجزر الصّغيرة والصّخور، في اللّيل كما النّهار. كما أنّ تنقّل البدو في الفضاءات الصّحراويّة الشّاسعة أورث العرب إلف الطّرق اللّيليّة، مهتدين بالنّجوم والكواكب.

لقد أعطت أولى الهجرات العروبيّة، عن طريق البحر، تلك التي عبرت مضيق هرموز (المسافة التي تفصل سواحل فارس عن ضفاف شبه الجزيرة هي اثنا عشر كيلومتر فقط) أو تلك التي عبرت البحر الأحمر (بين ساحل الحجاز والسّاحل المصريّ، مثلا) الفرصة لهؤلاء البحّارة الأوائل أن يؤكّدوا معرفتهم بالبحر والمراكب. ثمّ قاموا بأولى الإبحارات بما يحتمل هذا الاسم من معنى، أبعد وأمعن في المغامرة شيئا فشيئا. ولقد كان حافز العرب في هذه الرّحلات مزدوجا : فمن جهة تأمين نقاط رسوّ لموجات الهجرات العروبيّة في ما وراء البحار، للأسباب البشريّة والحضاريّة التي كنّا ذكرناها في سياق سالف، ومن جهة أخرى، لأغراض أبلغ أهمّيّة ونفعيّة أكثر : هي التّجارة.

لقد استرعى اهتمامَ العرب ما يعتري بعض الأقاليم الثّرية والمموّنة بشكل دائم، من مشقّة بلوغها أو بعد الوصول عن طريق البرّ، أو سلوك طرق غير مأمونة شيئا ما، مع احتمال الغارات، هجومات مسلّحة من طرف المنافسين الكامنين أو ببساطة قطّاع الطّرق، لتجّار سهلي العطب. فضلا عن هذا فسفينة

---

1. النّسر هو خيط القنبار، يستخدم للرّبط بين ألواح السّفينة (جلفطة). حسب رواية أرواذوت المراكب المنحدرة مع الفرات مستديرة وجميعها من الجلد. ذاك أنهم فصّلوا الأضلاع بصقل الصّفصاف الذي ينمو في أرمانيا، أعلى بلاد أشور، ويمدّونها طوقا بالجلد المهيّأ، بشكل يجعله القعر. هذه المراكب مستديرة كالترس، ويثنونها من الباطن بالقصب. وبوسع كلّ واحدة من هذه المراكب أن تحمل حمارا أو علفه حسب حجم المركب.

واحدة محمّلة بالسّلع تحوي شحنة معادلة لعشرات من حيوانات العتالة (بخاصّة الإبل)، بطاقم أقلّ عدد، قياسا إلى تعزيز بشريّ أكثر عدد بكثير بالنسبة للقوافل. ممّا أتاح تقليص النفقات، وبالتالي تحقيق ربح أوفر.

كلّ هذه الاعتبارات المادّيّة والماليّة جعلت من ممارسة الملاحة في الخليج العربيّ والمحيط الهنديّ والبحر الأحمر ثمّ في البحر الأبيض المتوسّط تتطوّر وتكتسي أهمّيّة، فلقد احتكر العرب مقاليد العلاقات التجاريّة البحريّة في العالم القديم (آسيا وإفريقيا) ثمّ في شمال وغرب أروبا على طيلة ألفيات كثيرة.

يقدّر حسن صالح شهاب[1] كاتبا ما يلي : . باعتبار أنّ سواحل الهند وفارس كانت جدّ قريبة من تلك العربيّة (مضيق هرموز) وإمكان عبوره بمراكب ذات وسائل بدائيّة، فمن الرّاجح أنّ العرب هم من قام بهذا الرّبط حينما كان العربيّ قادرا على بناء مركب صيد..

تماما مثلما تبدّو البدو عبر الصّحراء وتوجّهوا اهتداء بالكواكب[2]. فقد كان العرب ملاّحين ابتعدوا في المياه المجاورة لشبه الجزيرة العربيّة، في مرحلة أولى (بوساطة الملاحة الفلكيّة وبيت الإبرة المجانيّة[3] والحساب القياسيّ التقديريّ والمعارف الدّقيقة للرّياح السائدة تبعا لكلّ فصل -بخاصّة في وقت الرّياح الموسميّة-). وبعد ذلك أخذوا يردون بحارا أقلّ إلفا : فقد عرف البحّارة العرب الصّين، في الشّرق، وجلبوا منها الحرير والخزف الصّينيّ، والشّاي، إلخ. كما عرفوا المناطق دون-الاستوائيّة في الغرب، في إفريقيا ... لم تغفل الحضارة العربيّة أن تدبّج في سجلّ رصيدها فنّ الملاحة.

1. في كتابه "فنّ الملاحة عند العرب".

2. لقد سمّى العرب للنجوم اسم حيوانات وأشياء الفوها.

3 حسب ابحاثنا حول هذه التسمية استخلصنا انه انطلقت من بلاد مجان، في شرق شبه الجزيرة العربيّة هجرات عديدة نحو آسيا الصغرى ثمّ بلاد الإغريق حيث استقرّت فيها وأسست المدينتين السمّاتين مجان في الأناضول ومدينة مجان (Magnès وMagnésie) بشمال بلاد الإغريق. فالحجرة الخاصّة المستعملة لجذب الحديد المسمّاة magnésie ومنها اشتقت الصفة magnétique، هي في الحقيقة مرتبطة باسم مجان وصفتها مجانيّة بدلا من "مغناطيسيّة". انظر كتابنا المعنون "الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة".

1. في البحر الأحمر والمحيط الهنديّ

لقد أشرنا في فصل موجات الهجرات، إلى مرور العرب نحو إفريقيا عن طريق البحر، عبر مضيق باب المندب. كما أشرنا إلى قرب بلاد فارس والسّند (وادي السّند) والهند (بحر عمان) وكذا سلسلة الجزر في عرض البحر من السّاحل الغربيّ (جزر الفال-الكالديف- والذيبة-المالديف-، إلخ). وهو ما جعل العرب يصلون إلى هذه المناطق، أو منها يقدمون -ليس فقط برًا ولكن بحرًا أيضا-. فقد كانت هناك عدّة مستعمرات عروبيّة في بلاد فارس والسّند (باكستان الحاليّة)، ومراكز نفوذ تجارية موزّعة على طول السّاحل الغربيّ للهند، يتحكّم في مقاليدها عربٌ (فتموين التجار العرب بالتوابل والبخور ... مشهور وإليه أشار المؤلّفون).

لقد أشار Guillain نقلا عن R. B Serjeant[1] أنّ ، في ماضٍ غابر، كان العرب تجّارًا بحّارة، بخاصّة في الشّرق (المحيط الهندي). وكان لهم على جميع ساحل السّند مستعمرات عروبيّة قويّة سمّاها الهنود عربيتا، وقد أكّد نيرَ-راق، قائد بحريّة إسكندر الكبير تواجدها.. لقد تواجد العَربُ على سبيل المثال في منطقة ساحليّة تسمّى جدروسيا (وهي بالوشستان الحاليّة) بين كربيلا ومصبّ نهر السّند.

كتب عالم استوصاف الأرض والرّحّالة الدّانماركيّ Karsten Nyborg، الذي زار الجزيرة العربيّة في القرن القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) : . لقد كان العرب الذين شغلوا جميع المناطق السّاحليّة لملكة فارس، من مصبّ الفرات حتى مصبّ نهر السّند تقريبًا، يتكلّمون العربيّة ولهم عادات عربيّة .. وأضاف مصرّحا : . لا نستطيع بدقّة تحديد عصر تأسيس هذه المستعمرات في فارس، غير أنه يمكن القول أنها تأسّست في عهد أوّل ملوك فارس. هناك تشابه كبير بين عادات مقتاتي السّمك القدامى، وعادات العرب.

---

1. في كتابه، "السّاحل العربيّ الجنوبيّ".

فهم يصطادون اللّؤلؤ، ويأكلون التمور والأسماك، ويقدّمون السّمك كطعام لأنعامهم ....»[1].

وحسب أروادوت، لم يملك الفرس زمن قورش قوّات بحريّة، فقد اعتمدوا على الفانقيّين وسفنهم في المعارك البحريّة التي خاضوها مع الإغريق. وكان الفرس بخاصّة ملاّك أراضٍ وفلاّحين ورعاةٍ.

وقد تغنّى الشعر الجاهليّ (مع ساعدة بن جؤبة الهذليّ وطرفة بن العبد على سبيل المثال) بالبحر وجُزُره ولؤلؤه ومرجانه، وعقد مقابلة بين الإبل، سفينة الصّحراء، التي يحاكي مسيرها المائِجُ التمايل والترنّج والمراكب البحريّة[2]. وقد كان بعض العرب قبل العهد الإسلاميّ بحّارة وصيّادي لؤلؤ في الصّيف وفي الحين نفسه بَدْوًا في الشّتاء والرّبيع[3].

وقد تكلّم المؤلّفون القدامى أيضًا عن الملاحة التي مورست في البحر الأحمر وفي الخليج العربيّ (الفارسيّ)، في عهد متقدّم خلال الألفيّة الثالثة قبل الميلاد. وهكذا كتب أروادوت[4] أنّ ، سحو-رع هو أوّل من أبحر على رأس أسطول مكوّن من سفنٍ طويلة، انطلقت من خليج فارس، وأخضع الشعوب القاطنة بسواحل بحر إيريثريا (بحر عمان).. وأكّد ذلك ديودور الصّقليّ قائلاً: ، جهّز سحو-رع للقيام بحملة على بحر إيريثريا (بحر عمان) أسطولاً مكوّنا من ثلاثمائة سفينة، وكان أوّل مصريّ ابتنى سُفُنًا طوالاً. وقد استولى هذا الأسطول على جميع الجزر الموجودة في هذه النّواحي، واحتلّ البلدان الواقعة على سواحل البحر إلى غاية الهند..

1. إلى يومنا هذا، لا يزال أهالي الجنوب والشرق العرب يستهلكون فقط السّمك (مقتاتو السّمك) ويطعمونه أنعامهم، ممّا يفترض نزعا تقليديًا للبحارة-الصّيادين.

2. يعبّر الجذران : ن. و. ت./ نات "ترنّح في المشية" و ن. و. س./ ناس "تارجح، هزّ محرّكا، حرّك" ومشتقّاتهما، بشكل جيّد عن هذه الحركات الطبيعيّة. وهما الجذران العربيّان اللّذان أعطيا الكلمات اليونانيّة naûs (الذي يصف"زورقا" او "مركبا") وnautikós ("بحريّة") اوnautês ("بحّار، ملاّح").
طالع بهذا الصّدد كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة".

3. H.R.P. Dickinson في كتابه "عرب الصّحراء".

4. في كتابه "تواريخ".

وتحيلنا شهادات المؤلّفين القدامى هذه على التّاريخ المشترك بين المصريّين والفانقيّين، في عهد الفرعون سحو-رع، وهو عصر أرّخه Volney وM. M. Bunsen : حسب البناءات المصرية، إلى النّصف الثاني من القرن الثامن والعشرين قبل عصرنا،[1].

حسب E. Cavaignac[2] ، منذ الألفية الثالثة مُورسَ إبحار السّواحل بين مصر وجبيّل (في بلاد كنعان) .. والمؤلّف نفسه في الصفحة 215 من كتابه، لا يقصر الملاحة الفانقيّة على المساحلة فقط، قائلاً أنّ الفانقيّين عرفوا ملاحة أعالي البحار لأنهم وصلوا عن طريق البحر إلى غاية الهند. وقد أشار مؤلّفون آخرون، انه منذ الألفيّة الثالثة، عُرِف إبحار السّواحل الذي مُورس من جبيّل نحو مصر، بوساطة سفن جبيليّة.

كلّ ما ذكره هؤلاء المؤلّفون يسمح لنا بالقول أنّ السُّفن الطويلة التي استعملها مصريّو سحو-رع، كانت سُفن أعالي بحارٍ فانقيّة، إذ أنه في هذا العهد كانت جبيّل إحدى مدن كنعان، إقطاعيّة المملكة المصريّة. فضلاً عن هذا كتب E. Cavaignac في الكتاب نفسه جملةً بيِّنةً تعزّز -الآن- فرضيّتنا : ، يبدو أن ظاهرة توسّع الحروف الهجائيّة[3] حتى عند سَبئيّي جنوب الجزيرة العربيّة وحتى في الهند، تشير إلى أنّ الأسفار الكبيرة للفانقيّين عن طريق البحر ليست استثنائيّة مطلقًا،.

وبهذا الصّدد، قد أخذ في الحسبان نصّ الأشعار العمريّة، الذي يجعل الفانقيّين كـ : ، الملاّحين الكبار للبحر الأبيض المتوسّط القديم، مكتشفي جميع الأراضي، أجداد البحّارة الإغريق،.

قد تكلّمنا في سياقٍ سابقٍ أعلاه عن بحّارة-تجّارٍ عروبيّين، استقرّ بعضهم في المناطق الغربيّة للخليج (البحرين، عمان)، وبعضهم الآخر في المناطق الجنوبيّة

1. انظر "آسيا الصغرى من القدم الأعصر" لـ Ph. Le Bas.
2. في كتابه "العالم المتوسّطي إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد".
3. يتعلق الأمر بالهجاء الفانقيّ.

لشبه الجزيرة العربيّة، بحّارة أقاموا علاقات تجاريّة مستمرة مع وادي السّند والسّواحل الغربيّة لشبه الجزيرة الهندية، سابقًا للألفيّة الثالثة قبل الميلاد. هم هؤلاء البحّارة-التجّار أنفسهم (أو ورثتهم) الذين نجدهم في شرقيّ البحر الأبيض المتوسّط في بداية الألفيّة الثالثة، باسم الفانقيّين.

2. في البحر الأبيض المتوسّط والمحيط الأطلسيّ

كان الفانقيّون، عرب الشّمال (فلسطين ولبنان وسوريّة السّاحليّة، اليوم) بحّارة عتاة، سادوا جميع البحر الأبيض المتوسّط. في الألفيّة الثالثة قبل العهد المسيحيّ سطع نجم الحضارة الفانقيّة في أسمى تألّقه، وكانت البحريّة أحد هذه النّجوم السّواطع. في هذا العصر (انطلاقًا من بداية الألفيّة الثالثة) أسّس الفانقيّون موانئ عدّة : صور وجبيل وصيداء وعكّا ويافا وغزّة، ومارسوا التّجارة البحريّة، وفتحوا مراكز نفوذ تجاريّة على جميع سواحل البحر الأبيض المتوسّط. في القرن الرّابع عشر قبل العهد المسيحيّ، أسّس الفانقيّون، على السّاحل الجنوبيّ مدينة أتيكا، (قرب مدينة تونس الحاليّة) وبونا (عنابة الحاليّة في الجزائر) التي شيّدت سنة خمسين ومائتين وألف (1250) قبل الميلاد، تمثلان مركزها الأخطر في إفريقيا. في سنة أربع عشرة وثمانمائة (814) قبل الميلاد بنيت القرية الحديثة (قرطاجنة) وأصبحت بعدها عاصمة العالم اللّيبي- الفانقيّ (القرطاجنّي).

كما انفتحت مراكز النفوذ التجاريّة أيضا في الشّمال مرفوقة بمستعمرات سكّانيّة، خلال الألفية الثانية قبل الميلاد في بحر أجا وقبرص، وبعدها بقليل في مالطا. كما استعمر الفانقيّون، دائمًا خلال هذه الحقبة، صقلّيا وجنوب إيطاليا ثمّ سردانيا وقرسيكا. ونحو القرن الرّابع عشر قبل الميلاد استقرّوا في جنوب فرنسا الحاليّة. وأسّسوا مسّاليا (مرساليا). لقد استعمرت شبه الجزيرة الإيبيريّة كلّها من طرف الفانقيّين، حيث وجدوا هنالك أهالي إخوانا : الإيبر-اللّيبيّين[1] (أو الإيبر-البربر). وقد بُنيت قادس من طرف الصُوريّين، في القرن الثاني عشر على

1. انظر كتابنا "إيبريا وبربريا".

آخر تقدير .». وقد انتهى اتحاد الأهالي الفانقيّين والأهالي "المحلّيين" بعد قرون طوال من الحياة المشتركة، بميلاد الإيبر- الفانقيّين.

لقد سمَح تأسيس قادس عند مصبّ "الوادي الكبير" (نهر يصبّ في المحيط) للفانقيّين بالتعرّف على السّواحل الأطلسيّة ؛ وهكذا من عبور مضيق قادس أو "أعمدة عركنيل" (الذي أصبح فيما بعد يعرف بمضيق جبل طارق)، وخرجوا إلى المحيط الأطلسي. وعلى السّواحل الأطلسيّة، أسّسوا مدنًا ساحليّة (ستوبْعل في البرتغال الحاليّة وسلا في المغرب الأقصى، على سبيل المثال). ثمّ بلغوا بيريتانيا لجلب القصدير من جزر القصدير.

كما وصل الفانقيّون كذلك إلى إفريقيا الإستوائيّة، من أجل جلب القصدير والذّهب ومواد ثمينة أخرى. وقد ثنّي هذا الطّريق البحريّ في المحيط الأطلسيّ بآخر بريّ، عبر الصّحراء[1]. ويحكي أروادوت، في القرن الخامس قبل الميلاد، كيف انّ أهالي "القرية الحديثة" (القرطاجنيّين)، -ورثة تجارة وملاحة إخوانهم الآسياويّين وهم الفانقيّين- كانوا يقايضون السّلع مقابل الذّهب، في بلادٍ تقع بعيدة في الجنوب عن أعمدة عركنيل. وبلاد إستغل هي إحدى هذه البلدان، على طريق مناجم الذّهب.

تكلّم E. F Gautier[2] عن مناجم القصدير : « كانت مستغلّة منذ زمن سحيق في بلد البانين ، ويقدّر انّ أهالي "القرية الحديثة "، هم من خرج بحثًا عن هذا القصدير في مصبّ النيجر، وهم كذلك من جلب القصدير من جزر القصدير (في الأرخبيل البيريتانيّ).

فضلاً عن هذا، يروي أروادوت (الكتاب الرّابع) الرّحلة التي قام بها الملاّحون الفانقيُون حول إفريقيا. انطلقوا من البحر الأحمر، واسترجعوا مصر عابرين أعمدة عركنيل. فارتقوا إذا في السّاحل الموريتانيّ مبحرين ضدّ

1. انظر كتابنا "إيبريا و بربريا"..
2. في كتابه "إفريقيا السّمراء الغربيّة".

الرّياح والتيّارات. ودليل هذا السّفر هي المعاينة التي تندّ عن الاختلاق، من أنهم مرّوا عبر رأس الرّجاء الصّالح، وكانت الشمس عن أيمانهم. ودام هذا الطّواف الملاحيّ ثلاث سنين.

وقبل الكلام عن الفانقيّين وحدهم في إفريقيا، يجدر من باب الإنصاف الكلام عن اللّيبيّين-الفانقيّين. ولقد كنّا ذكرنا في الفصل المنصرم، القرابة الّلسانيّة والتاريخيّة الوطيدة بين الفانقيّين والإيبر-البربر في آسيا. حينما بلغ الفانقيّون بربريا، خلال الألفيّة الثانية قبل الميلاد بسفنهم التي تجوب أعالي البحار، استقبلوا بحفاوة من طرف اللّيبيّين، الذين اعتبروهم إخوانا في العرق والثقافة. وانطلاقًا من هذه الحقبة ارتبط قَدَرُ هذين القومين ببعض. وهكذا سمّى المؤلّفون، متحرّين الصّواب، أهالي شمال إفريقيا بـ"اللّيبيّين-الفانقيّين".

لقد تحوّل البربر (أو الإيبر-البربر)، وهم جبليّون في الأصل -بعض جماعات منهم- فَوْرَ قدومهم إلى إفريقيا إلى بدو، ومؤسّسي واحات في الصّحراء ومدنيّين وصيّادين ... أو بحّارة. ويتجلّى في هذا النشاط الأخير بصورة أمثل تشابههم مع إخوانهم الفانقيّين. وقد أُسّس هكذا عندهم معجمٌ بحريٌّ بلسانٍ بربريّ (علم الأسماك والصّيد وأسماء قطع المراكب، وبعض المصطلحات الفنيّة المتعلّقة ببناء السُّفن أو بالملاحة)[1].

من المؤكّد أنّ بعض ربابنة ومعالمة السفن وبحّارتها البربر قد أبحروا على متن مراكب فانقيّة. وما من دليل يشفع لدينا لهذا، غير الموطن الجُزْريّ لبعض الأهالي البربر (في جزر أكناري، ...) أو التسمية البربريّة لبحر إسارقاس[2]، في المحيط الأطلسي.

ومن جهة اخرى، فتسمية الأماكن السّاحليّة للمناطق الأطلسيّة هي بربريّة للغاية. فصحيح، انطلاقًا من واقع القرابة المتينة بين اللّغات الفانقيّة والبربريّة، أنه من الصّعوبة بمكان القول بأسبقيّة بربريّة أسماء الأماكن من

---

1. Ed. Laoust تكلم عن هذا المعجم البحري (في كتابه" البربر صيّادو سوسه").

2. انظر كتابنا "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة".

فانقيّتها أو العكس : فعلى سبيل المثال، فمدينة مجادور التي اشتقت تسميتها من الاسم " مَجْدَلْ " الفانقيّ أو من الاسم البربريّ "أماجدال" ؟[1].

إنّ التسمية "اللّيبيّون-الفانقيّون" تعكس بجلاءٍ الخاصّة التطوّريّة للمجتمع الشمالي-الإفريقيّ : فالمجتمع البدائيّ تحوّل بدلالة الموطن والمحيط والنشاطات الخاصّة لكلّ جماعة بشريّة. بعض اللّيبيّين (الإيبر-البربر)، وهم أهالٍ يرتبطون باليابسة وبأعمالها، أصبحوا فانقيّين بحّارة-تجّارًا حتى النّخاع. والعكس مُتاح : فبعض الفانقيّين تحوّلوا إلى جبليّين وفلاّحين أو بدو-رعاة.

كما أنّ اللّغة البربريّة (التي إحدى لهجاتها البونيّة) تطوّرت، وترجمت فيما بعد جميع المظاهر الجديدة للمجتمع الإفريقيّ، وأُثري معجمها بمصطلحات جديدة.

3. في البحر الأسود ونهر الدّانوب

حسب أرواذوت، أهلت بلاد الكلش، التي هي إقليم قوقصيّ بجنود سحو-رع. وهنا راح بحّارة السّفينة "رقوة" حسب الأسطورة يبحثون عن الجزّة الذّهبيّة. وقد رأينا أعلى السّياق، أيضًا، أنّ سكّان هذا البلد (في جزء كبير منهم، على أيّ حالٍ) في المناطق السّاحليّة للبحر الأسود كانوا عروبيّين.

فضلاً عن هذا، يسعنا أن نلاحظ أنّ الأساطير والخرافات القديمة تعزو لعائلة واحدة الأميرة الفانقيّة عَروبا، من جهة، ومن جهة أخرى، آياتا، ملك بلاد الكلش، (وهي بلاد على ضفاف البحر الأسود، في القوقص) ؛ وبا-صفاء، أخت آياتا التي كانت زوجة ميناو، ملك قرتا وابن عَروبا. ويشهد سطرابو من جهته بأنّ المصريّين، والأحباش والكلش ينتمون للعرق نفسه.

وتعيد أسطورة بحّارة السّفينة "رقوة"، في الطّريق نحو بلاد الكلش بإشراف ياسون طلَبًا للجزّة الذّهبيّة، إلى الذّاكرة، الثّراء الخرافيّ لإيبريا، وهي

---

1. يعني هذا الاسم "سور، مكان محصّن". نجد هذا الجذر في الاسم العربيّ جدر وجدار (بتناوب بين الرّاء واللاّم) مع معنى "جدار، سور".

بلاد مجاورة لبلاد الكلش. كما انّ الإيبر غادروا إقليم القوقص هذا نحو شمال افريقيا وأروبا الغربيّة، كان الكلش كذلك عروبيّين، من "عرق" المصريّين والأحباش ذاته، ومن "عرق" واحد أيضا مع الفانقيّين، الذين استعمروا بلاد الإغريق، حيث كان ياسون مثالاً، من بين اخر كُثر[1].

وقد ذكر المؤرّخ Charax في نقل لـPh. le Bas إقراره، بانّ اسطول ياسون تكوّن من عدد هائل من السُفن. على غرار السُفن المصريّة لسحو-رع، يحتمل على الأرجح أنّ السُفن المكوّنة لأسطول بحّارة "رقوة" كانت سفنًا فانقيّة، يقودها فانقيُون. وقد أرّخ لحملة بحّارة "رقوة" بحوالي اربع وستين ومائتين وألف (1264)، اي قبل الاحتلال النّوريّ لبلاد الإغريق بكثير، وهو الاجتياح الذي عزا المؤلّفون بدايته انطلاقًا من القرن الثاني عشر قبل الميلاد. علاوةً على هذا، فنحن نعلم أنّ القبائل النّوريّة المتكلّمة بلغات هنديّة-اروبيّة، حين دخولها شبه الجزيرة الإغريقيّة، لم يكن لها باع في البحريّة، ولا تثقفُ البحر حتى، بل لا كلمات في معجمها تسعف في وصفه.

ولا يناقضنا G. Lebon[2] حين يُقرّ بانّ الصّيدويّين ارسلوا مراكب في البحر الأسود، إلى غاية بلاد الكلش. كما انّ E. Cavaignac[3] وA. Jardé[4] يُخبراننا -عرضًا- انّ الفانقيّين عرفوا البحر الأسود. وقد رأينا فعلاً أنّ السّاحل الجنوبيّ للبحر الأسود (بحر بنطس) كان مأهولاً بعروبيّين، ولكن وصلت أيضًا استعمارات سوريّة-فانقيّة إلى بلاد الأطراق وإلى المناطق الشّماليّة للبحر الأسود، وهو ما تثبته تسمية الأماكن ودراسات علم طبائع الإنسان[5].

---

1. انظر كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة من خلال علم الأساطير وتسمية الأماكن والعلميات والكلم".
2. في كتابه "أولى الحضارات".
3. مصدر سبق ذكره.
4. في كتابه " تشكّل الشعب الإغريقي".
5. انظر كتابنا "العرب في اروبا قبل العهد المسيحي".

وحينما نتكلّم عن السّاحل الشّماليّ للبحر الأسود، فنحن نتكلّم بالتالي عن مصبّات الدّانوب وعن النّهر في حدّ ذاته، وهو يصبّ في البحر الأسود، بعد قطعه جزءًا مهمًّا من أروبا (من جرمانيا إلى أوكرانيا مرورًا بالبلقان).

الدّانوب : هذا النّهر سمّي إستر، من اسم الآلهة السّوريّة-الفانقيّة عشترت، أشتار، أو إستر. وفيما بعد سمّى الرّومان هذا النّهر بالدّانوب في مجراه العلويّ، وهو ما حفظ له اسمه الأوّلي إستر ، لمجراه السُّفلي فقط.

واسم هذا النّهر، دوناو بالألمانيّة (دانوب بالفرنسيّة) مكوّن من جزئين[1] :

- الجزء الأوّل يمثّله دونا أو دانو، وهو المصطلح الفانقيّ (أو العربيّ) دولا أو دالو، مع تناوب بين اللأم والنّون للجذر د. ل. ل/ دلّ بمعنى "بيّن، علّم شيئا لشخص" والاسم منه دالّ "مرشد".

- الجزء الثاني "ب" وهي الصّيغة المرخّمة للاسم بعل، حينما يقع في آخر الاسم المركّب مثل : صفوان-با، الاسم الفانقيّ. وهذا الاسم حسب Z.S. Harris[2]، هو ترجمة للتسمية الفانقيّة صفوان بعل، ويكتب عادةً صفوان-با، أو صفوانسبا[3]. ويخبرنا مولّف آخر هو A.Van der Branden[4] أنّ اللأم يمكن أن يحذف من آخر الكلمة، ويذكر مثالاً لاسم علم : ح. ن. ب. ع.ل. الذي أصبح ح. ن. ب. بمعنى "نعمة بعل" يشتهر في أروبا باسم حنّا بعل (H) Annibal.

---

1. في كتابنا "العرب، أسلاف العالميّين ؟"، أوردنا مختلف كتابات الدّانوب : دوناي بالتشيكيّة ودونا بالمجريّة ودوناب، Dunav بالسّربيّة والبولغاريّة. في اليونانيّة يكتب Δαγύbιος.
2. مصدر سبق ذكره.
3. اسم تلقّبت به ملكة نميديا، ولدت بقرطاجنة (235-203 قبل الميلاد)، زوجة صفاقص ثمّ مس-ان-عيسى، ملك نميديا.
4. مصدر سبق ذكره.

كما حدّد أنّ التسمية دانوب تعني "دليل بعل"، وهي الدّلالة التي تتطابق تمامًا مع مسيرته، هادٍ بالنسبة للمهاجرين العروبيّين، وهو كذلك طريق العنبر بالنسبة للتجّار الفانقيّين[1].

الاسم دانوب، المزجيّ باسم آلهة، مكوّن من بعل يستأنس باسم الدّانوب القديم، ألا وهو "إستر"، إحدى رفيقات بعل. الآلهة بعل (بلْ أو بال)، توافقًا مع وظيفته "ربّ المطر والماء والينابيع المعدنيّة الحارّة" أعطى تسميته، ليس فقط لمسطّحات الماء العذب (بحيرة بالاطون، بحيرة باليّة) والأنهار (دانوب، دورا بالطيّة) وينابيع المياه المعدنيّة الحارة (بُولْبيك، بالفنيوس، إلخ)، ولكن أيضًا لفضاءات ذات ماء أجاجٍ (البلط الكبير، والبلط الصّغير في إسكانيا وبحر البلط)[2].

مدن كثيرة في الدّانمارك وألمانيا الشماليّة وحتّى في بيريتانيا العظمى، لها أسماء تنتهي بـ"بو" (by). نقارن هذه اللأحقة بـ"ب" في كلمة دانوب ، أي الصّيغة المرخّمة للاسم بعل (أو بال) : Visby (عاصمة بلد الجُدَ) هي مثال، من بين أخرٍ كُثرٍ. ومكافؤه في السّويد (بلاد في إسكانيا) "بو" (bö) يوجد في مدينة ماري[3] في منطقة الفرات الوسطى. وتجدر الإشارة إلى أنّ مصطلح "بو" (by) في اللّغة الدّانماركية والسّويديّة أو في الإنجليزيّة القديمة (bo) يعني "بلدة، مدينةً، قرية"، وفي الإيسلاندية يعني "بو" (bu) "منزل". وهو ما يتوافق مع تعريف "بعل" الذي قدّمه G. Ryckmans[4] : ، بعْول (مفرده بعل) كانت أيضًا آلهة محلّيّة، تحمي البيوت (العائلات والشعوب)، وكانت تسمّى بـ "بعول المنزل" ... ،.

---

1. هذا النهر، حسب اروادوت ، له كسواعد اساسية، منحدرا من جبل هامس (البلقان) صابا في مجراه السّفليّ، الأطلس والأوراس والتبسس . نلتقي هذه الأسماء الثلاثة في المغرب متسمّية بها سلسلة جبليّة، الأطلس (في شمال إفريقيا)، الكتلة الجبليّة للأوراس وجبل تبسّة (في الجزائر) : تسميات معروفة أيضا في وادي الدّانوب كما في شمال إفريقيا، من اصل عروبيّ.
2. البحر الأسود، اسماه العرب بحر بنتس (او بلطس)، وهي تسمية مجرّدة من اللأحقة تعطينا بحر البنط او البلط، وبالتأكيد هذا الاسم بنط (بنت) أعطت تسميته اليونانية للبحر الأسود، حيث تعني الكلمة اليونانية بنت فيه "بحر". هذا الاسم بنط او بلط يمكن مقابلته ببحر البلط (في شمال اروبا). بلط كان اسم إستر ، بعلت او بلتس، رفيقة بعل .عند الإغريق ، Baaltis او Beltis.
3. قد تكون ماريبو هي ترجمة لـ"ماري السيّد" او "مدينة ماري"، ماري باعتباره اسم مدينة الفرات الأوسط، ممّا يستنتج عنه انها تأسست على الأرجح من مستعمرات عروبيّة من بلاد الرافدين أو سوريا-فانقيا.
4. مصدر سبق ذكره.

4. في بحر قصوين ونهر البولغا

إذا ما عاينا خريطة استوصاف الأرض لآسيا الغربيّة، فبإمكاننا أن نلاحظ أنّ المناطق القوقصيّة مماسّة للبحر الأسود (من الغرب) كما بحر قصوين (من الشرق). كما أنّ شمال فارس محاطٌ ببحر قصوين، الذي لا تبعد ضفافه كثيرًا عن جبال حلبروس، نظير أعلى قمّة في القوقص. يمكن فهم هذه التسمية، حسب اللّغة الفانقيّة كـ "الرّأس الأبيض" ويجزّء إلى حلب أو ترخيم لكلمة لبن، الذي يعني "أبيض" و روز أو روس، الذي يعني "رأس، قمّة، هامة، رعن" (كلمة تدخل في تأليف أسماء كثيرة لموانئ ومدن وجبال، أسّسها أو أسماها الفانقيّون).

وتقترب تسمية الجبال هذه من تسمية الشّعب الألبنيّ، وهو شعبٌ سكن ألبانيا، منطقة مجاورة لإيبريا القوقصيّة أو من تسمية جبل في فانقيا (جبل لبنان). لقد رأينا كذلك أنّ ساكني المناطق القوقصيّة الجنوبيّة التي تحدّ بحر قصوين، بالتحديد في إيبريا (في أزربيجان الحاليّة)، كانوا عروبيّين (مصريّين، وسوريّين-فانقيّين ورافديّين وأسلاف الإيبر-البربر الغربيّين، إلخ.).

بمعرفة الميزات الملاحيّة للفانقيّين وحسّهم الحادّ للتّجارة والكسب، يُستساغ منطقًا أنّهم (وحدهم أو برفقة نظرائهم)، بعد أن استعمروا المناطق السّاحلية الغربيّة والجنوبيّة من بحر قصوين، حلمُوا باستثمار جميع ضفاف هذا البحر المغلق، رأسًا من أجل عوامل تجاريّة واقتصاديّة، ثمّ من أجل تأسيس مستعمرات سكّانيّة هنالك. يصبُّ نهر البولغا في شمال بحر قصوين، وهو نهر ينبع من هضبة بالداي، غير بعيد عن بحر البلط.

لقد استعمرت المناطق الشّماليّة لبحر قصوين من طرف الفانقيّين، ونهر البولغا، الذي سنتكلّم عن معنى أصله العروبيّ، استخدموه كمعبر نهريّ لنقل العنبر الذي كان يجمع في المناطق البلطيّة إلى غاية بلاد الرّافدين، ومن هناك نحو شرق البحر الأبيض المتوسّط أو إلى نواح أُخرٍ للتّجارة الفانقيّة[1]. والواقع أنّ

1. انظر كتابنا "العرب، أسلاف الحاليّين ؟".

الفانقيّين قدموا إلى بلاد البلط عبر البحر (إمّا قبل أو بعد استوطانهم في وادي البولغا). ويؤكّد L. Siret[1] ذلك بقوله : « ينبغي ضرورة الاعتراف لهذا الشعب ذي الملاّحين العتاة والتاجرين المستبسلين، الذي بمجرّد وَطئه إيسبانيا ونفاذه إلى المحيط الأطلسي، كان عليه استكشاف واستغلال جميع سواحل المحيط، ونفذ إلى عمق بحر البلط، ليس فقط من أجل تجارة العنبر بل والمعادن وملح شمال ألمانيا».

البولغا: هذا النهر ينعت في اليونانيّة بالاسم رع (را أو غا)

- ليس الجزء الأوّل من هذا الاسم بول سوى كتابة لـ بعل، وهي تسمية الآلهة السّوريّة-الفانقيّة. ونجد هذا الاسم للآلهة في تسميات كثيرة للأماكن، في أروبا: بولبيك، وبولبك في فرنسا، بحيرة بولبا (في مجدونيا)، بالّون (اسم قمم عديدة في فرنسا وألمانيا)[2] ،

- الجزء الثاني غا الذي يمكن أن يخلط بـ را (غا) أو رع، آلهة الشمس عند المصريّين. ولقد قوبل بعل عند الإغريق بأبي اللّون الشمسيّ يدعى باسم "بعل-حمون". هكذا احتمل اسم بولغا مظاهر آلهة الشمس السّوريّ-الفانقيّ بعل كما مظاهر الآلهة المصريّ رع. هذه التسمية التي تحيل على وجود تلاحم دينيّ إفريقيّ-آسيويّ (مصر-سوريا وبلاد الرّافدين)، على طول مجرى هذا النهر، يمكن أن تكون الترجمة التاريخيّة لموجات هجرات انحدرت من هذه البلدان، نحو شمال أروبا، "بارتقاء" وادي البولغا.

تماما مثل الدّانوب، يدلّ البولغا (الذي يعرّف كـ "الرّب-الشمس") على مسلك "دليل" للمهاجرين العروبيّين، وطريق العنبر بالنسبة للتجّار المصريّين-السّوريّين-الفانقيّين. وفي خَلَدِ هؤلاء المهاجرين والتجّار، ارتبط النهران بروابط دينيّة وقرابة عائليّة، ربّما لأنهما يفضيان إلى الاتجاه نفسه، شمال أروبا وجرمانيا،

---

1. في "مقالات حول أخبار تاريخ إيسبانيا". -المجلة الأثريّة (باريس).

2. حسب موسوعة "Grande Encyclopédie"، يعني بالون (بالكلتيّة Belleac'h أو Bellec'h) مكانا لعبادة بال (بعل)، شعيرة تمارس بخاصّة على قمم الجبال والرّوابي.

"بلد العنبر"، نحو البلط ، بحر الرّبّ[1]. وفعلاً تسميتهما ترافعان لصالح هذا الوعي لأنّ "شمش" (البولغا) وإستر (الدانوب) كانتا أختين، بنتا سين، آلهة القمر.

على طول نهر البولغا، وحتى خارج حوض هذا النهر، نجد تسميات أماكن مكوّنة من العنصر بول أو بال، وهو دليل إضافيّ يرينا أنّ الكلمة بول لم تقتصرْ على نهر البولغا[2]. وقد تكون تسميات الأماكن هذه أخذت من طرف مراكز استعمار عروبيّ، من بحر قصوين إلى غاية بحر البلط.

يمكننا أن نجد، انطلاقًا من بحر قصوين ومدينة إستر خان[3]، صُعودًا نحو الشمال، مَواضعَ أسماءَها يدخل في بنائها المقطع بعل (بول أو بال)، بمختلف أحواله الصوتيّة التحويليّة (الكتابيّة) : بوليسكي وبولغوفرت وباليعقوبو وبولسك (في شمال سارتوف) وبالشوف، إلخ ... حتى بالغبي (في شمال موسكو) وبولخوف (في جنوب بحيرة اللاذقة)... وبحر البلط.

1. انظر كتابنا "العرب أسلاف الجاليين ؟".

2. عند صقالبة روسيا، بولس هواسم آلهة الأنعام والماشية، وكذا بصفة أعمّ آلهة الثراء والخصب. هذه الصفات نقلت بعدها إلى St Vlas (بالس القدّيس) .أورد ذلك J. Cazeneuve في كتابه " علم الأساطير عبر العالم".

3. تقع هذه المدينة قرب مصبّ البولغا، مسمّاة بلقب مؤلّف من أستر رفيقة بعل.

الفصل الخامس

الألسن العروبيّة لآسيا

1. لسان فانقيا

اللّغة الفانقيّة هي اللّغة المتكلّم بها والمكتوبة في فانقيا (بلاد كنعان). كون الحضارة الفانقيّة انتشرت، منذ الألفية الثانية قبل الميلاد، على جميع حوض البحر الأبيض المتوسّط إلى غاية أروبا البلقانيّة، وحتّى الشّماليّة[1]، يفترض أنّ اللّغة تطوّرت بالتّوازي مع الرّقي الماديّ والمنهجيّ المعرفيّ والفنيّ لهذه الحضارة، فبفضل الاستعمار الفانقيّ في جميع هذه المناطق أشيعت هذه اللّغة وتثبّتت، وبخاصّة في جزء آسيا المُطلّ على البحر الأبيض المتوسّط.

وقد كتب C. Virolleaud[2] بهذا الخصوص : « تحمل أشعار رأس-شمرة[3]، التي وُجدَتْ قطعًا مجزّأةً، جميعها علامةَ قِدَم غابر، حتّى ولو أنّ ألواح الطّين التي نُقِشت عليها مؤرّخة بالقرن الرّابع عشر. ما من شكٍّ أنّ فانقيا أنجبت وقبل حرب ثورا، شعراءَ عُثِرَ على أعمالهم، ليس في صور أو صيداء، حاضرتي كنعان هاتين، ولكن في رُدوم مدينة في أعلى سوريّة، أسّستها صيداء أو صور وأهملت منذ ثلاث آلاف سنة ».

تجعل موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" تاريخ مخطوطات فانقيا بداية من الألفيّة الثالثة (شيّد معبد "ملك القرية" في صور، نحو خمسين وسبعمائة والفين -2750- قبل الميلاد)، وأشارت إلى أنّ : « مخطوطات النّصوص المكتوبة بالخطّ شبه المقدّس القديم لجبيّل، المعلّمة بين تاريخي

---

1. موضوع داولناد في كتابينا : -"العرب في أروبا قبل العهد المسيحي".
-"العرب، أسلاف الجاليّين ؟".

2. في كتابه "أساطير بابل وكنعان".

3. هي مدينة أوقريت القديمة، على السّاحل الفانقيّ (قرب الميناء السّوريّ الحالي للأذقيّة).

مائة وألفين (2100) وستمئة وألف (1600) قبل الميلاد، تحفظ على الأحجار أو القلز، وثائق بكتابة غير مألوفة، حيث كثير من رموزها تستدعي تذكّر الخطّ المقدّس القديم المصريّ ورموز أخرى بحروف الهجاء الفانقيّ. كما أنّه بحوزتنا اليوم أيضًا سلسلة من الوثائق الأصليّة ما قبل الفانقيّة، تتدرّج بين القرن التاسع عشر والرّابع عشر قبل الميلاد، موجودة أساسًا في فلسطين. كما يمكن الالتقاء بالفانقيّة القديمة، حتى القرن التاسع قبل الميلاد ».

لقد تواجدت إذًا، قبل قدوم واستقرار إبراهيم -عليه السّلام- في كنعان بكثير لغة فصحى وإقليميّة، هي الفانقيّة. ويشير لنا اللّسانيّون أنّه إلى جانب اللّغة الفانقيّة، كانت اللّغة الموآبيّة والأوقريتيّة والعبريّة من الفرع الكنعاني. وفيما يخصّ الموآبيّة المتكلّم بها في بلاد موآب، فليست إلاّ صورة طبق الأصل للّغة الفانقيّة -أو الأكاديّة- كلّهنّ جدّ قريبات من بعضهنّ؛ أمّا الأقريتيّة فلا تكون إلاّ لغة المخطوطات الموجودة برأس شمرة (أوقريت) -تماما مثل الكلتيّة- الإيبريّة في إيسبانيا، المشكّلة من مادة نقشيّة-. أمّا اللّغة العبريّة، فاعتمادًا على تعريفنا لهذه الكلمة[1]، ليست شيئًا من جهة اللّغة غير مرادف للفانقيّة (الفانقيّة القديمة).

لقد ظلّت الفانقيّة لغة الشّعب في فانقيا (وضمنها فلسطين، التي كانت آنذاك منطقة فانقيّة). ولاحقًا أصبح الفانقيّون-الكنعانيُّون، تحت وطأة اللّغة الرّسميّة الأرميّة (بداية من عهد فارس) ناطقين بالأرميّة، وظلّ الحال كذلك حتى مقدم الإسلام، في القرن السّابع من العهد المسيحيّ (القرن الأوّل للهجرة).

ويُجمِعُ كلّ المؤلّفين على الشّهادة لصالح القرابة الوطيدة بين اللّغة الفانقيّة والأرميّة. يعترف E. Cavaignac[2] بأنّ : « الأرميّون تبنّوا بيُسْر شديد الكتابة الفانقيّة، المجتباة من أجل لغة قريبة جدًا من لغتهم »، وعن بعض

1. انظر كتابنا"العرب محرّكو الدّيانات الحنيفيّة الثلاث" والباب الثاني من مؤلّفنا هذا (الفصل الأوّل).
2. مصدر سبق ذكره.

التقاط، يقول Dupont-Sommer[1] : « إنّ الأرميّة تشدّها أواصر أوطد بالعربيّة»، والأمر ليس بخارق، كون الثلاث لغات عروبيّة تنحدر كلّها من لغةٍ-أمٍّ واحدة، هي العربيّة المشتركة.

فالانتقال من لغة لأخرى في فانقيا-سوريّة قد يكون أمرًا ميسورًا ؛ ما دامت الفروقات بين اللّغتين لا تعدو أن تكون تفاوتًا في نطق بعض الكلم أو في جزء صغير منه، كما يلاحظ اليوم بين اللّغة الفلسطينيّة والسّوريّة، أو بين المغربيّة والعراقيّة، مثلاً.

2. لغات آسيا الصّغرى

يبدو أنّ أقدم سكّان آسيا الصّغرى، ثلاثة آلاف سنة قبل العهد المسيحيّ، كانوا من قوميّة سامية، حسب Ph. le Bas[2]. لقد التحق بهؤلاء الأهالي الأوائل، أهالٍ إسكوتيّون، في وقت مبكر، على جهة الشمال، وعلى جهة الشرق، فانقيُّون وسوريّون، امتزجوا بسابقيهم من القوميّة ذاتها. وإلى هذا الفرع الثاني ينتمي القبّادكيُّون والقيليقيُّون والفنفوليّون والبوصيداويّون والبافالجيّون وأيضًا على الأرجح السُّليميّون والميلويّون، وهم أقدم سكّان لوقيا. ونهاية كان للعرق الهنديّ-الأروبيّ هو الآخر ممثله في الأطراق والفالجيّين[3].

وسنعاين مع Ph Le Bas وسطرابو وأورادوت وعمر... مختلف هؤلاء الأهالي.

1.2 الأهالي السّاميّون المعترف بهم

- القُبّادكيّون : الأصل السّامي للقبّادكيّين يبرّره اسم السّوريّين البيض، وهو الاسم الذي أعطي لهم في القدم لتمييزهم عن أهالي ما وراء جبل الأمان، الذين كانوا يتميّزون بلون أسمر. ويحدّد سطرابو حدود القبّادكيّين المتكلّمين بلغة واحدة، في الجنوب عند خليج عيسو وفي الشّمال عند البحر الأسود بين سينوبا وساحل التيبارن، ومن الشرق يفصل المجرى العلويّ للفرات قُبّادكيا

1. في كتابه "الأرمنيون".
2. في كتابه "آسيا الصّغرى منذ القدم الأعصر".
3. Ph. Le Bas في مصدر له سبق ذكره.

عن أرمانيا. ومن الغرب تتحدّد الحدود بنهر العالي. وكانت قبّادكّيا أقصى جزء شرقيّ لآسيا الصّغرى.

- القطاويّون : شكّل هؤلاء شعبًا قائمًا بذاته، في الاعتقاد القديم، ولكن ولأنّه كانت لهم لهجة وطبائع القبّادكّيّين نفسها، فإنّنا نسلّم بانتمائهم على غرارهم للعرق السّاميّ.

- القلقيليّون : وقد أخذوا هذا الاسم -الذي أخذوه لاحقًا- عن فانقي، قلقيل ابن اجا-نور (حسب الرّواية) حيث يمكن ان نحدس منه أنّه في اعتقاد الإغريق، ينتمي هذا الشّعب للسّلالة السّوريّة أو الفانقيّة.

- الفنفوليّون : في العهد الذي كان فيه سطرابو يؤلف، تعلّق الفنفوليّون أكثر بالقلقيليّين حيث لم يُناقش أصلهم.

- السّليميّون : عُرف اللّوقيّون بشعب السّليميّين نفسه ... والحالة هذه، يُعلّمنا خركئيل (نقل عنه عازب) أنّ السّليميّين الذين كانوا جزءًا من جيش أخشايرشاه، تكلّموا اللّغة الفانقيّة، فينبغي استخلاص أنّهم كانوا من أصل فانقيّ إذًا.

- الأريم : هم الآخرون ولا ريب أهالٍ فانقيّون، هؤلاء الأريم الذين عنهم تكلّم عمر اللّوذيّ ... وحتّى، اسم هذا الشّعب في حدّ ذاته يوشي بعلاقةٍ صارخةٍ مع اسم أرَم[1]، بما لا يسمح بمجال للشّكّ في أصلهم. يخبرنا سطرابو، بأنّ هناك مؤلّفون يقصدون بالأريم السّوريّين الذين نلقّبهم اليوم بالأرَميّين.

- البافالجيّون : جزء مهمّ من البافالجيّين، ينتمي للعرق الشّاميّ كما يخبرنا سطرابو.

هذا الرّصد -الفضائيّ- للأهالي "السّاميّة" الأولى لآسيا الصّغرى -الذي يأتي عن مؤلّفين قدامى، وعَضَدَهُ كاتب محدث هو Ph. Le Bas- يعقد

1. يمكن ملاحظة الجذر أرم (أو عرم) مشتركا لدى الأرميّين والأرمان والأريم، حيث اسم سلفهم ينبغي أن يكون أرم. هل الأريم هم الشّعب نفسه كالأرمان الأوائل بكتابة مختلفة للاسم، حسب الكتاب والعصور ؟

إدراكنا حول أنه عمليًا جميع المناطق السّاحليّة في جنوب البحر الأسود كانت مؤهولة بعروبيين لأنّ الحثيّين والأرمان (ذوي لغات هندية-أوروبيّة) لم يكونوا قد وجدوا بعدُ في هذه المناطق. وقد نعت بعض المؤلّفين هؤلاء الأهالي بالآسيانيّين، وآخرون وصفوهم بأهالي ما قبل الحثيّين. وتلي المملكة الأكاديّة أو تضمّ قبّادكّيا وتمتدّ شرقًا حتى ضفاف بحر قصوين.

كان قلقيليّو موسيا أو للوسيّون، حسب عمر بن معان، ينتمون إلى قلقيليّي جبل طورس. بعض المؤلّفين أكّدوا -تلافيًا لكلّ ريب- أنّ الموسيّين واللّونيّين والقرياويّين خرجوا من أصل مشترك، وأنّ اسم لوذ يلحقُ بأهال أرَميّين. ويشهد سطرابو أنّ لونيا كانت تسمّى في الأصل بلاد مُعان وجزء من هذه المنطقة موسيا. وأسماء الموسيّين والمعانيّين تنعت الشّعب نفسه. فمن الصّواب المؤكّد، يقول Ph. Le Bas[1] أنّ : « علماء اعتمدوا على شخصيّات لا يرقى إليها الشك، ألحقوا اللّونيّين بالأصل السّامي القحّ ».

لقد وجدت في الألفيّة الثانية قبل الميلاد مملكة تسمّى المعينيّة، وصلت حتى جنوب شبه الجزيرة العربيّة، ذكرها سطرابو وديودور الصّقليّ وفلّين. قد تكلّمنا عنها في الباب الأوّل (الفصل الثاني).

وهكذا إذا، كان أهالي آسيا الصّغرى الأوائل من "عرق" عروبيّ، أي فانقيّين وسوريّين أو قوقصيّين في الأساس. وبعدها في عهد حرب ثورا (القرن الثالث عشر قبل الميلاد) أو بعد هذا التاريخ، استقرّ في الأناضول عناصر يفترض أنهم من عرق هنديّ-أوروبيّ، مثلهم الموسيّون، والمعانيّون-اللّوذيّون والقرياويّون، وهم أهالٍ رأينا أنهم كانوا على الأرجح فانقيّين أو سوريّين. كما أنّ هناك "الفرجة" والفالجيّين (الذين أشار إليهم بعض الكتاب كأهالٍ هنود-أوروبيّين)، ومن أجلهم ينعقد موضوع للمناقشة.

---

1. مصدر سبق ذكره.

2.2 الأهالي الذين لا يعترف بساميتهم بعض المؤلفين

- الفارجيّون : يروي أرودوت أنّ الفارجيّين تلقّبوا باسم البُرجة βριγες أو الفُرجة Φρύγες. وفيما يبدو، كان هذا الاسم مُتردّدًا في المناطق التي شغلتها الأهالي الهندية-الأروبيّة على القارّة القديمة. أكّد أيّوب، ملك موريتانيا، وأحد أعلم مؤرّخي عصر أوقسط، أنّ الكلمة βριγα كان لها معنى "الرّجل الحرّ" عندَ اللّوذيّين. ويقرّب الكتاب الأروبيّون هذه الكلمة من الأخر التي لها معنى مقابل عند الألمان وكما عند آريّي الهند (شعب البُرجو)[1].

أمّا بالنسبة إلينا، فنحن نوقعُ العلاقة بين الكلمة برجة والكلمة العربيّة بُرج، التي تعني "قلعة، حصن"، والبُرجيّ هو المدافع عن الحصن في إقليم حدوديّ في وجه إغارات الجيوش الأجنبيّة. وبتوسيع الدّلالة، يمكن أن يحتمل معنى الرّجل الحرّ[2]، بمعنى أنهم وحدهم رجال يتأبّون الاحتلال ويرغبون في البقاء أحرارًا، يدفعون عن بلادهم الغزاة. وبرجيّ، من الجذر نفسه ب. ر. ج. الذي للبرجة.

- الفالجيّون : تتفق جميع المصادر التاريخيّة أو الشعريّة المرتبطة بالفالجيّين، على تقديمهم "كأمّة كثيرة العدد، ذات خطورة"، حسب سطرابو.

لقد كان شعبًا بحّارًا ينزع إلى الهجرات، وفي الإلياذة صوّرهم لنا عمر (اللّوذيّ) كرماحين مهرة، قدموا من مدينة الحارسة الخصيبة لنجدة بر-رَيم. يخبرنا سطرابو أنّ الفالجيّين سمّوا هكذا، لأنهم كانوا يهيمون على وجوههم في كلّ وادٍ، مثلما اللّقالق، وهكذا يستدعى معنى الكلمة الأصليّ πελαργός الذي يعني "اللّقلق"[3].

---

1. Ph. Le Bas في مصدر له سبق ذكره.
2. هذا التاويل على قدر مستساغ اكثر ممّا هو عليه في لغة اللّوذيّين، شعب"من اصل ساميّ صرف".
3. Ph. Le Bas في مصدر له سبق ذكره.

هذا الاسم من جنور وصوت متطابق مع بلأرج بالعربيّة[1] (اللّارجة المغربيّة)، وكذا مع المعنى نفسه، أي لقلق. تنقسم هذه الكلمة إلى جزأين : الأوّل بل أو بن، أي "ابن لـ...، من عائلة، من قبيلة ..."، والقسم الثاني عَرَجَ أو أعرَج صفة للجذر ع. ر. ج. بمعنى "ظَلَعَ، اختلَّ، صار أعرجًا"، إشارة إلى هذه الطّيور من فصيلة اللّقلقيّات، ذات المشية المترنحة المضطربة[2]. ووصف سطرابو لهذا الشّعب بأنه " أمّة كثيرة العدد، ذات خطورة"، وأنه "شعب بحّار ينزع أيّما نزعٍ للهجرات"، يجعلهم ينتمون بجدارة للفانقيّين، في عهد تضاعفت فيه المستعمرات الفانقيّة عبر كلّ العالم المعروف، في عهد احتكر فيه الفانقيّون العلاقات التجاريّة في جميع البحر الأبيض المتوسّط.

وبخصوص الفالجيّين يصرّح G. Glotz[3] : « نحو ثلاث آلاف سنة (3000) تدفّقت موجة غزاة -وصفها اليونانيّون القدامى باسم "فالجيّون"، ولم يكونوا بالتأكيد آريّين- انتشروا على الأرخبيل الجنوبي لبحر أجا، ووسط بلد الإغريق وجنوبه (بلوبناس) ...». وقد نقل Ph. Le Bas عن الدّكتور Cramer انه قام بمقارنة بين الأهلين الفارُجيّين والفالجيّين : « لغة البرجة المأخوذه من بلاد الأطراق أو مجْدونيا، كانت ما يمكن أن يسمّى بلهجة الفالجيّين القديمة، ولكن بعد ذلك تكون قد امتزجت باللّهجات الآسيويّة المتكلّم بها في عصر اقدم في آسيا الصّغرى، بحيث نتجت لغة فجّة، غامضة بالنّسبة لإغريق عهد زنا-فن وبلاطون ».

يؤكّد A. Jardé[4] اقوال الدّكتور Cramer وطرْحَنا المتعلّق بالبرجة والفالجيّين : « الأهالي الأوائل الذين لوحظ وجودهم (على الرّغم من ظهورهم المتأخّر في نهاية عصر الحجر المصقول) تكلّموا لغات غير هنديّة-اوروبيّة. ولَقد

---

1. بخاصّة في اللّهجة الإفريقيّة الشماليّة. كلمة يمكن ان تكون من أصل فانقيّ.

2. الحكمة الألمانيّة، بخصوص هذا الموضوع، اكثر بلاغة : هو « مثلما لقلق ولا يدرى على ايّ قائمة يقف ». الكتابة واللّهجة البونيّة تستعيض غالبا عن الحرف الصّائت "الف" بالحرف الحلقيّ "عين"، وهو ما يفسّر النّطق العربيّ الغربيّ لهذه الكلمة.

3. في كتابه "التاريخ الإغريقي".

4. مصدر سبق ذكره.

استبقَت تسمية الأماكن الآثار ؛ فاسم "لارسة" الذي نجده متكرّرًا في بلاد الإغريق الأروبيّة، يبدو أنه ينتمي إلى هذه اللّغات البائدة، وأنه يصف القلعة، المدينة المحصّنة. وسمّي هؤلاء الأهالي متقدّمي الهلانيّين، من طرف القدامى بالفالجيّين، من لغات غير هلانيّة ... ».

جميع ما أورده المؤلّفون وأيضًا معنى الأصل العروبيّ للمصطلح "فانقيّ" الذي عرضناه أعلى السّياق (الفصل الثالث، مدرج العنوان 2.3) يرخّص لنا التسليم بأنّ الفالجيّين "غير آريّين، ملاّحين كبار" ليسوا سوى الفانقيّين.

حقيقة، هم هؤلاء الأهالي من استعمر الأرخبيل الجنوبيّ لبحر أجا وكلّ شبه الجزيرة الهلانيّة، إلى غاية المناطق المجاورة (مجْدونيا، إلّيريا ...)، انطلاقًا من بداية الألفيّة الثّالثة، وهو العهد الذي تلى استقرار الفانقيّين في شرق البحر الأبيض المتوسّط (كنعان وآسيا الصّغرى). وقد تواجدوا في إغريقيا قبل الهلانيّين ذوي لغات هنديّة-أروبيّة بكثير.

جميع هذه المعطيات تنضمّ إلى القراءة التي أجريناها على الاسم فالج (أو فانق) الذي رأينا أنه اسم سلف الفانقيّين.

- فالق، الذي يعطينا الاسم القوميّ "فالقيّون" أي "فانقيّون"، بتناوب بين اللاّم والنّون؛
- فالج (حسب الكتابة اليونانيّة لنسخة السّبعين)، الذي منه اشتقّ الاسم القوميّ فالجيّون، هم الذين عاشوا على جهتي ضفاف بحر أجا (بلاد الإغريق وآسيا الصّغرى).

تمامًا مثل الكلمة ب. ل. ر. ج. التي تعني في العربيّة اللّقلق، تعني الكلمة ("لارسة") الحارسة في العربيّة أي "المحروسة جيّدًا، المنيعة، من الجذر ح. ر. س. الذي يعني "عسّ ودافع". وهذه الكلمة لها تمامًا المعنى ذاته، الذي أعطاه المؤلّف

الذي ذكرناه للتوّ، ويتعلّق بالمعنى "القلعة، المدينة المحصّنة". وما من حاجة مع هذا الوضوح للمقابلة الدّلاليّة بين الحارسة والبرجة.

3.2 الأهالي البنطسيّة الجنوبيّة والأقوام الإسكوتيّة الشماليّة

لقد بيّنّا في كتاب سابق[1] أنّ أهالي الأناضول الكثر لهم تسميات من أصل إيبريّ (إيبريّ-بربريّ) أو فانقيّ-إيبريّ، وهم أهال بنطسيّون جيران وأقارب لأهال القوقص[2] :

- البوسر : أهال جبليّون من قبادكيا، يعتبرون كإسكوتيّين ؛
- القبليّون أو الأمازول (الألازون) : جبليّون انحدروا من سليميّ عمر اللّوذيّ،
- الكردوق أو الكرد، يسمّون أيضًا الكلد : أهال جبليُّون، تموقعوا بين التيبارن من جهة الغرب والإمقران من جهة الشرق؛
- الإمقران : أهالِ جبليّون من جنوب-شرق البحر الأسود (بحر بنطس) حتى مناطق غرب القوقص ؛
- الطّيونيّون أو البوطيونيّون : أهالِ جبليُّون من السّاحل البنطسيّ الجنوبيّ، نحو مصبّات نهر العالي[3]، ينتمون إلى القوميّة الأرمانيّة-الجرجيّة؛
- التيبَارن : أهال جبليُّون من السّاحل البنطسيّ الجنوبيّ، يقترب اسمهم من تسمية الشّعب "الإيبر".
- الإسكوتيّون، الإسكة، الإسكوت (أو الإسكولت حسب أروادوت) : هم أهال توزّعوا في المناطق البنطسيّة، والحوض السّفليّ للدّانوب، وحوضي البوروستان والتانيس وكذلك في جزء كبير من آسيا الصّغرى. من بداية الألفيّة الثالثة

---

1. "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربرية".
2. الاسم "إيبريّ" هو مرادف "بربريّ". لقد رأينا في كتاب آخر" إيبريا وبربريا" أن أهال قوقص، الإيبر، أصبحوا بربرا حينما توطّنوا شمال إفريقيا.
3. يعلم هذا النّهر الحدّ الشرقيّ لآسيا الصّغرى، يصبّ في البحر الأسود وينبع من الجبال العليا لغامي، بين سواس و أرضرم.

حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، كان الإسكوتيّون أقوياء. سنة اثنين وثلاثين ومائتين وألف (1232) هزمهم نينوى ملك أشور.

وقد لا يكون اسم سلاحهم -رماح تعلوها نِصالٌ عريضة- إلاّ مفهوم الكلمة البربريّة إسك (الاسم الذي منه اشتقّت تسميتهم القوميّة)، الذي يعني "حدّ، قرن، قمّة جبل" كما يعني "أداة حادة، مدبّب" (أو كلّ سلاحٍ هجوميّ، بتوسيع الدّلالة).

هذه الإشارة الوجيزة لأهالي البحر الأسود، في الشمال كما في الجنوب تكشف لنا عن وجود أهالٍ فانقيّين وأيضا إيبر-قوقصيّين، وهم أهالٍ لغاتهم الخاصّة جدّ متقاربة فيما بينها، إن لم نقل متطابقة في الأصل (أي قبل انطلاق هؤلاء الأهالي في هجراتهم الكبيرة نحو ما وراء الجبال أو نحو قارّات اخرى). كما أنّ البلاد بين القوقص وأرمانيا، في آسيا الصّغرى من الشمال الشّرقيّ، كانت تسمّى فانقيا[1].

كلّ هذا يُفسّر استخدام اللّغة الفانقيّة والإيبريّة-القوقصيّة في آسيا الصّغرى، أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل العهد المسيحيّ، لأنّ هؤلاء السّكان كانوا من "عرق" عروبيّ، كما كانت تسمية الأماكن[2] عروبيّة، وكذا الثقافة، إلخ.

لقد حوفظ على اللّغة الفانفيّة بعد غزو إسكندر المجدونيّ ولم تزحها اليونانيّة عند الأناضوليّين. وحتى القرن الأوّل من العهد المسيحيّ، حسب سطرابو ، كانت الفانقيّة لا تزال تتكلّم في آسيا الصّغرى..

1. يؤكّد R. Weill كاتبا : . فريا (اسيا الصغرى الجنوبيّة الغربيّة) وبلاد الكلش (البحر الأسود، بين القوقص وارمانيا، في آسيا الصغرى الشماليّة الشرقيّة) كانت تسمّى أيضا فانقيا : إذا لقد غطت فانقيا آسيا الصغرى في زواياها الأربع وكذا الجزر..
2. اسم مدينة بابل، موجود في اسم المدينة المشهورة عليون، تسمية ثانية لثورا. اسماء اخرى كجبل إيدا في بلاد ثورا وجبل فانق في فريا وجبل دندلة في لوقيا وجبل قادم في فُرجيا وجبل الأمن في فيلقيليا.

3. السنّ بلاد الرّافدين

1.3 الأكاديّة

حسب موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique"، الأكاديّة هي أقدم اللّغات السامية التي تشكّل بمفردها الفرع الشرقيّ. لقد تكلّم بها في العصور القديمة ساميو بلاد الرّافدين، وامتدّ استعمالها إلى جميع الأماكن، حيث يبسط الأشوريّون والبابليّون نفوذهم وتأثيرهم. ولقد كانت على مدّ قرونٍ كثيرة في الشّرق الأدنى، بما فيه مصر، اللّغة العالميّة للعلاقات السّياسيّة الخارجيّة والتبادلات الثقافيّة. ويثبت ذلك بمصادر مكتوبة برموز مسماريّة منذ أربعمائة وألفين -2400- تقريبًا (العصر الذي جرّد فيه السّاميّون السّومريّين من الهيمنة السّياسيّة). وما منْ شكّ أنها تكلّمت قبل هذا، بل وقبل الاهتداء إلى إبداع الكتابة (نحو أربعمائة وثلاث آلاف -3400- سنة). في بداية تقاليد كتابتها، وخلال قرنين، شكّلت الأكاديّة كيانا لغويًا متجانسًا (الأكاديّة القديمة) ثمّ تشعّبت إلى لهجتين كبيرتين : البابليّة والأشوريّة.

لقد انتهت اللّغة الأرميّة، باعتبارها لغة متكلّمة، بالإزاحة التامة للأكاديّة، نحو نهاية القرن السّادس قبل الميلاد. غير أنّ الأكاديّة ظلّت منتعشة كلغة علميّة ودينيّة حتى العهد المسيحيّ.

2.3 الأشوريّة

هي فرع من الأكاديّة، لم تستخدم فقط في بلاد أشُورْ (الجزء الشّمالي لبلاد الرّافدين الذي يتخطى المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات) ولكن أيضا في الشرق القديم، حيث أصبحت بدايةً من القرن الثامن عشر، لغة السّياسة الخارجيّة. وكثير من المؤلفين يلبسُونها بالأكاديّة.

وكما كان الخطّ المقدّس القديم المصريّ مستعملاً في بلاد الرّافدين، كانت الكتابة المسماريّة في مصر. وقد أشار علماء الآثار إلى تعايش اللّغتين هنا

وهناك. وهذا يعني التأثير القوميّ والسّياسيّ والحضاريّ الذي تحوز الدّولة الأشوريّة في جميع هذه المناطق.

3.3 البابليّة

لقد شُفّرَ قانون حمو-ربي (ملك بلاد بابل ومعاصر النبي إبراهيم -عليه السّلام-) وترجمَ. أشار E. Dhorme في كتابه[1] إلى القرابة النّحويّة بين العربيّة الفصحى والبابليّة، وتشابههما المعجميّ، فكَتبَ : « كون المعرفة، المعمّقة دائما، باللّغتين البابليّة والأشوريّة، اللّتين تمثلان أقدم مصادر اللّغات السّاميّة، قدْ جلّيت كأوضح ما يكون، فهذا يعني أنّ العربيّة الفصحى لم تؤلّف قواعدها اصطناعًا وتجشمًا، كما افترض Renan، ولكنّها ورثت نظامًا استوى نسقه في عهد أولى السّلالات الملكيّة البابليّة، وهو ما تثبته بشكل خاصٍّ لغة قانون حمو-ربي، الذي نعلَمُه في نهاية القرن التاسع عشر قبل عصرنا. لقد كتبت البابليّة بخطٍّ مسماريّ، وهو الخطّ الذي لا يُمثّل الحروف الصّامتة فحسب، ولكن يُجلّي أيضًا الصّائت من الحروف ».

4.3 الأرميّة

هي لغة سامية قريبة النّسب بالفانقيّة مع بعض الفوارق التي تستدعيها اللّغة العربيّة. الأرميّة بالدّرجة الأولى هي لهجة قبائل البدو، لُمّحَ لها في القرن الرّابع عشر قبل العهد المسيحيّ في رسالة "تلّ العمارنة"، في نصٍّ أشوري ملقّبة باسم أخلامو، على تخوم وَادِيَيْ دجلة والفرات.

وتنقسم حقبة الأرميّة المشتركة، انطلاقًا من القرن التّاسع قبل الميلاد، إلى عهودٍ كثيرة :

- الأرميّة العتيقة : وهي أساسًا لغة مخطوطات القرن التّاسع والثّامن قبل الميلاد، وقد حرِّرت هذه المخطوطات بحروف الهجاء الفانقيّة،

---

1. في كتابه "العربيّة الفصحى ولغة حمو-ربي".

- الأرميّة القديمة : في القرن الثامن قبل الميلاد، انتشرت الأرميّة بفضل الفتوحات الأشوريّة والبابليّة، وأزاحت الأكاديّة (حالّةً مكانها) كلغة للسّياسة الخارجيّة. وقد جعل احتلال بابل من طرف قورش سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (539) وتأسيس مملكة فارس، من النيل حتى السّند، من الأرمية اللّغة الرّسميّة للدّواوين. ومتنًا للتبادلات التّجاريّة والسّياسيّة والثقافيّة: لقد تضنّنت الأرميّة على اللّهجات المحلّية : هي الأرميّة الملكيّة[1].

لقد عُثر على عدد لا بأس به من المصادر الأرميّة لعصر السّلالة الملكيّة لبني أخ-مينا في جميع ولايات مملكة فارس (من الهند حتى مصر). حين فتح إسكندر الشرق، خلفت اللّغة اليونانيّة الأخرى الأرميّة كلغة رسميّة. هذه الأخيرة وجدت نفسها دون مَن يكلؤها فتشتّتت إلى لهجات كثيرة.

4. لغات القوقص والإيبريّة -البربريّة

حسب A.Byhan[2] : « ليس القوقصيّون إلاّ شعبة من جنس قوميّ من آسيا الصُغرى وسوريّة. يبدو انّ اللّغات القوقصيّة لَهَا بعض التقارب مع اللّغة الباسكيّة وكذا مع الأرمانيّة. وبالمقابل، فقد تكلّمَ في آسيا الصُغرى قبل عصرنا لغات مختلفة، كانت قريبة من جهة معجمها واشكالها (صرفها ونحوها) للّغات القوقصيّة ... وحينما هاجرت جماعات من أهالي آسيا الصّغرى إلى بلدان البحر الأبيض المتوسّط، انجذبت قبائل قوقصيّة ، وهو ما يثبت وجود أسماء كتلك الألبنيّون والإيبر، إلخ في الغرب».

حسب الموسوعة "La Grande Encyclopédie": «قد يكون ربّما الأهالي الجرجيّون والسّاميّون أوّل من سكن الأراضي الأرمانيّة في عهد ما بعد الرّباعي كما أنّه يبدو انّ المصادر التاريخيّة الأقدم، المخطوطات السماريّة، التي اكتشفها كلّ من Schultz و Layard وآخرين في لوان وارضرم وبالو، تبرهن هي الأخرى على ذلك».

---

1. في موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique".
2. في كتابه" الحضارة القوقصيّة".

لقد أظهرت اكتشافات حديثة التواجد الرّجعيّ لعوارض مصنوعة من القلّز أو الفضة، يعتقد فرضًا أنها من أصل قوقصيّ، في أماكن كثيرة من وادي الفرات، وسط عتادٍ ذي سمة رافديّة شماليّة، في حين أنّ لُقيَة الخزف الكريم الرّافديّ في جنوب القوقص كما في شماله، توحي بأن العلاقات المؤكّدة لم تكن محصورةً، ولكن تقوم مقام تبادلات حقيقيّة. على أيّ حالٍ هناك دلائل كثيرة تسمح بافتراض قيام الأواصر بين أعلى بلاد الرّافدين والقوقص بدورٍ حاسمٍ في تاريخ التبادلات والفِكر في الألفيّة الرّابعة والثالثة ... على خلاف وادي دجلة، يقع وادي الفرات في مفصلٍ بين العالمين ؛ أحدهما مرتبط بالأناضول والقوقص، وثانيهما بسوريّة وبلاد الرّافدين[1].

تصوّر المصادر البابليّة الجزء من البلاد، الواقع شمال سهل سوسة، بالشريط الحدوديّ المأهول بالجبليّين، الذين يتواجد معهم أهالي السّهل السّومريّون-السّاميّون، في علاقة دائبة. من الجنوب إلى الشّمال يتواجد العَيْلاميّون والقصيُّون واللّولوتن (اللّولوبي) والجُدَيّون. وجميعهم ينتمون للكتلة الاجتماعيّة نفسها، ويتكلّمون لغات متقاربة[2].

جميع ما أورد المؤلّفون وما أشرنا إليه في الفصل الثّالث بصدد المهد الأوّل للنّاطقين باللّغة العربيّة، يؤكّد قرابة اللّغات القوقصيّة مع لغات آسيا الصغرى، من جهة، وقرابة هذه اللّغات القوقصيّة عينها (ومن بينها الإيبريّة-الآسيويّة) مع الباسكيّة (لغة إيبريّة-أروبيّة)، واللّغات العروبيّة-الحاميّة، من جهة أخرى.

فضلا عن هذا، نستذكر أنّ اللّغة الفانقيّة (أو الكنعانيّة) القريبة جدًا من الإيبريّة-البربريّة، تُصنّفُ منطقيًا ضمن خانة اللّغات العروبيّة-الحاميّة[3]،

---

1. في "أعمال ملتقى دوليّ نظمه المعهد الفرنسيّ للدّراسات الأناضوليّة لإستنبول" ؛ التسلسل الزّمنيّ لبلدان القوقص والفرات في الألفيّة الرّابعة والثالثة، أعدّه ؛ C. Marro et H. Hauptmann.

2. مصدر سبق ذكره لـR. Girshmann.

3. حسب "الكتاب المقدّس" ("سفر التكوين")، تسمّى أبناء حام مصرايم (اسم سلف المصريّين)، وكوش (اسم سلف الأحباش)، وكنعان (اسم سلف الكنعانيّين-الفانقيّين) وفوط.

وبالتالي لها قرابة مع اللّغات القوقصيّة، كما رأينا أنّ أهالِ عروبيّين سكنوا آسيا الصّغرى، بخاصّةٍ سوريّين-فانقيّين، حيث كانت اللّغة الفانقيّة مألوفة في هذه المناطق الأناضوليّة، ممّا يضاعف من قرابة هذه الأخيرة (الفانقيّة) مع اللّغات القوقصيّة.

في كتاب سابق[1]، أفضت بنا دراسة تسمية الشّعوب إلى معاينة الأصل العروبيّ بخاصّة البربريّ المتعلّق بأسماء الشّعوب مثل القصّيّين واللّولوتن والجدّيّين ... هؤلاء الشّعوب الذين يقال أنهم يتكلّمون لغات متقاربة، أوّلاً فيما بينها، ثمّ إنها متقاربة مع اللّغات القوقصيّة. ويعترف B. Hrozny[2] بأنّ : « العيلاميّة الأولى، بلا ريب لغة قوقصيّة جدّ قديمة».

حينما نتكلّم عن اللّغات القوقصيّة، فمناط الكلام لا يقتصر على لغات تُكلّمنَ في جنوب القوقص، ولكن أيضًا يتعلّق بلغات تُكلّمتَ في شماله، ترتبط بالأرومة اللّغويّة نفسها. لهذا أوردت موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique": « اللّغات من المجموعة الشماليّة والأخرى الجنوبيّة، تكلّمها أهالٍ من عرق أبيض، من حضارات جدّ متباينة، معزولة غالبا بعضها عن بعض، ولكن بينها قرابة محتملة. والمجموعتان تربطهما قرابة أكيدة مع اللّغة الباسكيّة».

هناك ظاهرة لسانيّة أخرى (نوع الكتابة) ترافع، منضافة، لِصالح تصنيف اللّغات القوقصيّة ضمن الأرومة اللّغويّة العروبيّة. بهذا الصّدد ذكر de Brotonne[3] نقلاً عن A. Garrigou أن : « اللّغة الجرجيّة (الإيبريّة القديمة) تكتب من اليمين إلى الشمال مثل العبريّة والعربيّة والفارسيّة والأرمانيّة، وهي الصّنفة التي تختصّ بها اللّغة السّاميّة القديمة».

---

1. في كتابنا "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة".
2. مصدر سبق ذكره.
3. في كتابه "تاريخ نسبة وهجرات الشعوب".

5. لغات فارس والهند

1.5 في فارس

سابقًا، للألفيّة الثانية قبل العهد المسيحيّ، كان العرب -أو بالأحرى الناطقون باللّغات العروبيّة- حضورًا في آسيا، شرق بلاد الرّافدين. كما أتاح العروبيّون انبثاق حضاراتٍ في أودية الأنهار الكبرى (أحواض الدّجلة والفرات والنّيل)، فقد استعمروا أودية القارون والقرْخة : وفي المنطقة الأخيرة هذه، توجد مدينة سوسة، التي أصبحت قُرونًا كثيرة بعدها عاصمة السّلالة الملكيّة لبني أخ-مينا. احتلّ ملك أكاد، سرجون، هذه المنطقة في النّصف الأوّل من الألفيّة الثّالثة قبل العهد المسيحيّ. امتدّت مملكة أكاد إلى غاية الضّفاف الشّرقيّة لبحر قصوين.

ألفا سنة بعدها ظهرت في هذه النّواحي القبائل الهنديّة-الإيرانيّة، التي خلفت مملكة بابل : سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (539) قبل الميلاد، فتح قورش الثّاني بابل. وقد مثّل الفرس أقلّية أخضعت جميع أهالي بلاد الرّافدين وكذا نظائرهم في آسيا الغربيّة. وقد جعل تأسيس مملكة فارس، الموروثة عن المملكة الأشوريّة-البابليّة. من الأرميّة اللّغة الرّسميّة للدّواوين[1].

أمّا اللّغة الإيرانيّة -لغة هنديّة-أروبيّة- فلم يَسِعها لا الزّمن ولا الجهد تعويض لغة الأهالي المهزومين. ظلّت الأرميّة لغة الاتّصال في نطاق الشّعب، كما في المجال الرّسميّ، في حين كانت النّقود تُصكُّ بكتابة محفورة بالأرميّة. ينبغي أنّ اللّغة الأرميّة الملكيّة لم تقو على البقاء بعد زوال مملكة بني أخ-مينا ما لمْ تُعضَد بدعم منها.

لم تظهر اللّغة الإيرانيّة بصفة رسميّة إلاّ مع اللّغة الفارثيّة (لغة من المجموعة الغربية الإيرانيّة الوسطى)، وهي اللّغة التي أثبتت في عهد الرّاسكيّين

1. حسب A. Dupont-Sommer . احتلّت القبائل الأرميّة بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد، بخاصّة السّهوب الواقعة شرقيّ دجلة (أي المناطق القوقصيّة)، في كتابه "الأرميون".

بدلالة بعض المصادر والنقود، بداية من القرن الأوّل قبل الميلاد (حيث اشتقّت كتابة هذه النصوص من الكتابة الأرميّة)، ثمّ مع اللّغة الفارسيّة الوسطى، التي أصبحت اللّغة الرّسميّة للملكة السّاسانيّة (ما بين ستّ وعشرين ومائتين واثنتين وخمسين وستمائة (226- 652) من العهد المسيحيّ).

وهكذا، رغم ميلاد مملكة فارس، في القرن السّادس قبل الميلاد، استعملت جميع مناطق بلاد الرّافدين والمناطق الإيرانيّة باطّراد، بالتّرجة الأولى الأكاديّة فقريبتها الأرميّة. وهو ما يثبت -عند الاقتضاء- أنّ الجزء الأعظم من هؤلاء الأهالي تكلّموا وكتبوا امتيازًا بلغة عروبيّة[1].

يبدو بالتّالي، أنّ اللّغات الهنديّة-الأروبيّة لم تبلغ حينها بعد درجةً من التطوّر والرّقيّ، بشكل يجعلها تفرز لغات لامتِثال الحضارة، خلال الألفيّة الثانية ؛ اللّغة الأدبيّة الأقدم، السّامسكريتيّة، لم تظهر إلاّ في بداية الألفيّة الأولى قبل العهد المسيحيّ (يعتقد بعض المؤلّفين ان تحرير "رق-البداء" اقدم نصّ لنصوص البداء تمّ بين خمسمائة والف ومائتين والف (1500-1200) قبل الميلاد في بلاد الأنهار الخمسة -الفنجاب-)[2]. ولم تعرف "البستاء" (آداب إيرانيّة) الميلاد، إلاّ قرونا كثيرة بعدها.

كلّ هذا يخوّلنا التصريح بأن القبائل ذات اللّغات الهنديّة-الأروبيّة لم تفلح في فرض لغاتها في بلدان آسيا وأروبا إلاّ في عهد متاخّر ؛ فاللّغة الأدبيّة في بلاد الإغريق لم ترَ النّور إلاّ في القرن الخامس قبل الميلاد على يد اللّغة اليونانيّة المشتركة (koinè). وبهذا الصّدد يُخبرنا A. Meillet[3] : « لقد تالفت اللّغة المشتركة على كلّ حال، حين تأسّست مملكة أثينا، نحو خمس وسبعين واربعمائة (475) قبل الميلاد ... وهي لغة حضارة أثينا التي نشرت في الخارج ».

---

1. على غرار ما حدث ببلاد الإغريق قرونا قبلها، اخضع فوج من القبائل الهنديّة-الأروبيّة البلاد، فارضين- تدريجيًا- لسانهم على المحليّين، الناطقين بلغات عروبيّة.
2. D. Kosambi في كتابه "ثقافة وحضارة الهند القديمة".
3. في كتابه "لمحة عن تاريخ اللّغة اليونانيّة".

2.5 في الهند

1.2.5 في وادي السّند

لم يشذ وادي السّند عن الحالة السّابقة، فقد شهد، في هذه النّاحية وفي غربيّ حوض السّند، وفي بالوشستان الحالي وجنوبيّ أفغانستان -المناطق الحدوديّة بين فارس والهند، التي تنضمّ إلى باكستان الحديثة- تأسيس مستعمرات عروبيّة-.

لقد تطوّرت الحضارة ما قبل الهنديّة لوادي السّند توازيًا مع الحضارتين الكبيرتين السّومريّة-البابليّة والمصريّة، وقد ظهرت هاتان الحضارتان حوالي ألفيّة من قبل تقريبًا، في أحواض الفرات ودجلة والنّيل. يمكن تحديد تاريخ هذه الحضارة الجديدة المكتشفة، بمساعدة الأختام ما قبل الهنديّة التي عثر عليها في منطقة بابل أو بلاد عيلام، الصّادرة عن طبقات أثريّة لعهد سرجون أو ما قبل سرجون (أي ما بين أربعمائة وألفين ومائة وألفين -2400-2100- قبل الميلاد)[1].

معتمدا على الأختام ما قبل الهنديّة، يخبرنا B. Hrozny : « يسمح بكشف علاقات تجاريّة، وجدت بين بلاد أهالي ما قبل الهنود وبلاد سومر-أكاد ... وقد أقامت القوافل الأكاديّة والأشوريّة المُتاجرة، من وادي السّند إلى البحر الأبيض المتوسّط وإلى بحر أجا حتى غاية شمال إفريقيا .. لقد تأثرت الحضارة ما قبل الهنديّة، معاصرة عهد أكاد والحقب الموالية له، بشكل بالغ بالحضارة الأكاديّة».

يُردفُ المؤلف نفسه : « يمكن افتراض أن الأهالي ما قبل الهنود، قدموا إلى البلاد الهنديّة بعد ان غادروا شمال سوريّة وبلاد الرّافدين، وقد تعلّموا فنّ البناء بالآجر في هذه البلدان الخاضعة لتأثير الحضارة البابليّة». يوضّح B. Hrozny انطلاقا من تماثيل وأشياء عثر عليها في وادي السّند، أنّ الجنس البشري نفسه،

---

1. B. Hrozny مصدر سبق ذكره.

والثقافة ذاتها، كتلك في بلاد الرّافدين : «تمثال مصنوع من حجر دهنيّ (الطّلق)، يمثل رجلاً بلحية قصيرة، حالق الشّارب، على النّحو السّومريّ، مرتديًا ثوبًا محلّى بزخارف نفَليّةٍ، مبديا لنا نموذج سكّان الهند في هذه الحقبة المعنة في القدم ... علبة مستلزمات الزّينة جدّ مميّزة، في ثلاث قطع، هي بالضّبط نظيرة مستلزمات أخرى واردة من أور في بلاد بابل». ويلخّص هذا المؤلّف : «ويبدو احتمالا ضئيلاً أنّ الحضارة هذه (ما قبل الهنديّة) قد تكون خاصّة الشّعب السّمسكريتيّ الهنديّ-الأوروبيّ : يفترض بوجه عامٍّ أنّ هذا الشّعب فعلاً قَدِم الهند بين خمسمائة وألف ومائتين وألف (1500-1200) قبل الميلاد، وهو ما يعني أنه ظهر حوالي تسعة قرون انتشار أهالي ما قبل الهنود في الهند».

يؤكّد D. Kosambi[1]، العلاقات التجاريّة بين وادي السّند من جهة وبلاد الرّافدين وجزيرة البحرين من جهة أخرى، حيث يُصرّح : «في المنازل ذات الطّوابق المتعدّدة في عَرَبًا ومناوجو-دارو (مدن ذات عمران معقّد، وتخطيط دقيق)[2] كانت هناك هراء، أوسع من أن تكون أملاكًا خاصّة ... كلّ هذا يشهد على تجارة ذات بالٍ، قد تكون امتدّت إلى ما وراء المحيط ... لقد بيّنت تنقيبات بلاد الرّافدين أنّ المدن التي رأت النّور (بفضل هذا البحث) قد تاجرت مع نظيراتها في السّند ... المستودع الكبير الذي كان يستعمل التبادلات بين وادي السّند والعراق، هو جزيرة البحرين في خليج فارس : وهو تلمون، في الأسطورة الرّافديّة. كتابات مسماريّة على ألواح الطّين، تجعل من البحرين بلد تجارةٍ، وتخبر أنّ هذه الأسواق كانت بين أيادي طبقة تجّار. يبدو أنّ الاسم ملّوحة ينعت، عند الرّافديّين، منطقة السّند. وبداية من خمسين وسبعمائة وألف (1750) قبل الميلاد، نفقد كلّ إشارة لملّوحة، ممّا يعني أنّ العلاقات التجاريّة قد انقطعت، بعلّة الكابسين على الأرجح. وقد كان هناك مركز تجاريّ آخر مجان أو مخّان، الذي لا يمكن تحديده بدقّة بين الهند والبحرين».

---

1. مصدر سبق ذكره.
2. هذا المعمار، هذه المنازل ذات الطوابع العدّة، تذكّر حتما بمشهد المعمار اليمني.

وفي وادي السّند كتب G. Courtillier[1] : . بلاد أكثر عرضة للتأثيرات الأجنبيّة، فقد كشفت التنقيبات في مناوجو-دارو وفي عربَا[2] عن وجود ثلاث مدن تتراكب، الأقدم منهنّ ترقى إلى نهاية الألفيّة الرّابعة. وكان التجهيز يستخدم أحجارًا مصقولة والنحاس، والذّهب والفضّة والخزف المطليّ كان معروفًا، ويستدعي الفخّار الكريم ذو الرُسوم المتناظرة، الأسود، على خلفية حمراء، المقارنة مع تنقيبات بالوشستان، والسّيستان أو سوسة. حوالي ألف من ألواح الكلس، بكتابة تصويريّة ورسوماتها الحيوانيّة؛ الدّرباني والفيلة، والنّمور على سبيل المثال، تصِفُ في مجملها حضارةً محلّية وتبادلات اجتماعيّة مع كلتا الأولى .. حقًا، لقد كان نحاة الحيوانات الأشوريّون ذائعي الصّيت، وقد تكون مدرستهم وصلت حتى الهند.

لقد وصلت موجات الهجرات العروبيّة هناك، دونما شكّ، عن طريق البرّ (انطلاقًا من بلاد الرّافدين) كما البحر انطلاقًا من بحر عمان وشطّ العرب (الخليج العربيّ-الفارسيّ). لا ينفصل السّند (مصبّات السّند) عن شبه الجزيرة العربيّة (السّواحل العمانيّة) إلاّ بعرضٍ ضئيل (نوعا ما) من بحر عمان، إذ قبالة إيران يتواجد مضيق هرموز.

ينبغي أنّه من هاتين النقطتين حصل العبور، إمّا تِباعًا نحو السّاحل الهنديّ وساحل ما سيسمّى لاحقًا بإيران، أو في الاتجاه المعاكس، نحو شبه الجزيرة العربيّة. ونستذكر بهذا الصّدد أنّ قائد حملة إسكندر البحريّة، يسمّى نيَر-راق، قد أشار إلى أهالٍ عرب -أسماهم عربيتا- في الأقاليم البحريّة لبلاد السّند (الباكستان الحاليّة).

---

1. في كتابه"الحضارات القديمة للهند".

2. تقع عربَا في الفنجاب، على ضفاف الرّاوي، ساعدة نهر السّند، ومناوجو-دارو، سبعمائة كيلومتر إلى الجنوب الغربيّ، على ضفة نهر السّند.

بالأخذ في الحسبان الشّواهد الأثريّة في الهند، والعلاقات التجاريّة التي أجراها التجّار العرب مع النّواحي الدّاخليّة للهند -علاقات وصلت إلى غاية الصّين-، فإنّ قيام مستعمرات عروبيّة في بالوشستان وبلاد الأنهار الخمسة (الفنجاب) وحتى في أفغانستان، يبدو أمرًا منطقيًا[1].

2.2.5 بالوشستان

تتكوّن في معظمها من صحراء. وتتوافر بالوشستان على ظروف المعيشة نفسها الموجودة في المناطق الوسطى والشّرقيّة لشبه الجزيرة العربيّة، ويمثل البدو الرّعاة القاعدة الأساسيّة لأهلها. هذا الموطن هو جدروسيا القديمة، التي عبرها إسكندر، حين قَفَل من الهند ممّا يثبت أنها كانت طريق عبور عتيق.

توجد في بالوشستان اللّغة البراهميّة التي استمرّت بين ظهراني لغات إيرانيّة، في الجبال التي تطوّق من الغرب وادي السّند. وتجلّي الكتابة البراهميّة، التي لا تزال مشتقّاتها مستعملة إلى يومنا في الهند كلّها، حروف الكتابة الفانقيّة لمخطوطة مَشا (خمسين وثمانمائة -850- قبل الميلاد). وقد انتشرت مع التجارة البحريّة من بابل إلى مرافئ الهند.

أدخلت الكتابة القورشتيّة، المشتقّة من الكتابة الأرميّة، الهند في ما يبدو، عندما كان الشّمال الغربيّ مقسّمًا إلى ولايات فارسيّة، إذ أنّ الأرميّة كانت اللّغة الرّسميّة للمملكة. وقد حفظ التوجّه من اليمين إلى اليسار أثر أصلها السّاميّ[2].

3.2.5 افغانستان

تتموضع هذه البلاد على إحدى أكبر طرق العالم، طريقٍ عبرتها في الأزمنة الغابرة باطّرادٍ جُيُوشٌ غَازيةٌ، كما زارها إسكندر الثالث، لقد كان وادي حلماند (منطقة كَنْدَاهار) متّجهًا نحو إيران، بالغًا سيستان، تسمح لنا هذه المنطقة بمعاينة فخار كريم مطابق لذلك الموجود في سوسة، صنو صناعة بالوشستان.

---

1. في نهاية القرن السادس قبل الميلاد، امتدّت مملكة فارس من بحر قصوين إلى خليج فارس، ومن ضفاف نهر السّند إلى النّيل. وقد ناوبت مملكة بابل في آسيا.
2. G. Courtillier في كتابه"الحضارات القديمة للهند".

4.2.5 بلاد الأنهار الخمسة (الفنجاب)

في الفنجاب، بلد البقل، تعيش قبائل رعوية. كتب de la Vallée Poussin[1] متكلمًا عن هؤلاء الأهالي : « من المؤكد أن الفنجاب غزاه أهالٍ بيض، قدموا من إيران، ولجوا الهند إمّا عن طريق الشمال الغربيّ (بلاد بلخ-كابول) أو عن طريق افغانستان-بالوشستان.» في سياقٍ لاحقٍ صرّح المؤلف نفسه : « كون الأهل الحاليّين للفنجاب يمثلون العرق النقيّ للآريّين ذوي آداب "البداء"، احتمال غير وارد، إذ أنّ الشمال الغربيّ كان مفتوحًا على كلّ الغزوات مذ الفيّات كثيرة. كون الجطّ الذين تحمل قبيلة منهم الاسم "عربيّ"، هم من سلالات هنديّة-إيرانيّة أصيلة كلامٌ لا يُصدّق.»

هكذا نجد الاسم القوميّ هنا، وهو"عربيّ" في الفنجاب، الذي نصادفه في السّند (واسمه "عربيتا"). وتؤكّد، دون شكٍّ، دراسة تسمية الأماكن لهذه المناطق، الأصل العروبيّ لهؤلاء الأهالي. ويمكن ذكر بعضٍ من هذه الأسماء في هذا المقام.

- كنداهار : مدينة في جنوب أفغانستان، يمكن تقسيم اسمها إلى جزئين : كندة، تسمية شعبٍ عربيٍّ في شبه الجزيرة العربيّة، ولهذا الاسم أيضا معنى "قسم من جبل" (في العربيّة)، والجزء الثاني "هار" (أو هر) يعني صخرًا، جبلاً في اللّغة الفانقيّة؛

- شنداجار : مدينة في الفنجاب، ليست تسميتها إلاّ تحويلاً صوتيًا ووجها من وجوه نطق كنداهار؛

- سمْلة : اسم مدينة في الفنجاب، نظير اسم سملة الفانقيّ، أمّ ضوء-نوسا، وابنة قادم وحرمانيّة، كانت سملة هذه آلهة الأرض والتّياميس، أصلها من بلاد الأطراق.

---

1. في كتابه "الهنود-الأروبيّون والهنود-الإرانيّون".

6. جملة القول

عراقة الألسن العروبيّة حقيقة تاريخيّة مؤكّدة. ففي الألفيّة الثالثة، تكلّمت لغات عروبيّة واستخدمت داخل وخارج شبه الجزيرة العربيّة، في المناطق المجاورة لأعلى بلاد الرّافدين وكذا للقوقص : الأكاديّة في المملكة الأشوريّة-البابليّة والفانقيّة أو الكنعانيّة في الهلال الخصيب والأناضول (توازيا وغالبًا في تنافس مع الأكاديّة) كما استخدمت فيما بعد في المملكة الاستعماريّة الفانقيّة، التي امتدّت حتى أروبا الغربيّة، إلخ.

في الألفيّة الأولى قبل الميلاد، خلفتها الأرميّة التي أصبحت "بما يدعو للغرابة" اللّغة الرّسميّة لمملكة فارس، كما أصبحت، ولكن هذا الطّور بتلقائيّة في بداية العهد المسيحيّ، اللّسان الدّينيّ للعقيدة الجديدة، المسيحيّة.

لقد بيّنا مع اشعار رأس-شمرة وقانون حمو-ربي انّ اللّغات العروبيّة بلغت أوجّها الحضاريّ -بلا ريب- قبل أن تبدأ اللّغات الهنديّة-الأروبيّة بكثير، مع "رقّ البداء" ثمّ "البستاء" إفراز أدب معرقٍ ومقدّس.

توافقًا مع ما سلف وبالالتفات إلى الحضور "التاريخيّ" للّغات العروبيّة قبل ظهور اللّغات الهنديّة-الأروبيّة، يمكن ذكر مثال نموذجيّ للاستعارة التي قامت بها لغة هنديّة-اروبيّة (السامسكريتيّة) من العربيّة، ويتعلّق الأمر بالكلمة dyauh أو dévah التي أعطت Zeus في اليونانيّة ومنها اشتقّت الأسماء "إله أو آلهة" في لغات أروبيّة كثيرة.

يقدّر A. Meillet[1] أنّ ، الاسم الهنديّ-الأروبيّ لـ "إله" déiwo، الذي يعني حرفيًا "لامع"، ليس هو الاسم اليوناني-لأنّ θεος (إثع)، يعتري أصله غموض، وليس له ايّ قدر مشترك مع الاسم déiwo القديم. Zeus، وهو الاسم الموجود في dyauh لـ"البداء"، هو الاسم القديم للسّماء المضيئة، ولم يُصبح الآلهة الهلانيّة الكبيرة، إلاّ بفقد خاصته الطّبيعيّة .....

---

1. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللّغة اليونانيّة".

في الحقيقة، يتفسّر اسم Zeus، بجلاء بمعنى أصل عربيّ : في الواقع، يمكن قراءة Zeus مثل ضوء أو ضياء، وهو اسم يعني "نور، لمعان" ويرتبط تمامًا مع اسم Zeús اليونانيّ (إذا ما حذفنا اللاّحقة اليونانيّة S/ س). فضلاً عن هذا فقواعد اللّغة اليونانيّة (المأخوذة من كتاب "Grammaire grecque"[1] أي الإعراب اليونانيّ)، في تصريف الكلم، تشير إلى تصريف كلمة صعبة (بجذر منفصل) : وهي كلمة Zeús (في الاسميّة) وهي التي تصبح Zeú مقابلة ضوء (في النداء) وDia مقابلة ضياء (في المفعوليّة) وDiós (في المضاف إليه) وDii (في المضاف). وبعض هذه التصاريف هي نقل حرفيّ للكلمة العربيّة التي أشرنا إليها.

هذا التشابه اللّغويّ بين اللّغات الهنديّة-الأروبيّة واللّغات العروبيّة (المسمّاة من طرف بعض المؤلّفين لغات حاميّة-ساميّة) يتوافر، ولا يمكن إلاّ أن يؤكّد حقيقة أنّه قبل اجتياح الهند والمناطق القوقصيّة (على سبيل المثال) من طرف قبائل ذات لغات هنديّة-أروبيّة، كان هناك أهالٍ عروبيّون محليّون في جميع هذه المناطق، ولغات هؤلاء الأهالي طبعت بصماتها -إن كثيرًا أو يسيرًا- على اللّغات الهنديّة-الأروبيّة المعنيّة. يؤكّد A. Meillet[2] تواجد أهالٍ محليّين -قبل اجتياح القبائل ذات لغات هنديّة-أروبيّة-، ويستنتج التأثير اللّساني للأهالي المحليّين بقوله : « المناطق حيث فرضت لغة كلّ واحدة من الجماعات البشريّة ذات لغات هنديّة- اروبيّة نفسها، لم تخسر بذلك أهلها القدامى، وكثير من الأفراد بالتالي غيّروا لغتهم».

يمكننا إيراد مثال آخر نموذجيّ "للاستعارة"، وهذا يخصّ اسم شعب : يتعلّق الأنموذج ببرجة الهند (البرجو)، الذي وصفه المؤلّفون بالشعب الآريّ، أي شعب ذي لغة هنديّة-اروبيّة. وقد رأينا أعلى السّياق (في بداية الفصل)، أنّ

---

1. "دروس في اللغة اليونانيّة" لـJ. Allard et E. Feuillâtre.
2. في كتابه "مدخل لدراسة تقابليّة للغات الهنديّة-الأروبيّة".

الفارُجيّين أو البرجة، الذين اشتقّ اسمهم من الكلمة العربيّة "برج" (التي تعني "قلعة، حصن")، هم أهال من قوميّة عروبيّة (من عرق ساميّ حسب المؤلّفين).

صرّح الدكتور Cramer، المذكور أعلى السّياق، وهو من قام بمقاربة قوميّة بين الفارُجيّين والفالجيّين، أنّ : « لغة البرجة، لغة فجّة مبهمة لدى إغريق عهد زنأ-فن وبلاطون، في حين أنّ G. Glotz يقرّ أنّ : « الفالجيّين ليسوا بالتأكيد آريّين» ومن جهته يشهد A. Jardé أنّ « الفالجيّين ليسوا ذوو لغة هنديّة-اروبيّة ». أمّا أروادوت فيجمع كلّ الشّعوب الذين في اسمهم الجذر ب. ر. ج. (أو ب. ر. ق.) أي البُرْجة، البُرْقة، البُرْقتر، البابُرْقة، البُرجة-الجند، البرجنط، إلخ. وصرّح : «في تسمياتهم، ذوات الصّيَغ التي يبدو أنها مختلفة، ... جذر مشترك يدلّ بطريقة مؤكّدة على اصل مشترك ».

وفي هذا المدرج يخبرنا D. Kosambi[1] : « إنه لأمر مدهش أن نجد الاسم برجو (من اصل واحد للاسم فُرجة) في نصوص "رقّ-البداء" ... لقد اندمج البرجو متأخرين في المجتمع البراهمانيّ، ولكنّهم ارتقوا بسرعة».

من كلّ ما أورد المؤلّفون (دون استيعاب القائمة المقام)، يمكن أن نقول أن برجو أو برجة الهند، هم شعب من لغة غير هنديّة-أروبيّة، ينتسب لبرجة الأناضول، منطقة انطلاق هجراتهم -دون شكّ- نحو شبه القارة الهنديّة، عبر بلاد الرّافدين[2].

هكذا، كما يمكن مصادفة اسم قوميّ هو "عربيّ" في الفنجاب، وآخر "عربيتا" في السّند، كما نجد اسما قوميّا في الهند وهو "برجو" نظير السّابقين.

يُقدّر B. Hrozny، وهو لسانيّ حاذق ومترجم كتابات عديدة لآسيا الغربيّة وكنا لقرنا (الخطيّة "ب")، في كتابه[3]، صفحة 75، أنّ : « إنّ القرابة على الرّغم من

1. مصدر سبق ذكره.

2. يمكن ان نلتقي تسمية شعب من جذر البرجة نفسه، وهو البابرجة (وقد استشهدنا لذلك باروادوت) ؛ هؤلاء الأهالي سكنوا المناطق المجاورة للبحر الأسود، التي تمتدّ من ارمانيا إلى غاية نهر العالي.

3. مصدر سبق ذكره.

بعدها، محتملة بين اللّغات الحاميّة-السّاميّة واللّغات الهنديّة-الأروبيّة، ممّا يشجب تلمّسنا للوطن الأصليّ للأهالي الحاميّة-السّاميّة في نقطة جدّ بعيدة عن الوطن الأصليّ -نسبيّا- للهنود-الأروبيّين، وهو الواقع على الأرجح في شمال البحر الأسود، والقوقص وبحر قصنوين، وبهذه الملابسات، كلّ المؤشرات تبعث على افتراض أنّ الحاميّين، هم الآخرون نفذوا إلى إفريقيا، قدومًا تقريبًا من جهة آسيا هذه..

هذا الاستشهاد يستدعي منّا ملاحظات عدّة :

- يتوافق B. Hrozny مع طرحنا الذي يجعل مهد الشّعوب النّاطقة بالعربيّة (الذي أسماهم حاميّين-ساميّين) -أي موطنهم الأصل- بجوار الوطن المفترض للهنود الأروبيّين. ممّا يعني أنّ العرب قد تموقع جزء منهم، خارج بلاد الرّافدين في : مناطق البحر الأسود والقوقص وفي بحر قصوين، وبالتالي فقد بلغوا كما رأينا وحدّدنا، حتى مصبّ الدّانوب والبولغا.

- بالأخذ في الحسبان التسلسل الزّمنيّ لهجرات القبائل ذات لغات هنديّة-أروبيّة نحو الهند وآسيا الغربيّة وأروبا، نلاحظ أنّ بعض الهجرات تمّت (باعتبار معلم نزولها الأخير) ابتداءً من النّصف الثاني للألفيّة الثّانية ممّا قبل العهد المسيحيّ، في حين أنّ الجزء الأعظم من هذه الهجرات كان خلال الألفيّة الأولى (في نصفها الأوّل). ينبغي، من باب أولى، الكلام عن الاجتياحات بدل الهجرات، لأنّ جميعها كانت نتيجة غزوات عنيفة، حقّقتها قبائل شرسة وقليلة التحضّر.

والأرقام التي نسُوقها، محلّ قَبُول من طرف أغلبيّة المؤلّفين، وهي بوجهٍ تقريبيّ :

- بعد خمس وسبعين وسبعمائة وألف (1775) قبل الميلاد، في آسيا الصّغرى، مع الحِثّيّين[1]،
- بين خمسمائة وألف ومائتين وألف (1500-1200) قبل الميلاد، في الهند،

---

1. يتحفّظ من مؤلّفين عدّة، الذين يقدّرون أنّ الحثية ليست لغة هنديّة-أروبيّة (من بينهم A. Meillet).

- بداية من القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، في بلاد الإغريق، مع الهلأنيّين،
- في القرن السّابع، قبل الميلاد، في إيران، مع المدّاية والفرس،
- في القرن السّادس قبل الميلاد، في إيطاليا مع الرّومان ... ؛
- ... حتى آخر غزوات الجرمان، في أروبا الغربيّة، في القرن الخامس من العهد المسيحيّ؛
- في القرن السّادس للميلاد، في أروبا الشرقيّة والوسطى مع الصّقالبة،

أيّا كانت الأسباب، يُقدّر المؤلّفون أنّ ميلاد لغات هنديّة-أروبيّة ليس قبل القرن السّادس عشر قبل الميلاد. يصرّح A. Meillet[1] بأنه : « في الوقت الذي ظهرت فيه اللّغات الهنديّة-الأروبيّة في التاريخ، في أزمنة مختلفة، بين القرن السّادس عشر أو الخامس عشر قبل الميلاد، والقرن السّادس عشر أو السّابع عشر للميلاد، لم تشعر الأمم التي كانت تستخدم هذه اللّغات، أنهنّ من حيث الجوهر لهنّ كلام واحد ولكن محوّل بتباين».

بطبيعة الحال، كانت هناك مهاجراتٌ قبائل ذات لغاتٍ هنديّة-أروبيّة، بصورة مسالمة، على مدى قرون، ولكن دونما أهميّة من جهة العدد، وهو ما سهّل اندماجها في مجتمع بلد الاستضافة. وامتثالها الأوضاع كان نوعًا ما سريعًا، ولم تؤثر لغاتهم الخاصّة الهنديّة-الأروبيّة على لغة البلد المضيف.

وهكذا، قد سمح لنا هذا الفصل بتوكيد قِدم اللّغات العروبيّة وأسبقيّتها بالنّسبة لعائلات لغويّةٍ أخر. كما ساعدنا على إقرار علاقات قريبة بشكل أفضل، بين التاريخ واللّسانيات، والتكامل بين المجالين.

---

1. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانية".

البابُ الثّاني

ديانات الأنبياء ولسانهم

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

(سورة الدخان - الآية : 58)

الفصل الأوّل

الأنبياء ولسانهم

1. إبراهيم وإسماعيل وإسحاق (عليهم السّلام)

1.1 الأنبياء

1.1.1. الرّسول إبراهيم -عليه السّلام-

أ/ حسب "الكتاب المقدّس" ("سفر التكوين")

غادر إبراهيم رفقة أبيه وزوجه ساراي وابن أخيه لوط، كلدا (أور)[1] أين ولد، ليلتحق ببلاد كنعان. وحين وصوله هذا البلد، بَنَى أبرام في بتئيل مذبحا للرّبّ. وإثر مجاعة، توجّه أبرام إلى مصر ليقيم بها زمنًا، ثمّ آبَ بعدها إلى بلاد الكنعانيّين، وَعَقِرت ساراي زوجه أن تلد له ولدًا. وكانت لها خادمة مصريّة وهبته إيّاها زوجةً، تسمّى هاجر، بعد أن أقام إبراهيم عشر سنواتٍ في بلاد كنعان قرب حبرون[2] ... ولدت له هاجر ولدًا أسماه إسماعيل.

وحين بلغ إسماعيل ثلاث عشر سنوات ختن، وكان حينها عمر أبيه تسعا وتسعين سنة. وحين ولد إسحاق بن سارة، كان عمر إبراهيم مائة سنة. فأقام إبراهيم احتفالاً بهيجًا لمّا بلغ إسحاق الفطام. وقد رأت سارة الغلام الذي ولدت هاجر المصريّة لإبراهيم يضحك، وأتبعتها وابنها، فخرجت وابنها وقطنت صحراء فاران[3]، وزوّجت هاجرُ ابنها امرأةً مصريّة.

---

1. أور، مدينة تقع على الضفّة الغربيّة للفرات، في جنوب بابل.
2. هي مدينة الخليل اليوم (في فلسطين)، من اسم أعطي لإبراهيم، هو "خليل الرّحمن".
3. يجعل "الكتاب المقدّس" صحراء فاران في سيناء.

ب/ حسب القرآن

يسمّى والد إبراهيم -عليه السّلام- آزر، وقد قال بعض المفسّرين أنّ هذا الاسم يعوّض اسم "أب" ويرى آخرون أنه لقب يعني "قويّ، منتصر، وزير".

كان قوم إبراهيم -عليه السّلام- في كلدا (أو بلاد بابل) يعبدون ملوكهم وفي الوقت ذاته أصنامهم :

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة : البقرة - الآية : 258).

وبعد أن دعا قومه -دون جدوى- لترك الوثنية، عمد إبراهيم -عليه السّلام- لتهشيم أصنامهم، ليبرهن لهم، أنما هي جمادات بناها البشر ولا حوْل لها. وهو ما جعلهم يحكمون عليه بالحرق. ولكنّ الله سبحانه جعل النار عليه بردًا وسلامًا، وأنجاه من ثبُورٍ محقّق :

قال تعالى : ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (سورة : الأنبياء - الآيتان : 68- 69).

وكانت زوجه ساره[1] وابن أخيه لوط -عليه السّلام- فقط من آمن برسالته من بين قومه. وقد بيّن القرآن أن إبراهيم رافق هاجر وابنه إسماعيل، الذي كان لا يزال رضيعًا حتى الوادي "المُجْدِب"، قرب البيت المحرّم :

قال تعالى : ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (سورة إبراهيم-الآية : 37) ؛ أي مكّة المكرّمة (بالحجاز).

---

1. صرّح الطبري (مصدر سبق ذكره) أن سارة كانت ابنة عمّ إبراهيم، ابن حاران الأكبر، ملك حاران (أعلى بلاد الرّافدين). كانت أخت ساره، مالكة، زوجة ناحور أخي إبراهيم.

ج/ حسب الرّواية

حسب رواية الإمام البخاريّ (عن ابن عبّاس -رضي الله عنهُما-) : «... ثمّ جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند دوحة فوق زمزم في أعلى البيت وليس بمكّة يومئذ أحدٌ وليس بها ماء ... فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه -أو قال : بجناحه- حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف ... فشربت وأرضعت ولدها ... فكانت كذلك حتى مرّت بهم رفقة من جرهم -أو : أهل بيت جرهم- مقبلين من طريق (كداء) ... فنزلوا ... وشبّ الغلام وتعلّم العربيّة منهم ... زوّجوه امرأة منهم ...».

عن الأزرقيّ[1] (عن عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-، صهر وابن عمّ الرّسول -صلى الله عليه وسلّم-)، كان إبراهيم أوّل رسول أمر النّاس بالحجّ إلى مكّة المكرّمة ولقّنهم شعائرها.

2.1.1 إسماعيل -عليه السّلام-

أ/ حسب "الكتاب المقدّس" ("سفر التكوين")

ولد إسماعيل لإبراهيم من زوجه وخادمته هاجر، المصريّة. وفي سنّ الثالث عشرة تختن هو وأبوه في الوقت ذاته، أي سنةً قبل ميلاد أخيه إسحاق، ابن ساره، وحين وفاة إبراهيم ، دفنه ابناه إسحاق وإسماعيل في كهف مكفيلة في حبرون».

كان لإسماعيل اثنا عشر ابنا، يسكُنون من خويلة إلى شور[1]، قبالة مصر، باتجاه بلاد أشور، وتزوّجت ابنته محلة، عيسو أخا يعقوب وابن اسحاق أخي إسماعيل.

1. في كتابه "أخبار مكّة المشرّفة".

ب/ حسب القرآن

كان إبراهيم -عليه السّلام- يقوم من وقت لآخر بزيارة لولده إسماعيل في مكّة. وفي واحدة من هذه المناسبات أمر إبراهيم وولده إسماعيل -عليهما السّلام- ببناء الكعبة "بيت لعبادة اللّه وإقامة وتعظيم شعائره سبحانه" (سورة البقرة، من الآية 125 إلى 128، سورة آل عمران ، الآيتان : 97/96).

ج/ حسب الرّواية

يخبرنا عبد الوهّاب النّجّار[1] أنّ صحراء فاران (التي ترعرع فيها إسماعيل -عليه السّلام-، حسب"سفر التّكوين") تنعت أحد أكبر الجبال المحيطة بمكّة، وبهذا الاسم يسمّيه الكُتاب اليهود؛ تمامًا مثل خويلة[2] التي هي تحويل صوتيّ لخولان اسم قبيلة يمنيّة سكنت التّضاريس المرتفعة في جنوب الحجاز.

حسب عبد العزيز سالم[3] : « تذكر الرّواية أنّ أوّل ساكني الحجاز (منطقة تضمّ مدينتي مكّة المشرّفة والمدينة المنوّرة) هم العمالقة، الذين كان شيخهم سميداع بن هوبر بن لاوي نحو ستمائة وألفين (2600) قبل الميلاد. وكان خلفاؤهم هم بنو جرهم (القحطانيّون)، في زمن إسماعيل -عليه السّلام-. وكان قاطنو اليمن هم أوّل من حجّ مكّة المكرّمة ».

كان إسماعيل -عليه السّلام- أوّل قيّم على الكعبة، وقد دفن هنالك قرب امّه. ثمّ خلفه ابنه نابت، وبعده جدّه (جدّ نابت)، الذي هو صهر إسماعيل -عليه السّلام- ؛ وهو مضاض بن عمرو الجرهميّ. وغدت مكّة المكرّمة مدينة مزدهرة، يحكمها مَلِكٌ، واتخذ منها اليمنيُون منزلاً. ثمّ ارتدّ أهالي مكّة عن الدّيانة الحنيفيّة ليعبدوا الأصنام.

---

1. في كتابه "قصص الأنبياء".
2. في اللّغة الكنعانيّة، يستبدل حرف الخاء (خ) بحرف الحاء (ح)، ذلك أنّ الكنعانيين لا يطقون الصّوت خاء (مثل اح-رم، اسم ملك فانقيّ لـ اخ-رم).
3. في كتابه"تاريخ الدّولة العربيّة".

د/ هل كانت أمّ إسماعيل -عليه السّلام- مصريّة ؟

السّؤال جدير بالطّرح، لأنّ قراءة "العهد القديم" -الذي ينصّ نصٌّ منه أنّ هاجر من أصل مصريٍّ- ("سفر التكوين") يتيح لنا معاينة أنّ تسمية الأماكن المذكورة ليست دائمًا محدّدة في مجال استوصاف الأرض استوصافيًّا بدقّة :

- في الفصل الخامس والعشرين، ضمن عنوان "ذرّية إسماعيل"، نقرأ أنّ «سكن أولاد إسماعيل من خويلة إلى شور، قبالة مصر، باتجاه بلاد أشور». حقيقة تقع خويلة قبالة مصر، ولكن على الضّفة الأخرى للبحر الأحمر وتتموضع في جنوب الحجاز؛

- في الفصل الواحد والعشرين، بخصوص هاجر في الصّحراء، يخبرنا "الكتاب المقدّس" بأنّ أمّ إسماعيل -عليه السّلام- طُردت من طرف سارة، زوجة إبراهيم -عليه السّلام- ، ذهبت رفقة ابنها، تاهَا في صحراء بئر سبعة[1] أين بَصُرَت بجُبّ ماءٍ ... كبر الغلام وسكن صحراء فاران، وزوّجته أمّه امرأةً من بلاد مصر». لقد صرّح النّص القرآنيّ بالفعل بأنّ هاجر وابنها -الذي كان لا يزال رضيعًا ولم يكن عمره أربع عشرة سنة (14)- بعد مغادرتهما لكنعان بلغا صحراء مكّة (الحجاز)، أين يقع نبع زمزم الشّهير. ويخبرنا عبد الوهّاب النجّار أنّ صحراء فاران تنعتُ أحد الجبال المحيطة بمكّة. كما تخبرنا الرّواية أنّ إسماعيل -عليه السّلام- قد تزوّج هناك في المنطقة التي فيها جاوز النّطاق، بامرأةٍ حجازيّة من قبيلة بني جرهم وليس بمصريّة.

من حقّنا إذًا التحفّظ حيال الأصل المصريّ لأمّ إسماعيل -عليه السّلام- (وهو الأصل الذي يقرّه "سفر التكوين"). حتّى ولو كان أهالي مصر وأهالي شبه الجزيرة العربيّة أقارب قوميًّا بشكل لا غبار عليه. يبدو إذن بالنّظر إلى الغموض الذي يعتري الأماكن والمواضع والذي يورده "الكتاب المقدّس"، أنّ

---

1. في فلسطين.

هاجر قد تكون تحدّرت من باب أولى، إمّا من كنعان أو سيناء، أو من منطقة أخرى من شبه الجزيرة العربيّة.[1]

3.1.1 إسحاق -عليه السّلام-

أ/ حسب "الكتاب المقدّس" ("سفر التكوين")

أنجبت سارة لإبراهيم ولدًا على الكبر : كان عمرها تسعين سنة، وعمر بعلها مائة سنة. أرسل والد إسحاق خادمه الوفيّ، إلى بلاد الرّافدين "أرضه وعشيرته" تجاه عائلة أخيه ناحور، ليطلب منه تزويج أحد بنات إخوته لابنه. كانت المخطوبة المسمّاة رفيقة ابنة بتونيل ابن مالكة وناحور، والداها يقطنان حاران (فدّان أرم) في بلاد الرّافدين. وقد أنجبت رفيقة ولدين توامين : عيسو ويعقوب.

إثر مجاعة في بلاد الجنوب التي يقطنها، رحل إسحاق، وسكن جرار بلاد الفلسطينيّين، ثمّ بئر سبعة، وقد دفن إسحاق في حبرون.

ب/ حسب القرآن

يُدرج إسحاق ضمن الأنبياء -عليهم جميعا السّلام-.

ج/ حسب الرّواية

روى الأزرقي[2] أنه على غرار جميع الأنبياء، بعد إبراهيم -عليهم السّلام -، وَفِدَ إسحاق -عليه السّلام - (رفقة أمّه سارة) إلى مكّة للحجّ.

2.1. لسانهم

تكلّم الرّسول إبراهيم -عليه السّلام- المولود بمدينة أور اللّغة البابليّة، لغته الأصليّة. وقد شُفّرت لغة عصره وبلاده، وتترجم قانون حمو-ربي

---

1. قد تكون أم إسماعيل -عليه السّلام- لقّبت نسبة لبلدها الأصليّ، هجر، منطقة تقع نحو وسط شبه الجزيرة العربيّة.
2. مصدر سبق ذكره.

(ملك بابل ومعاصره). يشدّد E. Dhorme[1] على التقارب النحويّ بين العربيّة الفصحى والبابليّة، وكذا تشابههما المعجميّ. وقد ذكرنا ذلك في الباب الأوّل (الفصل الخامس-المدرج 3.3).

حسب "الكتاب المقدّس"، غادر إبراهيم حاران، في أعلى بلاد الرّافدين، إلى كنعان وعمره حينها خمس وسبعون سنة، وسكن كنعان، حوالي أربع وعشرين سنة (إذا ما أخذنا في الحسبان إقامته الوجيزة بمصر)، وتكلّم بالتالي الكلديّة أو البابليّة (لغة بلاد الرّافدين السّفلى)، والأرميّة -أو الأشوريّة- (لغة بلاد الرّافدين العليا)، والكنعانيّة أو الفانقيّة.

ولكن، باعتبار انّ الكُتّاب قاطبة، معتمدين على شهادة المخطوطات، يقدّرون أنّ تحديد ظهور الأرميّة (القديمة أو المشتركة) بداية من القرن التاسع قبل الميلاد، فينبغي أوّلاً الكلام عن الأكاديّة (أو الأشوريّة). على أيّ حال، جميع هذه اللّغات جدّ متجاورة، والمرور بتغيير المقرّ من لغة لأخرى، كلّ ذلك لا يطرح ايّ إشكال بعد بضعة أسابيع من التأقلم والمِراس. نستطيع اكتشاف ذلك بالتحديد في إحدى الكلمات التي تركّب الاسم "إبراهيم"، وهي "إبر" أو "بر"، التي تعني "ابن" في الأكاديّة والأرميّة كما الفانقيّة.

تكلّم جميع أبناء -إبراهيم- بالتالي الفانقيّة، لغة بلاد كنعان، إذ أنّهم هناك وُلدوا ونشأوا. وبالتأكيد كانوا يفهمون اللّغة الأرميّة (أو الأكاديّة) لأنها لغة امّهاتهم ، بداية من يعقوب -عليه السّلام- (إسرائيل) بن رفيقة "الأرميّة"[2]. وحتى إسماعيل -عليه السّلام-، ينبغي أنه تكلّم الفانقيّة، لأنّ أمّه هاجر، أمضت عشرة سنين (حسب "العهد القديم")، في بيت إبراهيم بكنعان. وبعد استقرارهم في صحراء مكّة، تبنّت إسماعيل -عليه السّلام- قبيلة من المنطقة، وتكلّم بطبيعة الحال لغة الحجاز (الحجازيّة أو اللّغة العربيّة الوسطى).

1. مصدر سبق ذكره.
2. ربيكة، هي كتابة الاسم رفيقة بتناوب بين الباء والفاء.

2. يعقوب ويوسف وموسى وهارون -عليهم السّلام-

1.2. الأنبياء

1.1.2 يعقوب ويوسف -عليهما السّلام-

أ/ حسب "الكتاب المقدّس" ("سفر التكوين")

تزوّج يعقوب، ابن إسحاق، على غرار أبيه من عند خاله، لدى "الأرميّين". ومن رخل[1]، إحدى زوجاته، وابنة خاله، لبن، رُزق ولدًا (من بين أولاده) سميّ يوسف. وبعد حوادث عديدة ومعروفة لدى الجميع، أصبح يوسف ذرَاع فرعون الأيمن وقد دعا المَلِكُ الفرْعَوْنُ أبا يُوسف وعائلته ليأتوا ويستقرّوا في بلاد مصر. وقد بلغ عدد الأشخاص الذين قدموا مع يعقوب (إسرائيل) إلى مصر سبعين نفرًا.

ب/ حسب القرآن

يوسف، هو اسم سورة قرآنيّة تحوي إحدى عشرة ومائة آية.

ج/ حسب الرّواية

يؤرّخ الكتاب (ومن بينهم عبد الوهّاب النجّار) قدوم يوسف إلى مصر، في عهد الأسرة الملكيّة السّادسة عشر (مع أبابا الأوّل كملك)، حوالي سنة ستمائة وألف (1600) قبل الميلاد، وجعلوا دخول يعقوب -عليه السّلام- وبني إسرائيل سبعا وعشرين سنةً بعدها.

2.1.2 الرّسول موسى -عليه السّلام -

أ/ حسب "الكتاب المقدّس" ("سفر الخروج")

باستقرارهم في مصر، أخصب أبناء إسرائيل وتضاعفوا، وأصبحوا شيئًا فشيئًا أقوى. تربّع على عرش مصر ملك لم يعرف يوسف -عليه السّلام- قط.

---

1. يعطينا النصّ العبرانيّ الاسم نفسه ر.ح.ل. רחל، مترجم في "الكتاب المقدّس" بـ"ابنة النعجة" ("سفر التكوين").

وقد كان المصريّون يمقتون بني إسرائيل، ووضعوهم في سُخرةٍ قاسيةٍ. ولم يقنع الفرعون بتحقير بني إسرائيل، بل أمعن بأن أمر جميع شعبه قائلاً : «كلّ صبيّ يولد للعبرانيّين اطرحوه في النهر . ("سفر الخروج"). وبعد هذا الأمر بزمن يسير، ولد في بيت لاوي مولودٌ، نبذته أمّه على حاشية النهر، وهي التي لم تستطع إخفاءه، ولا استكانت بتسليمه للمصريّين. وهناك، اكتشفت ابنة فرعون الرّضيع وسط البوص، فتبنّته وأسمته موسى.

ب/ حسب القرآن

يقصّ القرآن نبذ أمّ موسى -عليه السّلام- لابنها في اليمّ، بأمر من الله (سورة طه، الآيتان : 38/ 39)، ويقصّ تبنّي العائلة الملكيّة له، وإرضاع أمّه له (سورة القصص، الآية : 7). وهذه القصّة يتوافق معها "سفر الخروج"، مع وجود فارق، وهو أنه في القرآن، لم يُشر إن كانت بنت فرعون أو غيرها من التقط موسى -عليه السّلام-، وإنما ذكر لفظ "آل فرعون" (فالتقطه آل فرعون).

ج/ حسب الرّواية

حسب الأزرقيّ، قدم موسى -عليه السّلام- مكّة على جملٍ أصهب قاصِدًا الحجّ، وطاف بالكعبة.

3.1.2 هارون -عليه السّلام-

الأخ الأكبر لموسى -عليه السّلام- ووزيره، يسمّى "هارون". يجعل المؤلّفون، في معظمهم اضطهاد بني إسرائيل وميلاد موسى -عليه السّلام- خلال مُلْكِ رع-مسيس الثاني (بين واحد وثلاثمائة وألف وخمس وثلاثين ومائتين وألف -1301-1235- قبل الميلاد)، ويشيرون أنه في عهد مينا-فتح، ابن وخليفة هذا الأخير (من الأسرة الملكيّة التاسعة عشر)، بُعثَ موسى وهارون، وفي ملكه حدث الخروج.

2.2. لسانهم

تكلّمت عائلة يعقوب -عليه السّلام- (إسرائيل) -في مجموعها سبعون- قبل مغادرتها كنعان لتلتحق بيوسف في مصر، اللّغة الفانقيّة، ولقد رأينا أعلى السّياق أنّ أبناء وأحفاد إبراهيم -عليه السّلام- تكلّموا الكنعانيّة (أو الفانقيّة)، لغتهم الأموميّة.

حينما استقر آل إسرائيل في مصر -دامت إقامته هنالك حوالي أربعمائة سنة- واصل أفراده الكلام بالفانقيّة، حتى لا يفقدوا الاتصال الطّبيعيّ والثقافيّ مع مجانسيهم الوثنيّين من بلاد كنعان؛ إذ قَدْ وَعَدَ الرَّبُّ إبراهيم مَنْحَ عَقِبه أرض كنعَان. كقاطنين لبلاد مصر، تكلّم بنو إسرائيل لغة البلاد من أجل العلاقات اليوميّة مع المصريّين، وحتى لا يبدون غرباء، في البلد المضيف. وهذا هو الحال مع جميع المهاجرين الذين يتعلّمون لغة البلاد المضيفة، من أجل اندماجهم الثقافيّ أو بالأحرى الاجتماعيّ، ويحافظون على لغتهم الأصليّة التي يتكلّمونها فيما بينهم أو داخل العائلة.

وعلى كلّ حالٍ، فقد كانت التبادلات بجميع أنواعها، كثيرة ومتواصلة بين مصر من جهة، وكنعان وبلاد الرّافدين من أخرى. فضلاً عن أنّ اللّغتين، المصريّة والفانقيّة اللّتين تنتسبان لفرغ اللّغات العربيّة-الحاميّة نفسه، كانتا جدّ متقاربتين من بعضهما. وحينما خرج بنو إسرائيل من مصر (نحو مائتين وألف -1200- قبل الميلاد)، تحت إمرَةِ موسى -عليه السّلام-، نزلت عليه في سيناء التوراة، الكتاب الموحى. وقد ضاعت نسخته الأصلية بَعْدها، بحيثُ نجهل اللّغة التي بها أوحي ونزّل.

في حين أنه حسب القرآن، حدّد أنّ الله سبحانه، وجّه رسالته بلغة نبيّه المكلّف بتبليغ قومه، وهو مفهوم الآية الرّابعة من سورة إبراهيم :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾.

كان بنو إسرائيل الذين هم كنعانيّون (فانقيُون) ويتكلّمون اللّغة الكنعانيّة -قبل دخولهم مصر، وعددهم سبعين نفرًا، وبعد خروجهم من مصر بلغوا مئات آلاف كثيرة تعدادًا، حسب "الكتاب المقدّس"- لا يفهمون رسولهم موسى -عليه السّلام-، إلاّ بلسانهم، أي اللّغة الفانقيّة.

الشهادة غير المباشرة لكتاب كُثر، تشفع لصالح طرحنا، الذي فصّلناه في كتاب سابقٍ بعنوان "العرب، محرّكو الدّيانات الحنيفيّة الثلاث، اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام" :

- لقد عُثر، قرب ضريح أخ-رم، ملك فانقيا (مطابق لاسم ملك صور، معاصر داوود وسليمان -عليهما السّلام-)، على أوانٍ مصريّة مصنوعة من أحجار بيضاء شفّافة، تحمل اسم رع-مسيس الثاني، وأدوات الفخّار الكريم الكانونيّة، عليها كتابة هجائيّة، وهو ما يرتقي بهذا الضّريح إلى القرن الثالث عشر.

يمكن أن نستخلص بالاعتماد على النّصّ الهجائيّ هذا، أنّ الكتابة "الحديثة" للفانقيّة، كانت مستعملة خلال هذا القرن الثالث عشر قبل الميلاد. يتعلّق الأمر بالطّبع بالفانقيّة القديمة، التي كان هجاؤها يتألّف من اثنتين وعشرين حرفًا، متأخّرة عن الخطّ شبه المقدّس القديم لنصوص جبيّل.

- كتبت موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" في الإحالة المكرّسة للعبريّة (اللّغة) : « لم يظهر اسمها ذاته إلاّ متأخّرًا، في القرن الثاني من عصرنا، في المشنة. ينعت كتاب "العهد القديم" العبريّة بمصطلحات "لغة كنعان" (أشعياء) أو "لغة يهوديّة" (الملوك، عزرا، نحميا). تمثّل العبريّة[1] تطوّر الكلام الدّارج عند أهالي كنعان قبل مجيء بني إسرائيل. قد يكون بنو طارح (عائلة إبراهيم القادمة من حاران)، استخدموا لهجة أرميّة، التي هجروها لصالح لغة البلد. ويفسّر هذه السّيرورة، المستوى الرّاقي لحضارة مضيفيهم، والقرابة الكبيرة بين اللّغة الأرميّة والكنعانيّة ».

---

1. لقد حلّلنا أعلى السّياق أنّ مصطلح "عبريّ" ليس قوميًا.

نصّ E. Renan (في كتابه "مقتطفات من دراسات تاريخ دينيّ") بأنّ : «الخلفيّة المسبقة للعبر بأن لا يعترفوا بالكنعانيّين كإخوان لهم ... عكس الشّهادة المؤكّدة للكلام، ويقدّر شرحًا في الإحالة (هو نفسه أو ناشره J.Gaulmier) أنّ ، اللّغة الفانقيّة كانت عبريّة شبة خالصة».

- يصرّح R.Weill[1] بهذا الصّدد : « منذ منتصف القرن التّاسع عشر، ومن السّابع إلى الخامس قبل العهد المسيحيّ، تتوافر لدينا مخطوطات كثيرة نسبيًّا (من مائة إلى مائتين)، على بناءات صغيرة، وأختام ملكيّة، إلخ، بالعبريّة-الفانقيّة (بهذا نحدّد اللّغة والكتابة)».

الشّهادة المباشرة والملموسة (النّصب التّذكاريّ الموجود بمتحف Louvre في مدينة باريس) تؤكّد طرحنا وترسمنه :

- تخبرنا موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" بخصوص النّصب التّذكاريّ من حجر البزلت لمشا ملك موآب، -المؤرّخ له بسنة اثنتين وأربعين وثمانمائة (842) قبل الميلاد-، عثر عليه قرب آثار ديبون عام ثمانية وستّين وثمانمائة وألف (1868) (الموافق لخمس وثمانين ومائتين وألف -1285- للهجرة) الذي يوجد حاليًا بمتحف Louvre، بأنّه النّصب مكتوب بحروف فانقيّة، وينصّ بلغة موآبيّة على انتصار مشا على يورم (ملك) إسرائيل.

- تصرّح موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" بخصوص مشا الدّيبوني، أنّ هذا النّصب نفسه (نصب الملك مشا) مكتوب باللّغة العبريّة محدّدة بأنّ «اللّغة التي تبديها مخطوطة مشا، تتميّز قليلاً عن عبريّة "الكتاب المقدّس"».

- في حين أنّه ولا واحدة من الإشارتين (المختلفتين) المأخوذة من الموسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" ذاتها تظهر في متحف Louvre ، فنصب ملك موآب، مشا، الذي عاينّاه في هذا المتحف، الموجود في القاعة D (Levant المشرق) يحمل النّصّ التّالي : « نصب مشا ملك موآب، الذي يخلّد انتصاره على

---

1. في كتابه "فانقيا وآسيا الغربيّة".

ملوك إسرائيل من سلالة عمري. نصب من البزلت. -عصر الحديد (نحو ثمانمائة -800- قبل الميلاد)- ديبان. مخطوطة باللّغة الفانقيّة، نسخت وختمت قبل تجزئتها. القطع الأساسيّة جلبها Ch. Clermont-Ganneau سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة وألف (1873) ».

وقد لاحظنا أنّ حروف هذا النّصب، هي تلك التي للأبجديّة الفانقيّة القديمة (سابقةً للقرن التاسع قبل الميلاد) : النّصّ كتب بلغة فانقيّة وليس بلغة عبريّة.

يؤكّد كاتب آخر هو Dupont-Sommer[1] جزمنا المتعلّق باللّغة الفانقيّة، لغة بني إسرائيل، مصرّحًا بطريقة واضحة لا غبار عليها : « نستذكر أنّه في فلسطين، هجر المحتلّون العبر لغتهم الأولى مهما كانت هذه اللّغة -بلا ريب قد كانت متقاربة على الأرجح مع الأرميّة- بعد الغزو ليتبنّوا لغة كنعان ذاتها، التي نسمّيها "العبريّة" ».

يتبيّن لنا، إذًا أنّ التّسميات المضاعفة مثل "لغة يهوديّة، لغة كنعان، لغة تنتسب إلى الأرميّة، العبريّة، العبريّة-الفانقيّة" ليست إلاّ أوصافًا للّغة الفانقيّة وحدها.

3. عيسى -عليه السّلام-

1.3 الرّسول عيسى - عليه السّلام-

1.1.3 حسب "الكتاب المقدّس"

حبلت مريم، ابنة حبر من أحبار بني إسرائيل بوساطة من الرّوح القدس. وهكذا ولد عيسى بن مريم في يهوذيا، في بيت لحم[2]، في عهد الملك أرواد ... وبعد موت يوحنّا المعمدان[3]، بدأ عيسى دعوته، وكان له حواريّون كثر ومعجزات ...

---

1. مصدر سبق ذكره.

2. في الحقيقة، ولد عيسى -عليه السلام- في الناصرة. يقدّم E. Renan مبرّرات تحويل مكان ميلاد عيسى-عليه السّلام- من النّاصرة إلى بيت لحم، في كتابه "حياة عيسى" : « ولد عيسى في النّاصرة، مدينة صغيرة من الجليل في "إنجيل Matthieu XII ,54 وإنجيل Marc IV, 1 وإنجيل Jean 1,45-46").

3. اي يحيى عليه السّلام.

موت يوحنا المعمدان[1]، بدأ عيسى دعوته، وكان له حواريّون كثر ومعجزات ... وقد تآمر عليه الكهنة الرّؤساء اليهود وكبراء الشّعب، وتباحثوا عن سبيل صدّه، بكيده وقتله. وهكذا أسلمه يهوذا الإسخريوطي بعد أن قبّله إلى الحشد الذي أرسله الكهنة الرّؤساء وكبراء القوم، وتولّى عنه حواريّوه.

وأسلم إلى فنس بلاط، الحاكم الرّومانيّ، ليصلبه. يحكي إنجيل بر-نبيَ (غير معترف به من طرف الكنيسة الرّومانيّة) تجلّي عيسى على جبل الزّيتون، عمره ثلاثون سنة : « كان يدعو، حينما اكتنفه ضوء ساطع بحضور ربدة من ملائكة. فسلمّه "الملك-الرأس" جبريل كتابًا، يُحاكي لمعانه المرآة، استوعبه صدره، ففتح عيني البصيرة. ومن تلك اللّحظة، انفصل عيسى عن أمّه، ليقوم بمهمّة النبوّة، قرب بيت إسرائيل ».

2.1.3 حسب القرآن

يسمّى -في القرآن- المسيح، أو عيسى -عليه السّلام-، ومرّات "ابن مريم".

ويحكي ميلاد عيسى -عليه السّلام-، حين انتبذت أمّه ملاذًا قريبًا من نهر، تحت جذع نخلةٍ، مثقلة بالتمر، على الرّغم من أنّ الموسم شتاء (سورة مريم-الآيتان : 25-26). وفي القرآن الكريم يشبّه ميلاد عيسى -عليه السّلام- بخلق آدم - عليه السّلام- (سورة آل عمران-الآية : 59) الذي خلق من تراب. وقد أشار القرآن الكريم إلى وحي الكتاب (الإنجيل) لعيسى بن مريم -عليه السّلام- (سورة الحديد-الآية : 27). هذا الكتاب نقل لحواريّي عيسى -عليه السّلام- من أجل اقتضاء الهدى[2]، غير أنه حرّف، ولم تحفظ نسخته الأصليّة.

2.3 لسانه

أرميّة "الكتاب المقدّس"، وهي الأرميّة الوحيدة، قبل العهد المسيحيّ، المعروفة في القديم، مع أنها ذات صلة وطيدة بالأرميّة الملكيّة، فقد كانت لغة إقليميّة، ألا وهي

---

1. أي يحيى عليه السّلام.
2. كلمة إنجيل، من الكلمة اليونانيّة euaggellion، تعني "البشرى".

الأرميّة الفلسطينيّة. في عهد المسيح -عليه السّلام- كانت الأرميّة في فلسطين، اللّغة الوحيدة الجاريّة لدى الشّعب ككلّ ، وهي الأرميّة التي تكلّم عيسى بن مريم -عليه السّلام- والحواريّون، وبالأرميّة تقرأ الأسفار المقدّسة في البيَع.

4. محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-

1.4 الرسّول محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-

ولد محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- بمكّة سنة سبعين وخمسمائة (570) للميلاد (عام الفيل) في قبيلة قريش، وكان شيوخ هذه القبيلة هم أهل وفادة البيت الحرام، الكعبة المشرّفة، مركز حجّ جميع العرب الوثنيّين في شبه الجزيرة العربيّة. وقد بنى من جديد الحرمَ إبراهيمُ وابنه إسماعيلُ -عليهما السّلام- بتوجيهات من الملك جبرائيل (أو جبريل) "الرّوح الأمين" عليه السّلام.

يرقى نسب محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- إلى عدنان، أحدَ المتحدّرين عن إسماعيل، الابن البكر لإبراهيم.

في عمر الأربعين، بعد شباب ديدنه الاستقامة ومثاليّة السّلوك، وفي إحدى عزلاته وتحنّثه، سمع صوتا يقول له :

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (سورة العلق، الآية الأولى).

وكان ذلك بداية تنجيم الوحي على خاتم الأنبياء والمرسلين -صلّى الله عليه وسلّم- بوساطة الرّوح الأمين، جبريل -عليه السّلام-، ويؤلّف مجتمعًا القرآن العظيم.

وعلى منوال جدّه إبراهيم -عليه السّلام-، تعرّض الرّسول محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- خلال دعوته (في مكّة) إلى عداء قومه وبعضٍ من قرابته، ثمّ معارضتهم الكلاميّة في البداية فالشّرسة (العنيفة) بعدها. وقد هاجر-صلّى الله عليه وسلّم- إلى المدينة المنوّرة، أين اعترف به رسولاً جزء كبير من

المدنيّين، وهناك واصل دعوته بالدّين الحنيف، إلى غاية فتح مكّة المُظفّر. وفي مدينة مولده، حطّم أصنام العرب، وأرجع للكعبة دينها الأصليّ، دين إبراهيم والأنبياء -عليهم السّلام-.

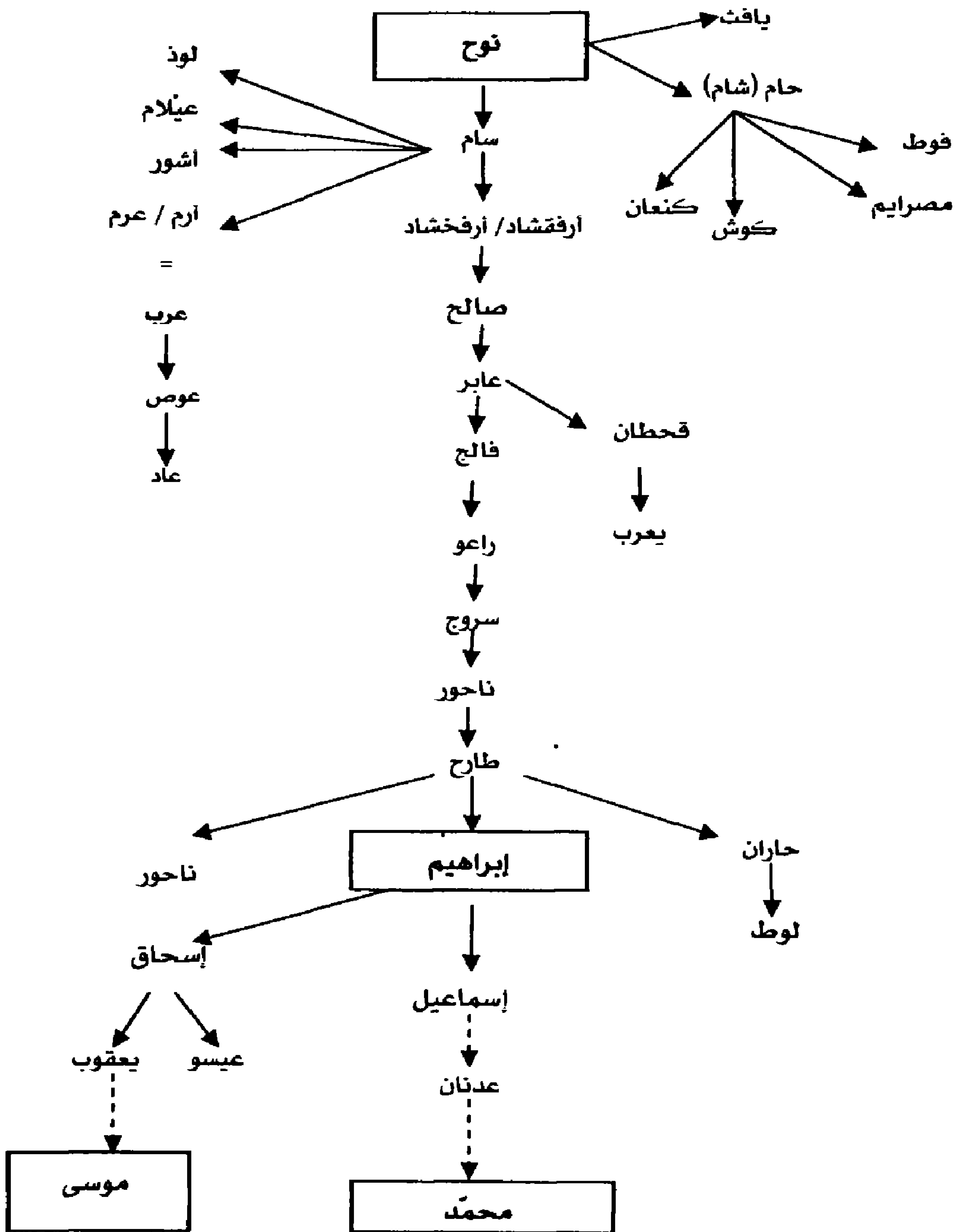
2.4 لسانه

لقد أوحي القرآن الكريم، إلى محمّدٍ -صلّى الله عليه وسلّم- بلسان عربيٍّ؛ وتعني كلمة قرآن من الجذر قرأ "تلاوة، تجويد، تعلّم".

منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، نُسخ القرآن بأمر من الخليفة عثمان -رضي الله عنه- وبقي دائمًا مطابقًا للأصل، من غير تحريف أو إضافة أو نقصان. فالنّصّ الأصليّ متوافر إلى يومنا، ومكتوب بالعربيّة.

الملحق الأوّل

سلسلة نسب نوح وإبراهيم[1]



1. على نوح وصالح وإبراهيم وإسماعيل ولوط وإسحاق ويعقوب وموسى ونبيّنا محمّد الصلاة والسّلام.

الفصل الثّاني

تقريرات

1. التقرير التاريخيّ

حسب "الكتاب المقدّس" ("سفر التكوين")، بعد الطّوفان وإعادة إعمار الأرض من طرف عائلات أبناء نوح -عليه السلام-، كان جميع ساكني المعمورة يتكلّمون بلسان واحد، ولهم الكَلِمُ نفسه.

وحسب الرّواية الإسلاميّة، ظهر من جديد اللّسان العربيّ بعد الطّوفان، في عهد نوح -عليه السّلام- وفي الحين ذاته، تضاعفت اللّغات الأخر.

1.1. قبل إبراهيم -عليه السّلام-

- إذا علمنا، أنه، حسب "العهد القديم" ("سفر التكوين") رست سفينة نوحٍ على جبل أرارات (جبل الجوديّ) في شرقيّ الأناضول، كانت هذه المنطقة مجاورة لأعلى بلاد الرّافدين، أين يقيم هناك أجداد إبراهيم، الذين يقطنون حاران (أو شاران).

- وإذا أخذنا في الحسبان جدول سلسلة النّسب من نوحٍ إلى إبراهيم المشار إليه في "الكتاب المقدّس" (انظر الملحق رقم 1)، فإنّه ينبغي أنّ أولاد سام، ابن نوح -عليه السّلام-، قد غادروا مناطق الأناضول نحو أعلى بلاد الرّافدين أو بلاد أبعد.

- وإذا أخذنا في الحسبان تسمية أبناء سام، التي نقف عليها في مناطق عديدة من آسيا الغربيّة، فيمكننا افتراض أنّ كلّ واحدٍ من هؤلاء العَقِب، أعطى اسمه لناحيةٍ أو بلاد : وهكذا سكن أرم بلاد الأرميّين (ارَميا)، التي تقع في أعلى بلاد الرّافدين (أشير إليها في نصوص "كتاب العهد القديم"، حسب الأسماء أرم-نهرَيم أوفدان-أرم)، استقرّ لوذ في لوذيا (في آسيا الصّغرى)، وقد منح أشور اسمه

لبلاد أشور، وعيلام هو اسم سلف العيلاميّين، الذين سكنوا في منطقة جبال إسكروس (في فارس الحاليّة)، المسمّاة عيلام.

لقد رأينا في الفصل الثالث من الباب الأوّل، بصدد أولى الهجرات، أنّه:

- تواجد قوم عادٍ في بلاد كنعان والحجاز، ملقّبين باسم العمالقة، وأيضًا في المناطق الجنوبيّة والشرقيّة لشبه الجزيرة العربيّة (الأحقاف، حضرموت، عمان، ...). وقد وصف القرآن (سورة إبراهيم-الآية : 9) هؤلاء العمالقة، قوم عاد، خلفاء قوم نوح، وهو ما يثبت القرابة القوميّة والثقافيّة لهذين القومين.

كثير من المؤلّفين يشيرون إلى سلف قوم عادٍ، على أنّه ينسب إلى أرفخشذ، ابن سام، أو على أنّه حفيد أرم، ابن سام ؛

- عابر، أحد أحفاد أرفخشذ، وهو "عابر" النّهر (الفرات) -وعابر هي الترجمة لهذا الاسم، الذي كنّا تطرّقنا إلى دلالته مع الجذر ع. ب. ر.- ليصل إلى نواحٍ مختلفة من شبه الجزيرة العربيّة : وأصبح ابنه قحطان -يقطان في "الكتاب المقدّس"- سلف القحطانيّين في الجنوب ؛ وأصبح أخوه فالج (أو فانق)، ابن عابر، سلف الفانقيّين.

- نلتقي طارح، والد إبراهيم وعائلته مقيمين في بلاد الرّافدين السّفلى (بابل)، في حين ظلّ ابنا أخيه ناحور وحاران ماكثين في أعلى بلاد الرّافدين.

جميع ذرّيّة نوح، من سام إلى إبراهيم يحملون أسماء تتفسّر باللّغة العربيّة، وهي أسماء تلقّب بها متكلّمو لغات عروبيّة.[1]

2.1 في عهد إبراهيم -عليه السّلام-

البلد الأصليّ لإبراهيم هو كلدا، ويسمّى أيضًا بابل ؛ وهو منطقة تنحصر في نطاق أوسع، في بلاد الرّافدين، أي البلاد الواقعة بين دجلة والفرات. في

---

1. انظر كتابنا "العرب محرّكو الديانات الحنيفيّة الثلاث".

هذا العهد (بداية الألفيّة الثانية ممّا يسبق العهد المسيحيّ) كانت المملكة البابليّة، التي عاصمتها بابل، هي الحاضرة في جميع هذه المناطق.

وفي الغرب، أنجب وادي النيل مملكة كبيرة وقويّة، مملكة مصر، التي فرضت، قبل هذه الحقبة، إقطاعها على سوريّة وبلاد كنعان (أو فانقيا).

حينما غادر إبراهيم أور، في كلدا (أو أسفل بلاد الرّافدين)، توجّه شطر الشّمال، نحو أعلى بلاد الرّافدين -موطن أجداده- وهناك سكن، لردح من الزّمن، في حاران (عند أخيه) برفقة زوجه ساره وابن أخيه لوط. ثم هاجر مجدّدًا، ولكن هذا الطّور نحو الجنوب الغربيّ، عابرًا النّهر (الفرات)، وتوجّه إلى بلاد الكنعانيّين (أو الفانقيّين). على إثر مجاعة، أقام بمصر قبل أن يرجع إلى بلاد كنعان.

إذا كان "الكتاب المقدّس" يحدّثنا عن مجاعة عصفت بكنعان، فذلك إنّما يفترض أنّ إبراهيم -عليه السّلام- الذي هاجر نحو مصر بسبب هذه الآفة، ليس حالةً لِوَحده. فعائلات أخرى، وأهال آخرون كنعانيّون، ينبغي أنّهم هاجروا نحو وادي النّيل طلبًا للقمة العيش -وذلك ما يلاحظ بالهيئة نفسها في عهد يوسف -عليه السّلام- ابن يعقوب-، حيث قدم كنعانيُّون للتّزوّد من الحبوب، للعلّة ذاتها، إلى مصر، كما تقُصُّ سورة يوسف. إذ كان يتحتّم على المملكة المصريّة -التي تعتبر فانقيا تابعة لها- مدّ يد العون لجميع هؤلاء السّكّان، سواء كانت أصولهم من البلاد-الأمّ أو من مناطق خاضعة للمملكة.

جميع هذه المناطق، من بلاد الرّافدين إلى مصر، شكّلت هيئة حضاريّة واحدة، بعبادات وعادات ولغات جدّ متقاربة، إن لم نقل متطابقة. على الرّغم من أنّ جميع هذه البلدان لم تكن قطّ متحدة تحت لواء حكومة واحدة وملك واحد، والأقاليم-المفصليّة بين الفرات وسيناء، تحت وطأة الصّروف السّياسيّة، أدارت الدّولة (التّارة) من الفلك الرّافديّ إلى الآخر المصريّ، أو من الفلك النّيلي إلى الفلك البابليّ أو الأشوريّ.

يطلق المؤلفون تسميات مختلفة على الأهالي "الساميّين" لبلاد الرّافدين أو الهلال الخصيب: فبعضهم يصفونهم بالكلد-البابليّين في جنوب بلاد الرّافدين وأكاديّين أو أشوريّين في شمال هذا الوادي، وآخرون ينعتونهم بالعموريّين، في شمال سورية وفي بابل، وفي واحات تدمر وحتى في وادي الأردن (المناطق الشماليّة)، في حين أنّ الكنعانيّين أو الفانقيّين شغلوا جميع ساحل البحر الأبيض المتوسّط إلى غاية الضفّة الغربية للأردن، حيث تواجدهم جيرانًا للعموريّين. وفي الجنوب الغربيّ، بلغ الفانقيُّون الحدود المصريّة (منطقة غزّة) وفي الشمال إلى غاية قلقيليا (خليج عيسو). ولكنّ جميع الكتّاب يُجمعون على التصريح بأنّ كلّ هؤلاء الأهالي (الرّافديُّون والبابليّون والأكاديّون والعموريّون والفانقيّون) هم ساميّون (أي أنّهم عروبيّون، حسب اصطلاحنا).

تخبرنا موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" أنّ السّلالة الملكيّة البابليّة الأولى (التي يمثل فيها حمو-ربي الملك السّادس) أسّست مع العموريّون (بالأكاديّة عمورو). في بداية الألفية الثانية، اختار هؤلاء بابل، على الفرات، كعاصمة لهم.

وفي العصر ذاته، كانت مملكة عروبيّة، المملكة المعينيّة، تشرف على جزء كبير من شبه الجزيرة العربيّة. تجاورت أرضها من الشمال مع أراضي فانقيا (كنعان) وممالك بلاد الرّافدين ومصر. وقد كان المعينيّون بالخصوص تجّارًا، وقد مورست تجارتهم بين شمال شبه الجزيرة العربيّة (من البحر الأبيض المتوسّط إلى الفرات) والجنوب (البحر الأحمر).

وكان سكّان هذه المملكة عمائر من العمالقة، كما هو حال قومي عادٍ وثمود. ولقد رأينا عمالقة استقرّوا في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربيّة -في الفصل الثاني من الباب الأوّل- وبوسعنا توقّع أنّ الجذع المشترك، أصله من بلاد الرّافدين (بالتوافق مع طرحنا بخصوص المهد الأوّل للمتكلّمين بلغات عروبيّة) قد أتاح استعمار، -بما سيشمل من فروع-، مناطق عدّة في

شبه الجزيرة العربيّة (البحرين، عمان، حضرموت، اليمن، الحجاز، كنعان) وحتى أبعد.

وحسب ما نقله عبد الوهاب النجّار عن الدكتور حسن إبراهيم، قد كان لعينيّي اليمن والبابليّين العادات نفسها والعبادات ذاتها وأسماء الأشخاص والآلهة عينها، ويمارسون الفنّ المعماريّ نفسه. يروي لنا A. Moret[1] ، أنه خلال الألفيّة الثالثة : «علم المصريّون وجود الفانقيّين-الكنعانيّين، وأسموهم عموريّين أو "عمو"، ولكن ليس فانقيّين» ... فضلاً عن هذا، حسب R. Weill[2] : «يلحق الساحل الفانقيّ بساميّين أقحاح، ينتمون إلى عموريّي الشمال، واستقرّوا هنالك في عمق ما قبل التّاريخ ... وقد طوّرت عند هؤلاء القوم ثقافة تتقارب مع حضارة مجانسيهم في بلاد الرّافدين ما قبل بابل». ويضيف هذا المؤلّف أنهُ «في الألفيّة الثانية، كانت كنعان التي تشمل السّاحل والدّاخل (سوريّة المجوفة) بلادًا تقع جنوب عمورو (أعلى سوريّة)». في عهد مَلكِ رع-مسيس الثاني (نحو خمسين ومائتين وألف -1250- قبل الميلاد)، أثناء احتلال مصر لكنعان وقبل "الخروج"، هناك مخطوط من ورق البرديّ، يشير إلى محطّات كنعان، على الطّرق المؤدّية إلى رتانو (أعلى سوريّة)، ويذكر مدن، غزّة ويافا ومجدو وعكّة وصور وصيداء وبيروت وحمّة وقادس الكنعانيّة.

نلاحظ إذًا، أنه مهما تكن زاوية الرّواية التي منها ننظر للفانقيّين-الكنعانيّين، فهناك رابط مباشر بين هؤلاء من جهة والعموريّين والرّافديّين والأرميّين أو المصريّين من جهة أخرى، وهو جليٌّ تاريخيًا أو حضاريًا.

بزمن طويل قبل تواجد بني إسرائيل في فلسطين، عثر على الاسمين يعقوب ويوسف، كتسمية شعوب في كنعان نحو خمسمائة وألف (1500) بل تسعمائة وألف (1900). وانطلاقا من تواجد يعقوب بن إسحاق في مصر حوالي ستمائة وألف (1600)، يبدو أنّ هذه الأسماء كانت متوافرة نسبيًا في العالم

---

1. في كتابه "تاريخ الشرق".
2. مصدر سبق ذكره.

الكنعانيّ طيلة هذه الحقبة[1]. يشير A. Moret[2] إلى أنّ يعقوب وابراهيم، وهي أسماء كنعانيّة كانت توجد عند الهكسوس. في رسائل تلّ العمارنة، يبدو الاسم سمعون مُثبتًا ، ذكر ستي الأوّل ورع-مسيس الثاني اشارو، في الجليل، حيث عَلّمَ "الكتاب المقدّس" قبيلة اشر[3].

وحجّة وجود هذه الأسماء "الواردة في الكتاب المقدّس"، يعقوب ويوسف، ... تُلتمس في المعبد المصريّ لـبَيْشان، على نهر الأردن، قبل ميلاد أولاد إبراهيم، أو على أقرب تقدير قبل "الخروج"، ممّا يبيّن، إذا اقتضت الحاجة، أنّ بني إسرائيل ليسوا إلاّ أفراد قبيلة صغيرة كنعانيّة : عند مغادرتهم كنعان للالتحاق بيوسف في مصر، كان تعدادهم سبعين ، هذه االقبيلة ذاتها كانت جزءًا من قبائل وأهالٍ اخر من بلاد كنعان.

في إحدى أشعار رأس-شمرة، خلق الآلهة إيل أبطالاً مؤسّسي أوّل المدن التي تلقّب باسمهم : من بينهم لبني[4] بن طارح، وهذا الأخير والد إبراهيم الوارد في "الكتاب المقدّس". وشيّد مدينة أشدود (على السّاحل الجنوبيّ بين يافا وأسكالون) وأبرم حِلفًا مع بدوِ سيناء في إقليم النّاقب وقادس برنيّة، على طريق القوافل، بين "يمّ سوف"[5] (أو "بحر القصب") والبحر الأبيض المتوسّط[6].

الاسم إبراهيم (مثل الأسماء المذكورة في "الكتاب المقدّس" -التي أوردناها للتو- يعقوب، يوسف، سمعون، إلخ). ظهر في كنعان بداية من الألفيّة الثّانية، على النّصوص المسماريّة (مكتوبا أبي-رمو). إبراهيم الموصوف بالأرميّ والعموريّ والبابليّ أو الفانقيّ، هو ابن العرب بالذّات.

---

1. R. Weill مصدر سبق ذكره.
2. مصدر سبق ذكره.
3. A. Moret مصدر سبق ذكره.
4. مرادف لتسمية جبل لبنان، الذي يعني ايضا "ابيض" او"حليب" في الفانقيّة".
5. اسم البحر الأحمر، في الفانقيّة.
6. A. Moret مصدر سبق ذكره.

في هذه الحقبة، كانت أور، مكان ميلاد إبراهيم -عليه السّلام- مدينة تابعة للمملكة البابليّة. وكان جميع ساكني هذه المدينة مشركين، ويشير "الكتاب المقدّس" إلى بناء برج بابل من طرف الوثنيّين، قبل ميلاد الرسوَل إبراهيم -عليه السّلام- بكثير. بابل التي لها تسمية أخرى باب-علون، لها معنى "باب نيل"، مع إيل التي تعني "ربّ" أو "آلهة" في لغات كنعان وبلاد الرّافدين (بابل، أشور)، إلخ. وهي كتابة ثانية للكلمة الفانقيّة عَلاّ[1]، التي تعني أيضًا "ربّ"، وهي التي أعطت : باب-علا. باب-علون.

توافق نزول إبراهيم -عليه السّلام- بمصر وَحكْمَ الهكسوس، الذين يفترض المؤلّفون أصلهم العموريّ. هؤلاء -الملوك- الرّعاة حكموا في مصر بين ثلاثين وسبعمائة وألف وثمانين وخمسمائة وألف (1730-1580) قبل الميلاد. وطيلة هذه الحقبة وقبلها (في الألفيّة الثالثة)، كانت سوريّة وبلاد كنعان تابعتين لمصر.

3.1 بعد إبراهيم -عليه السّلام- ... إلى غاية مجيء الإسلام

أمّا يوسف -عليه السّلام-، الذي دخل مصر نحو ستمائة وألف (1600) قبل الميلاد[2]، فلسوف يجد هذا البلد يحكم مقاليده الهكسوس. هؤلاء (الذين تعتبر الأسرة الملكيّة السّادسة عشر جزءًا منهم، حسب مانيتون)[3]، قبل أن يبسطوا نفوذهم على مصر، حكموا فلسطين وسوريّة. وفي عهد هؤلاء "الملوك-الرّعاة" كانت التجارة والصّناعة مزدهرتين، والمجتمع متمدّنا. كتب سليم حسن[4] : « يُصنّفُ الهكسوس من بين موجات الهجرات العربيّة التي تدفّقت على مصر في بداية الألفيّة الثانية (كنعانيّين، عموريّين، ارميّين)، اي نحو تسعمائة وألف (1900)، وحكموا مصر حينما كان عدد موجات الهجرات ذات بال».

1. لهذا الاسم ايضا معنى "عال، مرتفع" (في العربيّة، هو الجذر ع. ل. و. علا). نجده في مدينة بر-ريئم الشهيرة، عليّون (او ثورا).

2. تاريخ مقدم يوسف -عليه السّلام- إلى مصر يختلف حسب المؤلّفين.

3. ذكره محمّد عزّت دروزة، مصدر سبق ذكره.

4. المصدر نفسه.

كان ملك مصر أحمس من الأسرة الملكيّة الثامنة عشرة، هو من حارب وطرد الهكسوس -كما تدلّ على ذلك منحوتات على جداريّات ضريحي قائدين من قوّاد أحمس-. وهناك نصبٌ تذكاريٌّ، في معبد الكارناك يَحكي المعارك المنتصرة التي خاضها ستي الأوّل ضدّ القبائل البدويّة التي عاشت بين مصر وكنعان. ولقد كبّدَ رع-مسيس الثاني، ابن ستي الأوّل، المتحالفين السّوريّين خسائر فادحة في قادس. وبعد ذلك دخلت أقاليم فلسطين وشرقيّ الأردن وفانقيا في الفلك المصريّ. وبالتالي بُسط نفوذ مصر حتى نهر العاصي[1].

في القرن التاسع قبل الميلاد، أصبح الأشوريّون القوّة الظّاهرة في المنطقة. سنة ثمان وسبعين وثمانمائة (878)، وقعت بلاد الرّافدين بأكملها تقريبًا، حتى حدود بابل في قبضة ملك أشور. ثمّ بَسَط الأشوريّون وصايتهم على فانقيا : جميع المدن الفانقيّة (صور، صيداء، جبيّل، إلخ)، كانت تدفع إتاوات للملك سلمان-آزر الثالث. ولم يكتف الأشوريّون بمجرّد الوصاية على السّاحل البحريّ، فراحوا يجتاحون المنطقة ويُخضعون جميع بلاد كنعان في القرن الثامن. وفي اثنتين وعشرين وسبعمائة (722) قبل الميلاد احتلّ سرجون الثاني، ملك أشور، مملكة إسرائيل، التي أصبحت ولاية أشوريّة ، أبعد سكّانها. في عشرين وسبعمائة (720) كان احتلال كلّ من فلسطين وسوريّة.

وسنة ستّ وستين وخمسمائة (566) قبل الميلاد، حطّم نبو-خذ-نصر، ملك بابل مملكة يهوذا وطرد اليهود. وسنة تسع وثلاثين وخمسمائة (539) احتلّ قورش الثاني، ملك فارس، بلاد بابل وأخضع جميع هذه المناطق، إلى غاية فلسطين. وسنة خمس وعشرين وخمسمائة (525) أخضع ابنه قمبوس الثاني مصر، أين أصبح ملكًا. وانطلاقًا من سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (334) يأتي عهد السّيطرة الإغريقيّة-المجدونيّة مع إسكندر على جميع المنطقة. وسنة سبع وستين (67) قبل الميلاد، كان طور سيادة الرّومان على المنطقة. وسنة سبع

1. محمّد عزّت دروزة، مصدر سبق ذكره.

واربعين (47) عيّن يوليوس قيصر، سيّدا على سوريّة، مكان الخابيّين الزّعيم النّبطيّ[1] عَنِث-فاطر الأوّل كملك على يهوذيا. وسنة أربعين (40) قبل الميلاد عيّن أرواد الأوّل الكبير، ابن عنث-فاطر ملك يهوذيا من طرف مجلس الشّيوخ الرّومانيّ. لقد كان ابن هذا الأخير الوالي أرواد عَنِث-بعل، من أمر بقتل النّبيّ يحيى (يوحنّا) -عليه السّلام- بن زكريّاء، عليه السّلام.

هكذا، وُلِدَ عيسى -عليه السّلام- وكَبُرَ على حين احتلال كلّ المنطقة (من مصر إلى آسيا الصّغرى) من طرف الرّومان.

لقد كان مجيء الإسلام في القرن السّابع إيذانا بأفول التسلّطيّة الرّومانيّة-الرّوميّة، في جميع البلاد العروبيّة، وكذا نهاية مملكة فارس. فلقد مثّل الإسلام ثورة دينيّة وسياسيّة واقتصاديّة وكذا اجتماعيّة، لا قصرًا على العروبيّين، ولكن أيضًا استغراقًا لجميع البلدان المجاورة وما سواها من العالم. ولقد أتاح الإسلام فرصة وحدة الدّين لجميع الأهالي ذوي لغات عروبيّة، الذين كانوا إمّا وثنيّين في معضمهم، أو موحّدين (أهل الكتاب). لقد تخلّى العروبيّون في أغلبيّتهم عن أديانهم المتفرّقة (تعدّد الآلهة) ليعتنقوا الإسلام. ولم تبق إلاّ أقلّيّة ضعيفة، في وادي النّيل أو شرقه (في آسيا)، ظلّت مسيحيّة (أقباط، موارنة، يعقوبيّين، ...) أو يهوديّة (ومنهم بنو إسرائيل).

كما سمح الإسلام بالتوحّد السّياسيّ لجميع الأهالي الحضر، وكلّ القبائل البدو، توحّد جميع ممالك شمال وجنوب شبه الجزيرة العربيّة (ممالك الغساسنة والمناذرة وحِمْير ...) المستقلّة أو التّابعة للرّوم أو الفرس.

ونهايةً، جسّد الإسلام الوحدة اللّسانيّة، بصهر جميع اللّغات العروبيّة في واحدةٍ، ألاَ وهي لسان القرآن ، كتاب الله العظيم.

---

1. النّبطيّة، هي تسمية ثانية للبلاد العربيّة الصّخريّة.

2. التقرير اللّسانيّ

تتوافق نصوص "الكتاب المقدّس"، فيما يخصّ ظهور لغات كثيرة مع القرآن، فتجعله بعد الطّوفان. يُزْعَمُ أنه أحصيت حينها ثمانون لغة، تتناسب تمامًا مع عدد الرّجال الذين تبعوا نوحا -عليه السّلام- في الفُلكِ (أو ذرّيته المباشرة). إذا كان "العهد القديم" يخبرنا أنه في زمن الطّوفان كان في السّفينة فقط ثلاثة رجال، أبناء نوح -عليه السّلام-، دون احتساب أبيهم، فهذا يعني أنه علينا ارتقابَ جيلٍ ثانٍ على أقلّ تقدير، بعد أبناء نوحٍ، حتى نحصي ثمانين رَجُلاً -أي أحفادِ سام وحام ويافث-.

حسب الرّواية التي ساقها ابن حوقل[1]، لم يكن جبل الجوديّ ببعيدٍ عن أعلى بلاد الرّافدين، وعلى هذا الجبل وجدت قرية "الثمانين" أين استوت سفينة نوحٍ -عليه السّلام، حسب القرآن (سورة هود- الآية : 44) :

﴿واستوت على الجوديّ﴾

وحسب ابن حوقل من الأرجح أنّ الرّجال الذين رافقوا نوحًا -عليه السّلام -، يبلغون ثمانين : وقد أسّسوا هذه القرية، ولم يكن لهم بعدها عقبًا، وقد سمّيت القرية انتحالاً من عددهم (ثمانون).

إنّ إشارة ابن عبّاس -رضي الله عنهما- الذي صرّح بأنّ عاد، سلف قوم عادٍ، ومعاصر النبيّ هود -عليه السّلام- كان أوّل من تكلّم العربيّة، إشارةٌ تتوافق مع سلسلة نسب أرم/ عرم التي قدّمها عبد الوهّاب النجّار[2]، فهو يُوردُ بصدد أرم : ، عاد هو حفيد أرم، ابن سام، أي معاصر ولد ابن عمّه، عابر. لقد كان أحد أبناء عابر، بالضّبط قحطان-يقطان في "العهد القديم" سلف القحطانيّين أوّل قاطني مكّة المكرّمة، المتحدّرين من اليمن. بوسعنا بالتالي

1. في كتابه "وصف الأرض"، ترجمة J.H. Kramers et G. Wiet.
2. مصدر سبق ذكره.

استخلاص أنه هو ذاته تكلّم العربيّة[1]. وبعد ذلك ابتعدَت العربيّة الجنوبيّة، لغة القحطانيِّين شيئًا فشيئًا عن العربيّة المشتركة.

فضلاً عن هذا، يمكن مصادفة اسم جدّ عابر، أرفخشذ (ابن سام) عند العمالقة الذين اسم سلفهم هو عملاق بن أرفخشذ. لقد كان العمالقة هم أوّل من سكن المدينة[2]. إذا ما استذكرنا أنّ العمالقة هم قوم عاد (وقد رأينا انّ احد مواطنهم كان في الحجاز)، وأنّ قوم عادٍ هؤلاء أنفسهم خلفاء قوم نوح -عليه السّلام-، فبإمكاننا تقديم فرضٍ -جدّ راجح- أنّ "عملاقنا" أرفخشذ هو ابن سام، ابن نوح. ويمكننا بالتّالي توقّع، أنّ أرفخشذ وبنيه، تكلّموا بعد الطّوفان، اللّغة العربيّة وإلاّ فعلى الأقلّ لغة عروبيّة قريبة من اللّغة المشتركة (أو اللّغة-الأمّ).

وعن هذا الطّرح الأوّل، يتأتى ضرورة الفرض الثّاني، وهو أنّ صالح، ابن أرفخشذ -الذي تكلّمنا عن أصله في الفصل الثّالث من الباب الأوّل- يكون النّبيّ صالح -عليه السّلام-، وهو نبيّ بعث إلى ثمود. هؤلاء الثّموديّون، الذين قال عنهم القرآن ﴿خُلَفَاءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ عَادٍ﴾ إلى هؤلاء الأهالي أنفسهم

- الذين وصفهم سكّان حضرموت بالعاديّين (قوم عاد).

- الذين ألحقهم بعض المؤلّفين (كما رأينا أعلى السّياق) بالعمالقة.

وهكذا، نرى أنه ترتسم أمام بصائرنا أوضح فأوضح، عبر أحفاد نوح -عليه السّلام- وهجراتهم المختلفة، المعالم الكبرى لانفصال اللّغة العربيّة المشتركة (الأمّ) إلى لغات كثيرة، كلّ واحدة منهنّ تتكلّم في منطقةٍ خاصّةٍ، تبعًا لموقع نزول كلّ واحدٍ من هؤلاء الذريّة، وكلّ واحدةٍ من هذه اللّغات العروبيّة تختلف نوعًا ما بالنّسبة للّغة الأمّ، على امتداد الأجيال. ومن بين حلقات هذه السّلسلة اللّسانيّة، يمكن معاينة الأكاديّة (أو الأشوريّة) التي

1. العربيّة، التي تعني في هذا المقام لغة عروبيّة لم تنأ كثيرا عن اللّغة العربيّة المشتركة (على غرار العربيّة الوسطى التي ستتكلّم في منطقة الحجاز عشيّة الوحي القرآني).

2. عبد العزيز سالم" تاريخ الدّولة العربيّة".

يمثلها حاران أخو إبراهيم -عليه السّلام- من جهة ومن جهة أخرى، اللّغة البابليّة التي تكلّمها طارح وابنه إبراهيم -عليه السّلام -.

السّرد التاريخي المقتضب للمناطق المنحصرة بين النيل والفرات، قبل عهد إبراهيم -عليه السّلام-، يسمح لنا بملاحظة أنّ هذه البلدان كانت متجاورة فضائيًا ومتقاربة ثقافيًا وشعائريًا. كان بين اللّغات نسب وطيد : أوّلا لأنها تلحَقُ بالفرع نفسه، أو الجذع اللّسانيّ عينه، جذع اللّغات العروبيّة ؛ ثمّ لأنّ التبادلات متفاوتة المستوى، وقرابة الأهالي أو القبائل القوميّة فيما بينها، كلّ ذلك سهّل التواصل وارتقى بالتفاهم المتبادل وفهم مختلف اللّهجات؛ وختامًا لأنّ كلّ حِقبةٍ من سيادة بلاد على أخرى أو شعب على آخر، تجعل لغة الأوّل (صاحب السّيادة) سائدة لأنها تصبح لغة الدّواوين والتجارة ... باختصار، لغة رسميّة. هذا التفوّق اللّسانيّ يُحقّق دائما على حساب لغة (أو لغات) البلد التابع، أو الشّعب "الموالي".

في حين أنّ تشابه جميع هذه اللّغات المتآخية فيما بينها سهّل من مرور الأهالي بيُسرٍ نوعا ما من لغة لأخرى. مثال تعدّد اللّغات هذا، يقدّمه لنا إبراهيم -عليه السّلام-، وهو مثال يمكن تعميمه على جميع أفراد عائلته (أو بيته) وإسقاطه على أهالٍ كُثرٍ ومختلفين ذوي لغات عروبيّة، في جميع هذه البلدان.

وهكذا تكلّم إبراهيم -عليه السّلام-، خلال أسفاره وإقاماته المتعدّدة في مناطق مختلفة، البابليّة (في أسفل بلاد الرّافدين)، والأشوريّة (في أعلى بلاد الرّافدين)، والكنعانيّة (في فانقيا)، والمصريّة (في مصر)، أو لغة الحجاز (منطقة مكّة المكرّمة) حينما التحق بابنه إسماعيل -عليه السّلام-، وهي اللّغة التي تُطلقُ عليها غَيْرُ ما تسميّة : الحجازيّة، العربيّة الوسطى، الثموديّة، المعينيّة، العاديّة، ... ويمكننا المقابلة بين هذا الفهم الجمعيّ، وهذه اللّهجة المضاعفة في اللّغات العروبيّة حينها من جهة، وحالة اللّهجات العربيّة المعاصرة من جهة أخرى : فأيّ مسافرٍ ناطقٍ بالعربيّة من المغرب الأقصى (على ضفاف

المحيط الأطلسي) بإمكانه أن يفهم ويُفهم (يتخاطب) في مصر كما في سوريّة واليمن أو العراق (على ضفاف الخليج العربيّ)، مثلاً.

1.2. الفانقيّة أو الكنعانيّة، لسان التّوراة

نزل وحي التوراة على النّبيّ الرّسول موسى -عليه السّلام-، نحو مائتين وألف (1200) قبل الميلاد. يشكّل مجموع الأسفار الخمسة الأولى، والأسفار التاريخيّة والأسفار الشّعريّة وأسفار الأنبياء، "العهد القديم"[1]. استحوذ على الكتاب الأوّل (حتى نميّزه عن التوراة البابليّة، المكتوبة باللّغة الأرميّة، خلال إقامة اليهود في بلاد بابل، في نهاية القرن السّادس قبل الميلاد، بعد تحطيم معبد أور سلام من طرف نبو-خذ-نصر ثمّ طردهم) الكنعانيّون (الفانقيّون) والفلسطينيّون على إثر انتصارهم على بني اسرائيل، بعد خروجهم من الصّحراء. ثم أعيد إلى النّبيّ الملك، داوود -عليه السّلام-، الذي وضعه في المعبد ، وضاع الأصل (النّسخة الأصليّة) بعدها.

بالنّظر إلى جميع الحُجَج التاريخيّة واللّسانيّة التي صغناها خلال متن هذا الكتاب، فمن المبرّر جدًا الجزم بأنّ التّوراة أوحيت لموسى-عليه السّلام-، بالكنعانيّة (والله أعلم).

2.2. الأرميّة لسان الإنجيل

يُجمع المؤلّفون على أنّ إدخال اللّغة الأرميّة لفلسطين، كان بعد الاجتياح الأشوريّ لهذه المنطقة، في القرن الثامن قبل العهد المسيحيّ ؛ وقد خلفت هذه اللّغة الفانقيّة في فلسطين (منطقة من مناطق فانقيا) وأزاحت الأكاديّة كلغة للسّياسة الخارجيّة.

سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة (722)، بعد احتلال فلسطين، نفى الأشوريّون سكّان هذه البلاد وحسب "العهد القديم" (الملوك الثاني)، لقد استبْدِل هؤلاء بأهالٍ آخرين، الذين اجتاح مناطقهم سرجون (بابل، كوث،

---

1. اشار القرآن إلى وحي الزبور، على داوود -عليه السلام-، من الفعل زبر، "قطع، خط كتابا" وزبر جمعه زبور اي "كتاب".

عوّا، حماة، ...)، وهم أهالٍ كانوا يتكلّمون الأرميّة. فضلاً عن هذا، كما قال Dupont-Sommer[1] : « لقد فتح الغزو بإلغائه، في نهاية القرن الثامن الحدود الوطنيّة بين مملكة إسرائيل والممالك الأرميّة القديمة، بابَ انتشار اللّغة الأرمية على مصراعيه».

غير أنّ الفانقيّة ظلّت هي لغة الشّعب في فلسطين، ثمّ أصبح الفلسطينيّون الذين كانوا مزدوجي اللّغة، بداية، مع مرور الزّمن وتحت وطأة اللّغة الرّسميّة، الأرميّة (انطلاقًا من عهد فارس)، ناطقين باللّغة الأرميّة، وهذا حتى مجيء الإسلام، في القرن السابع من العهد المسيحيّ (القرن الأوّل للهجرة).

يتفق جميع المؤلّفين على الاعتراف بالقرابة الوطيدة بين اللّغة الفانقيّة والأرميّة. ولقد رأينا ذلك في الباب الأوّل (الفصل الخامس). مُوازاة للقرابة اللّسانيّة بين الأرميّين والفانقيّين، هناك قرابة ثقافيّة ودينيّة، كما تدلي به مخطوطة النّصب التّذكاريّ لبر-حداد ملك دمشق (وهو بن حداد المذكور في "العهد القديم-الملوك الأوّل")، وهو النّصب المكتشف قرب حلب، ويحمل صورة الآلهة الفانقيّة "ملك القرية" مع كتابة بالأرميّة :«من ملك أرم إكرامًا لربّه "ملك القرية"».

في عهد عيسى -عليه السلام-، كانت اللّغة الأرميّة، هي المستعملة عند الشّعب الفلسطينيّ (بمختلف ملأتهم) كما في بيَع اليهود. بهذا اللّسان تكلّم عيسى- عليه السّلام- وحواريّوه، لسان الوحي الإنجيليّ.

كما أزاحت الأرميّة اللّغة الأكاديّة والفانقيّة (كلّ واحدةٍ في عهد محدّدٍ)، فإنّ الأرميّة قد استعيض عنها بمجيء الإسلام، باللّسان العربيّ، لسان القرآن الكريم.

2.3 العربيّة، لسان القرآن

قد لا تكون على الأرجح اللّغة التي استعملت في الحجاز (في وسط شبه الجزيرة العربيّة) في منتصف القرن السّادس من العهد المسيحيّ، هي عربيّة القرآن، ولكن تلك العربيّة التي تقترب من لسانه أكثر. وضمن هذه المنطقة

---

1. مصدر سبق ذكره.

تشمل مكّة المكرّمة (المدينة التي بها ولد الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-، والمركز الدّيني للمسلمين مع حرم الكعبة) وكذا المدينة المنوّرة (وهي المدينة التي تضمّ قبر الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- الشّريف). لقد أصبح اللّسان العربيّ -بسبب نزول القرآن وحيًا، ومجيء الإسلام- اللّغة الرّسميّة والوحيدة للدّين الإسلاميّ، ثمّ لسان العرب جميعهم -مهما كان معتقدهم - وإلى غاية اليوم-.

وهكذا بعد انتصار العرب المسلمين :

أ/ في شمال شبه الجزيرة العربيّة (فلسطين، والهلال الخصيب) على الرّومان-الرّوم، عوّضت العربيّة الأرميّة، في جميع هذه المناطق واعتنق الأهالي الإسلام ؛

- عند التدمريّين، عرب مسيحيّين، عاصمتهم تدمر، في شرق حمص (سوريّة الحاليّة)، على الطّريق التي تربط دمشق بوادي الفرات. هؤلاء الأهالي تكلّموا الأرميّة كما العربيّة ؛

- عند الأنباط، عرب مسيحيّين، عاصمتهم البطراء، في بلاد أدوم، أو البلاد العربيّة الصّخريّة (في الأردن الحاليّة). هؤلاء الأهالي تكلّموا الأرميّة كما العربيّة ؛

- عند الغساسنة[1]، المسيحيّين القائلين بوحدة الطّبيعة في المسيح (على المذهب اليعقوبيّ)، عاصمتهم جلق، قرب دمشق. وكانوا حلفاء مع الرّوم ضدّ الفرس ؛

- عند المناذرة[2]، ذوي أديانٍ مختلفة (مشركون، مجوس، صابئة، مسيحيّون، يهود). عاصمتهم الحيرة، على ضفاف الفرات (في العراق الحاليّ). كان المناذرة المسيحيّون على المذهب النّسطوريّ. وهؤلاء الأهالي حلفاء فارس ضدّ روما ؛

- عند الغانقيّين-الفلسطينيّين، هم العرب الوثنيّون أو اليهود أو المسيحيّون الذين يتكلّمون بخاصّة الأرميّة ؛

---

1. من أصل يمنيّ هاجروا نحو الشّمال إثر انحباس سدّ مارب (نحو سنة عشرين ومائة 120 بعد الميلاد).
2. من أصل يمنيّ هاجروا نحو الشّمال لنفس ظروف الغساسنة.

- عند السّوريّين، هم العرب الوثنيّون أو المسيحيّون (القائلون بوحدة الطّبيعة في المسيح، أو التّابعون لمذهب الكنيسة الرّومانيّة)، عاصمتهم دمشق وتكلّموا بشكل رئيسيّ الأرميّة وبشكل أقلّ منها العربيّة[1].

ب/ في الأنحاء الأخرى للعالم العروبيّ

- عند اليمنيّين (جنوب شبه الجزيرة العربيّة أو البلاد العربيّة السّعيدة)، يسمّون أيضا بالحِمْيَريّين. هؤلاء الأهالي، الذين كانوا في جزء منهم وثنيّين وفي الآخر مسيحيّين أو يهود (خاصّة الحضر)، تكلّموا الحِميريّة أو اللّغة العربيّة الجنوبيّة، التي لها قرابة وطيدة بالأكاديّة والحبشيّة والفانقيّة والمصريّة، التي جميعها لغات من الفرع العروبيّ-الحاميّ. لم تبق اليوم هذه اللّغة العربيّة-الجنوبيّة حيّة؛

- عند المصريّين : هم أهالٍ مسيحيّين (في جزءٍ منهم) ، يدينون في معظمهم للكنيسة القبطيّة (موحّدة الطّبيعة في المسيح)، يتكلّمون المصريّة. لم تبق هذه اللّغة المصريّة اليوم حيّة[2] ؛

- عند البربر (شمال إفريقيا، من سورت اللّيبيّة إلى المحيط الأطلسي) : هؤلاء الأهالي بعضهم مشركٌ وبعضهم يهود أو مسيحيّون، يدينون للكنيسة الدّوناتيّة. يتكلّمون اللّغة البربريّة، من لغات الفرع العروبيّ-الحاميّ، التي لها قرابة وطيدة باللّغة الفانقيّة والمصريّة القديمة. هي اللّغة القديمة الوحيدة التي لم تمّح من المشهد اللّسانيّ المعاصر. فقد ظلّت مُتكلَّمةً دائمًا من طرف جزءٍ من أهالي الغرب، إلى جانب اللّغة العربيّة.

- عند الإيبر (جنوب غرب أروبا) : هؤلاء الأهالي، إخوان الأهالي البربر، مشركون في جزءٍ منهم، وفي الآخر يهود أو مسيحيّون (إمّا تابعون للكنيسة

---

1. بقيت إلى أيّامنا بعض الأقوام المسيحيّة لا تزال تتكلّم الأرميّة (إلى جانب العربيّة)، في سوريّة، أو السّريانيّة (في بلاد الرّافدين).

2. لا تزال القبطيّة كلغة شعائريّة.

الرّومانيّة أو الكنيسة الآريّة). يتكلّمون اللّغة الإيبريّة-البربريّة (المرتبطة باللّغات القوقصيّة)، من لغات الفرع العروبيّ-الحاميّ، ثمّ أصبحوا يتكلّمون العربيّة الصّريحة بمجيء الإسلام.

في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وألف (1492) للميلاد (الموافق لستّ وتسعين وثمانمائة -896- للهجرة) بسقوط غرناطة وطرد جزء من الإيسبان (الإيبر) المسلمين، أصبحت إيسبانيا مسيحيّة (تدين للكنيسة الرّومانيّة)، وصار الإيسبان ناطقين باللاّتينيّة (الإيسبانيّة، لغة استعملت بعد التضييع القسري للعربيّة، أصبحت إحدى فروع اللّغة الرّومانيّة).

إذا كانت أغلب اللّغات العروبيّة القديمة قد اندثرت اليوم، فثلاث أو أربع منهنّ أهملن عند الأهالي، بعد مجيء الإسلام، وبقين كلغات عقائديّة في الكنائس المسيحيّة الشّرقيّة. أمّا بالنّسبة للكنائس النّصرانيّة الأخر (الرّومانيّة والرّوميّة، إلخ) فهنّ يستعملن اللّغة العربيّة كلغةٍ مقدّسة.

الفصل الثّالث

الإسلام واللّسان العربيّ

أُنزل القرآن على النّبيّ الرّسول محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- بلسانٍ عربيٍّ، هو لسان الدّين الإسلاميّ : جميع المسلمين، سواءً كانوا عربًا أو عجمًا، يجب عليهم أن ينطقوا بالعربيّة الشّهادة، وكذلك في صلواتهم اليوميّة يفعلون (بقراءة الفاتحة وما تيسّر من القرآن)، أو في تلاوتهم للقرآن الكريم.

إذا كان الوحي القرآني قد بدأ قبل التّعداد التّاريخيّ الإسلاميّ، الذي يتصادف مع الهجرة النّبويّة[1]، فهذا لا يعني أنّ الوحي وقّع شهادة ميلاد الإسلام، فهذا الدّين كان متواجدًا أو معروفًا من قبل. فقد ذكر القرآن إبراهيم -عليه السّلام- واصفًا إيّاه بأوّل المسلمين :

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. (سورة الأنعام-الآية : 163)

وحسب القرآن الكريم أيضا، جميع الأنبياء الذين تتابعوا من إبراهيم -عليه السّلام-، إلى محمّد، خاتم الأنبياء والمرسلين -عليه أزكى الصّلاة والتّسليم-، دعوا إلى الإسلام، أي الإذعان والانصياع لله -سبحانه-.

حسب "العهد القديم" ("سفر التّكوين")، ملكي-صادق، ملك لمدينة سالم (في السّامرة) ، كان كاهنًا لله العليّ مالك السماوات والأرض.. وفي السّياق نفسه يعرّف "العهد القديم" إبراهيم على أنّه : ، المذعن للرّبّ العالي، ذلك أنّه لم يرفض مباركة ملكي-صادق، وأعطى لهذا الرّبانيّ الكبير العشر من كلّ شيء، وهو ما

---

1. هجرة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- إثر عداء قومه من مكّة المشرّفة، نحو المدينة المنوّرة : أرّخ لهذا الانطلاق بسنة اثنتين وعشرين وستمائة للميلاد، أوّل سنة في التّقويم الهجريّ.

يعني أنه التزم -ها هنا- بواحدة من أركان الإسلام الخمسة، الا وهي الزّكاة[1]. وهو ما يتوافق مع ما وَرَدَ في القرآن الكريم (سورة آل عمران-الآية : 67):

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وحسب "الكتاب المقدّس" أيضا، يذكر الإنجيل (لوقا ويوحنا)، عيسى الذي حيّى حوارييه قائلاً : "السّلام عليكم"، وهو تعبير يستعمله جميع الناصعين والمذعنين لله، كرّسه الإسلام، وهو تحيّة أهل الجنّة :

﴿... وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ...﴾ (سورة الأعراف-الآية : 46).

وإذا أقررنا أنّ العربيّة هي لسان القرآن، الذي هو كتاب الإسلام، فهذه اللّغة ليست لغة أوّل المسلمين، إبراهيم -عليه السّلام-. فلغة بابل هي اللّغة الأصليّة، التي تكلّم بها إبراهيم -عليه السّلام-، والكنعانية لغته المختارة. أي أنه ينبغي اعتبار هاتين اللّغتين الأخيرتين على غرار اللّغة الأرميّة، كألسنة انبياء أو ألسنة كتب موحاة. وجميعهنّ لغات عروبيّة انبثقن من لغة-أمْ واحدة.

ويمكن تجسيدًا تمثيل القرابة اللّسانيّة والدّينيّة والعرقيّة[2] بين هؤلاء الأنبياء، وفق وجهة موضوعنا، اعتمادًا على آية من القرآن :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ. فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة الحديد-الآية : 26).

لقد بعث، محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، آخر حلقة في عقد الأنبياء الممتدّ إلى نوحٍ، ليتمّ ويكمل الوحي الإلهيّ، عقب الرّسل إبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السّلام- أصحاب الرّسالات الأصليّة. بالتناظر يمكن القول أنّ

---

1. الزّكاة، من الجذر ز. ك. ي./ زكى، يعني الفعل منه " نما، طهر" والاسم الزّكاة "نقاء شيء، عشر، صدقة شرعيّة". إحدى الأركان الخمسة للإسلام : وهي قربى ماديّة يقصد بها وجه الله، تماما كما يتقرّب بالصلاة " جسدا وروحا" لله.

2. كلمة "عرق" هاهنا مستعملة بالمعنى الذي حمّلها G. Lebon في كتابه "حضارة العرب" (الصفحة 22) : .... يصف هذا المصطلح تجمّعات افراد على القدر نفسه من الميزات، تنتقل بوساطة الوراثة..

اللّسان العربيّ -الذي تكلّمه خاتم المرسلين -صلّى الله عليه وسلّم- هو اللّسان الذي أتمّ وأكمل وعوّض جميع اللّغات العروبيّة التي تكلّمها الرّسل الذين سبقوه وأقوامهم بالتتابع. والمقابلة هذه بين ديانات التوحيد (الأصل) واللّغات العروبيّة هي ما سنجريه فيما يُستقبل.

1. دراسة تقابليّة بين ديانات التّوحيد (في الأصل) واللّغات العروبيّة

قرونا قليلة (حوالي ستة قرون تقريبًا) بعد دعوة إبراهيم -عليه السّلام-الحنيفيّة، ظهرت الشّريعة اليهوديّة، بتنزيل التوراة -باللّسان الفانقيّ- على النّبيّ- الرّسول موسى -عليه السّلام-، نحو مائتين وألف (1200) قبل الميلاد. اثنا عشرة قرنا بعد تنزيل هذا الكتاب -هدًى ونورًا- وُلدت الشّريعة المسيحيّة، بتنزيل الإنجيل -باللّسان الأرميّ- على النّبيّ -الرّسول عيسى-عليه السّلام-. حوالي ستة قرون بعدها بزغ خاتم الشّرائع مع القرآن الكريم -باللّسان العربيّ- على النّبيّ-الرّسول محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-.

هكذا خلال حقبة تمتدّ على ألفين وخمسمائة سنة تقريبا، تداول أربعة أنبياء-مرسلين -وليسوا هم الأنبياء وحدهم[1] فحسب- مهمّة إلهيّة، وأنزلت أربعة كتب سماويّة، تباعًا كلّ واحد على واحد من هؤلاء الأنبياء[2] :

- الصّحف الأولى (حسب تسمية القرآن)، نزلت بلسان قد يكون البابليّ، اللّغة ذاتها التي بها حُرّرَ قانون حمو-ربي. وقد نال من هذه اللّغة الهجْرانُ فعَفَا رسمُها ودَرَسَ ؛

---

1. قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [سورة: النساء - الآية: 163]. كما ذكر موسى-عليه السّلام- في الآية الموالية لها : قال تعالى : ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [سورة: النساء - الآية : 164].

2. قال تعالى : ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [سورة: المائدة - الآية : 48].

- النّصّ الثّاني أو التّوراة، الّتي ضاعت نسختها الأولى كما ضاعت الفانقيّة، اللّسان الّذي نفترض أنّه كتب به ؛

- الكتاب الثّالث، الإنجيل، الّذي ضاعت نسخته الأصليّة، تمامًا كما اندثرت الأرميّة، اللّسان الّذي به نزّل (أو حي) ؛

- الكتاب الرّابع، وآخر كتاب، القرآن، الّذي لا يزال نصّه الأوّل بالعربيّة محافظًا عليه مطابقًا للأصل، وهو كما ذكرته الآية القرآنيّة، حيث نصّت :

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (سورة البروج-الآيتان : 21-22).

1.1. نسخ آية في كتاب واحد = التّطوّر اللّغوي ضمن لغة واحدة

حسب القرآن الكريم :

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ (سورة الأنعام-الآية : 34).

لا يمكن أن يبدّل كلام الله أو يحرّف. لأنّ الله الّذي أرسل الرّسل إلى أقوامهم، يستحيل في حقّه أن ينزّل كُتُبا تتناقض. بطبيعة الحال، الكتب الّتي أنزل، كلّ واحد منها على نبيّ، حدث نزولها في حِقَبٍ محدّدة، وترتبط بسياق تاريخيّ وسياسيّ واقتصاديّ اجتماعيّ لكل عصر. وإذا كانت أشكال الكتب المنزّلة تختلف فجوهرها واحد. فالاختلافات العميقة الّتي نجدها بين "الكتاب المقدّس" والقرآن، الحجّة الخالدة، يمكن عَزْوُها إلى تغيّرات راجعة لتوالي الوحي،

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (سورة الرّعد-الآية : 39)

أو إلى تحريفات أجرمتها يد البشر، أو ترجمات محرّفة عن قصد أو بحسن نيّة.

وفي القرآن، يمكن الوقوف عند آيات تختلف مع أخرى، وبالتالي تلغيها بتعويضها. والنّسخ يُقرّه القرآن :

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ (سورة النحل-الآية : 101).

وبصدد موضوع النسخ، دائمًا تنصّ آية أخرى :

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(سورة البقرة- الآية : 106)

وإذا ما اسقطنا على اللّغات العروبيّة ما قلناه للتوّ بشأن الكتب المنزّلة، فبوسعنا استنتاج، بالتوافق مع المؤلفين (لا سيما اللّسانيّين منهم)، أنّ اللّغات العروبيّة تتشابه حقًا : « جذور الكلمات ثلاثيّة ، وهناك زمنان (للأفعال) : الماضي والمضارع ، تصريف الأفعال متطابق وكذا الحال بالنّسبة للضمائر، على غرار مصطلحات القرابة (النّسب والمصاهرة) والأعداد وأعضاء الجسم البشريّ، جدّ متماثلة، إن لم نقل (أو أحيانا) متطابقة»[1].

تعود الاختلافات التي نقف عليها في اللّغات العروبيّة -بالنّظر لكلّ واحدة على حدة- أساسا إلى تطوّر كلّ لغة، في زمن وحيّز معيّنين، بدلالة المحيط الطّبيعيّ والاجتماعيّ والأوضاع السّياسيّة والرقيّ الماديّ والمنهجيّ المعرفيّ والفنيّ وكذا التأثيرات اللّسانيّة للغات أخرٍ تعايشها أو عايشتها هذه اللّغة. كما أنّ بعض أوجه النّطق في قبيلة أو عند أهل ما، في منطقة ما يمكن أن تفضي بتعاقب الدّهور بلغة عروبيّة إلى تغيّرات معجميّة، بل وحتى تحريفات صرفيّة نحويّة في هذه اللّغة ذاتها.

2.1 نسخ الأحكام السّابقة = تطوّر اللّغات العروبيّة وكتاباتها الخاصّة بها

إذا ما نسخت، في كتاب منزّل، بعض الآيات (آية في القرآن وإصحاح ... في غيره) آياتٍ أخرى، فيمكننا تعميم وتمديد هذا النّسخ أو التبديل على مستوى الدّيانات الحنيفيّة المتتالية[2] ولغاتها الخاصّة بها : شريعة جديدة -بالتحديد

1. Ph. Hitti في كتابه "تاريخ العرب".

2. فيما يخصّ النّسخ والتبديل في القرآن (سورة البقرة-الآية : 106/ وسورة النّحل-الآية : 101)، يفسّر بعض المؤلفين كلمة آية بالشّطر من القرآن، في حين أشار الزّمخشريّ إلى أنّها ، يتعلّق الأمر بنسخ (أو

المسيحيّة- تكمّل و"تعصرن" اليهوديّة ، خاتم الشّرائع والأديان (أو الدّين الأصليّ)، الإسلام[1]، يهيمن على الشّرائع السّابقة.

وهو ما نصّت عليه الآية الثّامنة والأربعون (48) من سورة المائدة : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

وإذا ما أسقطنا هذا النّسخ، في مفهومه العامّ، على مستوى اللّغة، فيمكننا أن نلحظ تطوّرًا جليًّا لوضعية الكتابة في اللّغات العروبيّة : ففي الألفيّة الثّالثة قبل العهد المسيحيّ، استعمل في كتابة اللّغة الأكاديّة والمصرية، على التّرتيب الخطّ المسماريّ والخطّ المقدّس القديم.

لقد تطوّرت الكتابة من القرن الواحد والعشرين إلى القرن السّادس عشر قبل الميلاد : فاستعمل في كتابة الفانقيّة، خطّ مركّب، كثير من رموزه تذكّرنا بالخطّ المقدّس المصريّ القديم، ورموز أخرى بالهجاء الفانقيّ. انطلاقًا من منتصف الألفيّة الثّانية قبل الميلاد حدث اختراع أحرف الهجاء الفانقيّة، بخطّ "الفانقيّة القديمة". وترتكز هذه الكتابة على تهجية تتألّف من اثنين وعشرين حرفًا -نحو القرنين الخامس عشر والرّابع عشر قبل الميلاد- في حين أنّه في قرون كثيرة قبل ذلك، كان الخطّ شبه المقدّس القديم لنصوص جبيل. وسيُستعار نمط الكتابة هذا في شرقيّ آسيا كما في أروبا الغربيّة. ويمكن مصادفة الفانقيّة القديمة حتّى القرن التّاسع قبل الميلاد ، وتلتها الفانقيّة الوسطى بين القرنين الثّامن والخامس قبل الميلاد. وعوّضتها الفانقيّة الحديثة من القرن الخامس قبل الميلاد، إلى بداية العهد المسيحيّ وما بعده.

ستكتب آنذاك الأرميّة العتيقة، الممثلة أساسا في لغة مخطوطات القرنين التّاسع والثّامن قبل الميلاد، بالهجاء الفانقيّ. ثمّ انطلاقًا من القرن السّابع، أتاح شكل الخطّ الأرميّ، المشتقّ من الهجاء الفانقيّ، ظهور أنواع كتابة جديدة : الخطّ

تعويض) احكام باخرى.. اما الهاشمي التجانيّ (في كتابه "مذهب النّسخ في التفسير وابعاده الاجتماعيّة") ففسّر كلمة اية بـ"الوحي" وليس الشّطر من نصّ القران.

1. قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة ال عمران - الآية : 19].

المربّع التدمريّ ("الذي تبنّته اللّغة العبريّة")، والخطّ النبطيّ، والخطّ السّرياني، والخطّ المنديّ. وفي القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد حُرِّرت القصص الأرميّة لكتاب عزرا، ونصف كتاب دانئيل، بأرميّة "العهد القديم" ("الكتاب المقدّس").

علاوة عن هذا، لم تُحفظ اللّغة الفانقيّة كلغة عقائديّة عند اليهود. فلغة عيسى -عليه السّلام-، الأرميّة هي المهيمنة لديهم : في عهد عيسى -عليه السّلام-، يخبرنا A. Dupont-Sommer[1] : ، كانت تتمّ قراءة "الأسفار المقدّسة" في البيع بالأرميّة،[2].

بعد مجيء الإسلام، تبنّى عرب الملّة المسيحيّة، اللّغة العربيّة كلغة دينيّة، في حين احتفظ بقيّة العرب (المسلمين) بلغة القرآن الكريم.

حسب المؤلّفين (من بينهم أمين مدني)[3]، الخطّ المسمّى بالمسند، هو من شمال شبه الجزيرة العربيّة، ثمّ امتدّ إلى الجنوب، أين تطوّر. وكان أوّل من استعمل هذا الخطّ هم المعينيّون، وهم فرع من العمالقة -نحو خمسين وسبعمائة وثلاثة آلاف (3750) قبل الميلاد، خلال ملك نار-رم-سن، حسب المخطوطات المنقوشة البابليّة-. ويمكن التقاء الخطّ اللّحيانيّ في وسط شبه الجزيرة العربيّة (منطقة الحجاز) بالأحرف الخاصّة باللّغة الحجازيّة، مثل الذّال والثّاء والضّاد. والمخطوطات المنقوشة الأقدم التي يشبه أكثر خطّها الكتابة العربيّة الكوفيّة (في الرّسم والأسلوب) هي مخطوطات نمارة المنقوشة (قرب دمشق)، تعود لملك الحيرة إمرئ القيس (مابين ثمان وثمانين ومائتين وثمان وعشرين وثلاثمائة للميلاد -288-328-) بالخطّ النبطيّ.

---

1. مصدر سبق ذكره.
2. في القرن الثالث قبل العهد المسيحيّ، أمر الملك بطلعلم الثاني بتحضير النسخة اليونانيّة لـ"لعهد القديم" : وهي نسخة السّبعين، التي أقرّت كنسخة رسميّة من لدن كنيسة روما. والنّص الأصليّ باللاّتينيّة (Vulgate) هو من عمل St Jerôme ، في القرن الرّابع للعهد المسيحيّ، وهو نصّ يحيل إلى نسخة السّبعين.
3. في كتابه "التّاريخ العربيّ وبدايته".

بتوسّع دائرة الإسلام، لتشمل بُلدانا كثيرة من غير النّاطقين بالعربيّة، استخدم مسلمو هذه البلاد موازاةً لإعمالِ لغاتهم الأصليّة، العربيّة كلسان مقدّس، وهو الذي ظلّ إلى يومنا هذا اللّسان الوحيد للإسلام والمسلمين.

3.1 تناظر التّسلسل الزّمني بين الكتب السّماويّة المنزّلة والسنتها الخاصّة بها

1.3.1 التّوراة والفانقيّة

في الألفيّة الثالثة قبل العهد المسيحيّ، كانت اللّغة الفانقيّة (الكنعانيّة) لغة حضارة : تحمل أشعار رأس-شمرة (أوقريت)، التي عُثِرَ عليها مجزّأةً، جميع علامات قدمٍ غابر.

حينما قدم الرّسول إبراهيم -عليه السّلام-، بلاد كنعان، في بداية الألفيّة الثّانية ألِفَ لغة البلاد، وهَجَرَ بالتّأكيد لغته الأصليّة، البابليّة، ليتبنّى لغة البلد المضيف، وهي البلاد التي ستستحيل موطنًا لبنيه.

غادر إبراهيم، الذي تقلّد مهمّة نبويّة، بلاد الرّافدين السّفلى، مكرهًا على النّفي من طرف قومه الوثنيّين. وواصل الدّعوة لرسالته في بلاد كنعان. ويظهر لاحقًا، أنّ واحدةً من مهمّاته في بلاد كنعان هي إعداد أولاده ليصيروا أجداد أنبياء : إسماعيل -عليه السّلام-، ابنه البكر، الذي لغته الأصليّة[1] الحجازيّة القديمة، سينتدب ليكون بدوره نبيًا وسلفا للرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-، خاتم الأنبياء والمرسلين. إسحاق، الابن الأصغر لإبراهيم-عليهما السّلام-، الذي لغته الأصليّة الفانقيّة، سَيَنتَدَبُ أيضًا هو الآخر ليكون بدوره نبيًا وسلف موسى -عليه السّلام-، الرّسول الذي سيتلقّى التّوراة.

لقد وصّى، يعقوب -عليه السّلام- وهو على فراش الموت، بنيه بأن يقتضوا صراط الحنفيّة، كما فعل أبوهم وأجدادهم، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، صراط الطّاعة والانصياع لله سبحانه (سورة البقرة-الآية : 133).

---

1. ما لم تكن اللّغة العربيّة لغة أمّه، هاجر- وهو ما لايقوم عليه دليل- فهي لغة طفولته ومحيطه. والشّيء نفسه يقال عن إسحاق-عليه السّلام-، مع اللّغة الفانقيّة.

وهكذا أصبح يعقوب (إسرائيل) سلف بني إسرائيل. وقد تلقّى الرّسول موسى -عليه السّلام- الذي قاد بني إسرائيل عند خروجهم من مصر، التوراة[1] عند طور سيناء. وقد تلا هذا الوحي الذي حدث حوالي مائتين وألف (1200) سنة قبل الميلاد، اختراع حروف الهجاء وإعجامها من طرف الفانقيّين (ممّا يحيلنا إلى منتصف الألفيّة الثانية، أو في أدنى تقدير إلى القرن الثالث عشر). ممّا يعني أنّ التوراة قد تكون كتبت بحروف هجائيّة، إذا ما وافقنا على أنها نزّلت باللّسان الفانقيّ على موسى.

2.3.1 الإنجيل والأرميّة

حسب موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique"، الأرميّة هي لهجة القبائل البدو، بالدّرجة الأولى، المشار إليها في القرن الرّابع عشر قبل الميلاد، في تخوم واديي دجلة والفرات. من القرن التاسع إلى غاية وفاة إسكندر الثالث (في ثلاث وعشرين وثلاثمائة -323- قبل الميلاد)، تمثل حقبة الأرميّة المشتركة. من ثلاث وعشرين وثلاثمائة (323) قبل الميلاد إلى غاية القرون الأولى من العهد المسيحيّ، تمثل حقبة الأرميّة الفصحى.

ترتسم لنا بالتالي المعالم الكبرى للتطوّر اللّساني للأرميّة، التي صارت من مُجرّدِ لهجةٍ بدويّةٍ، لغةَ السّياسة الخارجيّة لجميع الشّرق القديم، ثمّ ارتقت إلى مصافّ اللّغة الفصحى، قادرة على امتثال نصّ الوحي الإنجيليّ ترجمةً. وقد استعيض باللّغة الأرميّة، في فلسطين، عن اللّغة الكنعانيّة، في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، بسبب الاحتلال الأشوريّ للمنطقة، وظلّت هناك إلى غاية مجيء الإسلام. وقد انعتق الخطّ الأرميّ، المشتقّ من الخطّ الهجائيّ الفانقيّ من هذا الأخير، بظهور أنواع للكتابة الأرميّة البحتة، في القرن الرّابع، قبل العهد المسيحيّ.

---

1. سيناء، هي منطقة (صحراوية) تقع بين وادي النيل وبلاد كنعان.

على غرار الفانقية، التي ارتقت على مرّ قُرونٍ عديدة من الاستعمال المعرقيّ، والتي اتخذت كمتنٍ للتوراة، أصبحت الأرميّة، بعد قرون كثيرة من النضج كلغة فصحى، حاملةَ الإنجيل.

3.3.1 القرآن الكريم والعربيّة

لقد تمّ وحي الكتاب الكريم في عهدٍ كانت فيه اللّغة العربيّة الوسطى لغةً بلغت ذرى نهجيتها، اكتسبت زخرفة وثراءً ملحوظين، وذلك في جزء كبير من شبه الجزيرة العربيّة.

وهكذا، في مرحلة تطوّرها الختاميّة وفي أوجّها، ستصبح اللّغة العربيّة الوسطى أو الحجازيّة شبه مماثلة للّغة الوحي. ونقول "شبه"، إذ أنّ اللّغة العربيّة الوسطى، وعلى نضجها وثرائها -بفضل جهود ناطقيها المتواصلة وإبداعاتهم الأدبيّة- إلاّ أنّ ذلك دُون أن يُخوّلها مضاهاة درجة لغة القرآن ، تمامًا مثلما يُعجزنا موازنة كرّاسة تلميذٍ موهوبٍ بارعٍ، بمُدوّنة لأستاذه، أو سيّده.

هذا ما يعني أنّ اللّغة العربيّة (أو اللّغات العربيّة) للحجاز، خلال الفيّات كثيرةٍ صقلت وجلّيت جميع أوضاعها اللّسانيّة (صرف ونحو، معجمة، صوتيّات ...)، وأثريت بفضل علاقتها باللّغات العروبيّة الأُخرَ، انتهى الأمر بالاستعاضة عنها، بانصهارها في لسان القرآن.

لقد تزامن تطوّر اللّغات العروبيّة في الحيّز والزّمن، بالتوازي مع تطوّر كتابة هذه اللّغات. فقد أفسح الخطّ الأوّل المسماريّ والخطّ المقدّس القديم المكان ليتبوّأه الخطّ الثموديّ والخطّ السّينائي، اللّذان أفلا، ليأذنا بميلاد الكتابة الهجائية الفانقيّة ثمّ الأرميّة. ويمثل آخر مرحلة لهذا التحوّل -من المعقّد إلى البسيط- الرّسم الختاميّ للحروف العربيّة التي عرفها نصّ القرآن، رسم، دائمًا، معاصر وقارٌّ منذ ما يقارب الألفيتين.

2. التّواصل الدّينيّ وتغيّر اللّغات

جميع اللّغات العروبيّة تتشابه فيما بينها. مثلما يتكلّم اللّسانيّون عن القرابة بين هذه اللّغات : الأرميّة والأكاديّة (البابليّة، من ثمّ)، الأرميّة والفانقيّة، الفانقيّة والأكاديّة، من جهة، ومن أخرى بين هذه اللّغات الثلاث والعربيّة. وينطبق الأمر، بالتأكيد، على اللّغات العروبيّة الأخرى (الحِميَريّة أو العربيّة الجنوبيّة، الحبشيّة، المصريّة، الإيبريّة-البربريّة، إلخ.). جميعهن يتقاربن فيما بينهنّ أو مع الثلاث المذكورات آنفًا.

كما أنّ الشّرائع الحنيفيّة الثلاث، لها الأركان نفسها ولا تختلف بينها، إلاّ من حيث الشّكل. في الأصل والمبدإ، تمثل الشّرائع الثلاث (اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام) طوابق ثلاثة لبيت واحد، هندسه مصمّم واحد. وهو ما نصّ عليه القرآن (إنّ الدّين عند الله الإسلام). مختلف الوحي المنزّل (كتاب على كلّ رسول) هو تجسيد ظاهر لاستمرارية دينيّة، كلّ كتاب مكمّل ومؤكّد للّذي سبقه.

أمّا بالنّسبة لآخر كتاب أوحي، القرآن فهو

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة-الآية : 48)،

على غرار العربيّة، لسان القرآن، الذي عوّض الألسن العروبيّة الأخرى. وعلى هذه الحقيقة اللّسانيّة يمكن إسقاط معنى الآية التي أشير إليها أعلى السّياق

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾،

وهي الآية، التي يمكن أن تدلّ فيها كلمة "آية" في العربيّة على غير ما معنى، ومن معانيها "الوحي" (انظر الإحالة 1، لمدرج العنوان 2.1 في الفصل نفسه)، كما تعني ايضًا "علامة، حجّة، معجزة". يمكن أيضًا اندراج مفهوم "اللّغة" في سياق الوحي، بمعنى "لغة الوحي".

بالتوازي مع هذا التواصل الدّينيّ، يمكن معاينة استمرارية فضائيّة : الرّحلة التي تبعها إبراهيم -عليه السّلام-، انطلاقًا من بلاد الرّافدين (نقطة البدء)، وصولاً إلى مكّة المكرّمة (نقطة الوصول)، قد تكون ترجمة (واحدة من بين الترجمات) للهجرات العروبيّة المتحدّرة من بلاد ما بين النهرين (المهد المفترض للمتكلّمين باللّغات العروبيّة) نحو مناطق استعمار أخرى.

قد تُحمَلُ محطّات هذه الرّحلة "المبرمجة" على أنّها مراحل "قراءة للوحي" المختلفة :

1/ بلاد الرّافدين، موطن إبراهيم -عليه السّلام-، النّبيّ الذي عليه أنزلت الصّحف ؛

2/ بلاد كنعان، التي لغتها هي لسان التوراة ؛

3/ مصر، بلاد ميلاد النّبيّ موسى -عليه السّلام- ؛

4/ بلاد كنعان، مجدّدًا، مكان ميلاد أبناء إبراهيم -عليه السّلام-، الذين سيصبحون أنبياء بعدها، إسماعيل وإسحاق -عليهما السّلام-، ثمّ عيسى -عليه السّلام- ؛ وفي هذا البلد تلقّى هذا الرّسول رسالته[1] ؛

5/ مكّة المكرّمة، أين أقامت هاجر وابنها إسماعيل -عليه السّلام-، البلاد التي ولد بها النّبيّ محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، الذي عليه نزّل القرآن بلسان عربيّ.

لقد بيّنا في الفصل السّابق (الفصل الثاني) أنّ أرفخشذ وعقبه (إلى غاية قحطان، ابن عابر) تكلّموا العربيّة أو لغةً عروبيّة قريبة كفاية من اللّغة-الأمّ، وابتعدت لغتهم شيئًا فشيئًا على تعاقب الأجيال عن الأصل.

فضلا عن هذا، إذا ما قبلنا أنّ اللّغة-الأمّ، أعطت ميلاد اللّغات العروبيّة، انطلاقًا من أحفاد نوح، فهذا يفترض أنّ أبناء نوحٍ -عليه السّلام-، أعملوا اللّغة المشتركة (العربيّة). وإذ كان استدلالنا مُستساغًا، فينبغي أن يوضع انطلاق موجات الهجرات العروبيّة، في حقبةٍ أقدم، انطلاقاً من المناطق القوقصيّة والأناضوليّة والرّافديّة الشماليّة، نحو ربوع الأرض.

1. تشمل بلاد كنعان (أو فانقيا) فلسطين.

3. العربيّة، هل هي محتدة اللّغات العروبيّة، على غرار الإسلام، الذي هو امتيازًا، الدّين الوحيد الخالد ؟

على إثر انقسام اللّغة-الأمّ، إلى لغات كثيرة، يمكن ان نفترض أنّ اللّغة العربيّة، التي تكلّمها أبناء نوحٍ -عليه السّلام- ظلّت مستعملةً عند ارفخشذ وابنائه، وباستمرار حتى إبراهيم -عليه السّلام-، الذي تكلّم البابليّة، وهو ما حدث بالطّبع مع بعض التحويرات أو التحريفات اللّسانيّة اليسيرة، بالنّظر إلى الهجرات في منطقة أخرى (من المناطق الشّماليّة نحو أسفل بلاد الرّافدين) والقرون الطّويلة إن لم نقل الفياتِ متهاويةٍ.

بالنّظر إلى شهادة اللّسانيّين الذين يقرّون أنّ اللّغتين البابليّة والعربيّة متقاربتين، وبالاعتماد خاصّة على دراسة E. Dhorme، حول التشابه الصّرفيّ والنحويّ والمعجميّ بين اللّغة العربيّة ولغة قانون حمو-ربي، وما أوردناه بالنّسبة لهذا التّشابه، يمكن أن نترخّص أن ننعت العربيّة الفصحى (أو العربيّة المشتركة) والبابليّة بالمتقاربة. وفي هذا السّياق كتب E. Dhorme[1] : « إذا كانت هناك حقيقة تحكم تاريخ اللّغات السّاميّة في علاقاتها المتبادلة، فهي أنّ العربيّة بمعيّة اللّغات التي يصطلح على تسميتها السّاميّة-الجنوبيّة، تتبدّى لنا كمحافظ غريب للنّظام المشترك لما يمكن تسميته السّامية العتيقة، إن لم نقل البدائيّة». ويضيف هذا المؤلّف : « تظهر التهجية المسماريّة كتباشير للهجاءات السّاميّة-الجنوبيّة، في عدد وطبيعة حروفها الصّامتة، السّبعة والعشرين، التي تتوافق مع الحروف الصّامتة العربيّة». وبعد أن شرح هذا المؤلّف كثيرًا من العناصر البنويّة المشتركة لهذه اللّغات، توصّل : « هي الحجّة الصّارخة للّغة العربيّة، في حفاظها على البنية العتيقة للّهجات السّامية».

---

1. مصدر سبق ذكره.

إذا كانت لغة الحجاز، التي يمكن اعتبارها كلغةٍ جدّ قريبة، إن لم نقل مطابقة للسان القرآن، قد حافظت على مدى قرون كثيرة على البصمة أو الطّابع البابليّ -الواحدة نسخة عن الأخرى[1]-، فذلك هو الحجّة على أنّ أهالِ ذوي اللّغة البابليّة (انحدروا من بلاد الرّافدين السّفلى)، قد هاجروا نحو وسط شبه الجزيرة العربيّة (منطقة الحجاز خاصّة)- وكذا نحو مناطق أخرى (لقد بيّنّا ذلك في الباب الأوّل، الفصل الثالث) -إمّا مباشرة (كمثال إسماعيل، ابن إبراهيم -عليهما السّلام-، عن طريق البرّ شمالا، عبر سوريّة وكنعان) أو غير مباشرة، عبر اليمن (كمثل قبيلة بني جرهم، زمن إسماعيل -عليه السّلام-).

من الطّبيعيّ، أنّ هذه اللّغة البابليّة، التي ازدرعت على بعد ألفي كيلومتر، قد تطوّرت بعد مدّة تفوق الألفي سنة، لتصبح اللّغة الحجازيّة أو العربيّة الوسطى. لقد تكلّم هذه اللّغة المتقدّمة قبائل بدويّة كثيرة أو أهالِ حضر كُثر، الذين يكون كلامهم، ضرورة، مختلفًا (تبعًا لحكم تطوّر كلّ لغة في الفضاء والزّمن، ونوع المجتمع والموطن والمحيط، إلخ). ونقف على هذه اللّغة المرقّاة، في مصافّ اللّغة الأدبيّة، في المهرجانات والمنتديات الشّعريّة، التي كانت تُعقد دوريًا في بعض الأماكن، من شبه الجزيرة العربيّة، التي يشارك في فعالياتها جميع الأقوام -الحضر والبدو- وممثلوهم، الذين يلقون أشعارًا وقصصًا منثورة.

ممّا يعني أنّ هذه اللّغة الأدبيّة كانت مشهورة، يفهمها ويثمّنها جميع العرب. أي أنّ هذه الملتقيات الأدبيّة كانت تمثيلاً لعادةٍ ترقى إلى أقدم الأزمنة (تعود الأشعار الفائقيّة لراس-شمرة، إلى الألفيّة الثالثة قبل العهد المسيحيّ؛ فالقصّاصون الفطاحلة -المسمُّون بأسماء تختلف تبعًا للمناطق- كانوا حضورًا في العالم العروبيّ قبل الألفيّة الثانية، قبل عمر بن معان[2] بقرون كثيرة).

---

1. انظر كتاب E. Dhorme المشار إليه للتوّ.
2. شروط ثلاثة تلزم من اجل ميلاد القصّاص :
- لغة على مستوى من الرّقيّ، بحيث يخوّلها "نتاج" الشعر، أو نوعا ما موحّدة في نطاق استوصاقي- ارضيّ فضائيّ، بشكل يخوّل للأهالي فهمها(استيعابها).
- وجود آلات موسيقيّة تقليديّة.

ممّا يعني، كذلك، أنّ هذا الأدب أتاح لعرب الحجاز والمناطق المجاورة لشبه الجزيرة العربيّة، بأنّ يألفوا معجمًا وقوالب لسانيّة لِلُغة ذات مستوى رفيع نوعا ما[1]، وأعدّ جميع هؤلاء الأهالي -خلال أجيال كثيرة- للاستيعاب الحرفيّ للنصّ القرآنيّ.

أنزل الله سبحانه القرآن على رسوله محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- بلسانٍ عربيٍّ خالصٍ ومبينٍ ؛ وقد سمح هذا اللّسان بتدارك النقائص اللّسانيّة واللّحن الذي علِقَ خِلالَ قُرونٍ والتحريفات والتشويهات المعجميّة، والرّطانات التي أُقحمت على مرّ الدّهور في اللّغة العربيّة الوسطى.

ولا ننسى أن نذكّر بأنّ النصوص الملقاة في المنتديات الأدبيّة كانت مكتوبة، وتلك التي تحوز قبول ووسام النقاد، تكافئ و"تنشر"[2]. وقد تبعت هذه الكتابة، على غرار كتابات اللّغات العروبيّة الأخرى، منحى قانون التطوّر الخطي. لقدْ خطّ القرآن، الذي أوحي إلى الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- تلقينا، فيما بعد، بوساطة آخر نمطٍ للخطّ العربيّ، وهو الذي ظلّ مستعملاً في جميع البلدان الناطقة بالعربيّة، إلى يومنا هذا (بتغيّرات ضئيلة) (انظر الملحق رقم 2).

يَسعُنا القول إذًا، بأنّ اللّغة العربيّة كانت متكلّمة من طرف أبناء نوحٍ -عليه السّلام-، بعد الطّوفان. وقد تفرّعت إلى لغات عدّة، كُلٌّ واحدة منها مرتبطةٌ بمنطقة أو بلاد، استعمرها كلّ واحد من أحفاد نوحٍ -عليه السّلام-. وإذا وافقنا

- تواجد تجمّعات سكّانيّة أو مدن، مع تهيئة ساحة عموميّة أو سوق.

لقد بيّنا في كتاب سابق "العرب في اروبا قبل العهد المسيحيّ" انّ الشعر العمريّ، الذي يمثل إرث تراث عتيق، اصله من آسيا الصغرى (الأناضول)، منطقة يسكنها اساسا سوريّون-فانقيّون (عمر هو لوذيّ عاش في القرن التاسع قبل الميلاد.). يجمع المؤلفون على الإقرار بانّ الأدب "الإغريقيّ" ولد في يونيا، قرونا كثيرة قبل عمر.

1. كان عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- في خلافته، يحفّز الناس للاهتمام بالشعر الجاهليّ، موعزا لهم بانه يفضي إلى فهم اوفق للكلمات والمصطلحات الموجودة في القرآن الكريم والحديث الشريف (ذكر ذلك محمّد حميد الله في "معجم النبات").

2. في العهد الجاهليّ (قبل الإسلام)، كانت النصوص المصطفاة كافضل نتاج، تخط بماء الذّهب على صفائح نسيج ثمين، كلّ سنة، وتعلّق بجدران الكعبة، ومن ذلك الفعل انتحلت تسمية المعلّقات.

أنّ البابليّة هي شقيقة الحجازيّة أو العربيّة الوسطى، فهذا يستلزم أنّ البابليّة انحدرت في عمودٍ مُباشرٍ عن اللّغة العربيّة التي تكلّمها أبناء وأحفاد سام (ابن نوح)، وهم أرفخشذ، صالح، عابر ... إلى غاية إبراهيم -عليه السّلام-.

اللّغة البابليّة، كما أبرزنا، تطوّرت في الزّمن والفضاء، وَغدت مختلفة شيئًا ما، بالتأكيد عن اللّغة-الأمّ. وبدورها، تطوّرت اللّغة الحجازيّة في الزّمن والفضاء، وهي التي يمكن اعتبارها منحدرة في عمودٍ مباشر عن البابليّة، وغدت منفصلة، أيضًا، عن البابليّة الإبراهيميّة. من أين انبعث إذًا قرب، إذا لم نقل تطابق، العربيّة الحجازيّة، خلال زمن الوحي القرآنيّ مع لسان القرآن ؟

تفسيرات عدّة، يمكن أن تطرح للإجابة :

أ/ عندما قدمت هاجر مكّة المكرّمة (هي منطقة صحراوية، حينها، لا مساكن فيها ولا حقول)، كان ابنها إسماعيل -عليه السّلام- رضيعًا. فترعرع ونشأ بين ظهراني قبيلة بني جرهم، قبيلة متحدّرة من اليمن، يتكلّم أفرادها، بطبيعة الحال، العربيّة الجنوبيّة. من جهة أخرى لقد ذكرنا أعلى السّياق (في الباب الأوّل) المؤلّفين الذين يقرُون أنّ :

- أوّل من سكن الحجاز هم العمالقة، متحدّرين من بلاد الرّافدين، وانتشروا عبر جميع مناطق شبه الجزيرة العربيّة ؛

- سكنت قبيلة يمنيّة التضاريس المرتفعة جنوب الحجاز ؛

- أنّه بعد أن دهم سيل العرم سدّ مأرب (في اليمن)، غادرت قبائل عدّة الجنوب لتتوجّه نحو الشّمال. ولهذا نجد قبيلتي الأوس والخزرج مقيمتين في المدينة المنوّرة، وهما قبيلتان ستتذّوانِ قرونا كثيرة بعدها، مضيفتي وعاضدتي الرّسول محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- في هذه المدينة.

ب/ لقد كانت الأكاديّة (لغة أعلى بلاد الرّافدين) والعربيّة الجنوبيّة جدّ متقاربتين. وتعود هذه القرابة اللّسانيّة خاصّة إلى حقيقة انحدار عابر، أبي قحطان، من بلاد الرّافدين، في حين هاجر ابنه، إلى اليمن. وسيصبح هذا الأخير

سلف عرب جنوب شبه الجزيرة العربيّة، القحطانيّين. زيادة على هذا توطّنت موجات هجرات أخرى (منحدرة من بلاد الرّافدين) كثيرة في اليمن.

ج/ تكلّم إبراهيم والد إسماعيل -عليهما السّلام-، البابليّة كما الكنعانيّة والمصريّة. يمكننا إذًا أن نفترض أنّ أمّ ابنه، هاجر، تكلّمت هذه اللّغات، لأنها أقامت سنواتٍ طوالا في بيت إبراهيم -عليه السّلام-. من المؤكّد أنّ إسماعيل، قد يكون سَمع هذه اللّغات العروبيّة خلال طفولته ومراهقته، إمّا تتكلّمها أمّه أو أبوه، الذي كان يَفدُ إلى زيارته بانتظام، أو قد يكون سمع حجّاج الكعبة يتكلّمونها.

إذا كان إسماعيل -عليه السّلام-، قد ألفَ العربيّة الجنوبيّة القريبة من الأكاديّة -البابليّة في الأصل-، لغة أوصيائه فأصهاره (بني جرهم)، فهذا لا يمنع أنّ ابن إبراهيم -عليه السّلام- قد عرف لُغاتٍ عروبيّة اخرى، ومنهنّ العربيّة الوسطى، بالتأكيد، لأنها كانت لغة المنطقة، الحجاز، كما كان هو ذاته رافِد الكعبة، "البيت العتيق المُسخّر لعبادة الله والمناسك".

لقد أصبحت مكّة المكرّمة المركز الدّينيّ المهمّ، ومقرّ حجّ جميع عرب شبه الجزيرة العربيّة[1]، وبهذا، ملتقى لغات عروبيّةٍ كثيرة ، وصارت لغتها (في جزء منها) ترجمةً ، ونتيجة امتزاج جميع هذه اللّهجات.

د/ لقد أرفق الأهالي المهاجرون من بلاد الرّافدين، المتتابعين، على مرّ قرون، نحو مناطق شبه الجزيرة العربيّة (على سبيل المثال)، دائمًا، بالطّبع، بآلهتهم، التي من بينها سين، آلهة القمر، التي وُجدت في اليمن، وفي حضرموت وفي سيناء (وهذه التسمية الأخيرة اشتقّت، تحديدًا من اسم الآلهة سين)، إلخ، إلى غاية بلاد الإغريق (كما أورده بوضوح بلاطون في كتابه "القوانين")[2]. كان نبو-ناض، آخر ملوك بابل (بين تسع وخمسين وخمسمائة وتسع وثلاثين

---

1. كان سكّان اليمن اوّل من حجّ مكّة المكرّمة.

2. لقد عثر في دلس (جزيرة في بحر اجا، في الأرخبيل الجنوبيّ، وموطن ابي اللّون) على نصب من الرّخام عليه إهداء باللّغة الحضرموتيّة للآلهة سين.

وخمسمائة (539-559) قبل الميلاد)، ابن كاهنة آلهة القمر، وَمَريدًا متيّمًا بهذه الشّعيرة. كان معبد سين الكبير في أور (في بلاد بابل)، وهناك معبد آخر للقمر في حاران (أعلى بلاد الرّافدين). وهذه هي الآلهة التي بُوِّئت مكانا رفيعًا في قانون حمو-ربي (مجموع الآلهة البابليّة).

عَكَف نبو-ناض، الذي تنازل عن الحكم لابنه بعل-آزر، على أمور الدّين وإعادة تشييد المعابد. وقد تكون للزّيارات المتكرّرة التي كانت تقوده لواحة تيماء (شمال الحجاز) علاقة محتملة ببناء المعبد المقرّب لسين، بل علاقة مؤكّدة مع الدّين. هذه الدّيانة، التي يخبرنا E. Dhorme[1] ، كانت الوشيجة بين العرب والبابليّين ... هذا الأدب الدّيني البابليّ الذي تقوم عليه الدّلائل إلى غاية أطراف العهد المسيحيّ».

هـ/ واحدة من حُجَج، وليست من أوهاها، تحوُّل اللّغة العربيّة المشتركة، انطلاقًا من بلاد الرّافدين وصولاً إلى الحجاز، مع موجات الهجرات، التي غادرت بلاد ما بين النّهرين، هي أنّ اللّغة العربيّة الحجازيّة، شقيقة البابليّة، والقريبة من لسان القرآن، إن لم نقل مطابقة له، سيُحتفظُ بها في أنقى أحوالها، عند بدو الصّحراء، هؤلاء الذين يعيشون، فعْلاً، في حوجلةٍ ويَعْتنُونَ بلغة أسلافهم[2] بالغ الحظوة ودونما مرّج. ونستذكر ما أورده E. Dhorme، حيال القرابة الصّرفيّة والبنويّة الموجودة بين العربيّة الفصحى والبابليّة، وهو الاستشهاد المذكور أعلى السّياق (الباب الأوّل-الفصل الخامس): « ... العربيّة الفصحى لم تؤلّف قواعدها اصطناعًا وتجشّمًا ... ولكنّها ورثت نظامًا استوى نسقه في عهد أولى السّلالات الملكيّة البابليّة، وهو ما تثبته بشكلٍ خاصٍّ، لغة قانون حمو-ربي ....». أي أنّ القياس العربيّ، قد ظلّ، عمليًّا، قارًّا، على مرّ هذه الألفيّات ، هو ما أتاح للّغة العربيّة الوسطى بلوغ مستوى أدبيًّا رفيعًا. هذا الصّرف والنّحو القارّ المؤكّد خلال أكثر من خمسمائة وألفي (2500) سنة (من العهد الإبراهيميّ إلى المحمّدي)، هو

---

1. مصدر سبق ذكره.
2. لقد كان الحضر يحضّون على لبث مدّة عند البدو من أجل تحسين لغتهم، وتقويم لسانهم وإثراء معجمهم.

الحجّة، ببرهانٍ تراجعيّ، على أنّ أشكال الهيئات الصرفيّة والأحوال النحويّة للغة العربية (أو اللّغات العروبيّة) لم تتغيّر -أو تغيّرت يسيرًا- خلال قرونٍ كثيرة سابقة لتحرير قانون حمو-ربي.

هناك عامل آخر يشفع لصالح الحفاظ (أو البعث) لهذه اللّغة، في صورة نقيّة، هو الالتئام الدّوري للمنتديات الأدبيّة[1]، وهو ما سمح للغة العربيّة الوسطى -أو لغة الحجاز- بأن تصفُو وتثبُتَ بصفةٍ "رسميّة"، تحت وطأة المجتمع المثقّف ومستوى وصرامة الشّعراء اللّغويّة.

وتوضح الآية الخامسة والخمسون (55) من سورة الزّمر، مكانة اللّسان العربيّ -مولد اللّغات العروبيّة وفي الحين ذاته وريثها-، مرآة الإسلام، الدّين المثاليّ المتفرّد :

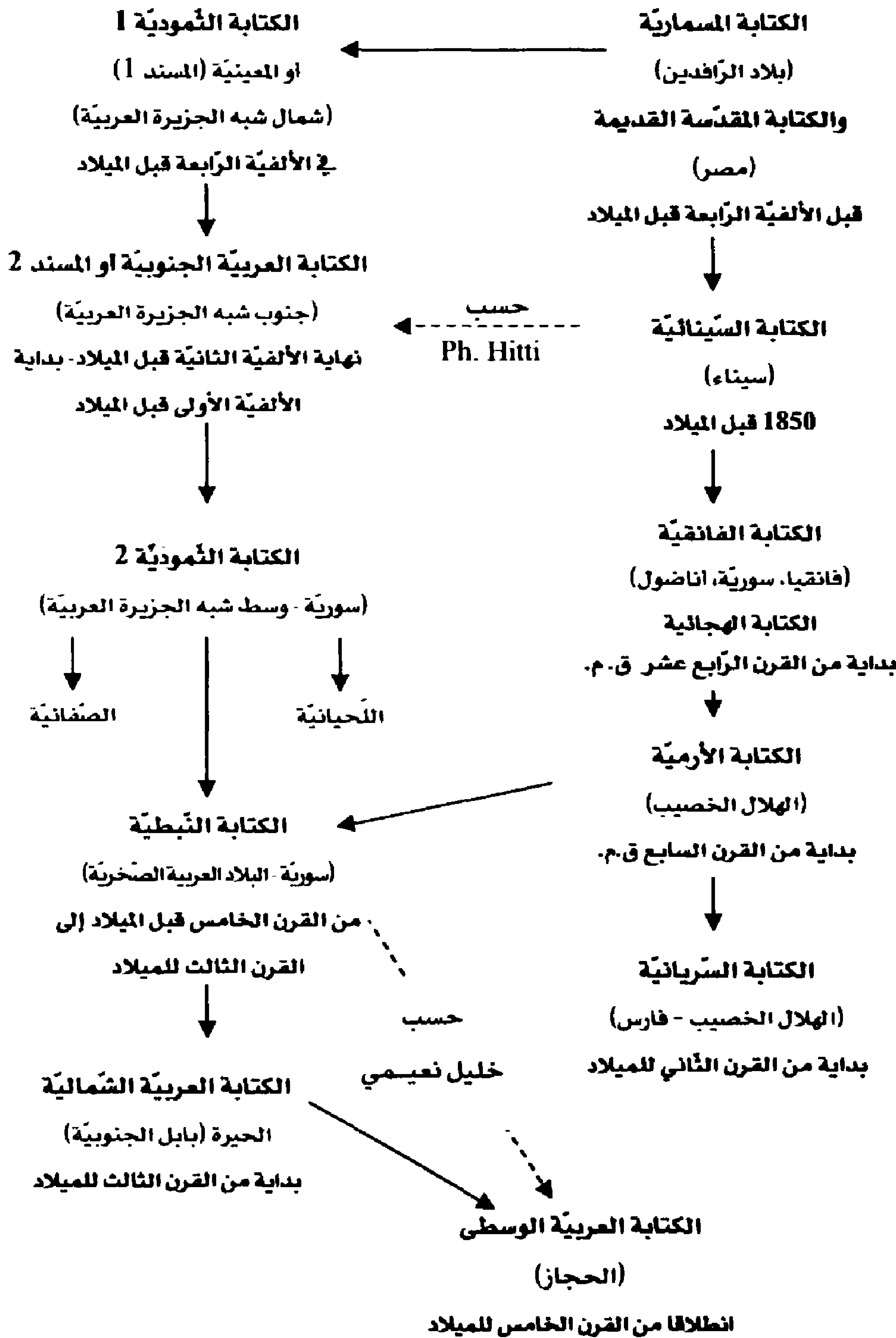
﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾

وهي الآية التي تتكلّم عن القرآن "احسن ما أنزل" في تعبير يمكن إسقاطه أيضًا على حامل الكتاب الكريم، أي العربيّة (أو لسان الإسلام) ؛ اللّغة التي تبنّاها المسلمون، بخاصّة أولئك الذين يستخدمون لغات عروبيّة أخرى (وضمنها لغتا التّوراة والإنجيل).

1. كتب G. Lebon في كتابه "حضارة العرب" : . لقد كانت ثقافة الشّعر جدّ متطوّرة لدى العرب الذين وطنوا، قرونا كثيرة قبل محمّد-صلى الله عليه وسلّم- منتديات أدبيّة توافيها جميع أسقاع البلاد العربيّة (مثل سوق عكاظ الشّعريّ، قرب الطّائف) ..

الملحق الثّاني

تطوّر كتابة اللّغات العروبيّة بدلالة (الحيّز) الفضاء والزّمن



البابُ الثّالث

قرابة اللّغات العروبيّة فيما بينها والتّوافق بين اللّغة العربيّة واللّغات الهنديّة-الأوروبيّة

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾

(سورة الرّعد- الآية : 37)

الفصل الأوّل

حول تصنيف اللّغات العروبيّة، واللّغات التي تدلي لها بقرابة

تكلّمنا في مقدّمة كتابنا هذا، عن القسمة الضّيزى التي فرضها المؤلّفون الأروبيّون، المتعلّقة باللّغات العروبيّة. كما تكلّمنا عن التصنيف غير المؤسّس للمؤلّفين العرب، المتعلّق بمتكلّمي اللّغات العروبيّة.

1. اللّغات العروبيّة التي يطلق عليها الكتّاب الأروبيّون تسمية لغات ساميّة او حاميّة- ساميّة

لقد بيّنا في الفصول السّابقة، القرابة اللّسانيّة للّغات العروبيّة. كما أنّنا عرضنا في متن الباب الأوّل (الفصل الثالث) الفرضيّة التي جعلنا بمقتضاها، الجذع المشترك -أو لغة-الأمّ- الذي إليه تنتمي جميع اللّغات العروبيّة، تفرّع بعد ميلاد أبناء سامٍ وحامٍ، أي أحفاد نوحٍ، وهو ما يفضي إلى القول بأنّ جميع هذه اللّغات تحمل كلّ منها لقبًا واحدًا من هؤلاء البنين (الكنعانيّة إشارة إلى كنعان، واللّوذيّة إشارة إلى لوذ، المصريّة إشارة إلى مصرايم، الأشوريّة نسبة إلى أشور، الحبشيّة نسبة إلى كوش، الأرميّة/ العرميّة نسبة إلى أرم/ عرم، إلخ.).

حسب الأرقام التي قدّمها محمّد بهجت قبيسي في كتابه المعنون بـ"ملامح في فقه اللّهجات العربيّات"، نسبة القرابة المعجميّة بين اللّغة العربيّة والكنعانيّة (لغة "حامية") تبلغ 94 % ، في حين انها 65 % و 60 %، على الترتيب بين العربيّة من جهة والعربيّة الجنوبيّة والأكاديّة من جهة أخرى (كلا هاتين اللّغتين "حاميتين") !

استخدمت تسمية لغات سامية أو أهالٍ ساميّون[1] من طرف المؤلّفين لنعت كلّ اللّغات أو الشّعوب ذوي الأصل العربيّ، أو بوجه أصوب العروبيّ. لو لم يحدث الوحي القرآنيّ بعد باللّسان العربيّ، بوسعنا استيعاب إعمال أو استخدام مصطلح آخر غير "عربيّ" أو "عروبيّ" لنعت هؤلاء الأهالي أو هذه اللّغات، أي إلى غاية القرون الأولى للعصر الوسيط (الأوربيّ). في حين أنّ المصطلح "ساميّ" أدخل إلى معجم الكتاب ثمّ في الكلم الجاري انطلاقًا من نهاية القرن الثامن عشر للميلاد (الموافق للقرن الثاني عشر الهجريّ) ؛ وبعد ذلك، استأنف المؤلّفون العرب كما المسلمون -دونما تمحيص- استخدام المصطلح ذاته. وهذا على الرّغم من المؤلّفين القدامى، الذين لم يستخدموا هذه الكلمة، لغيابها أصلا ! ألم يكن أروادوت وديودور الصّقليّ وسطرابو ... تكلّموا عن لغاتٍ أو أهالٍ عرب أو سوريّين مثلاً. وألحقوا نعوتهم غالبًا بمنطقة أو اسم سلف.

لغات مثل الإيطاليّة والفرنسيّة والرّومانياويّة والإيسبانيّة تسمّى لاتينيّة، إشارة إلى لغة-أمّ واحدة، ألا وهي اللاّتينيّة. لغات مثل الإنجليزيّة والهولنديّة والألمانيّة والدّانماركيّة والسّويديّة، ... تسمّى جرمانيّة، إشارة إلى لغة-أمّ واحدة، ألا وهي الجرمانيّة. بالتماثل، ولعلّة الموضوعيّة العلميّة، لم لا يسمّي المؤلّفون قاطبة، وبخاصّة، المختصّين منهم في اللّسانيّات وفقه اللّغة، اللّغات العربيّة (أو العروبيّة) لغات مثل المصريّة والحبشيّة والبربريّة والبابليّة والفانقيّة والأرميّة ... إشارة إلى أصلٍ واحدٍ ووحيدٍ ؟

- بالنّظر إلى تقسيم الجذع المشترك إلى فروع عديدة، بداية من أحفاد نوح، الذين صار كلّ واحدٍ منهم سلف أهالٍ يتكلّمون لغاتٍ عروبيّة، جميعهنّ بنات لغة-أمّ واحدةٍ ؛

- بالنّظر إلى الحقائق الحضاريّة المشتركة المختلفة والتاريخ الفضائيّ والسّياسيّ المتقاسم خلال قرون كثيرة، إن لم نقل الفيّات، وتبادلات الهجرات والامتزاجات

1. كتاب كثر يتجنّبون الكلام عن لغات حاميّة أو أهال حاميّين، ويقتصرون على التسمية الشاملة، على الترتيب، "سامية وساميّون".

لأهال، الخاصة بمختلف المناطق النّاطقة بلغات عروبيّة (مصر، فانقيا-سوريّة، بلاد الرّافدين، البلاد العربيّة السّعيدة، الأهمّ منهنّ)،

- بالنّظر إلى كون جميع هذه اللّغات تتقارب بينها -بدرجات متفاوتة- نحوًا وصرفًا ومعجمةً -وعلى الرّغم من هذا التصنيف ضمن فرعين لسانيّين مختلفين (على الترتيب الأكاديّة والبابليّة، الفانقيّة والأرميّة، العربيّة الجنوبيّة والعربيّة الوسطى، إلخ.) ؛

- بالنّظر إلى القرابة المعجميّة الموجودة بين جميع هذه اللّغات، وهي القرابة الّتي قد تكون أوطد بين لغتين مصنّفتين في فرعين مختلفين ("السّاميّة والحاميّة") من تلك الموجودة بين لُغتين من فرع واحد ؛

- بالنّظر إلى العناصر التمهيديّة التي قدّمناها في مقدّمتِنا ؛

يمكننا استنتاج أنّ تصنيف اللّغات "الحاميّة-السّاميّة" إلى فرعين من طرف المؤلّفين، لا يقوم على مقوّمات الموضوعيّة العلميّة أو التّاريخيّة ولا على مقوّمات النّظام اللّسانيّ أو الفقهيّ اللّغويّ. ثمّ إنّه يمكننا هجر هذا التقسيم إلى فرعين، لنحتفظ بمجموعة واحدة : ألا وهي عائلة اللّغات العروبيّة.

2. يقسّم المؤلّفون العرب مُتكلّمي اللّغة العربيّة إلى فئات ثلاث

هذه الفئات أو الأهالي كما يلي :

- العرب الأوائل، الذين بادوا : العرب البائدة ؛
- العرب أولو "دم نقيّ" : العرب العاربة ؛
- العرب المنحدرون من عرق آخر، وصاروا عربًا : المتعرّبة والمستعربة.

يقدّر النّسابون العرب (أو أكثرهم)، أنّ السّكّان الأصليّين للبلاد العربيّة هم القحطانيّون، الذين أقاموا أوّلا (حسب هؤلاء المؤلّفين) في جنوب شبه الجزيرة العربيّة، وتكلّموا اللّغةَ الحِميَريّةَ أو العربيّة الجنوبيّة. في حين أنّ العدنانيّين،

المنحدرين عن النبيّ إسماعيل، ابن ابراهيم -عليهما السّلام-، يعتبرون كأجانب استقرّوا وتعرّبوا في بلاد العرب.

تذكّرنا هذه الأطروحات التي منها تفوح رائحة التفرقة العنصريّة، فيما يخصّ عرب الدّركة الثانية، ببديعة لطيفة لـ A. Meillet[1]، فيما يخصّ الشّاعر الغنائيّ لقمان. إذ قد كتب : « أوّل شاعر غنائيّ لقمان "الدّوريّ"، الذي خلّف شيئا (أثرا) ما، هو أجنبيّ مهلأني من آسيا الصّغرى ... . هذا المتقدّم، ولد في سردا (بلونيا) في القرن السّابع قبل الميلاد، يوصف بالأجنبيّ : مقارنة بمن هو أجنبيّ ؟ الأهالي الأصليّون في بلاد الإغريق وآسيا الصّغرى ليسوا أجانب في بلدانهم ...[2]

إنّ تقسيم المتكلّمين باللّغة العربيّة إلى فئات ثلاث متمايزة -وراثيًا ولسانيًا- لأمرٌ ذاتيٌّ، ولا يعكس الحقيقة التاريخيّة واللّسانيّة للأهالي النّاطقة بلغات عروبيّة في شبه الجزيرة العربيّة. وهذا يعود للعوامل الموالي ذكرها :

1.2. قحطان وإبراهيم -عليه السّلام- لهما جدٌّ واحد ...

لقد حدّدنا في الباب الأوّل، مع G. Lebon المعالم الاستوصافيّة الأرضيّة ولكن ليس اللّسانيّة للبلاد العربيّة (أو شبه الجزيرة العربيّة). ضمن هذه الحدود تندرج سيناء وفانقيا وسوريّة وبلاد الرّافدين، إلخ. أي أنّ جميع الأهالي السّينائيّين والفانقيّين والأرميّين والرّافديّين، إلخ، كانوا كلّهم مؤلّفين من عروبيّين يتكلّمون لغاتٍ عروبيّة : جميع المؤلّفين (أو جلّهم) غير العرب يقرّون هذه الحقيقة.

فضلاً عن هذا، إذا كانت شبه الجزيرة العربيّة تنكفئ عند الحدود الاستوصافيّة-الأرضيّة التي بيّنّا فيما انصرم من سياق، فإنّ هناك أهالٍ ناطقين بلغات عروبيّة يسكنون خارج البلاد العربيّة بمعنى الكلمة او خارج مناطق شبه الجزيرة العربيّة. في إحدى هذه المناطق "الخارجيّة" فضائيًا -هذا ما رأيناه في الفصل الثالث من الباب الأوّل- يتواجد المهد الأوّل للمتكلّمين بلغات عروبيّة.

---

1. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللّغة اليونانيّة".
2. انظر كتابنا "العرب في أروبا قبل العهد المسيحيّ".

ولا نقول المهد الأوّل للعرب، لأنّ هذا المصطلح من جهة المبدإ ليس قوميًا. لقد بيّنا في سياق أعلاه أنّ كلمة "عربيّ"، أصبحت مرادفة لـ "رحّال". لم تسمَّ الجزيرة العربيّة باسم بلاد العرب إلاّ حينَ استقبلت أهالِ مهاجرين تفرّقوا في هذه الفضاءات الشاسعة، وهذه التي كان من شأنها إيواء بدوٍ رعاةٍ "أعراب". حيث يعني اسم بلاد العرب "بلاد البدو".

نفترض، طبيعيًا، أنّ هذا الزّعم -"القحطانيّون هم العرب الأقحاح"- يرتكز في جزء منه على المسلّمة المرتبطة بالأصل اليمنيّ للعرب. لم يُدرج هؤلاء المؤلّفون في الحسبان أنّ اليمن لم يكن إلاّ واحدة من المحطّات المختلفة لموجات الهجرات العروبيّة نحو آفاقٍ أُخرٍ، وليس أوّل نقطة انطلاقها.

يتوافق التعريف الذي أعطاه الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- للعربيّ مع مفهوم اللّغة كاولويّة على القوميّة. . كلّ من تكلّم العربيّة فهو عربيّ.. وهو التعريف الذي يُسقط بخاصّة على مسلمي الجيل الأوّل (الحقبة التي عوّضت فيها اللّغة العربيّة، لسان القرآن اللّغاتِ العروبيّة)، يمكن أن ينطبق على أهالي العصر الجاهليّ، حينما لم يَنَلْ الهجران من اللّغات العروبيّة بعدُ. وهكذا الفانفيُّون والأرميُّون والمصريُّون والبابليّون ....، الذين كانوا ناطقين بلغات عروبيّة، هم عَرَبٌ (أو لنقل أحسن، عروبيّون). والمؤلّفون المحدثون، مثل Ph. Hittiو G. Lebon -الذين ذكرناهم- لا يصدرون عن غير هذا الكلام نفسه اي جميع هؤلاء الأهالي ينتمون إلى العروبة.

على العكس، هم كتاب عربٌ قدامى، تابعهم في هذا كتاب عرب معاصرون، مَن كرّس هذا التمييز العرقيّ. ولا يخفى عليهم أنّ الرّسول إبراهيم -عليه السّلام- هو ابن العرب، منحدر من بلاد الرّافدين، وأنّه أوّل المسلمين. وأصبح ابنه إسماعيل جدّ عدنان، سلف العدنانيّين، وفي الحين ذاته، سلف الرّسول محمّد -صلّى الله عليه وسلم-. هكذا، سلَبَت أطروحةُ المؤلّفين العرب "عربا من دم نقيّ" أطروحة ذاتَ الإيعازِ العصبيّ من كثير من الأنبياء صفة

العرب (من هود إلى عيسى، مرورًا بصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وشعيب ويوسف وموسى ويونس وداوود وزكرياء -عليهم جميعًا السّلام-، ...)، وهؤلاء المتقدّم ذكرهم جميعًا تكلّموا لغاتٍ عروبيّة، سليلات اللّغة العربيّة.

وحسب سلسلة نسب إبراهيم -عليه السّلام- الواردة في "العهد القديم" خمسة أجيال فحسب تفصله عن قحطان بن عابر، جدّ طارح المباشر، أبي إبراهيم. فهُمْ جميعٌ إذًا من "دمٍ" واحد، مُسايرةً لاصطلاح النّسّابة العرب.

2.2 ... لألسن قحطان وإبراهيم -عليه السّلام- جذع واحد

إذا كان الكتّاب العرب يسمّون القحطانيّين باعتبارهم السّكان الأصليّين للجزيرة العربيّة، هؤلاء لم يتكلّموا الحجازيّة أو العربيّة الوسطى، ولكن العربيّة الجنوبيّة، لغة جدّ قريبة من الأكاديّة. وهذه اللّغة الأكاديّة هي لغة عابر، كما أنّها كانت جدّ قريبة من البابليّة (المشتقّة من الأكاديّة)، لغة إبراهيم -عليه السّلام-.

من جهة أخرى، على الصّعيد اللّسانيّ، اللّغة العربيّة الجنوبيّة، والأرميّة والفانقيّة والبابليّة، إلخ. وبخاصّة العربيّة الوسطى، هُنّ نسيباتٌ قريبات للعربيّة المشتركة، ولكن بدرجة قرابةٍ أقلّ بالنّسبة لأوّل اللّغات المذكورة آنفا (حسب بعض المؤلّفين من بينهم محمّد بهجت القبيسي الذي ذكرناه أعلى السّياق).

رأينا كذلك أنّ اللّغة البابليّة هي شقيقة الحجازيّة (أو العربيّة الوسطى). ممّا يستنتج منه أنّ جميع هذه اللّغات هي لغات عروبيّة، فروع من الجذع اللّسانيّ نفسه.

3. لغة عروبيّة مجهولة، البربريّة

اللّغات العروبيّة جميعها تشابه واحداتها الأخر، بدرجاتٍ متفاوتة. بعض هذه اللّغات تقاسم حقبًا تاريخيّة مشتركة مع لغاتٍ أخرى، ممّا يوطّد من قرابتها : على نحو العربيّة الجنوبيّة والحبشيّة أو المصريّة من جهةٍ والفانقيّة والبربريّة من جهةٍ أخرى.

يمكن اعتبار جميع هذه اللّغات، اليوم، كلغات ميتةٍ، لغات ما قبل اللّغة العربيّة ، أي أنّ جميع هذه اللّغات وُلدت إثر انقسام اللّغة-الأمّ إلى فروع عديدة، وعوّضت بمجيء الإسلام بلسان القرآن.

من بين اللّغات العروبيّة جميعها، واحدة فقط -إذ الاستثناء هو من يصوغ القاعدة- ظلّت حيّة، وفيّةً لنفسها، كما يبدُو منذ آلاف السّنين، مُمَارسةً إلى يومنا هذا في شمال إفريقيا، نعني البربريّة، وتسمّى في الأصل الإيبريّة، من مجموعة اللّغات القوقصيّة[1].

سمحت لنا دراسة تاريخ هذه اللّغة القديمة[2] -التي يرجع استعمالها على الأرجح إلى حقبة ما بعد الطّوفان، دونما توقّف- بأن نعود إلى غاية نقطة انفصال اللّغات العروبيّة عن بعضها، انطلاقًا من جذعٍ مشترك، وأن نتعرّف على عناصر كثيرة لصالح المهد الفضائيّ الأوّل للناطقين بلغات عُروبيّة. بفضل هذه اللّغة المعمّرة ألفيّات كثيرة، نحُوز شهادة حيّةً للنطق والمعجم الذين ينبغي أنهما كانا رائجين في زمنٍ كان فيه الجذع المشترك " انشطر"، وبدأت اللّغات العروبيّة تنفصل وتتكاثر.

قبل أن تُكمل هذه اللّغة العتيقة رِحلتها في شمال إفريقيا (بربريا) وفي أروبا الغربيّة (إيبريا) كانت متكلّمة في آسيا الغربيّة، نتيجة لموجات هجرات الأهالي ذوي اللّغة الإيبريّة (أو الإيبريّة-البربريّة، إن شئنا) في المناطق الجبليّة لإسكروس (في فارس الحاليّة)، وفي بلاد وادي السّند أو في آسيا الصّغرى (الأناضول).

هذه اللّغة المَحكيّة، التي لها شيءٌ مُدوّن يَسيرٌ أو غير مرسومة آنذاك، لم تورّثنا كتابات منقوشة أو مصادر "ماديّة"، ما استثنينا المخطوطات البونيّة لشمال إفريقيا. ممّا يعني أنّ تاريخها مجهول، إلاّ من طرف تسمية الأماكن والجبال (حاليًا) وكذا تسمية الشّعوب (الشّعوب القديمة) التي أخبرتنا على آثار

1. انظر كتابنا "إيبريا وبربريا".
2. انظر كتابنا " الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة".

مرورها في آسيا. على كلّ حال، يعزو المؤلفون المسلمون بعض الكلمات من المعجم الإيبيريّ-البربري إلى أصلٍ فارسيٍّ ؛ وعلى هذا المنوال أشار فقيه اللّغة عبّاد بن سليمان الصّيمريّ -نقلاً عن سيّد يعقوب بكر[1]- للكلمة أدغاغ، على أنها كلمة فارسيّة، تعني "حجر"، في حين أنّ هذه الكلمة ليست فارسيّة ولكن بربريّة.

فضلاً عن هذا، على غرار كثير من كلم معجم اللّغات العروبيّة المكتوبة (كالمصريّة، الأكاديّة، البابليّة، الفانقيّة، الأرميّة، العربيّة الجنوبيّة، إلخ.) التي تتواجد في اللّغة العربيّة الوسطى، بتحوير أو عدمه، يمكن العثور على كلمات من معجم اللّغة البربريّة في اللّغة العربيّة، في حالتها الأصليّة، أو بصفة مختلفة شيئًا ما.

تتيح لنا اللّغة البربريّة المناسبة للعثور، خلال لغة ما قبل العربيّة، على آليّات تكوّن بعض كلمات اللّغات العروبيّة ومعاينة القرابة الصرفيّة والمعجميّة لمختلف هذه اللّغات، بين بعضها.

4. المالطيّة

بالنسبة للمالطيّة، لغة مالطا، يصنّفها بعض المؤلفين -صوابًا- ضمن خانة اللّغات العروبيّة المسمّاة "ساميّة". وهو ما يؤكّده تاريخ هذا الأرخبيل المتوسطيّ.

جزيرة مالطا، هذه، التي تقع على بعد خمسين ميلاً بحريًا من صقلّيا، غير بعيدة من السّواحل التونسيّة، تواجدت على طريق الاستعمارات الفانقيّة في أروبا (من الأرخبيل الجنوبيّ لبحر أجا إلى صقلّيا) وفي إفريقيا (تأسّست أتيكا، نحو منتصف الألفيّة الثانية قبل العهد المسيحيّ)، وهي استعمارات خلّفتها تلك القرطاجنيّة أو اللّيبيّة-الفانقيّة، خلال الألفيّة الأولى قبل الميلاد. لسانيّون كُثرٌ يعدّون احتمالاً كبيرا أنّ المالطيّة لغة فانقيّة، ويؤكّدون كونها لغة عروبيّة.

إثر الاحتلال الفرنسيّ للأرخبيل المالطيّ في نهاية القرن الثامن عشر (الموافق للقرن الثاني عشر للهجرة)، والإلحاق السّياسيّ من طرف المملكة

1. في كتابه "نصوص في فقه اللغة العربيّة".

البيريتانيّة سنة أربعة عشر وثمانمائة وألف للميلاد (1814) (الموافق لتسع وعشرين ومائتين وألف -1229- للهجرة)، تهجّن المعجم بكلماتٍ فرنسيّةٍ وأنجليزيّةٍ. وبحصول مالطا على الاستقلال، غدت الإنجليزيّة لغتها الرّسميّة.

5. لغات غير مصنّفة ضمن اللّغات العروبيّة، ولكنّها تدلي بقرابة -إن يسيرة أو وطيدة- لها

1.5 لغة نصف-عروبيّة، اليونانيّة الفصحى

جميع المؤلّفين مُجمعون على التصريح بأنّ اللّغة ما قبل الهلأنيّة في بلاد الإغريق ليست من لغة هنديّة-أروبيّة. يقرّ A. Meillet[1] بأنّ واحدة من قواعد الحضارة الإغريقيّة، أي علم الأساطير ،ليس فيها على الأغلب أيّ مرجعيّة هنديّة-أروبيّة .. كتب A. Seveyns[2] أنه ، في تاريخ قديم، حوى المعجم حشدًا من الكلمات، التي لا يُسعف في تفسيرها لا اللّغة اليونانيّة ولا أيّ لغة هنديّة-أروبيّة أخرى معروفة، كلمات استعاروها (أي الإغريق) من أهال ما قبل الهلأنيّين، كانوا استقرّوا في هذه الأماكن ،، وأضاف بأنّ ، أسماء الأعلام -الاستوصافيّة- الأرضيّة والبشريّة- احتفظت بشكلٍ أفضل من أسماء الجنس، في كلّ مكانٍ بذكريات أبعدِ ماضٍ غير مدوّنٍ ... ،، زعمه هذا بخصوص الأصل الآسيويّ لتسمية الأماكن اليونانيّة وللغة اليونانيّة الأولى، يؤكّده A. Meillet[3] : ، ما تدلّ عليه أسماء الأعلام، هو أنّ اليونانيّة، التي هي لغة أهلِ من غزاة، أخذت مكان لغاتٍ مختلفة في بحر أجا، يحتمل أنها من أرومة واحدة مع بعض لغات أخرى، متكلّمة في الحوض الشرقيّ للبحر الأبيض المتوسّط ،،

1. في كتابه "لمحة حول تاريخ اللغة اليونانيّة".
2. في كتابه "الإغريق والشرق الأدنى قبل عمر".
3. مصدر سبق ذكره.

لقد بيّنا في كتابنا المعنون بـ "العرب في أوروبا قبل العهد المسيحيّ-تشريح التاريخ والحضارة الإغريقيّة-الرومانيّة"، أنّ علم الأساطير اليونانيّ هو علم أساطير مصريّ-فانقيّ-بابليّ، وكذا المكانة التي احتلّها في الألفيّتين الثالثة والثانية قبل الميلاد، السوريّون-الفانقيّون في اسيا الصغرى وفي بحر أجا وفي بلاد الإغريق. كما المصريّون والبابليّون، إلخ في قرتا والحوض الشرقيّ للبحر الأبيض المتوسّط. وخلال الحقبة نفسها استعمر هؤلاء الأهالي "الاسيايّون" والإفريقيّون ذاتهم بلاد الإغريق القاريّة وجزر بحر أجا ولذ يلتقي الهلانيّون[1] ذوو لغات هنديّة-أوروبيّة، الذين أخضعوا بلاد الإغريق (وسكانها)، في هذه المناطق إلاّ بعد قرون عديدة، نحو نهاية الألفيّة الثانية.

في كتاب سابق[2]، بيّنا أيضا أهميّة جوهر اللّغة العربيّة في اليونانيّة الفصحى (المشتركة)، وشرحنا الأصل العروبيّ لأسماء الفمحسفانيين والشعراء والفنانين والعلماء، الذين، في أغلبهم، انحدروا من يونيا (اسيا الصغرى) ؛ وأيضا تسميات رجال سياسة لبلاد الإغريق الكبرى (ملوك، ملكات، أمراء جيش، حكّام، ...). عدد كبير منهم ذوو أصل عروبي ؛ ومن هؤلاء، ربما الأشهر، والذي كان المهندس الأوّل للعهد الذهبيّ للحضارة الهلانيّة، وهو من يستحقّ اسمه المقدّر أزلاً (اسم عروبيّ) برك-ئيل أي "بركة الآلهة".

بفعل الوفود المختلفة للاستعمارات العروبيّة، التي تدفّقت صوب شبه الجزيرة الإغريقيّة، يمكن سماع لغات عروبيّة كثيرة. هنالك تكلّم كلّ لغة منها ناطقوها الخاصّون، البابليّة، الآشوريّة، الفانقيّة، العربيّة الوسطى، المصريّة ...

لقد أشرنا في سياق سابق إلى الأصل الأناضوليّ (اليونياويّ) للأدب الإغريقيّ، الحاضر في آسيا قرونا كثيرة قبل عمر بن معان، كما ذكرنا، ضمن هذا الفصل، لقمان، أوّل شاعر غنائيّ "دوريّ" لبلاد الإغريق، وهو يونياويّ. جميع

---

1. كان الهلانيون في الأصل قبيلة أراوية (من منطقة دودان). هلان، ابن دعقة عليون، هو اسم سلفهم. وقد شرحنا معنى أصله العروبيّ في الكتاب المشار إليه في الإحالة الموالية

2. "الاستعمار العروبي في بلاد الإغريق القديم من خلال علم الأساطير وتسمية الأماكن والعلميات والمعجم".

أهالي آسيا الصّغرى هؤلاء، في غالبيّتهم، من أصل سوريّ-فانقيّ (أو عروبيّ)، تكلّموا الأكاديّة، الأرميّة، إلخ، وبخاصّة الفانقيّة. وهذه اللّغة الأخيرة، ظلّت متكلّمة في الأناضول إلى غاية القرن الأوّل من العهد المسيحيّ، حسب سطرابو.

تستحيل دراسة العلميّات الإغريقيّة وأيضا دراسة معجم اليونانيّة، لوما دوام اللّسان العربيّ، من خلال لغاته العدّة، اللّواتي تشدّهنّ إلى بعضهنّ أواصر قرابة متباينة نحويًا وصرفيًا ومعجميًا. ألفي سنة بعد مجيء العهد المسيحيّ، يسمح لنا معجمٌ مُبتذل للّغة العربيّة بحلّ معضلات المعنى الأصليّ لتسمية الأماكن والأشخاص والشّعوب، إلخ، المستعملة في بلاد الإغريق منذ أكثر من ثلاث آلاف سنة.

لم تبصر اللّغة الأدبيّة في بلاد الإغريق النّور، إلاّ في القرن الخامس قبل الميلاد، مع إبداع اللّغة المشتركة (Koinè) نحو خمس وسبعين وأربعمائة -475-، حسب A. Meillet. وهذه اللّغة المشتركة، يمكن اعتبارها المصدر الأوّليّ لجميع اللّغات الأروبيّة الأخرى، بما فيها اللاّتينيّة. وقد تأثرت هذه المتقدّمة أساسًا بالتّاريخ والحضارة الإغريقيّة، تمامًا كما تأثرت اللّغة اليونانيّة المشتركة (الفصحى) باللّغات العروبيّة المتوسّطيّة.

حتّى بعد خمس وسبعين وأربعمائة (475)، ظلّت لغة منطقة عتيقا مستعملة، وأيضا بعض الصّيغ الصّرفيّة والنّحويّة، كالمثنى، من طرف كتاب مثل بلاطون وزنا-فن، كما يشهد بذلك A. Meillet في كتابه "مدخل إلى الدّراسة التّقابليّة للّغات الهنديّة-الأروبيّة" : ، حوفظ على صيغة المثنى إلى غاية نهاية القرن الخامس في منطقة عتيقا، ولكن نحو عشرة وأربعمائة (410) قبل الميلاد، أخذ الإهمال ينالها في الكتابات، بالفعل استخدمه المؤلّفون المولودون بين أربعين وأربعمائة وخمس وعشرين وأربعمائة (440-425) مثل بلاطون وزنا-فن، الذين يكتبون باللّهجة العتيقاويّة ويستعملونها أيضا، ولكن دون استمرار.

بداية من تسع وعشرين وثلاثمائة (329) -بعد داموسطان، الذي استعملها بانقطاع- يُفقَد المثنى من المدونات العتيقاوية ..

إثر إختراع الحروف الهجائية، من طرف الفانقيّين، نحو منتصف الألفيّة الثانية قبل العهد المسيحيّ، تبنى نوع الكتابة هذا، أهالِ إغريق (واحتفظ به حتى بعد الاجتياح الدّوريّ لبلاد الإغريق) مطابقًا للأصل. اي أنّ هؤلاء الأهالي الإغريق عروبيّون في الأصل، تكلّموا جميعهم لغاتٍ عروبيّة، ما يتيح التمكّن من استخدام حروف صامتة خاصّة بهذه اللّغات، على وجه الخصوص الصّاد -الذي يقابله الحرف سمبيَ "اليوناني"، أو العين الذي يقابله الحرف أوميكرون "اليوناني"، وهي مقاطع صوتيّة غير مستعملة عند الهنود-الأروبيّين. الشّيء عينه مع الضّاد، يقابله حرف ضيتا "اليوناني"، الحرف الصّامت الذي نجده في الكلمة العربيّة ضياء، التي كتابتها الصّوتيّة في اليونانيّة هي Zeus -(مع اللاّحقة "سين")- ("ضياء" في حالة النّصب "المفعوليّة")، هذا المقطع الصّوتيّ دارج في استعمال النّاطقين بلغات عروبيّة لوحدهم.

وبعد ذلك، نال من المقاطع الصّوتيّة الهجران، مع تصنع اللّغة اليونانيّة المشتركة (Koinè)، وحلّ الهجاء العتيقاويّ محلّ الهجاء الفانقيّ. الهجاء الإغريقيّ على قدم المساواة مع اللّغة الجديدة، غيّر الاتجاه، ليُقرأ من الشّمال إلى اليمين، بدَلَ ما كان عليه من عكس الاتجاه.

بناءً على استشهادات المؤلفين السّابقة، وتاريخ شبه الجزيرة الإغريقيّة، قبل الغزو الدّوريّ وبعده (حقيقة جسّدها الجزمُ المفحم لـA. Meillet، حين صرّح : « بعلّةِ حادثٍ تاريخيّ، بدت اليونانيّة معزولة بين اللّغات الهنديّة-الأروبيّة »)، وبناء على دراسة تسميات الأماكن والآلهة والأشخاص والشعوب، إلخ،[1] وبناءً على زعم L. de la Vallée-Poussin[2] حيث كتب « ليست اللّغة

1. انظر كتابنا "العرب في اروبا قبل العهد المسيحيّ".
2. مصدر سبق ذكره.

اليونانيّة لغة هنديّة-أروبيّة إلاّ في شطرها، بناءً على كلّ ما سبق توضيحه، يمكننا القول، من وجهتنا، أنّ اليونانيّة لغة نصف عربيّة.

2.5 الأخاويّة

حسب A. Meillet[1] «البلوبتاس (شبه جزيرة في جنوب بلاد الإغريق) ما قبل الدوريّ، الذي تقوم عليه كخلفيّة الملحمة العمريّة (الإلياذة) »، سكنها الأخاويّون. اقيمت مملكة أخاويّة كبيرة، الأولى، ربّما، التي أسّسها الإغريق، ومهما يكن، فهي الأقصى نحو الجنوب الشرقيّ. لقد احتفظت منطقة أخايا للحافّة الجنوبيّة لخليج قرينطة بالاسم، ولكن لم تحتفظ بلغة الأخاويّين القدامى. يتواجد اسم الأخاويّين، الذي أثبتته النصوص الحتيّة والمصريّة، منذ القرن الرّابع عشر، في مواقع مختلفة من العالم الهلانيّ، أين اختفت لهجات من النوع الأرقاويّ-القبرسيّ، قرتا وجزيرة ورد ونقاط كثيرة على البحر الأسود، تجسّد الوجود القديم للأخاويّين ....».

في كتاب سابق، بعنوان "العرب في أروبا قبل العهد المسيحي" (الصّفحة 71 وما يليها)، ذكرنا شهادات أخرى منضافةً لهذا الاستشهاد -الآنف-، مرتبطة بالأخاويّين، الذين أسمتهم النصوص المصريّة الأكايواش، والنصوص الحتيّة الأخاياوى، وأطلقت عليهم نصوص عمر اللّوذي الأخايو ... كما قدّرنا، أيضا، أنّ هؤلاء الأهالي، أخاويّي الإغريق وجزز بحر أجا، وقبرس وآسيا الصّغرى، لا يمكن إلاّ أن يكونوا سوريّين-فانقيّين -وهو ما يتوافق مع ما ذهب إليه A. Jardé[2]، حيث ينسب أخاويّي بلاد الإغريق، وأخاويّي الجزر إلى أهالي آسيا الصّغرى-، كما خلُصنا، بعد دراسة معنى هذا الاسم الأصليّ ، إلى أنّ أخايا (منطقة)، سكنها الأخاويّون، قد تُفهم على أنها "بلاد الإخوة". تتطابق هذه الترجمة باللّغة العربيّة، (اخ، جمعه إخوة واخاء)، مع ما كتبه A. Meillet بهذا الصّدد : (« ليس مؤكّدا

---

1. مصدر سبق ذكره.
2. "في كتابه "تكوّن الشعب الإغريقي".

كون الأخاياوى هنودا-أوروبيّين، أولئك الذين سمّاهم عمر (الأخايو) كما أنها تلحق الأصل البابليّ الذي ارتآه B. Hrozny[1]، حيث يصرّح : « لا يمكن إقصاء فكرة تعلّق الأمر بالكلمة البابليّة-السّاميّة المشهورة "أخا" أي إخوة »[2].

يخبرنا المؤلّفون، بأنّ هذه اللّغة الأخاويّة القديمة، تكلّمها أخاويّو عمر (أي إغريق العهد المكانويّ)[3]. يؤكّد A. Jardé و A. Meillet[4] استعمال الأخاويّة القديمة في اللّغة العمريّة. A. Severyns[5]، فهو يلحّ على تأثير القصّاصين اليونياويّين، خلفاء القصّاصين الأخاويّين، في هذه اللّغة العمريّة، التي طغت عليها اليونياويّة.

في كتابينا ("العرب في أوروبا قبل العهد المسيحيّ" و"تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة")، بيّنا أنّ عمر يتلقّب باسم عروبيّ مألوف، وينحدر بدوره من قوميّة سوريّة-فانقيّة -على غرار لوذيّي عصره، مواطنيه- ؛ كما أنّ الأدب الإغريقيّ الذي ولد في آسيا الصّغرى (يونيا)، كان أدبا ذا لغة (لغات) عربيّة أو عروبيّة، في زمن « لا يمكن أن يلاحظ عند إغريق القرن العاشر والتاسع، لا فنّا ولا كتابة ولا أدبا ذا نوع معرفيّ »، حسب تعبير A. Meillet.

كما أنّ أقدم اللّغات الشّعريّة لدى الإغريق، هي تلك التي كرّست تأثيرا على الأخريات، وهي لغةٌ عروبيّة. قد تكون الفانقيّة، بالنّظر إلى ما قام به الفانقيّون من دورٍ، ليس حكرا على شبه الجزيرة الإغريقيّة (هجرات مهمّة، تسمية أماكن ،علم الأساطير، إلخ) ولكن أيضا في جزر بحر أجا وقبرس، وكذا في آسيا الصّغرى، بلدانٍ تؤلّف أهاليها بالدّرجة الأولى من سوريّين-فانقيّين.

---

1. مصدر سبق ذكره.
2. على غرار المصريّين والـكلش وعروبيّين آخرين ما بعد العهد الإبراهيميّ، عرف الأخاويّون الاختتان ومارسوه.
3. سمّى عمر بن معان المكانويين الأخاويّين (الحضارة الأخاوية أو المكانوية، حيث بلغت أوجها فيما بين أربعمائة وألف ومائتين وألف قبل الميلاد 1400-1200).
4. مصدران سبق ذكرهما.
5. مصدر سبق ذكره.

3.5 اللّغات القوقصيّة

لقد رأينا في كتاب سابق "إيبريا وبربريا"، أنّ إيبريا وبربريا هما بلدان ينتسبان إلى قوميّة سكّانيّة واحدة، وإلى تاريخ مشترك، مع قرابة لسانيّة وحضاريّة. إيبريا الأروبيّة هي الأخرى مرتبطة بإيبريا القوقصيّة (آسيا). هذه الأخيرة لها اسم يرى فيه B. Hrozny[1]: ، عاملٌ لصالح هجرة عناصر بشريّة، انطلاقا من هذا الوطن الأصليّ، نحو شمال إفريقيا،.

يلحق A. Garrigou[2]، الذي نبّه على القرابة القائمة بين البربر والباسك، اللّغة الباسكيّة الحاليّة بلغة ، شعوب آسيا، جنوب القوقص المعروفين بالساميّين، كما يؤكّد مؤلّفون آخرون القرابة اللّسانيّة بين الإيبريّة الأروبيّة والبربريّة من جهة، وبين البربريّة ولغات القوقص الجنوبيّة من جهة أخرى.

أمّا بالنّسبة إلينا، فقد أتاحت لنا مباحثة موضوع متعلّق بـ"رحلة مجهولة للغة قديمة، البربريّة"، بتعزيز القرابة بين اللّغات الإيبريّة-القوقصيّة واللّغات الإيبريّة البربريّة، بوساطة تسميات، الأماكن والجبال والشّعوب ... بهذه الحجّة، فاللّغات القوقصيّة -التي تنتمي إلى فرعٍ لسانيٍّ واحد مع البربريّة- يمكن حملها محمل اللّغات العروبيّة.

4.5 الجاليّة

طرح F. Lot في كتابه "جاليا"، بصدد اللّغة أنّ ، لم تترك الجاليّة مخطوطات عدا خمسين كلمة ونيفا أشار إليها المؤلّفون الإغريق واللاّتين. المخطوطات (عشرة ونيف) التي نحوزها بحروف إغريقيّة جميعها في منطقة ناربونيا، (الضّعف بالحروف اللاّتينيّة) بعض منها غامض، ممّا يريب في كلوتيّتها (أصلها من الكلت) ،. أمّا A. Grenier في كتابه "الجاليّون"، فهو

1. مصدر سبق ذكره.
2. مصدر سبق ذكره.

متردّد حيال تصنيف اللّغة الجاليّة ضمن اللّغات الهنديّة-الأروبيّة، وقد كتب : ، حاولنا تفسير ذلك (دراسة ما تبقّى من اليسير) بالفرنسيّة والألمانيّة واليونانيّة واللاّتينيّة والعبريّة بخاصّة ..

فعلاً، لقد تمكّنا من ترجمة العديد من الكلمات الجاليّة، ليس بالعبريّة -أو بالفانقيّة تحريًا للدقّة- لغة قريبة جدًا من العربيّة، ولكن بالعربيّة ذاتها. في كتابنا "العرب أسلاف الجاليّين ؟"، أعطينا المقابل العربيّ لحوالي النّصف من عدد هذه الكلمات الجاليّة -تحديدها الصّوتيّ-، وترجمنا، دائمًا بالاستعانة باللّغة العربيّة، كثيرًا من تسميات الأماكن والشّعوب والأشخاص لجاليا ما قبل الرّومان، بالخصوص اسم (أو صفة بالأصحّ) البطل الجاليّ الشّهير براس-مجد الرّاس، الذي يرمز لمقاومة أهل جاليا المحلّيّين للاحتلال الرّومانيّ ... وهو ما يرسّخ العلاقات الأكيدة للقرابة بين الجاليّين والعروبيّين (لسانيًا وتاريخيًا وحضاريًا).

فرضيّة وجود لهجات جالية عديدة في جاليا (كما يؤكّد C. Jullian في كتابه "Vercingétorix") طرح غير مستبعد، بالنّظر إلى موجات الهجرات العديدة الواردة من مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربيّة، من آسيا الصّغرى ومن وادي الدّانوب (هذه الأخيرة هي منطقة عبور إحدى طرق العنبر)، قرونا كثيرة، قبل العهد المسيحيّ. والأخرى (الهجرات) المنحدرة من شمال إفريقيا (بربريا) ومن مناطق شمال جبال البرانس وجنوبها (إيبريا).

تصل هذه البلاد، إيبريا -حسب أقوال أروادوت (في القرن الخامس قبل الميلاد)- إلى غاية نهر الوردان، وتضمّ النّصف الغربيّ لجاليا (من البرانس إلى شمال نهر جرعين) : تسمّى هذه المنطقة (حيث النّهر المذكور) إسكاتانيا، اسم من أصل إيبريّ - بربريّ، ككثير من تسميات الأماكن والأنهار والجبال[1]. يتفق جميع المؤلّفين على أنّ الإسكاتانيّين كانوا قرونا عديدة قبل العهد المسيحيّ، من سلالة إيبريّة ذات لغة إيبريّة، أي عروبيّين. كثير من الكلمات التي يقدّمها

1. انظر كتابنا "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة ، من الإمالايين إلى الأرضوان".

القاموس Larousse على أنها من أصل جاليّ، هي في الحقيقة من أصل عروبيّ عمومًا (مثل إبريق ودنّ وريس "ملك" وجانب، إلخ.)[1] أو بخاصّة إيبريّة-بربريّة (مثل سكّ و[شجرة] الرّان وأردواز، إلخ.). ويشكّل الجوهر العروبيّ-الجاليّ صورة حقيقيّة في تكوين اللّغة الفرنسيّة.

أمّا الناربونيا[2]، منطقة -ولاية للرّومان- تقعُ على طريق مَمَرٌ كبير، بريٌّ كما نهريٌّ. عن طريق وادي الوردان، الطّريق الذي يبدأ من البحر الأبيض المتوسّط (انطلاقا من مدينة الفانقيّين مسّالية/ مرسالية وصولاً إلى مفترق طرق اتصال، من جهة، شمالا، نحو مضيق كلت (طريق القصدير) ومن جهة أخرى، نحو جبال الحلب، باب جرمانيا (إحدى طرق العنبر).

وكنتيجة لمزيّة التموقع الإقليميّ هذا، فقد توطّنت هنالك مستعمرات عروبيّة-فانقيّة، بعددٍ أكبر ممّا هي عليه في المناطق الأخرى لِجاليا، منذ الألفيّة الثانية قبل العهد المسيحيّ.

5.5 الفارسيّة

لقد رأينا في سياق أعلى، أنه بداية من القرن السّادس قبل الميلاد، دامت اللّغة الرّسميّة لملكة فارس، الأرميّة على قرونٍ مديدة. بمجيء الإسلام واعتناق أهالي فارس له، انغرست اللّغة العربيّة وهجاؤها مجلدًا في البلاد، من بحر قصوين إلى غاية الخليج العربيّ-الفارسيّ ، ثمّ من هناك تدفّقت نحو كلّ آسيا الوسطى... وفي أيّامنا، والعهدة على المؤلّفين، ثلث المعجم المستعمل في اللّغة الفارسيّة يتألّف من كلمات عربيّة. حسب E. Renan في كتابه "تاريخ اللّغات السّاميّة"، الفارسيّة الحاليّة لها معجم، يتألّف في معظمه خاصّة فيما يتعلّق باللّغة الأدبيّة، من كلمات عربيّة.

---

1. انظر كتابنا "العرب، أسلاف الجاليّين ؟".

2. عاصمتها ناربون لها اسم، حيث الكلمة الثانية منه "بون"، لها كتابة واحدة مثل البلد الأصل (حسب الرّواية) للفانقيّين، بون (ت) لو بَنت (من حيث اشتق الاسم "بوني") الذي نجده في تسمية مدينة بونه، في إفريقيا (عنابة الحاليّة، في الجزائر) أو في تسمية مدن أخرى لجاليا وأوروبا.

لقد كانت الزّنديّة، لغة شمال فارس القديمة، قبل العهد المسيحيّ، لغة بلاد جرج ولغة إيران، بمعنى الكلمة، وأزربيجان. تشبه الكتابة الزّنديّة (من اليمين إلى الشمال) في الرّسم الأرميّة في بعض الحروف وعربيّة القرآن في أخرى ...[1]

6.5 التركيّة

حسب E. Renan الذي ألف سنة خمس وخمسين وثمانمائة وألف (1855) (الموافق لسبعين ومائتين وألف -1270- للهجرة.) كتابه "تاريخ اللّغات السّاميّة" ، تقدّم اللّغة التركيّة مثالاً صارخًا للتركيب اللّسانيّ : وعلى الرّغم من حفاظها على القواعد التّتاريّة، فقد فقدت تقريبًا معجمها الخاصّ واستبدلته بعددٍ هائلٍ من الكلمات المستعارة عن العربيّة والفارسيّة ... هي الظّاهرة الوحيدة لِلُغةٍ تتألّف من مزيج ثلاث أرومات : الهنديّة-الأروبيّة والساميّة، معجمًا، والتتاريّة صرفًا ونحوًا..

7.5 لغات شبه القارّة الهنديّة

حسب A. Daniélou في كتابه "تاريخ الهند" ، اللّغات الدّراوديّة لها قرابة مع الجرجيّة ، أي مع اللّغة الإيبريّة-البربريّة. حسب G. Gourtillier في كتابه "الحضارات في الهند القديمة" : ، لغة البشتاء (الزّنديّة) تتقارب مع اللّغات القوقصيّة، بل هنّ الأخريات قريبات من البربريّة (أو الإيبريّة البربريّة).

حسب E. Renan[2] ، تكرّس العربيّة في الهند أثرًا مماثلاً، منذ فتح محمّد الغزناوي (السّنوات الأولى من القرن الحادي عشر)[3]، وخاصّةً بوساطة الفارسيّة. يطلق الاسم "هنديّ" على لهجة من الهندويّة، حيث يتوافر قسط كبير من الكلمات الساميّة. أمّا بالنّسبة للهندوستانيّة (الوردو والدّخنيّ)، فثلاثة أرباع معجمها عربيّ وفارسيّ، أمّا نظام صرفها ونحوها، فعلى العكس، هنديّ، وغيّرته الفارسيّة قليلاً. وأمّا خطّها فهجاؤه منقول من العربيّة..

---

1. في كتاب "الزّند-البستاء" لـAnquetil Duperron.
2. مصدر سبق ذكره.
3. الموافق للقرن الخامس الهجري.

8.5 المالويّة

لقد ضربت ماليزيا بسهمها في التأثر نفسه : بفعل الأفكار الهنديّة، فكوّنت لغةً مزيجا من السامسكريتيّة والجاويّة وهي الكاويّة؛ كما استقبلت الهجاء العربيّ مع الدّين الإسلاميّ وارتضت جزءًا من المعجم الممتزج، الذي حمله المسلمون معهم أينما حلّوا[1].

9.5 السّواحليّة والولوف واللّغات الإفريقيّة ما دون الصّحراء

1.9.5 السّواحليّة

السّواحليّة هي اللّغة المتكلّم بها في جميع المناطق السّاحليّة الإفريقيّة الشّرقيّة[2] (من أرخبيل القمر حتّى خطّ الاستواء) : وهي لغة مختلطة من كلمات إفريقيّة (بخاصّة لغة البانطو) ومن كلمات عربيّة. حسب أقوال المؤلّفين، لغة البانطو، هي لغة ما قبل المصريّة، فوقها نضّدت اللّغة العربيّة. السّواحليّة، التي تكتب بحروف عربيّة، هي اللّغة الرّسميّة لكينيا وتانزانيا؛ وهي لغة إقليميّة في أوغندا وفي الكونغو-كنشاسة.

2.9.5 الولوف

بالنّظر إلى رحلة حنّون البحريّة، تجاه إفريقيا الاستوائيّة، ونظرًا إلى الاستعمارات الفانقيّة السّابقة في البلدان السّاحلية، المرتبطة بطرق الملح والذّهب وكذلك باعتبار القرابة بين اللّغة الفانقيّة والمصريّة، وبالتالي مع لغة ولوف إسنغل[3]، فمن المستساغ افتراض أنّ المستعمرات الفانقيّة، المُقامة طيلة قرون كثيرة في هذه المناطق اختلطت بالأهالي المحلّيّين مؤثرة في لهجاتهم، أو بتعبير أفضل بفرض لغتها على مرّ أجيال، بفعل قوّة تجارتها وإشعاع حضارتها.

---

1. E. Renan، مصدر سبق ذكره.
2. السّواحليّة، كلمة عربيّة "محاذ للسّاحل، في تماس مع الشّريط السّاحلي".
3. حسب T. Obenga (في كتابه "إفريقيا في العهد القديم")، تمثّل لغة الولوف وشيجة متينة (صرفيّة-نحويّة ومعجميّة) مع اللّغة المصريّة.

بل إنّ اسم هذه اللّغة، الولوف، واسم الأهالي المتكلّمين بها الولوف، يفهم في العربيّة بمعنى "برق لامع"، وليف وولوف أو بمعنى "حبيب" وليف وولف. هذا الاسم له معنى واحدٌ مع برق، الذي يعني بالفعل "لمعان، نور"، وهو الاسم الذي نجده في تسمية مدينة برقة[1]، اللّيبيّة، موطن العائلة الشهيرة القرطاجنيّة لبني برقة (أملقر برقة وأبناؤه).

يقدّر E. F. Gautier في كتابه "إفريقيا الغربيّة السّمراء" بخصوص هذا الاستعمار الفانقيّ أنه ، ثرينا إفريقيا الغربيّة السّمراء في جميع بقاعها آثار التأثيرات المتوسّطيّة الألفيّة، والتأثيرات هذه هي الوحيدة التي لها أن تجلّي توزع الأهالي. هذه البلدان هي صنيعة "القرية الحديثة" (قرطاجنة)،. ليس من قبيل الصّدف، بالتأكيد، أن نرى حاليًا في إسَتغل جالية قويّة من سوريّين ولبنانيّين، ذات تأثير اقتصادي وماليّ لا يستهان به.

3.9.5 لغات إفريقيّة أخرى ما دون الصّحراء

حسب E. Renan[2] لا يحصر تواجد اللّغة العربيّة أفق في إفريقيا في هذا الوقت، فهو مؤشّر على حضارة ما. وبفضل العربيّة حازت إفريقيا بعض الأدب ، كما كرّست هذه اللّغة على لغات الأهالي تأثيرًا بالغًا.

10.5 في أروبا

يقدّر E. Renan[3] انه ، لم تسلم أروبا مطلقًا من أثر اللّغة العربيّة العالميّ هذا (استعارة كلمات من جميع الصّنوف عند الإيسبان والبرتغاليّين)، كما أنّ اللّغات الأخرى الرّومانيّة اللاّتينيّة تشتمل على عددٍ كبير من الكلمات العربيّة، واصفةً تقريبًا جميع الأشياء العلمية أو المصنوعات، شاهدة كم ظلّت الشّعوب النّصرانيّة في القرون الوسطى دُون المسلمين فيما يتعلّق بالعلم والصّناعة ..

---

1. برقة، هي ايضا تسمية مدينة قريبة من بعلبك (فانقيا) في لبنان الحاليّة.
2. مصدر سبق ذكره.
3. مصدر سبق ذكره.

الملحق الثّالث

التّوافق المعجميّ بين مختلف اللّغات العروبيّة

العربيّة	الأشوريّة- البابليّة	الفانقيّة	الأرميّة	العربيّة الجنوبية- الحبشيّة	البربريّة
أب	أبو	أب	أبا	أب	با
أمّ	أمو	أم	أما	أم	ما
اخ	اخو	اخ	أخا	أخو	ڤما
ابن	بنو	بن/ بر	برا	بن	أو
إنسان	نشو	أنوش	ناشا	أنش	إفڤان
بئر	بورو	بور	برا	بئر	انو
بيت (دار)	بتو	بت	بيتا	بيت	تاذارت
ثور	شورو	الف	ثورا	سور	افالو
خنزير	خمسر	حزير	حزيرا	خنزير	إلف
دم	دمو	دم	دم	دميا	أدامَن
رأس	رشو	روش	ريشا	راس	إخف
زرع	زرو	زرع	زرعا	زرع	أمود
سماء	شمو	شمايم	شمايا	سماي	إڤنا
شمس	شمشو	شمس	شمشا	شمس	تافوكت
عين	انو	عين	عينا	عين	تيط أغبالو
فم	يو	يه	يوما	أف	إمي
قرن	قرنو	قرن	قرنا	قرن	إسك إشَن
لسان	لشانو	لشون	لشنا	لسان	إلس
ماء	مو	مايم	مايا	ماي	أمان
موت	ماتوم	موت		موت	إموت
ودّ	ود	يدد	يد	ود	أوّاد

الفصل الثّاني

قرابة اللّغات العروبيّة فيما بينها

للّغات العروبيّة قُربى صرفية ونحوية ونطقيّة ومعجميّة تربط فيما بينها، وطيدة نوعًا ما، تبعًا للّغات محلّ النّظر، وحسب تاريخ وتطوّر كلّ واحدة من هذه اللّغات، عبر الدّهور. طبيعيّ أن تتقارب لغتان أو أكثر من اللاّئي تقاسمن خلال حقبة ما، تاريخًا مشتركًا، فيما بينهنّ، بصفة أوطد من لغات أخريات شهدن رقيًا وتطوّرًا خاصًا ؛ وهو الحال، على سبيل التمثيل، مع الفانقيّة والإيبيريّة (أو الإيبيريّة-البربريّة) اللّتين نقف عليهما في آسيا الغربيّة من خلال تسميات أماكن وجبال وشعوب، ذات معنى أصلٍ مختلط ، وهما اللّغتين اللّتين نلتقيهما، أيضًا، في شمال إفريقيا، حيث الأهالي الممتزجة والمدمجة خلال قرونٍ كثيرة، سمّيت ليبيّة-فانقيّة.

والحال ذاتها،مع الأكاديّة والبابليّة، الثانية مشتقّة من الأولى؛ مع العربيّة الجنوبيّة والعربيّة الوسطى، مع الأكاديّة والعربيّة الجنوبيّة، مع العربيّة الجنوبيّة الحبشيّة، مع البابليّة والعربيّة الوسطى،... جميع هذه اللّغات مرتبطة فيما بينها، أوّلاً بالتجاور الموطنيّ ثمّ بتاريخ مشترك، خلال قرونٍ إن لم نقل الفيّات، في بلاد الرّافدين كما في بقيّة شبه الجزيرة العربيّة أو شرق إفريقيا.

1. الصّرف

جميع اللّغات العروبيّة، عمومًا، لها جُذور ثلاثيّة. ويمكن مصادفة جذور رباعيّة أو خماسيّة التي ليست إلاّ زواند، بوساطة لواحق أو عـــن طريق التحوّل، بتغيير صيغة (صيغة فعل أو اسم) الجذر الثلاثيّ. كما توجــد أيضا جــــذور

ثنائيّة قليلة، أصلها ثلاثيّة. غير أنها فقدت -خلال تطوّرها- جذرا من الجذور أضعف من البقيّة، أو جذور لغات ما قبل العربيّة، ذات مقاطع وحيدة (أحاديّة أو ثنائيّة الجذر)، محافظ عليها في اللّغة العربيّة.

هذه الحقيقة اللّسانيّة يمكن أن يظهرها المعنى العامّ لكلمة ذات جذرٍ ثلاثيّ، معنى حُوّل ولكن بقي قريبا دائما للمعنى الأصليّ، خلال تغيّر أحد الحروف الثلاثة التي تؤلّف هذه الكلمة.

1.1 جذر واحد (مشترك) للّغات العروبيّة المختلفة

كلمات جدّ كثيرة في العربيّة وفي لغات عروبيّة أخرى، لها جذر مشترك شُحن دلالات متجانسة أو متقاربة. وهذا، في جميع مجالات الحياة ؛ من السّلطة الرّوحيّة إلى السّلطة الدنيويّة. ومن الزّراعة إلى علم الفَلَك، ومن الرّيّ إلى التعدين، ومن علم الحيوان إلى علم النّبات، ومن فنّ الحرب إلى الفنون الجميلة، إلخ. وهو حجّة (إضافيّة) عن وحدة الأمّة الحضاريّة لجميع هؤلاء الأهالي، الناطقين، في الأصل، بلغة واحدة.

أحيانا لا يوجد اسم مخصّص، ذو جذرٍ واحدٍ معيّنٍ تابع للغة أو لغات عروبيّة كثيرة، في اللّغة العربيّة، ولكن جذر هذا الاسم، موجود في معجم العربيّة، بالدّلالة نفسها.

على سبيل المثال : الاسم "حصان" الذي يؤدّى في المصريّة القديمة، وفي الكنعانيّة "سوس"[1]، ذو الجذر س. و. س.[2] الذي يُصادَفُ في العربيّة، بمعنى ذي علاقة بالخيليّات :

- ساس (بعد إبدال الواو ألفا ليّنا) "اعتنى (بحصان)"

---

1. بينما يختلف شيخ ضيوف في كتابه "الأمم السمراء و"ثقافة" في ترجمته وهي "ساس".

2. يقدّر بعض المؤلفين انّ الهكسوس، هم من ادخل الحصان والعربة إلى مصر، ونترجم هذه التسمية هكسوس بـ"الملوك الفرسان" أو "الملوك مربّو الخيل".

- سواس "مرض في عنق الخيل"

- سياسة "فرجنة الخيل (حَسُّهَا)"

- سائس "خادم الخيل"

في حين أنّ كلمة "سوس" تقابلها كلمة حصان أو فرس في العربيّة.

2.1 جذر ثنائيّ مضعّف الحرف الثّاني

هذا الجذر هو أصل لجذور جذور ثلاثيّة أخرى، مُرادفة أو قريبة المعنى (بتغيير يطرأ على الحرف الثّالث) :

- س. ك . (ك) سكّ "أغلق، أوصد، (بابًا) ... ، صَمَّ"، مع الكلمة سكّ "مسمار"

• س . ك . ت. سكت "صمت، مات، هدأ (غضب)"

• س. ك. ر. سكر "ملأ وِعاءً (زِقًّا)، حجَز (مجرى ماء)"، "هدأ (الرّيح)"

• س. ك. ف. سكف "وضع عتبة (لباب)" وصيغة الفعل هي أسكف "مارس مهنة الإسكافيّ " مع الاسم أسكف وسكّاف " إسكافـــيّ"

- ز. ل . (ل.) زلّ "زلق، عثر"

← ز. ل. ج . زلج و ز. ل . خ. زلخ "زلق"

- د. خ. (خ.) دخ ← "دخان" د. خ. ن. "تصاعد (دخان)، أصدر دخَانًا (نار)" مع الاسم دخان "ما يصنعد من نارٍ أو كلّ فائرٍ".

3.1 الاشتقاق

1.3.1 الاشتقاق الصّغير

هي الحالة الصّرفيّة الّتي تشتقّ جميع الكلمات من جذرٍ واحدٍ : مع ع. ر. ب. "عرب" مثلاً

- عربيّ "الحضر"

- أعرابيّ "البدو"

- العربيّة "اللّغة (العربيّة)"

- عارب "عامر، فائض (نهر)"

- إعراب "حركة أواخر الكلم، تحليل نحويّ"

- عربة "مركبة، نقّالة، سيّارة"

، إلخ.

2.3.1 الاشتقاق الكبير

هو تناوب بين الحروف الصامتة بعضها بعض من جذر واحد. فمن جذرٍ ثلاثيٌ أ. ب. ج.، يمكن أن نحصل على خمس تقاليب أخرى (أ. ج. ب. - ب. أ. ج. - ب. ج. أ. - ج. أ. ب. - ج. ب. أ.).

وإذ ذاك بعضٌ من فقهاء اللّغة من يلحق جميع هذه الجذور (المكوّنة من حروف واحدة -مشتركة-) بالدّلالة ذاتها، فالمعنى المشترك لهذه التقاليب السّتّ نادر ، غير أنّ تواتر هذا الترادف يزداد عندما يقلّ عدد هذه التقاليب. بمعاينة الحروف المؤلّفة للجذر ع. ر. ب. "عرب"، نلاحظ أنّ أربعة جذورٍ مؤلّفة من هذه الحروف (عرب، عبر، رعب، ربع) لَها دلالة ذات علاقة بالعنصر السّائل.

4.1 الإقلاب

بعض الكلمات تلتقي بحروف صامتة مشتركة، ولكنّ رصفها (ترتيبها) قد يتغيّر : هذا ما يسمّى إقلابًا.

الإقلاب متواتر نوعا ما في اللّغات العروبيّة، إمّا في كلمات معجم لغة واحدة، أو في كلمات معجم لغتين أو أكثر؛

- في اللّغة العربيّة :

• برش- بشر "كشط، جرّد، قشر".

• بلج -بجل " صارَ فرحًا، جذلاً ".

- في اللّغتين العربيّة والبربريّة :

• الأشقر- أشوراق " أصهب"

• الغزو- أزاغ "غارة، هجوم"

• المصد- أسميض "البرد" بإبدال السّين (س) والصاد (ص)، والدّال (د) والضّاد (ض).

5.1 اللاّحقة

التتمة أو اللاّحقة، تنضاف دائمًا إلى جذر الكلمة. ويمكن الكلام عن الزّائدة، حينما تبقى تتمّة الكلمة سالمة. ويمكن لهذا الوضع الصّرفيّ (ذي التبعة التحويّة) أن يخفي جذر الكلمة أو أن يحرّف معناه الأصليّ. ويسمح ردّ الجذر إلى أصله بمعرفة مصدره.

في كتابنا "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة" بيّنا أنّ اللاّحقة اليونانيّة "س" منسوخة عن اللاّحقة العربيّة، بخاصّة على لاحقة اللّغة البربريّة (الإيبريّة-البربريّة)، التي يظهر فيها عدد كبير من الكلمات "المقرونة" باللاّحقة "س". هذه الظّاهرة (اللاّحقة) تخصّ أيضًا لغاتٍ عروبيّة أخرى، وكذلك اللّغة العربيّة المشتركة، حيث تتوافر على حروف زائدة كثيرة. وهكذا يمكن معاينة الحروف ب، ل، م، ن، ر، ط، ز، إلخ. وطبعًا السّين (س) في تتمّة الكلمات. هذه الكلمات في الأصل ألفت من جذورٍ ثلاثيّة :

- مع "س" : • قسطاس "ميزان" من الجذر قسط "تصرّف بعدل" مع قسط "عدل، توازن"[1]

1. الميزان هو رمز العدل.

▪ ترفس "كَمأ"، من الجذر ترف مع ترفة "طعام شهيّ".

▪ عتريس "عنيف، معبأ، غول ذكر"، من الجذر عترَ "أصبح قويًا، عاتٍ"، مع الصّفة عتار "عاتٍ، جسور، قويّ" أو "وحشيّ (منطقة بكر)"

▪ فردوس (جمعه فراديس)، من الجذر فرد "توحّد، وحيد" مع الاسم فرد "نسيج وحده، متميّز" والنّعوت فرد "واحد، لا نظير له" وفريد "واحد، ممتاز، لا نظير له". الاسم فردوس له معنى "الجنّة" في أرفع درجاتها (الأعلى، الجزاء الأوفى (لا نظير له) للأبرار)؛ ويعني أيضًا "بستان، وادٍ خصيب"، وبالتّالي مُرادف لفظ جنّة "الجنان، طوبى، النّعيم"[1]

- مع "ش" : ▪ خربش "أفسد، أتلف (كتابًا)"، من الجذر خرب "دمّر، حطّم شيئًا"

- مع "ق" : ▪ خربق : " أتلف، مزّق "، من الجذر خرب (معنى واحد مع الذي تحتمله الكلمة السّابقة)

▪ حملاق "باطن الأجفان (الجفون)"، من الجذر حمل مع الاسم حمل "المُزن (سحابٌ مثقل بالودق)، شحن، عبءٌ"

- مع "ب" : ▪ جردب "أكل بنهمٍ"، من الجذر جرد "تعرّى، صار عريانًا، جرداء (الأرض، الحقل)، مسلوخ، مقشّر"

- مع "م" : ▪ جردم "أكل، قضمَ، التهم"، من الجذر جرد (معنى واحد مع الكلمة السّالفة)

▪ برعوم "كمٌّ"، من الجذر برع "انتصر، برّ شخصًا، مَهُرَ"

---

1. هذه الكلمة، في الجمع (فراديس)، من أعطت، في اللّغات الأروبيّة parâdéisos (في اليونانيّة)، paradis (في الفرنسيّة)، paradise (في الإنجليزيّة)،... مع إبدال F بـP.

▪ بلعم "مريء"، من الجذر بلع "ازدرد شيئا، تجرّع" مع الاسم بلوعة "مجرى تحت الأرض"

▪ حلقوم "حنجرة، بلعوم"، من الجذر حلق "ذبح، نحر" مع الاسم حلْق "حنجرة، بلعوم"

- مع "ن" : ▪ عربن "أعطى عربونا (عربانا) لشخص" مع الجذر عرب (من المعنى نفسه)

▪ برهن "جلّى شيئا بأدلةٍ متينة" من الجذر بره (من المعنى نفسه)

- مع "ل" : ▪ برميل "صفيحة، صهريج" من الجذر برم مع الكلمة مبروم "مدوّر/ مخروط، معقوص"

- مع "ر" : ▪ جذمور "جذع شجرة مقطوع"، من الجذر جذم "قطع" مع الاسم جذم "جذع، جذر"

▪ جذمار : مرادف للاسم السابق

▪ جوهر "حليّ، حجر كريم، لؤلؤ" من الجذر جوه "جعلهُ في منزلةِ جاهٍ وشرف"

- مع "ط" : ▪ جلفط - قلفط "دسّر ألواح سفينة" من الجذر جلف أو قلف (من المعنى نفسه)[1]

- مع "ز" : ▪ جُربُز "مخادع" من الجذر جرّب "امتحن، ابتلى شخصًا" مع الاسم مجرِّب "ممتحن، مخادع"

- مع "ف" : ▪ عتريف "قويّ، عاتٍ، جسور، وقح" من الجذر عترَ "صار قويًا، عاتيًا"، قد رأيناه أعلى السياق : النعتان : عتريف (مع اللأحقة "ف") وعتريس (مع اللأحقة "س") هما مترادفان.

---

1. هناك تناوب بين الجيم والقاف في كلمة "قلفط".

6.1 الإدخال

هو إدراج مقطع صوتيّ أوحرف (صامت أو صائت) في وسط الكلمة، مع الاحتفاظ بالمعنى نفسه (أو معنى قريب منه). ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الأمثلة الموالية :

- ثديَ- ثند "الثدي للمرأة والثند أو الثندأة للرّجل، وقيل الثند لَحمٌ يُحيط بالثدي"

- جثّ "جسد ميت" - حدث "قبر"

- حجر "حماية، حضن" - حنجرة "بلعوم، حلقوم" وحجرة "تحويطة، خليّة"

- خشب "شذب" - خرشب "عمل بخشونة "

- حذق " أصبح ماهرًا في" - حذلق " أبدى حذقه"

7 .1 تناوب بين حروف صامتة و/ أو صائتة

يمكن لكلمات مترادفة (أو أفعال) أن تتفارق في إحدى حروفها التي تؤلّف الجذر :

أسماء :

- أرفة- عرفة "تخم، حدّ"

- أزّة - هزّة "لبس، ازدحام"

- بزر - بذر "حبّ"

- بومة - بوهة "طائر البوم المعروف"

- ثعر- ثعل "ثؤلول"

أفعال :

- أشر- نشر "قطع الخشب"

- بخس - بخص "فقأ عين شخص"

- بدن - بطن "سمن/ عظم بطنه"

- تكأ - وكأ " أعتمد على، أسند ظهره إلى شيء ما"

- خثم- خشم " له أنف أفطس، مفلطح/ عريض"

- خشب - خشن "أصبح صلبًا، خشن الملمس"

2. الصّوتيات والكتابة

1.2 الصّوتيات

1.1.2 يمكن الوقوف على هيئة أداء واحدة في مناطق مختلفة للعالم العربيّ.

إذا ما تدارسنا الصّوتيّات الحاليّة للمتكلّمين باللّغة العربيّة في المناطق المختلفة من العالم العربيّ، فبوسعنا رصد أنّ نطق كلمة واحدة، يمكن أن يتفاوت من بلدٍ لآخرٍ، ومن منطقةٍ لأخرى، بل حتى بين قريتين متجاورتين[1].

هذا النّطق المنوّع والجمعيّ هو نتيجة للهجرات الكثيرة التي تمّت عبر القرون، انطلاقًا من أعلى بلاد الرّافدين والمناطق المتاخمة، نحو أوطانٍ أُخَرٍ من شبه الجزيرة العربيّة، من جهة ومن أخرى، نحو وادي النّيل وشمال إفريقيا. وما من أهالٍ تكلّموا لغةً عروبيّة إلاّ واستصحبوا معهم لهجتهم ونطقهم الخاصّ. فلِذا يمكن أن نجد في إفريقيا (على سبيل المثال) مصدر أهالٍ مختلفين أو قبائل مهاجرة، بواسطة لهجاتهم الخاصّة.

---

1. يمكن ان يتفاوت النطق ايضا، بين قبيلتين متجاورتين :
- في قبيلة بني تميم، تعوّض العين (ع) الهمزة ، وهو ما يسمّى بالعنعنة
- في قبيلة هذيل تعوّضُ العين (ع) الحاء (ح) ، وهو ما يسمّى بالعجعجة
- في قبيلة قضاعة يعوّض الجيم (ج) الياء المضاعفة ، فتميميّ يصبح تميمج.

يمكن أن نمثّل الخصائص الصّوتيّة هذه من خلال اللّهجات المختلفة التي نسمعها في بلاد ما، ولتكن الجزائر :

- ينطق القاف (ق) ڤ (أي الجيم المصريّة)، بخاصّة في المناطق الصّحراويّة والهضاب العليا -مناطق البدو- التي هي مناطق مرور قبائل بدويّة. وهو النّطق عينه الذي نجده في الصّعيد (مصر)؛

- القاف (ق) يعوّض القاف (ڤ) المذكورة سلفًا، عند الحضر أو في المدن التي أسّسها أو سكنها الإيسبان اللاّجؤون في إفريقيا بعد سقوط غرناطة سنة اثنين وتسعين وأربعمائة وألف (1492) (الموافق لستّ وتسعين وثمانمائة للهجرة -896-) ؛

- القاف اختفى واستعيض عنه بحرف صائت، في ناحية تلمسان، غرب البلاد. هذا الأداء مطابق لأسفل مصر أو بعض مناطق سوريّة ؛

- القاف (ق) ينطق كافًا (ك) في منطقة جيجل ؛ وهو نطق نظير ذلك المسموع في بعض مناطق الفرات ؛

- الكاف (ك) ينطق "تش" في بعض ضواحي جيجل (على سبيل المثال)، على غرار النّطق المكرّس في بعض جهات بلاد الرّافدين (العراق وسوريّة) ؛

- بعض الأصوات تأثرت بصوتيات اللّغة البربريّة، حتى وإن كان المتكلّم غير ناطق بالبربريّة. فلهذا تنطق الضّاد (ض) أحياناً طاءً (ط) ؛ والثاء (ث) أحيانًا تاء (ت) ؛ والزّاي (ز) يمكن أن تميل إلى التفخيم : هي الزّاي المفخّمة البربريّة التي لا توجد -أو لم يعد لها وجود- في اللّغة العربيّة ؛

كما أنّ النّبر المغربيّ، ميزةٌ معروفة بين جميع اللّهجات العربيّة.

ومن باب أولى، قبل اعتبار اللّغات العروبيّة ككياناتٍ لسانيّة متمايزة، ينبغي فهمها، بصفة عامّة، كلهجاتٍ إقليميّة، خضعت لتحويرات صوتيّة (بالغة نوعًا ما) على مرّ القرون، وحسب المناطق التضاريسيّة والمناخيّة.

إذا كان اللّسان العربيّ، بمقدم الإسلام، قد عوّض اللّغات العروبيّة الأخرى (المندثرة اليوم)، فقد أورث جزءًا من خواصها الصّوتيّة، التي أضيفت ثانية للنطق الجمعيّ للغة العربيّة ذاتها. إذا كان متكلّمو اللّغات العروبيّة (البابليّة، العربيّة الجنوبيّة، الأرميّة، المصريّة، إلخ.) قد هجروا لغاتهم الخاصة، نحو اللّسان العربيّ، فقد حافظ هؤلاء على الأقلّ على نطقهم الإقليميّ ونبرهم المميّز. فلذا يمكن أن نخطّ جدولاً (غير شاملٍ)، لمختلف أوجه النطق التي يمكن الوقوف عليها اليوم أو استعملت قديمًا في مختلف أجزاء العالم العربيّ.

2.1.2 أوجه نطق متباينة، حسب إبدال الحروف

الحروف أ و ...	أ و ب	أخ-بخ "أصبح أبخ الصّوت، سعُل"
	أ و ع	إجل، جمعه آجال" قطيع بقر" - عجل "الحيوان المعروف"
		أزر-عزر "قويَ، دعم، أعان شخصا"
	أ و م	إحنة-محنة "الحقد، الغضب"
	أ و ن	أشر- نشر "قطع الخشب"
	أ و ح	أنة - حنة "تأوه، تحسّر"
		أرث (أكاديّة)[1] - حر ث (عربيّة) "فلح، استصلح الأرض"
	أ و هـ	آل- أهل "قرابة، عائلة"
الحروف ب	ب و ل	أبخص - الخص "الذي جفنه العلويَ أهبر (كث)"
	ب و د	جُبَ - جُدَ " بئر"

1. نجد هذا المعنى في القرآن : ﴿ وأثاروا الأرض﴾ (سورة الرّوم-الآية : 09) مع الصّيغة الفعليّة اثر (إقلاب الجذر الأكادي) من الجذر ثار.

و ...	ب و ف	جعب - جعف "أوقع شخصًا"
	ب و ن	خشب - خشن "غليظ الملمس"
الحروف	ت و ث	تبر - ثبر "نفق، ضيّع شخصًا"
ت	ت و ب	خرب - خرت "ثقب، بزل، شقّ شيئًا"
و ...	ت و و	تكل- وكل "أوصى، عهد بشيء لشخص، توكّل على الله"
الحروف	ث و ف	ثمّ - فم "عضو الإنسان"
ث	ث و س	خبث - خبس "خادع شخصًا"
و ...	ث و ش	خشم - خثم "له أنف أفطس، عريض"
الحروف	خ و ج	خرخر- جرجر "أحدث خريرًا(الماء)"
خ و ...	خ و غ	خرز - غرز "أخاط بـ ثقب بإبرة" مع الاسم خرزة - غرزة "ثقب تصنعه الإبرة، غرزة إبرة"
الحروف	د و ر	خدش - خرش "حكّ، خمش، مزّق"
د و ...	د و ط	بدن - بطن "سمن، صار بدينًا"
الحروف	ذ و ز	بذر - بزر "زرع الحبّ، طمره، كفره" مع بذر- بزر "الحبّ"
ذ و ...	ذ و س	حذم - حسم "قطع"

حسب السّيد يعقوب بكر في كتابه "نصوص في فقه اللّغة العربيّة"، فقَدت الأرميّة استعمال الذّال (ذ) واستعاضت عنه بزاي (ز). وهذا التغيير الذي أشرنا إليه في كتابنا "العرب محرّكو الأديان الحنيفيّة الثلاثة" بإعطائنا معنى الاسم الأصليَ للنّبيَ زكرياء -عليه السّلام-، وهي تسمية مشتقّة من الجذر ذكر "استذكر، حمد/ سبّح لله"

الحروف	ر و ل	بتر - بتل "قطع، جزأ، فصل"
ر	ر و ز	حاجر- حاجز "سدّ، بحر، حاجز"
و ...	ر و م	حرَ- حمّ "ساخن، محرق"
الحروف	س و ص و ز	بسق - بصق - بزق "تفل"
س	س و ز	حرس - حرز "عسَ، حمى"
و ...	س و ص و ق	بخس - بخص بخق "فقأ عين شخص"
الحروف	ش و ص	بشر- بصل "جرّد، قشر"
ش و...	ش و ط	خرطوم - خرشوم "أنف عريض، جبل وعر، خرطوم الفيل، خطم"
الحروف	ع و ن	انطى (في العربيّة الجنوبيّة) - أعطى (في العربيّة الوسطى)[1]
ع و ...	ع و م	أمطى (في الأرميّة والحبشيّة)- أعطى (في العربيّة الوسطى)

1. النطق ذاته يلتقى عند قبيلة سعد بن بكر.

الحروف ف و ...	ف و ق	حرف - حرق مع حَرْف "خيط، حدّ الشفرة"، وحرقة "قاطع (السّيف)"
الحروف ل و ...	ل و ن	ذلك - ذنك " ذلك، ذاك" ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ (سورة القصص- الآية : 32)
	ل و م	جذل - جذم "جذع شجرة "
الحروف م و ...	م و ج	مسّ - جسّ "تلمّس بيده، تفحّص بيده"
	م و هـ	بومة - بوهة "طائر البوم"
حروف مختلفة	ص و ظ ب و م	حصرم- حظرب "شدّ القوس"
الفاء (ف) تنطق ياءً في بعض المناطق		
القاف (ق) ينطق جيما (ج) في بعض المناطق : بلقة تصبح بلجة[1]		
الجيم (مرقّقًا) ينطق ڨ في بعض المناطق[2]		

1. A. Jaussen في كتابه "عادات العرب في بلاد موآب".
2. يمكن لهذا النطق (التناوب بين القاف والجيم) والآخر المشار إليه أعلى السّياق (التناوب بين القاف والڨاف) يمكن ان يثتى، بالضبط في اللّهجة المصريّة (تحديدا في اسفل مصر)، بالتصويت الخاصّ للجيم المصريّ، الذي ينطق ڨ : فمثلا ينطق الجمل ڨملا. يمكن ان يتفسّر هذا النطق، فيما يبدو لنا، بتناوب مضاعف، في الأساس : حوّل الجيم إلى قاف، ومنه إلى ڨاف.
وهو ما يكشفه لنا معجم اللّغة العربيّة، فيما يخصّ التناوب الأوّل (الجيم والقاف) مع تواجد كلمات كثيرة (اسماء وافعال) ذات دلالات مشتركة (او جدّ متقاربة)، كلمات يتألّف جذرها تباعا من الجيم كما القاف.)
نعرض بعض الأمثلة على سبيل التمثيل :
- جرح "ادمى شخصا" مع الاسم جرح "كلم، كلمة" ↔ قرح (مرادف) مع الاسم قرح (مرادف)
- جرش "كسر، جرح غائر، طحنه بشكل خشن(القمح)" ↔ قرش "قطع، جمّع ووحّد"
- جرع "شرب دفعة واحدة" ↔ قرع " افرغ الوعاء(سكّير)"
- جرم "قطع، بترّ" ↔ قرم "قضم بالأسنان"

الدّال(د) ينطق في بعض المناطق جيما (ج) : بلدة تصبح بلجة
الجيم (المفخمة أو المستفالة) تنطق باء (ي) في بعض المناطق جبل تصبح يبل[1]

وقد قيد A. Van Der Branden في كتابه المعنون "الصّرف الفانقي" إبدالات أخرى للحروف في اللّغة الفانقيّة :

- حرف الميم (م) يبدل أحيانا بنون (ن) أو باء (ب) (وهو الفرق الملحوظ في اللّواحق بين البابليّة والسّبئيّة والفانقيّة والعربيّة)
- حرف الغين (غ) في العربيّة يصبح عينا (ع) في الفانقيّة
- التناوب بين اللاّم (ل) والنّون (ن) متوافر كفاية
- يصبح التاء (ت) أحيانا طاءً (ط)
- يبدل التاء (ت) أحيانا دالاً (د)
- يبدل الخاء (خ) حاءً (ح) في الفانقيّة
- يبدل الكاف (ك) أحيانا جيما (ج)أو قافًا (ق)
- يجري التناوب بين الحروف : الألف (أ) والواو (و) والياء (ي) (حروف العلّة)

وقائمة هذه الإبدالات أو التناوبات والإقلابات غير كاملة على الإطلاق. نعثر على هذه الفروقات الصّوتيّة الإقليميّة أيضًا في أيّامنا، واللّغة العربيّة المكتوبة إحداها ؛ لذا يتكلّم بعض اللّسانيّين عن العربيّة المغربيّة والأخرى العربيّة المصريّة أو تلك العربيّة السّوريّة أو العربيّة اليمنيّة، إلخ.

- جعف "اقتلع شينا، انهار (الجدار)" مع الاسم جعاف "الذي يجرف بكل شيء(طوفان) ↔ قعف "اجتث شجرة، اوقع شخصا" مع الاسم قعاف (مرادف)
- جفَ "ذهب بلله" ↔ قفَ (مرادف)
- جلفط "سدّ الواح السفينة " ↔ قلفط (مرادف)

1. A. Jaussen ، مرجع سبق ذكره.

2.2 الكتابات والتهجيّات[1]

1.2.2 الحروف الصامتة والصائتة

يقدّر E. Dhorme[2] أنّ «ساميو الجنوب هم من حافظ على الصوامت في مجملها. كما أنّ المخطوطات المنقوشة السَبئيّة والميناويّة، تستعمل تسعة وعشرين صامتا. وهناك حرف ذو طبيعة خاصّة ضاع من العربيّة، فتقلّصت إلى ثمانية وعشرين صامتا. وأمّا النصوص الحبشيّة القديمة فيعدّ فيها سبعة وعشرين صامتا، بإقصاء حرف صفير وآخرين نطعيّين، فأصبحت أربعة وعشرين. الأرميّة والعبريّة[3]، بفقدهما بعض الحروف الحلقيّة والمفخّمة، لم تستبقيا سوى اثنين وعشرين حرفًا صامتا. وختامًا فحذفُ الحروف الحلقيّة في البابليّة، جعلها تُحصي عشرين صامتا، والأشوريّة تقلّصت إلى ثمانية عشر بحذف حرفي العلّة : الواو (و) والياء (ي)».

وفي كلامه عن الحروف الصائتة، أضاف المؤلّف نفسه : «إذا انتقلنا من الصّوامت إلى الصّوائت، ومن الصّوائت إلى الصّرف والنّحو، باعتبارها هي الظّاهرة الأساسيّة، إذ أنّ الإعراب (بالحركات) هو الذي يُعلِمُ دور الكلمة في الجملة الساميّة، للاحظنا هنا أيضًا الرّوح المحافظة للعربيّة».

2.2.2 التهجيات

«الهجاء الأوقريتيّ (المسماريّ) يمثّل لنا إرهاصًا للتهجيات السّاميّة الجنوبيّة، بعدد وطبيعة صوامته المتناسبة مع الصّوامت العربيّة، التي تعدّ من الألِفِ ثلاثًا، لها أن تشغل وظيفة ثلاثة صوائت : آ، أو، إي، ممّا يرتقي بمجموع الرّموز

1. نقدّم هنا بعض الإشارات المرجعيّة، التي تخصّ هذا الموضوع، الذي عولج، في غير ما كتاب بشكل مستفيض، من طرف كتّاب مختصّين، عرب وغير عرب.
2. مصدر سبق ذكره.
3. يتعلّق الأمر بالفانقيّة، كما بيّناه أعلى السّياق.

المستعملة إلى ثلاثين. لقد حافظت اللّهجة الفانقيّة الأوقريتيّة على أقدم حالات الحروف الصامتة السّامية.

في المخطوطات المنقوشة المسماريّة للسّلالة الملكيّة البابليّة الأولى، نلتقي مع كامل تشكيلة الصّيغ الفعليّة، التي ظلّت في العربيّة الفصحى وعددها عشر. ممّا ييسّر المقاربة بين البابليّة القديمة والعربيّة الفصحى، هو أنّ النحاة الذين أدخلوا الهجاء العربيّ برموز صوتيّة، أعرضوا عن النطق العاميّ، واحتفوا بما يمكن تسميته القراءة العلميّة ... فلو أنّا قارنا بين تصريف الاسم في البابليّة القديمة والعربيّة الفصحى، فإنّ التتمّات هي نفسها في كلتا اللّغتين ... وهو التأكيد الصّارخ عن الرّوح المحافظة للنحاة الذين وضعوا تقييد اللّغة الفصحى للإسلام»[1].

حسب Ph. Hitti، في كتابه "تاريخ العرب" اشتقّت الكتابة السّبئيّة أو الحِمْيَريّة (العربيّة الجنوبيّة) من الكتابة السّينائيّة، وسمّيت هي الأخرى المسند، إشارة إلى طبيعة رسم حروفها.

أمّا الهجاء السّينائيّ فيرجع إلى خمسين وثمانمائة وألف (1850) قبل الميلاد، وهو من بشّر بالهجاء الفانقيّ، وهذا المذكور أخيرًا هو أصل الهجاء الإغريقيّ وجميع التهجيات الأروبيّة.

3. المعجم

1.3 عموميّات

يشير القاموس العربيّ-الفرنسيّ "للأب" J.B. Belot إلى كلمات عدّة مستعملةٍ في سوريّة أو في لبنان (وهو موطن فانقيا القديمة) ولكن لا أثر لها بين كَلِم سائر بلاد المشرق. في حين أنّنا نجد الكلمات ذاتها في المغرب، خصوصًا في الجزائر، وهو ما يُرافع بقوّةٍ لصالح أصلٍ معجميٍّ فانقيٍّ. هذه الهويّة المعجميّة، في كلتا المنطقتين، تعودُ إلى كون الفانقيّين سكنوا في وقت جدّ مبكّر بلدان المغرب العربيّ من جهةٍ، وكون اللّغتين البربريّة والفانقيّة كانتا جدّ متقاربتين، من

1. E. Dhorme، مصدر سبق ذكره.

جهة أخرى -قد رأينا ذلك أعلى السّياق- إلى غاية أنّ بعض المؤلّفين صرّحوا أنّ اهالي شمال إفريقيا تكلّموا البونيّة (وهي لغة مزيج من اللّيبيّة والفانقيّة).

فضلاً عن هذا، يمكن رصد حضور عددٍ من الكلمات الفانقيّة (الكنعانيّة) في معجم العربيّة الفصحى، وهي كلمات عَبَرتْ القرون، محتفظة بحيويّتها. كلمات مثل يم "بحر"، لبن "ابيض"، بعل "ربّ" أو "زوج"، "سيّد"، تعتبر ككلمات عربيّة كاملة الانتماء، وتظهر كما هي في جميع المعاجم.

كما نجد كلماتٍ عدّة كلديّة أو أكاديّة في معجم لهجات بلدان الرّافدين، واخرى قبطيّة[1] في اللّهجة المصريّة، وقسط كبير من الكلمات البربريّة في معجم اللّهجة المغربيّة. وهكذا مرّت كلمات كثيرة من اللّغات العروبيّة أوآبت في معجم العربيّة الفصحى (أي أنها قد مارت).

بعضُ الكلمات العربيّة يقدّمها علماء الاشتقاق على أنها فارسيّة، وهي في الواقع كلمات بابليّة (أو عروبيّة) على نحو :

- طاووس "الطّائر ذو الألوان الزّاهية المسمّى طاوسًا"

في العربيّة يعني الجذر ط. و. س. طاس "استعاد نضارته بعد علّة وسقم (محيّاهُ)" والصّيغ الفعليّة طوّس "تزيّن" وتطوّس "تجمّلت (امرأة)" مع الاسمين طوس "قمر، وجه متهلّل/ وجه نضر لشخصٍ نقهٍ" وطاووس "أي الطّائر" طاوس أو طاووس هي ايضًا اسم (شخص) مذكّر ومؤنث ؛ وقد تلقّب به أحد صحابة الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم، ورضي الله عنهم- (أشير إليه في صحيح البخاري).

- درهم "قطعة نقود فضيّة"، وهي كلمة أصلها (في البابليّة) "درج - منا"

- كنيسة "صومعة أو بيعة" تعني مكان تجمّع المعتقلين

---

1. "القبطيّة"، هي تبديلة للكلمة اليونانيّة aiguptos التي تعني "المصريّة".

وهي الكلمة كنيشتو البابليّة، ذات الأصل كناشتا أو كنيشتو "مجموعة رهبان" وقد انتقلت هذه الكلمة إلى الأرميّة بالجذر كنش الذي يعني "جمعيّة"، واشتقّت منها كناست بآرميّة "الكتاب المقدّس" بمعنى الجمعيّة، وبالتوسيع الدلالي "مقرّ البيعة" (أو "دار الجمعيّة"). وهو الجذر الذي نلتقيه في العربيّة مع كنس "دخل في جحر (كناس) (غزال، أيل)".

- النوروز والنيروز : أوّل أيّام السنة الشمسيّة الإيرانية. وهذا الاسم مؤلّف من نور "ضياء، بريق" أو نيّر "لامع، مشعّ" و روز أو روس (كتابة ثانية لرأس) بالكنعانيّة "أصل، زعيم، رأس (في البحر)، هامة، مبدأ".

- أنو : هو آلهة السّماء في مجموع الآلهة البابليّ. هو السّماء التي تمطر الغيث، نجد هذا الاسم في البربريّة، ذا علاقة بالماء : أنو يعني "نبع ماء، بئر"، كما أنه في العربيّة ينعت النوء "المطر"، وهي كلمة دارج استعمالها في المغرب، بهذا المعنى الأخير.

إذا ما أخذنا في الحسبان التناوب بين الألف (أ) والعين (ع)، وبين الواو (و) والياء (ي) (لقد رأينا ذلك في المدرج السالف)، فيمكن أن نلاحظ أنّ الكلمتين أنو وعين، تتألفان من حروف واحدة، وهما مترادفتان (يمكن الانتقال من واحدة لأخرى بعد الإقلاب).

تفسّر القرابة المعجميّة الوطيدة بين اللّغات العروبيّة هذا المنهج (السّيرورة) : واصل أهالي بلاد ما، بعد التاريخ الهجريّ، استخدام كلمات (مفردات) لغاتهم العروبيّة الخاصّة المتداولة قبل مجيء الإسلام، أو الأخرى ذات الاستعمال الفريد - إضافة إلى مرادفاتها بالعربيّة-. وهكذا أُدخلت كلمات عديدة عروبيّة وأعيد إدخالها أو تبنّيها، من طرف اللّسان العربيّ، بعد مجيء الإسلام. هذا اللّسان، حالاً مقام اللّغات الأخرى، احتضن كلمات كثيرة من اللّغات السّاليلات، ممّا أسهم في إثراء (تطوير) معجمه وتنويعه.

تسمح لنا معرفة اللّغات العروبيّة بأن نفهم بشكل أفضل اللّسان العربيّ في دلالتها، ومن ثمّة محاولة تفسير أبين للنصوص القرآنيّة[1]. فمثلاً، أشير في القرآن الكريم، إلى اسم آزر، بصدد الكلام عن والد إبراهيم -عليه السّلام- : مؤلّفون كثر استفاضوا في شرح هذا الاسم. قال بعضهم بأنه اسم علم، ورأى آخرون أنه لقب، إلخ. في الحقيقة آزر، كلمة بابليّة ترادف الكلمة العربيّة "عزيز" التي لها معنى "قويّ، قادر"[2]. وهذه الكلمة استخدمت لوصف وزير أو شخصيّة رفيعة، كما كان مع النبيّ يوسف-عليه السّلام-في مصر(سورة يوسف - الآية : 78) أو ذلك الذي رحّب به واحتضنه (سورة يوسف - الآية : 30).

يقدّر بعض المؤلّفين -بالاعتماد على شهادة الرّواية- أنّ جميع كلمات القرآن عربيّة ، وكتاب آخرون (بخاصّةٍ المستشرقين، وعلى أثرهم نفرٌ من الكتاب العرب) يزعمون أنه توجد كلمات أجنبيّة خارجة عن نطاق اللّغة العربيّة في القرآن، ويذكرون منها : قنطار، قسطاس، دراهم، فردوس، إلخ. جميع هذه الكلمات، حقيقة، كلمات عربيّة، وغالبًا من جذر رباعيّ، مشتقٌ من جذر ثلاثيٌ -وقد أبرزنا ذلك في هذا الفصل-.

يفهَمَ بمشقّة (جدلاً) نصٌ قرآنيٌ بعض كلماته لا تنتسب إلى معجم اللّغة العربيّة (أو إلى تلك اللّغات العروبيّة) ولا يستوعِبُهُ الأهالي المخاطبون به، وهو ما يتعارض مع تكرار -مرّات عدّة- الإشارة -بخصوص القرآن- "بلسانٍ عربيّ مبين".

2.3 الأضداد أو الأسماء المتضادّة

تحوز اللّغات العروبيّة عددًا من الكلمات التي تدلّ في الإبّان ذاته على الشيء وضدّه. وسياق الكلام (الجملة) هو من يُسعف في تحديد أيٍّ من المعاني يُرادُ لهذه الكلمات. على سبيل المثال :

- ترَب وأترب : " أثرى" - "افتقر"

---

1. حسب الرّواية، قد كلّف الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- بعض صحابته للدراسة السّريانيّة.
2. صرّح الطبريّ أن أبا إبراهيم كان حاكم كلدا ومقطع الملك نمرود.

- حشمة "تواضع، تحفّظ، خجل" - "غضب".

- أحمَ" ابيض" - " أسود".

- شعب "تفرّق" - "تجمّع".

- قعد "جلس، يقعد" - "انتصب".

3.3. ثراء اللّسان العربيّ المعجميّ وتعدّد المعاني

اللّغات العروبيّة، لغات حضارات على امتداد آلاف السّنين، صفّت الكلمات ونخّلت التعابير، وسمّت بدقّة الأعيان (الأشياء) والجمادات والحيوانات، التي فقِهها المتكلّمون بهذه اللّغات المختلفة. هؤلاء المتقدّمون تكلّموا عن أفكار واعتقادات ومفاهيم في ميادين متنوّعة كالشعر أو فنّ الصنفاء، الطّبّ أو العمران، الريّ أو الزّراعة، العلوم أو الدّين، إلخ. أي أنّ كلّ معجم في كلّ لغة عروبيّة، كان غنيًّا بحدّ ذاته. وحينما ظهر الإسلام، سترث اللّغة المشتركة جميع هذه المعاجم (أو على الأقلّ جزء منها)، التي ستنضاف إلى رصيد اللّسان العربيّ وتثريه[1].

فضلاً عن هذا، جعل تواجد مترادفات عديدة، وكلماتٍ أُلّفت بوساطة الإدخال أو الإقلاب، وكميّة كبيرة، من الكلمات المقرونة بحرف لاحق، وبخاصّة العدد الكبير لإبدالات الحروف، كلّ هذا جعل من معجم اللّغة العربيّة مدهشًا بقدر تفصيله. وأصبح تعدّد المعاني قاعدة وديدنا لغويًا.

1.3.3 تعدّد المعاني

أغلبيّة الجذور لها أكثر من معنى. حينما تنعت اللّغة العربيّة شيئًا أو كائنًا حيًا، فتسميته ذات علاقة ببنية أو وظيفة (بنية أو وظيفة هذا الشيء أو الكائن الحيّ)، جوهره أو جنسه، خواصّه المختلفة أو ميزاته، مزاياه، عيوبه، ...

---

1. هناك أكثر من خمسمائة (500) كلمة عربيّة، تستخدم لوصف الأسد، وأكثر من مائتين (200) لوصف الحيّة، وأكثر من ثمانين (80) لوصف العسل. ونجزم بوجود على الأقلّ ألف (1000) كلمة تعني السّيف، وأربعمائة (400) للتعبير عن الألم/ الحزن. وقد أحصي أربعة وأربعون وسبعمائة وخمسة آلاف (5744) كلمة مرتبطة بالجمل ...

ا / اسماء اعلام

وهكذا ترجمت أسماء عروبيّة عدّة من بلاد الإغريق، بخاصة تلك المشار إليها في الأساطير القديمة (مثل التي ترسم في إلياذة عمر، مثلاً). واسم علم واحد يمكن أن يحتمل معنيين أو ثلاثة متلازمة، هذه المعاني تتوافق مع أسطورة البطل، الذي يتلقّب بهذا الاسم، أو بتعريفه[1] :

- عَقيل، ملك المورمدون : اسم من الجذر عقل "ربط، أوثق القدمين"، مع الصفة عقيل[2]، التي يتماشى معناها مع تعريف هذا البطل. من أجل أن تجعله أمّه معصومًا من الجروح، غمسته في نهر إستوك، ممسكة إيّاه من عقبه (كعبه) الذي ظلّ عَطوبًا. دلالة ثانية للاسم عقيل هي "حكيم، فطن" توافقًا مع تنشئة عقيل، الذي نال تربية أحسن المؤدّبين، فانق وخيرون. معنى ثالث، مع الجذر نفسه هو "دفع فدية قتيل" : خلال حرب ثورا، قرّر عقيل استئناف القتال (ضدّ الثوراويّين) بعد موت رفيق طفولته فاطر-عقل، الذي قتله عقد-ثور، ابن بر- ريم. وثأر لرفيقه بقتل عقد-ثور؛
- هلأن، ابن دعقة-عليون، وسلف الهلانيّين : وهو اسم من الجذر هلّ "سقط بعنف (وابل المطر)" أو هلّل "خاف، لاذ هاربًا"-مع إبدال بين اللأم والنون-. لهذين المعنيين علاقة مع الطوفان (طوفان دعقة-عليون)، الذي دفعَ إلى فرار (أو هجرة) هلأن (وعائلته) نحو ناحية أخرى؛
- عذاب، ابن يوقسط وليًا، ملك طيبَة[3]، اسم جذره عذب "عاقب، قوم، كبّد معاناةً، أوجع"، مع الاسم عذاب جمعه أعذبة "عقوبة، وجع، نكال، ألم"، مَعَانٍ

---

1. انظر كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديم، من خلال علم الأساطير وتسمية الأماكن والعلميّات والمعجم".
2. عقيل، اسم عربيّ.
3. حسب موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique"، أبولو-ثور، (ابن قادم الفانقيّ) هو جدّ لعذاب، عبر حفيده ليًا. في مسرحيّة صفو-عقل "عذاب-الملك" يقول الملك الطيّبيّ عذاب : « يا اولاد يا سلأل الجدد للجدّ قادم ... ».

تتوافق مع هذا البطل الطَيبيّ، الذي قتل أباه وتزوّج امّه وفقاً عينيه، تصديقاً لما تنبأ به الكاهن.

في مسرحيّة عذاب-الملك، في آخر مشهد، استخدم صفو-عقل -على لسان عذاب- الكلمات نفسها التي يحتذها الاسم عذاب : ، الويلُ لي ! كما يغرزون مشرط الألم ... هذا النكال المبرّح الذي أتكبّد ... إذا كان ألمًا شرًا من الألم، فهو قدر (حظّ) "عذاب". وكتب، دائمًا بخصوص البطل : ، اليوم، شجن، غواية، موت، عار، من جميع الويلات التي لها اسم، ولا واحدة تعزب عن التذكر ،.

كما يمكننا، تأويل أسماء عدّة مشارٍ إليها في "العهد القديم"، مثلاً :

- يعقوب، مذكور في "العهد القديم" [1]:

• الفعل عقب يعني "أصاب، ضرب شخصًا على عقبه"، كما أشير في "سفر التكوين" : ، أخوه، الذي شدّت يده على عقب عيسو ، ،

• الاسم عقب ينحت "عقب القدم، الابن الذي يلي مباشرة"، كما ورد في "الكتاب المقدّس" : ، بعد الأوّل خرج أخوه يعقوب"، ،

• الاسم عقوب، يعني "خليفة جدير" وعاقب " وكيل، خليفة، قائم مقام"، كما يشرح في "العهد القديم" : ، أحد هذه الشعوب (التي تخرج من صلبك) سيكون أقوى من الآخر وسيخضع الأكبر للأصغر ، هذا يعني أنّ يعقوب، الأصغر باركه أبوه .الذي .جعله قيّمًا على أخيه عيسو، ("سفر التكوين").

ب/ أسماء جنس أو أفعال

- علم : يمكن أن يدلّ على "رمز، دالّ، علم، معرفة، جبل"

- بيت : (مثل النُصب "بيتئيل" يمكن أن يحتمل المعنى " دار، مسكن، معبد، مسجد"

- قرن : قرن الحيوان، قرن استشعار (الحشرات)، قمّة الرأس، حدٌّ مدبَّبٌ، زاوية حادّة، وقت، عمر، جيل، ..."

1. انظر كتابنا "العرب محرّكو الديانات الحنيفيّة الثلاث".

- رقى "صعد، ارتفع بدرجاتٍ" و"استخدم السّحر، الشعوذة" و"داوى مرضًا/ وَجَعًا بقراءة القرآن"

- واحدة من بين الأمثلة المنقولة من النصّ القرآنيّ، ويمثلها الفعل حمل :

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (سورة الجمعة-الآية : 5).

الجذر حمل يحتمل ثلاث دلالات :

- "عتل ثقلاً، عبئًا"
- "حفظ عن ظهر قلب (كتابًا)"
- "تثمر فاكهة (الشجرة)؛ يحبل، يفيض (النّهر)"

تفسّر الكلمة الأولى "حمّلوا" بـ"حفظ عن ظهر قلب" (كتابًا) ؛ الكلمة الثانية "يحملوا" لها معنى "رفع، أثمر (شجرة) ؛ هُنا أينَعَ علمًا (كتابٌ)، أفاد (غيره)" ؛ الكلمة الثالثة من الآية (التي استعمل فيها ثلاث مرّاتٍ هذا الجذر)، "يحمل" تعني "عتلَ ثِقلاً، عبئًا" (تتكلّم عن بهيمة العتالة هذه).

2.3.3 الاسم في لغة عروبيّة، يمكنه بإبدال أحد حروفه الحفاظ على المعنى ذاته في لغة عروبيّة أخرى

- بر يعني "ابن" في الأرميّة والفانقيّة وينطق بنْ في العربيّة،

- أنو، الذي معناه "نبع ماء، بئر" في البربريّة يصبح عين في العربيّة "نبع ماء، ثقب، أخدود، عَين (الإبصار)..."،

- أيرد في البربريّة تتحوّل إلى وَرْد في العربيّة أيْ "أسد"

4. حول تكوّن بعض الكلمات من معجم اللّغات العروبيّة

لقد رأينا في بداية هذا الفصل، بوساطة بعض الأمثلة، أنّ الجذر الثنائيّ مضاعف الحرف الثاني، يمكن أن يعطي جُذورًا ثلاثيّة (مع حرف ثالث متغيّر)

بمعنى واحد أو قريب. كما أنّ كلمات من اللّغة العربيّة المشتركة يمكن أن تساعد في تأليف (أو إعادة تأليف) بعض كلمات من معجم اللّغات العروبيّة، كلمات ذات مقطع صوتيّ وحيد، أساسًا، وهو ما يحيل بصفة طبيعيّة على قرابة اللّغات العروبيّة فيما بينها، من جهةٍ، ومن أخرى، قرابة هذه المتقدّمة مع اللّغة-الأمّ، وهو أيضا ما يحيل على واقع حيازة كلمات كثيرة بكتابة متقاربة، دلالات متجاورة، إن لم نقل متطابقة. وبهذا الصدد، كتب E. Renan : " نحن مدعوّون لتمثيل كلّ جذر ساميٍّ على أساس أنه يتألّف من حرفين جذريّين، إليهما ينضاف ثالث، ممّا لا يعمل إلاّ على إعطاء المعنى الأوّل أطيافًا (ظلالاً، معانٍ ذي علاقة بالمعنى الأوّل) وأحيانا لا يؤدّي إلاّ إلى استيفاء الوزن الثلاثيّ. وحيدات المقطع الصوتيّ ثنائية الجذر هذه (أي بحرفين)، المتحصّل عليها بهذا التحليل، تستثمر لصالح الطّرح الذي نعرضه، بأصل مشترك لمجموعات كاملة من الجذور الثلاثيّة لها جوهر دلالة واحد".[1]

يمكن تقديم مثالين عن هذه السّيرورة التكوينيّة، الأوّل بجذر فانقيّ، والثاني بجذر آخر من اللّغة البربريّة.

1.4 مع الجذر الفانقيّ : " ار " او " رَ "

تعني الكلمة الفانقيّة أر "حجرًا، جبلاً "، ويمكن كتابتها "ر". وبهذا الشّكل الأخير، بخاصّةٍ نجدها (الكلمة "ر") في العربيّة (أساسا في مستهلّ أو ختام الكلمة)، وفي كلماتٍ يكون فيها المعنى، عمومًا، ذا علاقة بالحجر، الصّخر أو الجبل، أو في كلماتٍ دلالتها مرتبطة مع الشّكل أو الخواصّ الطّبيعيّة للحجر. جميع الكلمات التي سنورد أدناه، مقتبسة من المعجم العربيّ - الفرنسيّ J.P. Belot :

أ/ افعال

- ا. ج. ج. اجّ "تسعّر (النّار)" ← اجّر "أنضج (الآجر)" مع آجّرة "حجر بناء منضّج على النّار"

1. مصدر سبق ذكره.

- ب. ث. ث. بث "بعثر شيئا" ← بثر "مقرح، أو تكسوه النّمل" مع بثر "قرحة، دمّل"

- ا. ك. ر. اكر
- ب. ح. ر. بحر } "حرث (الأرض)"[1] مع بحرة "بلد، منطقة"

- ج. ز. ا. جزا "قسم شيئا، اخذ حصّة/ قطعة من" ← مع جزيرة "ارض مطوّقة ماء"

- ا. ج. م. اجمّ "مسعّر، شديد (نارٌ)" ← جمرة اي "مادة تلتهب" وجمرة "حجر صغير/ جندل"

- ب. ع. ع. بعّ "أهراقَ الماء" (سحابة) ← بعر "رثّ (الماشية)" مع بعرة "جلّة، روث"

- ج. م. م. جمّ "صار متوفرا، فيّاضا" ← رجم "رمى الحجارة"

- خ. م. م. خمّ "كنس، نظّف (المنزل)" ← رخم "لطُف، نعُمَ" مع رخام "مادّة البناء والفنون"[2]

ب/ أسماء مع "ر" في نهاية الكلمة

- بذر	و بزرة "ما يطمر/ يُكفَرُ لينبت، حبّ"
- بصرة	"حجر ليّن" وجرة "قلة، خابية"
- برّ	"اليابسة"
- تبر	"برادة الذّهب أو الفضّة"

1. يكن معاينة الكلمة أكال في البربريّة وا. ك. ل. في الأكاديّة "أرض"، من جذر واحد للفعل أكر في العربيّة- بإبدال بين الرّاء واللاّم-. الفعل "حرث" في البربريّة يترجم الأرز من جذر واحد كما الكلمة العربيّة (بالتّناوب بين ق وك) بزيادة اللاّحقة ز.
2. للرمر، مادّة ناعمة وملساء، لها هذه الخاصيّة الصابة والنقيّة، مثل "مكنوس، منظّف".

- ثبرة	"أرض غائرة" وثبير "اسم جبل"
- بئر	"جبّ" وحجر "صخر" ، حاجر "جدار"

ج/ أسماء مع "ر" في وسط الكلمة

- بردة	"حبّة البَرَد" وبُرادة "نشارة الحديد"
- برمة	"وعاء حجريّ"
- ترب	" أرض"
- ترباء	
- ثربة	
- أرم و إرم	"حجر منصوب في الصّحراء"[1]
- هرم	" الهرم ، الشّكل الهندسيّ أو المعماريّ المعروف"

د/ أسماء مع "ر" في بداية الكلمة

- رتاجة	"جلمود، صخر"
- رجلى	"صلب، صلد (أرض)"
- رجمة	"كومة أحجار"
- ردم	"أنقاض متهاوية ومتراكمة، بناية محطّمة"

1. يمكن تجزئة هذه الكلمة إلى أر "حجر" وكلمة ثانية فانقيّة "رم" (أو زم أو رم) "عال، مرتفع"، التي نلتقيها في اسم ملك فانقيّ أخ-رم.

- رأس	"رأس (دخول اليابسة في البحر)، قمّة، هامة ..."
- راشح	"جبل سفحه مروي"[1]

- جميع الأفعال والأسماء التي ذكرناها للتوّ سيقت على سبيل المثال (انظر الملحق الرّابع).

عشرات أخرى، التي إحدى جذورها (أو إبدالاتها)، موجودة في معجم اللّغة العربيّة بالوجهة الدّلاليّة التي نبّهنا إليها. بطبيعة الحال توجد كلمات تألفت بالجذر "ر"، الذي ما من علاقة دلاليّة له مع "حجر" أو "جبل" : في هذه الكلمات، هذا المقطع الصّوتيّ ما ينبغي له أن ينتسب إلى معجم اللّغة الفانقيّة، ولكن ينتمي إلى معجم لغاتٍ عروبيّة أخراة.

2.4 مع الجذر البربريّ : "إسك" (أو إشك)

لهذا الجذر دلالات كثيرة : "بوق، قمّة جبل، جبل صغير، أنف الجبل" وأيضًا "منقار، حدّ مدبّب، أداة قاطعة، قرن ...". نعثر على هذا الجذر البربريّ إمّا في الحالة المرجعيّة الأصليّة أو في حالة التركيب، في كلمات عديدة من معجم اللّغة العربيّة.

أ/ في الحالة المرجعيّة الأصليّة

- سكّ	"مسمار، زرد معقود"
- سكّة	"سكّة المحراث، زاوية، سكّة لدمغ المعادن والنّقود" وأيضًا "طريق، نهج"[2]
- سكّي	"مسمار"

1. الجزء الثاني من هذا الاسم، ينبغي ان يكون الجذر وشح "وضع حزاما، طوقا لشخص، حلّى، جمّل شيئا"، مع الاسم وشاح "طوق، حزام".
2. السكّة هو طريق يجتاز او يعبر حيّا، او تجمّعا سكّانيّا.

- شكّ	"شقّ يسير في العظم"، أيضًا "الرّيب/ الظّنّ، الشّبهة"[1]
- شكّة	"ضربة حدّ"
- شِكّة	"سلاح"
- شوكة	"شوكة النبات، رأس مدبّب، سلاح، ميسم (الحشرة)، مهماز "منخس"

ب/ في الحالة المركّبة، مع الجذر

- سكت	▪ سُكات "الذي ينهش فجأة (أفعى)" ▪ مُسكّت "آخر سهم"
- سكف	سكافة "ترقيع النعال، مهنة الإسكافيّ" (الذي يخيط أو "يخرم" الجلد)
- سكن	سكّين "مدية، موسى"
- شكر	"طعن شخصاً، جرحه بسيف"
- شكم	"عضّ شخصًا"

3.4 كلمات ذوات الجذرين (العربيّ والفانقيّ)

يمكن أن نعثر على الجذرين المذكورين ، "ر" و "إسك" في الفعل سكر "ملأ (وعاءً)، حَجَزَ مجرى ماء"، معنى يلتقي مع الدّلالات الخاصّة بكلّ جذر، (أو الجذر شكر، الذي ذكرناه قريبًا من السّياق). أمّا الجذر "ر"، فهو الحجر الذي يستخدم أداةً لتشكيل وعاء، حوض ... أو جبيْل ("كدية")، يحجز مجرى ماء.

نجد الجذر سك (إسك) في الفعل سكب "سكب، إهراق (الماء)"، معنى له علاقة بالقرن الذي نستخدمه كركوة للشّرب.

---

1. هو رأي أو فكرة (سلبيّة) تمرّ بخلد شخص.

الاسم سكّر الذي يعني "المادّة المعروفة المستعملة للتحلية، عنب محلّى، رطِب" له معنى يتفق مع شكل أو هيئة الحجر (حبّة رمل، حصباء، حصاة، جمرة، حجر، إلخ.). يمكن تفسير هذه الكلمة -باعتبار معنى أصلها- بـ "صخرة مكسّرة، مصهورة أو مشقّقة". يَظهر سكّر القصب المبلور المسمّى بالقند، ببلورات كبيرة شفّافة وصلبة، أمّا العنب الجافّ (الزّبيب) أو الرّطِب، فلهما خاصّة الأحجار أو الحصى الصغيرة[1].

نجد الجذر سكر في تسمية مكانين في الجزائر :

- بسكرة : هو اسم واحة ومدينة تقع في الجزء الشماليّ للصّحراء. يتكوّن هذا الاسم من ب أو بو التي تعني " أبُ، مالك ..."، من جهة، ومن جهة أخرى، "إسك" و "ر" اللّذين حدّدناهما أعلى السّياق. يمكن تفسير تسمية المكان هنا بالتالي بـ "مدينة الأحجار المتصدّعة أو المشقوقة" أي "مدينة الرّمل"، والرّمل هو حاصل تكسير وسحن طويل للحجر.[2]

يمكن أن نلاحظ أنّ كلمةً واحدة (سكر) تنعت السّكّر كما الرّمل -في الأصل- وهو ما يتفق مع تحديد هاتين المادّتين وتشابههما التشكيليّ.

- أسكرم : اسم جبل، في الأهقار (جنوب مدار السّرطان). يعني هذا الاسم "قمّة (أو أنف) الجبل والجبل المرتفع" أو "سلسلة الجبال" إذا اعتبرنا أنّ الكلمة رَم دالّ جمع.

4.4 مع جذر آخر بربريّ، "رَ"

جذر ثانٍ بربريّ -بالتحديد رَ- يوجد أيضًا في تركيب كلمات معجم اللّغة العربيّة (انظر الملحق 2.4).

---

1. الجذر البربريّ اسكَر له معنى "نفض الغبار" (الغبار باعتباره "ترب او كلّ مادّة تؤول إلى طحين رقيق") وكذا معنى الجذر إسكيَرِي "فصل، نثر، تحطّم".
2. الرّمل هو حاصل حتّ طويل للصخور، بفعل المؤثرات الطّبيعيّة (هواء، أمطار، المدّ والجزر، ...). مكوّناته تقريبا صوّانيّة تماما.

اخترنا هذا الجذر كونه نظير الجذر الفانقيّ الذي كنّا درسناه الآن ولكن بمعنى مختلف : بالبربريّة يعني را "الكتابة، المكتوب" (اسم).

أ/ افعال واسماء جنس

- س. و. ل.	سال	"طلب، استفهم"
- س. أ. ل.	سأل	"طلب، توسّل"

← هذان الفعلان يشكّلان الجذر رسل

الجذر رسل يعني "بعث، أصدر خطابًا" مع الاسمين رَسالة "خطاب، كتابة (رسالة)، مهمّة" ورسول "داعٍ (نبيّ)، مرسل (نبيّ مبعوث)". معنى "مكتوب" يظهر في هذه الكلمات بجلاء.

- سوَم "علّم رمزًا " مع سمة "علامة، رمز"

← رسم "خطّ، علّم امارات، صوّر" مع الاسم رسم "بقيّة، بصمة، خطّ، مرسوم، تصوير".

- وقم مع وقام "صفيحة، عصى، سوط، مشكّ"

← رقم "كتب" مع رقم "رسم مُتخذ على كتان" وأيضا "كتابة، رقم" و رقيم "كتاب"

- قنّ "عاين، فحصَ شيئا" مع قنن "اسلوب، طريقة" وقانون "قاعدة، تشريع، استعمال، عادة/ عرف "

← رقن "كتب بحروف بديعة" مع الصّيغة رقّنَ "كتب (كتابًا) بخطوط متراصة/ مرصوفة، سجّل ..."

- وقى "حمى، حافظ (على شيء)، منع من الخطر، صان شخصًا"

← رقى "استعان بالسّحر، عوّذ شخصًا" مع الصّيغة رقّى "رفع الرّتبة الرّقميّة (العدد)"

ب/ أسماء أعلام

جبريل أو جبرائيل -عليه السّلام- : اسم المَلِكِ الذي نقل القرآن إلى الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-. هذه التسمية يمكن تجزئتها إلى أجزاء ثلاثة.

- جاب من الجذر جاب "أحضر، جَلَبَ شخصًا أو شيئًا"
- رَا (أو رَ)، تعني بالبربريّة "كتاب، كتابة، مخطوط"
- إيل أو آل، الله في اللّغات العروبيّة، وهو اسم يدخل في تأليف تسمية أشخاص، مثل : إسماعيل، رفعائيل، خليل، وانيل ... هكذا يمكن أن يعني الاسم جبرائيل "الذي يُحضِر (ليُوصِل) كتابًا من الله"

5.4 مع الجذر المصريّ "رَ" أو "رع"

بعض الجذور المصريّة، تدخل في تأليف كلمات المعجم العربيّ. هذا الجذر على سبيل المثال، هو قريبٌ كتابةً وصوتا، من الجذرين المتجانسين (البربريّ والفانقيّ) المذكورين : يتعلّق الأمر بالجذر أو بالمقطع الصّوتيّ "رع"[1] يعني "شمس أو آلهة الشمس". هذا الاسم جزءٌ من تسمياتِ ملوكِ مصريّين كُثرٍ، انطلاقًا من السّلالة الملكيّة الثانية.

تألّف عدد من أفعال وأسماء معجم اللّغة العربيّة، من هذا المقطع الصّوتيّ (انظر الملحق 3.4)، وهي كلمات معانيها تمُتُّ بصلةٍ -متينةٍ نوعٍ ما- إلى الضّوء أو خاصيّة هذا الكوكب (الشّمس)، أو ظاهرة كونية أخرى :

ر. ع. ج.	رعج	"لمع بالتتابع (برق)"
ر. ع. د.	رعد	"أرعدت (السّماء)، توعّد شخصًا" مع الأسماء

1. المقطع الصوتيّ "ر" يمكن اعتباره كالشكل المرخّم لـ"رع" ، في الفانقيّة، الحرف عين (ع) في وسط اسم، يمكن تمثيله في صيغة إدخال.

		رعد "رعد (الظّاهرة المعروفة)، فرقعة" ورعدة- رعش- روع - "ارتجاجن خوف"
- ر. ع. ر. ع.	رعرع	" أنبت النّبت (الله هو من أنبت)"
ر. ع. م.	رعم	"رصد الشّمس حين غروبها"
ر. ع. ن.	رعن	"أصاب دماغ فلانٍ (الشّمس)"

يمكننا أيضًا أن نصادف في جنوب الجزيرة العربيّة آلهة نظيرة للمصريّة : هي الآلهة رعت[1]، آلهة السّبئيّين، في حين تسمّى هذه الآلهة في وسط الجزيرة العربيّة شمس.

وهناك اسم آخر مصريّ مشهور يضمّ هذا المقطع الصّوتيّ، رع : ويتعلّق الأمر بالكلمة "فرعون"، التي تنعت الملك (ملك مصر). وكان هذا الأخير يعبد كآلهة من طرف رعاياه[2]. وحسب مؤلّفين عدّة (ومن بينهم Maspéro في كتابه "تاريخ المشرق")، فرعون تعني بالمصريّة "البيت الكبير"، إشارة إلى القصر الملكيّ. في الواقع بالنّظر إلى الكلمة الأصليّة، ينبغي أن تنطق بر- عوى، الكلمة التي تطوّرت وتحوّلت إلى فرعون (حسب أقوال عالم الآثار المصريّة Breasted[3]) الذي ذكره محمّد عزّة دروزة.

النّون الأخير (أو ون) هي لاحقة استعملت بكثرة في اللّغات العروبيّة، في أسماء الأعلام ...

حمد ⟵ حمدون ← حمد "شكر الله"

سعد ⟵ سعدون ← سعد "صار جذلاً"

(ب) فرع ⟵ فرعون ← (ب) فرع "تفوّق على شخص" (مع التناوب بين ب و ف)

---

1. G. Ryckmans، في كتابه "الديانات العربيّة ما قبل الإسلام".

2. نجد هذا الاسم الرّمز في فرنسا، في القرن السّابع عشر إلى الثّامن عشر (الموافق للقرن الثّاني عشر للهجرة)، مع Louis XIV، "الملك-الشّمس".

3. في كتابه "تاريخ مصر منذ أقدم العصور".

... وكذا الحال بالنسبة لأسماء الجنس :

دخ ← "دخان"

هذه القراءة لبرعون، لم تهمل بالنظر للمعنى، اكثر قبولاً من معنى "البيت الكبير ": فعلا، حسب رأينا، بر-عوى شكل مرخّم للتعبير بر-رعوى أو بر-رع أي "ابن الشمس" أو "ابن آلهة الشمس"[1].

نجد هذه الكلمة (مختصرة) في الجذر العربيّ برع الذي يعني "تفوّق في العلم، بجدارة ، انتصر على شخص" مع الأسماء براعةً "امتياز، استحقاق، اتقان" وتبرّع "هبة تلقائيّة". جميع المعاني هذه تبدو متفقة مع الشمس وخواصها وفضائلها. كما أنّ الجذر برع يمكن أن يعطي الجذر الرّباعيّ برعم "كمّ النبات" والاسم برعوم "كأس الزّهرة"، كلمة يمكن أن تقرأ فرعون - مع تناوب بين الحروف ب و ف، م و ن- إذا ما استذكرنا أنّ إزهار أو تبرعم النباتات لا يُنتج إلاّ بفضل ضوء النّهار وتحت أشعة الشمس. يمكننا القول إذا أنّ البرعم (أو الزّهرة) هو ابن الشمس[2].

1. بر تعني "ابن" في كثير من اللّغات العروبيّة. نجد هذه الكلمة في اسماء ملوك مصر(منها بر-إب-سن، من العائلة الملكيّة الثانية).

2. في المخطوطات ذات الكتابة المقدّسة القديمة المصريّة، الفراعنة "أبناء الشمس" ينعتون بـ"واهبي الحياة والسّعادة".

الملحق الرّابع -1-

استعمال الحرف الصّوتي (ر)
(الفانقيّة) في بداية كلمات المعجم العربيّ
(مع المعنى "حجر، جبل" أو "فكرة العلويّة")

		الجذر
"قمّة جبل"	رأس	ر. أ. س.
"مكان عال حيث يرابط الحارس"	مرباة	ر. ب. أ.
"حجر يشدّ السّور مجتازا إيّاه"	رباط	ر. ب. ط.
"حجر يعتل لاختبار القوّة"	ربيعة	ر. ب. ع.
"تلّة، ارتفاع"	ربوة رباوة	ر. ب. و.
" ارتفاع"	مرتبة	ر. ت. ب.
"جلمود، صخر"	رتاجة	ر. ت. ج.
"صلدة، صخريّة (أرض)"	رجلى	ر. ج. ل.
"حجر موثق إلى حبل بئر" "قبر" ورجم "قنيفة، القتل رميا بالحجارة"	رجام رجم	ر. ج. م.
"حجارة نخرة خفيفة"	رخفة	ر. خ. ف.
"حجر أملس (مادّة) البناء المعروف والفنون"	رخام	ر. خ. م.
"مَرقب"	رصد	ر. ص. د.
"سلسل حجارة في مجرى ماء"	رصَف	ر. ص. ف.
"حجارة يوقد عليها حتى إذا صارت لهبا ألقيت في القدر فاغلت الحليب"	رضفة	ر. ض. ف.
"عال، مرتفع"	رفيع	ر. ف. ع.
"كومة تراب" أو رمل	رُكام	ر. ك. م.
" تراب دقيق (يوجد على شاطئ البحر أو في الصّحراء)"	رمل	ر. م. ل.
" شعفة، حدّ الجبل"	ريد	ر. ي. د.
"الأنف العظيم من الجبل تراه متقدّما(بارزا)"	رعن	ر. ع. ن.

الملحق الرّابع -2-

استعمال الحرف الصّوتي (ر)

(البربريّة) في بداية كلمات المعجم العربيّ

(مع المعنى "مكتوب، كتاب" أو "فكرة القراءة أو الكتابة")

الجذر		
ر. أ. ر.	رأر	"جال ببصره ونظر بانتباه"
ر. أ. ى.	رأى	"أبصر، لمح، حكم، اعتقد شخصا أو شيئا" مع الاسم راءة "رمز/علامة، دليل"
ر. ب. ي.	ربى	"نشأ، رعى طفلا" مع الاسم تربية "أن تكلأ طفلا وترعاه" مع اسم الفاعل مربّ "معلّم/ مؤدّب"
ر. ت. ل.	رتل	"قرأ بطلاقة/ بيسر/ بغتة"
ر. ت. و.	رتا	"وضع رمزا/علامة" ورتأ إلى "وحّد، ضمّ شيئا إلى"
ر. ج. ل.	رجّل	"مشّط شعرا" مع اسم الفاعل مُرجّل "رسم الوجوه الآدميّة (قماش)"، "الذي يترك أثرا على الرّمل (جرادة)"
ر. د. د.	ردّ	"جواب، تفنيد/ دحض"
ر. ز. ز.	رزز	"شذّب، رطّب، ملّس الورق دون تسطير"
ر. ز. م.	رزم	"لفّ، ثنى شيئا" مع الاسم رزمة "حزمة ورق"
ر. س. ل.	رسل	"خطب" مع الصّيغة راسل "أجرى تواصلا كتابيًا مع شخص" مع اسم المفعول مُرسل "منقول (نصّا، خطابا)" والاسم رسالة "كتاب، خطاب مبعوث ..."
ر. س. م.	رسم	"ترك أثر شيء ما (على الأرض)"، "خطّ، صوّر، جعل علامات على ..."، مع الاسم رسم "خطّ، علامة، أثر، مخطّط، تصوير"
ر. ق. ش. ر. ق. ط.	رقش رقط	"زخرف، حلّى (كتابا، خطابا)" "بقّع، وشّى بالأسود والأبيض"
ر. م. ج.	رمج	" شوّه الخطّ/ الكتابة"

الملحق الرّابع -3-

استعمال الحرف الصّوتي (ر)

(المصريّة) في بداية كلمات المعجم العربيّ

(مع المعنى "شمس، .." أو "فكرة اللّمعان والرّعب")

الجذر		
ر. أ. د.	رأد	"وقت الضّحى، حيث تسطع الشّمس في أسمى تألّق/ رونق الضّحى"
ر. ب. ض.	أربض	"تلمع ببريق (الشّمس)"
ر. ب. ع.	رُبع	"حمّ رباعيًا"
ر. ج. ج.	رجّة	"انقصاف الرّعد"
ر. ج. ز.	ترجّز	"أرعدت (السّماء، الرّعد)"
ر. ج. س. ر. ج. ف.	رجس رجف	} "دوّى (الرّعد)"
ر. د. ع.	ردع	"امتقع لونه" و ارتدع " صار لونه زعفرانيًا (من الفزع)"
ر. د. م.	ردم	"طالت(الحمّى)"
ر. د. ن.	أردن	"طالت(الحمّى)"
ر. ص. ع.	رصع	"وشّح بالأحجار(سلاحا)، قلادة ذهب"
ر. ع. ب.	رعب	"أفزع شخصا بـ.... " مع اسم الفاعل راعب "المخوّف/ المخيف، المفزع"
ر. ع. د.	رعد	"صوّ ت للإمطار (محلّها السّماء)" وأرعد "تملّكه الفزع" مع الاسم رعد " صوت يدوّي عقب وميض البرق، انقصاف"
ر. ع. ش.	رعش	"ارتعد، ارتجف"
ر. ع. ص.	رعص	وارتعص "ومض (برق)"
ر. ع. ن.	رعن	"أصابت دماغ شخص (الشّمس)"
ر. ف. ف.	رفّ	"ومض(البرق)"
ر. ق. ر. ق.	ترقرق	" اهتزّ وبرق"
ر. ك. د.	ركد	"بلغ ذروة مساره (الشّمس)"
ر. م. ض.	رمض	"صار محرقا (نهار الصّيف)، أحرق، أضرم(الشّمس)"

الملحق الرّابع -4-

استعمال الحرف الصّوتي (ر)

في وسط كلمات المعجم العربيّ

المعنى	الجذر		
ج/ ح	ج. ر. ذ	جرذ	"تكوّن ورم(جرح)" مع الاسم جرذ "ما يحث في عرقوب الدّابّة من تزيّد وانتفاخ عصب"
ش	ب. ر. ع	براعة	"امتياز، جدارة، اتقان"
ش	و. ر. ع	ورع	مع الاسم ورع"خشية الله، اجتناب كلّ محرّم أو مشبوه، تعفّف"
ج/ ح	ف. ر. ع	فرع	مع الاسم فرع "ذروة الشّيء، أوج، برعم ،... " وفرعة "ذروة الجبل"
ش	أ. ر. ث	أرَث	"أوقد النّار" مع الاسم أرثة "قابل للاشتعال"
ش	أ. ر. ش	أرَش	"أوقد النّار"
ج/ ح	أ. ر. م	إرَم أرِم	"حجر منصوب في الصّحراء"
ش	ب. ر.ق	برق	"ومض(البرق)"
ج/ ح	ب. ر. م	بُرمة	"قدر حجريّ"
ك	ب. ر. ي	برى	"قلّم قلما"
ج/ ح	ج. ر. ل	جرل	"أصبح صلبا، صخريًا"
ج/ ح	ح. ر. ش	حرش	"أصبح صلبا، خشن الملمس"
ج/ ح	ح. ر. ف	حرف	مع الاسم حرف"حدّ، منقار الجبل"
ك	ح. ر. ف	حرّف	"قلب أو غيّر الكلمات"، "زوّر كتابا"، "برى (بزاوية/ بميل) قصبا للكتابة به"، مع الاسم حرف "واحدات الهجاء"
ج/ ح	خ. ر. م	خرم	مع الاسم خرم"منقار جبل"
ش	ح. ر. ق	حرَق	"أضرم نارا كبيرة"
ج/ ح	ه. ر. م	هرم	مع الاسم هرم "الشّكل الهندسيّ والمعماريّ المعروف"

حيث : - ج/ ح : معنى ذو علاقة بالجبل أو الحجر.

- ش : معنى ذو علاقة بالشّمس.

- ك : معنى ذو علاقة بمكتوب أو كتاب.

الملحق الرّابع -5-

استعمال الحرف الصّوتي (ر)

في نهاية كلمات المعجم العربيّ

المعنى	الجذر		
ك	أ. ث. ر.	أثر	"ذكر (حقيقة/ واقعة)" وأثر في "طبع، ترك بصمات"
ش	أ. و. ر.	أوار	"اضطرام النّار، شدّة العطش"
ج/ح	ب. ث. ر.	بثر	"دمّل، نافطة"
ش	ب. خ. ر.	بخر	"دخان يصاعد (عن قدر)"
ش	ب. د. ر.	بادر	"يلمع في كامل سناه" مع الاسم بدر "اكتمال القمر"
ك	ب. ص. ر.	بصر	"أدرك، رأى"
ج/ح		بصرة	" حجر طريّ "
ج/ح	ث. ع. ر.	ثعر	"مغطى ثؤلولا"
ج/ح	ث. غ. ر.	ثغر	"شرخ، ثلم حائطا"
ج/ح	ج. د. ر.	جدر	"مغطى بثورا"
	ح. ث. ر.	حثر	
ش ج/ ح	ج. م. ر.	جمّر جمارة	"تفحّم" مع جمرة "المادّة الصّلبة الملتهبة" "حصاة، حجرة"
ج/ ح	ج. ي. ر.	جيّر	"جبس"
ج/ ح	ح. ج. ر.	تحجّر	"تصلّب " مع الاسم حجرة " صخرة"
ج/ ح	ح. ف. ر.	حفر	"نقب، نقب الأرض"
ج/ ح	ح. ك. ر.	تحكّر	"خزّن واستأثر بالحبّ "
ك	خ. ب. ر.	خبر	" على اطّلاع، أحاط بعلم شيء ما"
ج/ ح	خ. ر. ر.	خرّ	" ثقب في الطّاحونة منه يلقى الحبّ"
ك	ط. ر. ر.	طرّة	"تليمّ، شقّ، تأشير"
ج/ ح	ط. و. ر.	طور	"جبل"
ج/ ح	م. ط. ر.	مطر	"أعطى، صبّ مطرا (من الحجارة)، وقع(طائر)"
ش	ن و. ر.	نار	"عنصر طبيعيّ فعّال" ونور "ضوء"
ك	ن. و. ر.	نورة	"علامة توضع بحديد محمّى"

الملحق الرّابع -6-

استعمال الحرف الصّوتي (ر)

معنى ذو علاقة بالماء (الذي ينزل من السّماء أو من النّبع المنبجس من الصّخر او الجبل)

الجذر		
ر. ب. ع.	ربع	مع الاسم ربيع "مطر ربيعيّ"
ر. ت. خ.	رتخ	مع الاسم رتخة "حمأة/مستنقع موحل"
ر. ت. ع.	رتع	"أكل وشرب حتى الشّبع و الرّيَ (أنعام)"
ر. ث. د.	رثد	"صبح قذرا / نجسا (ماء)"
ر. ج. س.	رجس	"اختبر عمق الماء"
ر. ج. ل.	ترجّل	"نزل بئرا (دونما حبل)"
ر. ح. ض.	رحض	"غسل، نظّف (الثّياب، اليدين)"
ر. ح. م.	رحِم	مع الاسم رحِم "رحم المرأة، روابط دمويّة"
ر. خ. ي.	تراخى	"أمطرت مطرا خفيفا (السّماء)"
ر. د. غ.	ردغ	" أصبحت موحلة (الأرض)" مع الاسم ردغة "وحل سميك"
ر. د. م.	ردم	"ساح/ جرى (سائل)"
ر. ذ. ذ.	رذّ	"أمطرت مطرا رفيعا (السّماء)" مع الاسم رذاذ "مطر خفيف رفيع"
ر. ز. ز.	رزّ	"هدرت (السّماء، السّحب)" مع الاسم إرزيز "بَرَد صغير"
ر. ز. غ.	رزغ	"أصبحت موحلة (الأرض)"
ر. ز. ق.	رزق	مع الاسم رزق "الغيث الذي ينبت الحبّ"
ر. س. غ.	رسغ	"بلّلت الأرض (المطر)"
ر. ش. ش.	رشّ	"نضح، سكب (ماء، دم، ...)" مع الاسم رشّ "مطر خفيف"
ر. ع. ف.	رعف	مع الاسم رعوف "أمطار رفيعة"
ر. ع. ن.	رعن	وارثعنّ "أمطرت دونما انقطاع (مطر)"
ر. غ. ف.	رغف	"عجن بيديه (طحينا، طينا)"
ر. م. ق.	ترمّق	"شرب بجرعات صغيرة (ماء، حليب، ...)"

5. جملة القول

إنا كنّا تكلّمنا فيما تقدّم من سياقٍ عن اللّغات العروبيّة، التي يمكن أن نسمّيها لغات ما قبل العربيّة، كون كثير من كلمات هذه اللّغات اشتقّت من معجم اللّغة-الأمّ، كما يمكن تسجيل القرابة البنوية الموجودة بين جميع هذه اللّغات. وقد بيّنا ذلك -مع E. Dhorme- بخصوص البابليّة والعربيّة الفصحى أو البربريّة والفانقيّة[1]، من جهة، ومن أخرى، من خلال جذرين أنموذجين.

في حين أنّ قولنا بأنّ اللّغات العروبيّة لغات ما قبل العربيّة (تحديدًا اللّغات التي سبقت العربيّة)، فهذا لا يعني أنّ اللّغة العربيّة الفصحى هي سليلة المتقدّمات (اللّغات العروبيّة). قد رأينا في الباب الثاني (الفصل الثاني)، أنّ الجذع المشترك قد انقسم، بداية من أحفاد نوح -عليه السّلام-، إلى فروعٍ كثْرٍ (أو لغات). من هذه اللّغة-الأمّ، التي تكلّمها نوح -عليه السلام- وأبناؤه، وكما أشرنا في مقدّمتنا -بالاعتماد على الرّواة المسلمين- تكلّمها آدم وذرّيّته، اشتقّت جميع اللّغات العروبيّة.

يمكن أن نتصوّر أن جزءًا من معجم مختلف اللّغات العروبيّة تأتى بعد السّيرورة التحليليّة (أي بعد تجزّأ الكلّ إلى أشطر) لبعض كلمات معجم اللّغة-الأمّ، بعد استعمال طويلٍ ممتدٌ على قرون عديدة، إن لم نقل آلفيات وباستخدام متعدّد الأوجه لكلّ جذر أو مقطع صوتيّ (أو حرف) مكوّن لهذا الجذر، في كلّ من هذه اللّغات. الجذر العربيّ رأى "أبصر" الذي أعطى يارا "كتب" و را "كتابة، كتاب" (في البربريّة)، يمكن أن يقدّم كمثال : فالمعنيان مرتبطان، الثاني لازمٌ عن الأوّل (تحصيل للأوّل).

هكذا تطوّرت اللّغات العروبيّة، كلّ منها في فضاءٍ استوصاقيّ-أرضيّ محدّدٍ (مُعيّن)، فضاءً مترامٍ نوعًا ما حيزًا وزمنًا... إلى غاية الحقبة المنحصرة بين بداية العهد المسيحيّ ومجيء الإسلام، كما بيّناه أعلاه. وقدْ مهّدت العربيّة الوسطى أو

---

1. انظر كتابنا "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة".

الحجازيّة المهد للّغة المشتركة، مُلتقى جميع اللّغات العروبيّة ولسان القرآن. مرورًا بإعادة التأليف بين الأجزاء المختلفة في كيانٍ واحد، أي بعد إجراء تركيبيّ لجميع اللّغات العروبيّة (متعلّق بالمعجم)، تسنّمت اللّغة العربيّة الوسطى إلى المنبع الأصليّ واندمجت أخيرا للّغة-الأمّ.

يمكن معاينة مختلف هذه المراحل بدلالة الكلمتين م (أو إرم) وهرم -المتجانستين-المترادفتين، فيهما تناوب بين حروف-أصوات الألف (أ) والهاء (هـ)- (كما رأينا أعلاه). هذا المثال يمكن أن يسمح لنا بتفسير منهج انقسام كلمة في اللّغة-الأمّ إلى كلمتين مختلفتين في لغة عروبيّة سليلة (يتعلّق المثال بالفانقيّة)، ثمّ منهج إعادة تجميع هاتين الكلمتين اللّتين لم تعودا تشكّلان إلاّ واحدة : تعني إرم بالعربيّة "حجر منصوب في الصّحراء"، كلمة تعطينا في الفانقيّة إز أو أر - "رّ" أي "حجر (أو جبل)" و رَمْ (رِمْ أو رُمْ) "مرتفع، عَالٍ". في حين أنّ هرم في العربيّة، التي تعني "هرم (الشكل الهندسيّ أو العمرانيّ المعروف)" تعطي في الفانقيّة هارَ أو أر - "رّ" "جبل (أو حجر)" و رَمْ "مرتفع، عالٍ". هذا التأويل يدعَمُهُ الجذر العربيّ هرم، الذي له معنى "قطع (شيئا) إلى أجزاءٍ صغيرةٍ"، صورة واقعيّة للهرم الذي يمثل مظهر جبل "مقطوعٍ إلى أجزاء صغيرة"، هذه الأجزاء الصّغيرة التي هي الأحجار (الضّخمة) التي تشكّل هذا البناء[1].

يمكن أن نقدّم هذا الأنموذج كترجمة ملموسة لمنهج تفكيك (أو تحليل) كلمات معجم اللّغة العربيّة ولمنهج إعادة تأليف (أو تركيب) كلمات معجم اللّغات العروبيّة. اسم ما من اللّغة-الأمّ يتواجد في حالة "بناء"، كامل (مثل جبل). بعد انبعاث لغة عروبيّة مَا (إثر انقسام الجذع المشترك إلى فروع عدّة) هذا الاسم ينشطر (هنّ الأحجار أو الصّخور اللاّئي ينفصلن عن الجبل) معطيًا كلمتين (في العموم) أو أكثر. في المرحلة الثالثة نرجع -تدريجيًا- إلى لغةٍ جدّ

1. لقد تطلب تشييد هرم خوفو، في الجيزة، استخدام ثلاثمائة ألف ومليوني حجر، وزن كلّ واحد حوالى طنّ ونصف طنّ. لقد كان الهرم رمزا لعبادة الشمس.

قريبةٍ من اللّغة-الأمّ، العربيّة الوسطى أو الحجازيّة. هكذا تجرى إعادة تجميع الكلمتين من لغتنا العروبيّة، اللّتين لا تشكّلان إلاّ كلمة واحدة (أي إعادة تكوين أو إعادة بناء الجبل، بالتحديد في مثالنا، الهرم).

وما يمكن ملاحظته أيضًا في هذا الجذر -فيما يخصّ تعدّد معاني الكلمات العربيّة، والدقّة الصارمة لمختلف مفاهيمها- هو كون الاسم هرم يعني أيضًا "ذكاء، روح" كما "مسنّ، عاجز" : هذه المعاني تتفق مع الهرم، مدفن ملوك مصر، الذي يفترض (يعتقد) انه يحرس روح المتوفّى، أمّا الجثّة، فليست إلاّ غلافًا ماديًا لجسد "هرم وعاجز".

فضلاً عن هذا، اسم فرعون (او بصيغة أدقّ "برعون") -بتناوب بين الحرفين باء وفاء- قد يكون، اعتمادًا على المعنى الأصلي الذي اقترحناه، في تناسب مع المضمون الدّينيّ، أي عبادة الشّعب المصريّ مَلكهم معتبرين إيّاه إلهً ("ابن الشّمس")، هذا من جهة، ومن أخرى، مع المضمون التاريخيّ والجدول الزّمنيّ للسّلالات الملكيّة لمصر. قد رأينا أعلى السّياق (الفصل الثالث من الباب الأوّل) أنّ الهجرات العروبيّة وصلت في وادي النّيل قبل الألفيّة السّادسة، اي قبل تأسيس أوّل مملكةٍ موحّدة. هم الأهالي المهاجرين، ذوو لغات عروبيّة من أتاح توحيد المملكة (حسب عالم الآثار المصريّة Breasted، نقلَ ذلك محمّد عزّة دروزة في الصّفحتين 42 و43 من كتابه[1]) وجلبوا معهم حضارتهم ولغتهم (حسب عالم الآثار المصريّة سليم حسن، ذكر ذلك محمّد عزّة دروزة في الصفحة 43 من كتابه). هم خلفاء مينا -يخبرنا Breasted (الذي لا يعطينا ترجمة فرعون أو برعون)- ، الأوائل، الذين سموا أنفسهم برعوى، -هذا الاسم الذي أصبح بعدها فرعون-.

يمكن أيضا معاينة كلمات من اللّغة العربيّة يدخل في تركيبها المقطع الصّوتيّ "رع" مثل راع "حارس الماشية، حاكم" مع الفعل رعى "أرعى (قطيعا)، حرس قطعانا، حكم شعبا (رعيّة)"، أو مثل الاسم فرع "قمّة شيء،

1. مصدر سبق ذكره.

روح، شعبة، برعم"[1]، مع الفعل فرع "تسلّق (جبلا)، تفوّق على شخص"[2]. جميع هذه المعاني هي أيضا في تناسب مع دلالة الاسم "فرعون".

حسب "العهد القديم" ("سفر التكوين")، في بابل انقسمت اللّغة المشتركة، التي تكلّمت، من طرف أبناء آدم إلى لغاتٍ كثيرة، ممّا لم يسمح للنّاس بالتفاهم.

وإذا طرحنا كمسلّمة، كون هذه اللّغة المشتركة كانت العربيّة (اللّغة-الأمّ) -كما يحدس E. Renan[3]، الذي أحال ، مزيّة امتناع التغيّرات للّغات السامية ... التي ظلّ هجاؤها في جميع تفاصيله هو نفسه، منذ أقدم الدّهور، (صفحة ، 522)، .... لغات، لخصّتها العربيّة، لاعتبارات كثيرة ، (صفحة : 481)، كما أنّ .... ينبغي أن ينظر إلى العربيّة باعتبارها علويّة اللّغات السامية الأخرى،(صفحة : 482) -يمكن أن ندرك أنّ انشطار هذه اللّغة، لعلّةٍ أو لأخرى، أسهم بالتالي، في انفكاك كلماتٍ متنوّعة من هذه اللّغة.

إذا ما ادرجنا في الحسبان المثال التالي، المتعلّق بجزءٍ من كلمة "منشطرة"، بالتحديد الحرف، أو بعبارة أفضل، الصّوت "ر" (تباحثناه أعلى السّياق)، جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت لها، في كلّ لغةٍ جديدة، معنى خاصٌّ ... وهكذا :

- ر (او أر) في الفانقيّة تنعت "حجرًا" أو "جبلاً"

- رَا (أو أرًا) في البربريّة "(الـ) كتاب، (الـ) مكتوب"

- ر (أو رع) في المصريّة تعني "الشّمس"

---

1. نلتقي ها هنا الاسم بُرعوم (ذكرناه اعلى السّياق) مع اللاّحقة م -متجانس-مرادف إذا لفرع- بإبدال بين الباء والفاء.

2. الفعل فرع، هو ايضا مرادف برع.

3. في كتابه "تاريخ اللّغات السّاميّة".

كلّ لغةٍ شكّلت أسماء انطلاقًا من هذا الصّوت-الجذر مع معناه الخاصّ به. لقد رأينا ذلك، مع ما مرّ من أمثلةٍ عديدة، خلال المُدرج السّابق وفي الملحق الرّابع. حسب مَعنى هذه الكلمات في معجم اللّغة العربيّة، يمكننا أن نعلم -في أغلبيّة هذه الحالات- أيّ لغةٍ عروبيّة تبنّت هذا الصّوت الجذر.

هكذا، يتشكّل الاسم طور "جبل" في العربيّة من "ر" (الفانقيّ) ، أمّا الجزء الأوّل من الاسم، فيحتمل أنه الجذر طَاء مع الاسم طاءة "حدبة". في حين أنّ الاسم سطر "خطّ الكتابة، خطّ، سلسلة، مكتوب" يتضمّن "ر" (البربريّ)، وقد يكون الجزء الأوّل من هذا الاسم إمّا الجذر سطّ أو ساط اللّذين معانيهما الخاصّة هي "أعلى السّاقين" لأسطّ أو "طويل" لساط مع الاسم سوط "مِجْلَدَة، كرباج، طريقة تصرّف"، يمكن أن يمثل السّوط بقلم أو ريشة. نجد الجذر سطر "كتب شيئا، ألّف كتابًا" في مسطور (مثل : كتاب مسطور)[1].

فيما يخصّ المقطع الصّوتيّ "رع" (المصريّ) يمكن أن نذكر الفعل سعر "أوقد وأجّج (النّار، الفتنة)" ، معنى له علاقة بأشعة أو حرارة الشّمس، مع الاسمين سُعر "حرارة" وسعير "نار، شعلة"[2].

من جهة أخرى، يمكن أن نوسّع هذه التّركيبات متناولين لا حرفًا صامتا واحدًا (صوتا بسيطًا) ولكن مقطعًا صوتيًا كاملاً أو صوتا مُزدوجًا : مثلاً، دائمًا مع "ر" :

- المقطع الصّوتيّ رم، مع الفعل رمّ "أصلح، أعاد، رأب شيئا" والأسماء رمّ "أرض، ثرى"، وإرم أو أرم "حجر منصوب في الصّحراء"،

- المقطع الصّوتيّ رم، الذي يعني في الفانقيّة "عالٍ، مرتفع"، مكافئ للاسم العربيّ ريم "تلّ، ربوة"، من الجذر رام أو جذر مرادف ربا "ارتقى (تلّة)" مع الاسمين ربوة "تلّ، علوّ/ارتفاع" أو ربّ "سيّد، مولى" (هنا، يتضمّن فكرة التّفوّق والاستعلاء) ،

---

1. نجد هاتين الدّلالتين للحرف ر ("جبل" و"مكتوب") في القرآن ، قال تعالى ، ﴿والطّور وكتابٍ مسطور﴾ (سورة الطّور - الآيتان : 1-2)

2. يمكن أن نعاين في هذه الكلمة المقطع الصّوتيّ "رع"، الذي يصبح، بعد الإقلاب "عر". والأمر نفسه في الفانقيّة، الحرف ع يمثل صيغة إدخال.

- المقطع الصّوتيّ رعج مع الجذر رعج "لَمَعَ بتتابع (برق)" ،

- المقطع الصّوتيّ رعد مع الجذر رعد "أرعدت (السّماء)" والاسم رعد "دويّ من السّماء يسبق بالبرق".

أمّا بخصوص الصّوت "ر" أو "رأى" في العربيّة الفصحى، فيمكن أن تضمّ دلالاته المختلفة إمّا جزءًا أو مجموع معاني الجذر "ر" في اللّغات العروبيّة العديدة. الجذر رأى لَهُ معنى "أبصر، لمح شيئًا، حكم على، اعتقد" كذلك "قدّم مرآة لشخص". هذا الجذر -جذر اللّغة-الأمّ- هو من أعطى بالتأكيد الجذر "رَا" (في اللّغة البربريّة) لأنّ النّظر سابق للكتابة : لا يمكننا إلاّ كتابة ما نستطيع قِراءَتهُ، أي إبصاره. معنى الاسم راءة "علامة، دليل" يلحق بالآخر البربريّ "رَا" أي "مكتوب"، الكتابة باعتبارها مجموعة دوالّ (حروف أو رموز). نجد هذا الصّوت "ر" (الشّكل المرخّم لِرأى) في الجذر رمق "ألقى نظرة ببصره على" أو رمّق "ثبّت البصر (تمعّن) مليًا في شخص أو شيء" مع الكلمات رماق "نظرة شزراء (نظر شزرا)" أو يرموق "كليل النّظر".

دائمًا بهذا الصّدد، "ر" (في الفانقيّة) الذي يعني "حجر، جبل" توجد في العربيّة مع الاسم راس، جمعه رَوَاس "قارّ، ثابت، راسخ"، استعمل في الآية القرآنيّة بمعنى "جبال" :

﴿رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ (سورة المرسلات - الآية : 27)

وأيضًا جنيسه (من الجذر رأس) الاسم رأس الذي يعني "هامة، قمّة، إلخ"، معانٍ تترجم العُلُوَّ والارتفاع ...

نعاينُ بالتالي الترتيبات الغزيرة والمختلفة التي يمكن الحصول عليها مع كلمة "منشطرة"، بوساطة هذا المنهاج التركيبيّ المختصّ -فيما يبدو لنا- بالعربيّة وباللّغات العروبيّة. هذه الحقيقة اللّسانيّة الفريدة هي من أنتج الكتلة الهائلة من الجذور- بكميّة أسيّة- التي تحوز العربيّة (انظر الملحق الخامس).

هكذا، خلافًا للّغات الهنديّة-الأروبيّة التي اختلفت بميل كبير مقارنة بـ"لغة-أمّ، من الصّعوبة بمكان لمحها"، حافظت اللّغات العروبيّة على هذه القرابة الصّرفيّة والنّحويّة والمعجميّة، على غرار اللّهجات العربيّة الحاليّة، التي تتقارب جميعهنّ من بعضها بعضٍ.

في هذا الصّدد كتب A. Meillet[1] : «حينما اختلفت اللّغات كثيرًا، زمنًا طويلًا بعد الانفصال، كما هو الحال اليوم للغات من العائلة الهنديّة-الأروبيّة، اختلفن في الجوهر عن بعضهنّ بعضًا، وما من قسط مشترك، تقريبًا، بينهنّ. أيّ تشابهٍ ثرى يُوجد بين اللّغتين الإنجليزيّة والرّوسيّة الحديثة ؟ ».

فضلاً عن هذا، قرابة اللّغات العروبيّة فيما بينها، يمكن أن تفسّر بامتداد فضائيّ متسلسل دونما فجوة منذ ألفيات، من المحيط الأطلسيّ إلى المحيط الهنديّ، مُرورًا بجبال القوقص، ويمكن أيضًا أن تترجم (أي القرابة) بماضٍ (تاريخ) واحد -مشترك نوعًا مَا حسب المناطق- وخصوصًا بممارسة الشّعائر المشتركة واعتناق الأديان نفسها (من الشّرك إلى الإسلام مُرورًا باليهوديّة والمسيحيّة).

إنّ خلود اللّسان العربيّ، وكماله (نضجه) وثراؤه نوّه به E. Renan[2] حينما كتب : « هذه اللّغة، غير المعروفة سابقًا، تتبدّى لنا بغتةً في كامل نضجها ومرونتها وثرائها اللّامتناهي، وباختصارٍ، كاملةٍ، إلى حدّ أنّه من هذا العهد[3] إلى أيّامنا، لم يطلها أيّ تغيير ذي بال. وهي لا تعرف لا الطّفولة ولا الشّيخوخة ، وإذا ما أشرنا إلى ظهورها ومعجزات فتوحاتها، فلا مُحالَ في حقّها. وليس أعرف إن كان بوسعنا إيجاد مثالٍ للغةٍ نافذة في العالم، كهذه، دون حالة عتيقة أو مراحل وسيطة، ولا حتى تردُّدٍ ».

1. في كتابه " لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانيّة".
2. في كتابه "تاريخ اللغات السامية" (الصفحة 342).
3. يتعلق الأمر بمجيء الإسلام.

الملحق الخامس

استعمال الحرف الصّوتيّ (رَ)

في بداية كلمات عديدة من المعجم العربيّ متعدّدة المعاني

معنى فانقيّ "حجر، جبل"	معنى بربريّ "مكتوب، كتاب"	معنى مصريّ "شمس، كواكب، نجوم"	معنى ذو علاقة بالحرف الصّوتيّ الفانقيّ، اي مع الماء (الذي ينبع من الجبل، ...)
	راجع "تفحّص مجدّدا كتابة" مع الاسم رجع "ردّ على رسالة"		رجع مع الاسم رجْع "مطر مكرّر، محمل السّيل"
رجم "رمى شخصا بالحجارة" مع الاسم رجَم "قبر"			رجم مع الاسم رجم "بئر" ورجام "حجر موثق إلى حبل بئر"
ردى "ضرب، كسر بحجر" مع الاسم رداة "جلمود عظيم، صخر"			ردى في "سقط (في بئر)"
رسّ مع الصّفة رسيس "صلب، شديد"	رسّ "نقّب، بحث عن معرفة شيء"		رسّ "حفر بئرا"

رسخ "صار متينا، شديداً" مع اسم الفاعل راسخ "شديد، متين"	ارسخ "حفر عميقا (في خلده)"		رسخ " سقط (المطر)"
رسا "صار متينا، شديدا، قارّا" مع الصفة رسيّ "متين، شديد"	رسا "نقل، ذكر (أقوال شخص)"		
رشح مع الاسم راشح "جبل سفحه مرويّ"			رشح "نضح (جسما) إهراق (وعاء)"
رشق "سدّد قذيفة/ رميّة نحو شخص"	رشق "نظر إلى شخص" مع الاسم رشق " صرير الرّيشة، وقصب الكتابة"		
	رشم "كتب"	ارشم "بدء الوميض (البرق)"	رشم مع الاسم رشم "أثر للمطر" والاسم رثمة "مطر رفيع"[1]. والاسم رتن "قطرات مطر تنزل متقطعة"[2].

1. تناوب بين ث و ش.
2. تناوب بين م و ن.

رصد مع الاسم رصد "مرقب"	رصد "راقب بحذر"		رصد مع الاسم رصدة "مُزنة/ مطرة، زخة"
رصف "صفّ حجارة واحدة إلى جانب أخرى" مع الاسم رصف "نضّد حجارة في مجرى ماء"			ارصف "مزج إلى شرابه ماءً معيناً" مع الاسم ماء الرّصف "ماء نبع يجري خلال الصخور"
رصن "اصبح صلبا، متزن، شديد" رزن مع الصفة رزين "ثقيل، صلب، متزن"[1]	رصن مع الاسم رصانة "اتزان في القول" رزن مع الاسم رزانة "اتزان، ثبات، استقامة الحكم"	رصن مع الاسم مرصان "حديد به تطبع علامة على الجلد"	رزن مع الاسم رزنة "أرض يستقرّ بها الماء"

1. تناوب بين ز و ص.

رضَ "كسر، انشطر إلى شضايا كبيرة" رضح "كسر، فلق (أحجارا)" راضخ "رمى حجرا على شخص" رضرض "كسر إلى أجزاء كبيرة" مع الاسم رضراض "أحجار صغيرة" رفت "كسر، شقّ شيئا"			رضب "سقط (مطرة/ مزنة)" مع الاسم راضبة "مزنة" رضرض مع الاسم رضراض "قطرات مطر صغيرة"
رضف "غلى، أنضج شيئا بحجر محمًى على النار"	رضف مع الاسم رضفة "علامة تعلّم بحجر محمًى على النار"		

		رعج " لمع تباعا (برق)"	ارتعج "حمل (السّيل)"
رعف مع الاسم راعف "أنف جبل متقدم (ناتئ)" رعل مع الاسم رعل "أنف جبل متقدم" رعن مع الاسم رعن "أنف جبل متقدم"[1]		رعّل "تبرعم (الكروم)" مع الاسم رعلة "برعم" رعم "راقب الشمس حين غروبها" رعن "أصابت دماغ شخص (الشمس)"	أرعف "ملأ (قربة)" مع رعوف " مطر رقيق"
	استرعى "طلب انتباه شخص"	رعى "راقب (النجوم) حين أفولها، حكم رعيّته (زعيم) مع الاسم راع "قائد الشعب، الحاكم، غنام، حارس الضّانية"	رعى "سرح، رمَ الكلأ" مع الاسم مرعى " النجعة"
رفع "رقى، حمل عاليا" مع الاسم ارتفاع "علوّ، سناء"		رفع مع الاسم رافع "الذي يومض (البرق)"	

1. تناوب بين ف، ل، م، ن.

	رق "صار لطيفا، رفيعا" مع الاسم رق "مهزق، رفيع، صفحة ورقة"	رق مع الصفة رقاق "ساخن، محرق (النهار)"	رق مع الاسم رق " ماء قليل العمق/ مياه ضحلة، يمكن عبوره"
ارتقب "تسنم علوًا"	رقب "تابع ببصره، نظر"	رقب مع الصفة رقيب "الذي يرتفع (النجم) حينما تافل البقيّة"	
رقع "دعم بنرا"	رقع "أطلق هجاء وسخرية على احد" مع الاسم رقعة "تذكرة، رسالة، مكتوب"	رقع مع الاسم رقيع "سماء/ قبّة زرقاء"	
رقم مع الاسم رقمة "جنب الوادي"	رقم " كتب" مع الاسم رقم "كتابة" ورقيم "كتاب" رقن " كتب بخط جميل"[1]	ارقن "خضب بالأحمر (لحيته)، خضب بالزعفران" أو الحناء"	

1. تناوب بين م و ن.

	رمز "أوما بعلامة / بإشارة لشخص (بعينيه)" مع الاسم رمز "إشارة، تلميح، مجاز، كناية"		رمز "ملأ (قربة)"
رمس بـ "رمى على شخص (حجرا)" مع الاسم رمس "قبر"			ارتمس في "ارتمى في الماء"
رمض "أنضج مضيرة على حجر محمى على النار"		رمض " صار محرقا (نهار الصيف)، احرق، التهب (الشمس)"	
رمل "غطى بالرمل" مع الاسم رمل "الحصى الرفيع"	رمل "حلى نسيجا (باللؤلؤ)" ورمّل "وضع ترابا (على الكتابة)" ومع الاسم رملة "سطر اسود"		رمل "تلطّخ بالدم (ثوب)"

	رمق "نسّق خطابه، نظر مليا إلى شخص أو شيء"		ترمّق "شرب بجرعات صغيرة (الماء، الحليب)"
رمع مع الاسم يرمع "حجر طريّ وهش"	رمَغ "نسّق/نمّق (خطابا)"[1]	رمع " ارتجّ"	رمع "يعاني من الم في الصنلب (نزح الماء)"
رمى " قذف، أرسل قنائف / رمية"	رمى "تجاوز (عدد)"		رمى مع الاسم رميّ "مزن صغير يعطي قطرات كبيرة"
أرنق "خفق (علم/ راية)" ورنق "حرّك جناحين في الهواء دون أن يطير(طائر)" مع الاسم ترنوق "وعاء، طين"	رنق "ارتبك/ تعرقل (في أمر ما)، عصب العينين (الكرى)"	رنق "جلى، صفى شيئا (الله هو من جلى وصفى)" مع الاسم رونق "إضاءة/ توهج، بريق، لمعان"	رنق "صار مضطربا (الماء)" مع الاسم رنقة "ماء معكّر"
رهم مع الاسم رهام "الطّيور غير الجارحة" والاسم مرهم "بلسم، دهان، ..."		رهل مع الاسم رهَل "سحاب خفيف"[2]	رهم "أعطى مطرا رفيعا ومستمرا(السماء)" مع الاسم رهمة "مطر رفيع"

1. تناوب بين ع و غ.
1. تناوب بين ل و م.

	راع مع الصنفة أروع "ألمعي، موهوب، فطن، ذكيّ"	راع "خشي، خاف من" مع الاسم روع "خوف، رعب" والاسم روع "جمال الوجه"	راع "شربة راع بها الفؤاد" أي "شربة جاءت على ضمإ فأشفت الغليل"
راع "نما، كبر (نبات)" مع الاسم ريع "تلّة مرتفعة"	راع "كان في حركة (سراب)" وتريّع "أصبح في حيص بيص"	راع من "خشي شخصا أو شيئا" مع الاسم ريع "خشية، ضوء النهار"	راع مع الصنفة مريع "مخصب (مطر)"
راغ مع الاسم ريغ "أرض، غبار"	راغ "انحرف عن جادة الطريق"		
راق مع الاسم رُواق "ممرّ، سرادق، قبّة، قرن،..." والصنفة أروق" الذي له قرن"	راق مع الصنفة رائق "صاف، شفّاف، جميل"	راق " أصبح صاف، شفاف، متجلّ" مع الاسم رَوْقة "جمال باهر"	أراق "سكب، صبّ (سائلا)" مع الاسم راووق "شربة" والصنفة روق "خالص(الماء)"
ارتوى "تقوّى، كبر(عضو)"	روى "أعاد كلمة، حكمة شخص، استظهر قصيدة لشخص، ..." مع الاسم رويّ "حرف من حروف القافية (في العروض)"	روى مع الاسم رُواء "جمال الوجه"	روى "جلب ماء لشخص" مع النعت والمنعوت رويّ "غدق (ماء)، مزن يمطر قطرات كبيرة، مشروب وافر"
راش مع الاسم ريشة "حجر صغير (يستخدم في بناء القبب)"	راش " زيّن بالرّيش" مع الاسم ريشة" ريشة الطّائر"		

الفصل الثّالث

القرآن العربيّ واللّسان العربيّ

1. حول اسم "عربيّ" : دلاليًا ولغويًا

إذا كنّا قد أعطينا الترجمة المزدوجة لاسم "عربيّ" في الباب الأوّل (الفصل الثاني)، غير أنّ التأويل بالدّلالة وحدها يبقى مقتضبا وغير واف.

بغضّ النظر عن كون اسم عربيّ، قد أشير إليه في المخطوطات الأكاديّة - البابليّة في الألفيّة الثالثة قبل العهد المسيحيّ (خلال حكم سرجون وحفيده نار- رم - سن)[1] كما ورد عند I. Wolfensohn[2]، فالعرب (أو العروبيّون) قد تواجدوا قبل هذا التاريخ.

في كتاب سابق معنونٍ بـ "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة" باحثنا، المعنى الأصليّ لتسميّات أماكن وشعوب عروبيّة بإجراء استقراء هذه الأسماء بمساعدة إبدال الحروف (انظر الفصل الثاني أعلاه). وبهذا النّمط قرأت التسمية "المرمر" البربر، والبوري عوّضت بالموري، في حين كان اللّبو (أو اللّيبيّون) الرّبو.

وإذا ما اعتمدنا هذا المنهج اللّسانيّ لإسقاطه على اسم "عربيّ" (أو عرب)، لتحصّلنا على أسماء تكتب وتنطق باختلاف، ولكن تأويلاتها مقبولة. اعتمادًا على عدد كبير من التوفيقات التي يمنحنا إبدال الحروف وسيرورة تكوين الكلمات العربيّة (بحثت في الفصل السّابق)، لم نحتفظ إلاّ بالجذور التي لها من واحد إلى اثنين من ثلاثة أحرف مكوّنة للجذر عرب ("عربيّ").

---

1. بعض المؤلفين يؤرّخون للمخطوطات البابليّة (أخبار أيام نار-رم-سن) بنحو خمسين وسبعمائة وثلاثة آلاف (3750) قبل الميلاد.

2. في كتابه "اللّغات السّاميّة".

أ/ الاسم أرب - الذي يمثل فيه " أ "، أداة التعريف العهديّة في كثير من اللّغات العروبيّة (الفانقيّة، البربريّة، الحجازيّة، ...)[1]- ؛ هذا الاسم يمكن أن يشابه عرب، مع إبدال جار بين الألف (ا) والعين (ع) كما يظهر في العربيّة، وفي لغات عروبيّة أخرى (الأكاديّة، البونيّة، ...).

نجد هذا الجذر ربّ مع رَبّ "ساد-أصبح سيّدا، زعيما، مولى" أو "أنشأ (طفلاً)" في معنى "كبّره (في التربية، المرتبة، القوام، ...)" أو ربا مع الأسماء ربوة أو رباة ورباوة "تلأ، ارتفاعًا" في العربيّة ، أمّا الفانقيّة والأكاديّة رب (أو راب) تفسّر بـ "عالٍ، مرتفع، غزير" وأيضًا "مولى، سيّد" ؛

ب/ الاسم أرم، مع تناوب بين الباء (ب) والميم (م) بالنسبة للحرف الأخير والعين (ع) والألف (ا) لحرف الاستهلال. هذا الاسم (أ) رم -الذي يمثل فيه الألف (ا) أداة التعريف العهديّة- له الجذر رم أو رام (رام) مع الاسم ريْم الذي يعني "تلّة، ربوة" في العربيّة، أو رُمْ (رِمْ أو رُمْ) "عالٍ، مرتفع" في الفانقيّة، المقطع الصّوتيّ الذي يلقّب به ملكٌ من فانقيا، اخ-رم "الأخ السّميّ"، أو مدينة فلسطينيّة رم (رام)الله "عظمة الله"[2]. يمكن أن نلاحظ ها هنا أنّ الكلمة رم هي الجنس المكافئ لـرب، مع إبدال بين الباء (ب) والميم (م) ؛

ج/ الجذر عرم - إذا أجرينا انطلاقًا من الاسم عرب إبدال بين الباء (ب) والميم (م) (بالنسبة للحرف الأخير)، يمكن الحصول على الجذر عرم، مع الصّيغة الفعليّة عرم (بفتح الرّاء) "عامل شخصا بفضاضة" وعرم (بكسر الرّاء) "صار ذا طبيعة قاسية". يمكن أيضا أن نعاين ترادف الجذرين عرم وعرب (بكسر الرّاء) في علاقتهما بالعنصر السّائل

- مع الصّيغة الفعليّة تعرّم "طَفح (النّهر)" والفعل عرب "حمل (النّهر)"

---

1. تنطق أداة التعريف في العربيّة أ في بداية كلمة مبدوءة بحرف شمسيّ (ويشدّد هذا الحرف)، وتنطق آل في بداية كلمة مبدوءة بحرف قمريّ.
2. قدّم ترجمة هذا الاسم محمّد بهجت القبيسيّ (مصدر سبق ذكره).

- مع الأسماء عَرِمة (بفتح العين وكسر الرّاء) جمعه عرم "مطر سيليّ، سدّ"، كما عرام (بضمّ العين) "اندفاع، كتلة" وعربة (بكسر الرّاء) "به كثير من الماء (بئر)"، كما عربة (بفتح الرّاء) "نهر سريع الجريان (نهر)"

- مع الصّفتين عارم "قاس، عنيف (إنسان)، شديد البرد (يوم)" وعارب "ممتلئ، فائض (نهر)"

- الجذر عرم يمكن ان يمدّنا بكلمة، عُرْمَة (بضمّ العين وتسكين الرّاء)، لها كتابة واحدة مع عَرِمة (بفتح العين)، ولكن بنطق مختلف، بمعنى "كومة، كدس (رمل، حصى ...)"، تجسيد واقعيّ لـ"سدّ" (حاجز).

د/ الجذر عرف - بعد إبدال بين الحرف الأخير باء (ب) وفاء (ف)- له معنى"علم، أدرك" مع الاسم معرفة "إدراك، علم"، له أيضًا معنى "يسيّر بمهارة الأعمال، حكم". هذا الجذر القريب دلاليًا من عرم ورَام أو ربا، مع الأسماء عُرف "مكان مرتفع، علوّ" و عُرُف "رمال مكدّسة"، وعرفة "ربوة، علوّ". امّا بالنّسبة للاسم الأعراف، ينعت في القرآن[1]، مكانا مرتفعًا، بين الجنّة والنّار.

كذلك الجذر عرف يمثّل صيغةً فعليّة اعْرَوْرَفَ، التي معناها ذو علاقة بالعنصر السّائل : "أصبح حاملا (البحر)" ؛

هـ/ الجذر علم - المتحصّل عليه بعد إبدال مضاعف : يبدل الرّاء (ر) باللأم (ل) والباء (ب) بالميم (م). يعني "لقّن، ميّز بعلامة، تفوق على شخصٍ في العلم، تلقّن شيئا، أصبح عارفًا، مَهَرَ في ، يُدرك (يفقه) شيئا" مع الأسماء عِلْم "معرفة، إدراك، اعتقاد جازم" وعَالَم "الكون"، إلخ. وأيضًا الجذر علم هو الآخر قريب دلاليًا من الجذور السّابقة (منها عرف)، مع الاسم عَلَم "جبل مرتفع" كما انّ له دلالة ذات علاقة بالماء، في الكلمة عَيْلَم "بحر، بئر غزير الماء".

من الجدير الإشارة أن هذا الأخير (أي الاسم) تلقّب به احد أبناء سام، عَيْلَمْ او عيلام. هذه الشّخصيّة حسب الرّواية، هو أخو ارم/ عرم وكلاهما

1. اسم سورة في القران "الأعراف".

تسميا بلقبين متقاربين كتابيًا ودلاليًا. في كتاب سابق[1]، رأينا أنّ العَيْلاميّين، أهال اشتقّ اسمهم من عَيْلام (على غرار الأرميّين مع أرم -أو العرميّين مع عرم-) هم جبليّون ؛

و/ الجذر أرب - بعد إبدال الحرف الأوّل، العين (ع) بالألف (أ)- يعني "ماهرًا، حاذقًا في شيء ما، أنهى، أتقن شيئًا" مع الصّيغة الفعليّة آرب "انتصر على شخص" ؛

ز/ الجذر عرب - له معانٍ أخرى في العربيّة :

- الصّيغة الفعليّة عرّب وأعرب تعني "أعطى عربونًا" مع الاسم عربون "ضمان (عرف تجاري استوثاقيّ)، رهن" ؛
- الصّيغة ذاتها، يتبعها بـ أي أعرب بـ، تعني "استعمل (أسلوبًا) عربيّة جيّدة، اعتمد أدلّةً واضحة، أفصح عن فكرته"، مع الاسم إعراب "نحو الحركات، تحليل نحويّ وظيفيّ"، إلخ.

الجذر عرب في الكنعانيّة-الفانقيّة، له معنى "وقف إلى جانب شخص، ساعد شخصًا، دافع عن شخصٍ"، مع الاسم عارب "رهن، ضمان"[2].

هكذا، يمكن أن نلاحظ ترادفًا بين الكلمات (أ) رب و (أ) رم، وعرف وعلم من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى، بين عرب وعرمة وعيلم. نجد في جميع هذه الجذور معانٍ ذات علاقة بموطن "العرب" (أماكن مرتفعة بالنسبة للحضر في موطنهم الأوّل) وبالمحيط الرّطب (مناطق مكتنفةٍ أنهارًا، مثل بلاد الرّافدين، وضفافها على البحر مثل بحر قصوين والبحر الأسود أو على بحيرات مثل أوّان وأورميا، إلخ)، وبالمعرفة والعلم، والحكم الرّاشد والتجارة والصّناعة (بحذق وإتقانٍ)، وبالحرب (بنبل وباس) والكرم، ... أو البداوة.

---

1. في كتابنا "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة".
2. معنى قدّمه محمّد بهجت القبيسي، في كتابه "ملامح في فقه اللّهجات العربيّات".

يُشار إلى "عرب" كاسم علم فانقيّ[1]. كذلك أرم/ عرم هو أيضًا اسم جنس كما اسم علم. حسب "العهد القديم"، أرم/ عرم هو ابن سام، ابن نوح. ألم يصحّف في القرن الثالث قبل الميلاد مترجمو "العهد القديم" (السبعون)، الاسم "عرب" ليعوّضوه بعرم/ أرم ، أو أنّ هذا الاسم كان ينطق ويقرأ على الخيار أرم/ عرم أو عرب، كما هي حال اسم مدينة مكّة المكرّمة (في الحجاز) الذي ينطقه العرب (ويكتب) على الخيار مكّة او بكّة (بالتناوب بين ب و م)، وكذا في القرآن. الميم (م) بَدَلاً من الباء (ب) كان يستعمل بالأحرى في اللّغات الأكاديّة-البابليّة والعربيّة الجنوبيّة.

لقد استخدم سطرابو في "استوصافه للأرض" تسمية الشعب مورس (أو موري) اي بدلاً من بوري (نظير بورس أو بر)، اي البربر (كما في الاسم إيبر)[2]، كما نطقها بعض أهالي بربريا (بلاد البربر) -بالتناوب بين الباء والميم-، الذين انحدروا من مناطق اناضوليّة وقوقصيّة ورافديّة شماليّة، قد يكون لهم، يقينًا، نطق واحد.

كما انّ نصب "العلمين" (في ليبيا) يبدي نصًّا يظهر الاسم القوميّ لبَو أو ربو[3]، تكتب بالخيار على الهيئتين (في حكم رع-مسيس الثاني، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد).

يمكن ان نذكر ايضًا انّ "شعب آسيا الصغرى أو شعب سوريّة" سمّوا بالأريم، وعرّفه سطرابو على أنه ، بلا ريب أهل ساميّ، الذي تكلّم عنهم عُمَر اللّوذي .. بالأخذ في الحسبان تكوّن بعض الكلمات في معجم اللّغات العروبيّة (كما عرضنا في الفصل السّابق)، رصيد اللّغة العربيّة المشتركة، يمكن قراءة تسمية الشعب أريم باعتبارها مكوّنة من الكلمات الفانقيّة ار (رَ) "جبل"، ورم (رَم أو رَم) "مرتفع، عال"، ممّا يدفعنا لترجمة اريم "(ساكني) الجبل

---

1. Z.S. Harris ، في كتابه " نحو اللغة الفانقيّة".
2. انظر كتابنا "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة".
3. F. Chamoux، في كتابه " قورن ومملكة بني بطو".

الشاهق" أو باعتبار الجذر ر.م. ككلّ (تنعت " أ " أداة التعريف العهديّة) أي ريم، نحصل على "السكّان العظام" (ذوو قدودٍ فارعةٍ). بالتناظر تسمية الشّعب عرب (أو أرم-أرميّين) من معنى جنيسه نفسه أريم، يمكن أن تتفسّر كهذا الأخير.

ممّا يُعزّز طرحنا للمهد الأوّل للمتكلّمين باللّغة العربيّة، أي المناطق المرتفعة لشمال بلاد الرّافدين والقوقص، إلخ. ويَعضد حضور أهالٍ قدماء -مثل قوم عادٍ وثمود- أسماهم المؤلّفون، العمالقة، متحدّرين في عمود نسبٍ مباشرٍ عن أرم (قدْ رأينا ذلك في الفصل الثّالث من الباب الأوّل).

فضلاً عن هذا، مُعادَلتنا عرب = أرم (عرم)، قد يعضدها سطرابو[1]، الذي صرّح، بصَدَدِ "العرمب" : « من بين جميع الآراء المُحَرّرة، الأقرب من الحقيقة هو ذلك التي يذهب إلى أنه بهذا الاسم وصف الشاعر (يقصد عمر اللّوذي) العربَ .. ويكمل صاحِبُ السّباق، كاتِبًا : « ذهب ظنون إلى أبْعَدِ من ذلك مصحّحًا نصّ عُمَر، وقرأ البيت كما يأتي : دوريا، كنت[2] أزوز الأحباش والصيداويّين والعرب (بَدل العرمب). من الثابت حقًّا أنّ الأمم : الأرمانيّة والسّوريّة والعربيّة يَدلّون لبعضٍ بهذه القرابة، وكما ساد جَوٌّ عائليّ ألسنتهم، وأنماط معايشهم وخواصّهم الخفيّة، هنالك حيث تتجاورن، في بلاد الرّافدين، مثلاً، بلاد ينتمي أهاليها تحديدًا إلى هذه الأمم الثلاث، أين يَبدون بطبيعة الحال، التشابه بينها، صارخًا كفايةً ... على كلٍّ، هذا راجع لكون الشّعوب التي نسمّيها سوريّة تتلقّب في السّريانيّة باسم أرميّين/ عرميّين، ولوُجود تشابه بين هذا الاسم واسماء الأرمان، والعرب والعرمب، وهذا الاسم الأخير، ليس إلاّ نعتًا أو وصفًا خاصًا استعمله الإغريق القُدامى لتعيين العرب».

1. في كتابه "استوصاف الأرض" الجزء الأوّل.
2. مينائيل هو من يتكلّم في الإلياذة.

بالفعل، لا ينبغي ان يكون الاسم عرمب إلاّ الاسم القوميّ عرب (أو ارب)- مع إدخال الميم (م). المُرُور من الكتابة أرب (عرب) إلى أخرى ارم (عرم) -مع إخفاء الحرفين الصامتين الميم والباء على الترتيب- أيسَرُ إلى درجة أنّ المؤلفين القدامى -ومنهم السّبعون- تمكّنوا من استعمال اسم بدل آخر بطريقة تلقائيّة (تكريسا للاستعمال المتواتر نسبيًا للتناوب بين هذين الحرفين)، أو بطريقة متكلّفة غير مجرّدة من خلفيّات (لسانيّة، ثقافيّة، دينيّة، ...) ؛ بغايات جحد تواجد العرب في عهدٍ قديمٍ جدًا (قد يرقى إلى عهد نوحٍ -عليه السّلام-) أو حضورهم في الحوض الأعلى للفرات، أين تواجَدَ مهدهم (مهد العرب) الأصليّ[1].

والمؤلّفون المحدثون لاَ يَصدُرُون عن غير هذا ؛ حينما يترجمون الكتابات للكتاب القدامى (من عمر إلى سطرابو)، كتاباتٍ مرتبطةٍ بأهالٍ عروبيّين أو بلُغاتٍ عروبيّة، يكتبون بدَلَ الاسم القوميّ عرب "الساميّين". ويستبدلون لغات عروبيّة بلغات "سامية". ولم يُغادِرْ E. Renan[2] في كتابه المعنون بـ"تاريخ اللّغات الساميّة" ملاحظة، في عهده، اللُّبسَ الذي حدث ولا يزال يحدثُ باستعمال الاسم "ساميّ"، لوصف -حسب ما كتبَ- . عائلة اللّغات السّوريّة-العربيّة .. هذا المؤلفُ، في المؤلفِ ذاتهِ، في الصفحة 178، عينها، التي يجعلنا نلاحظ فيها، الاستعمال غير الموفّق لهذه التسمية، وعلى ذلك واصل استخدام هذه الأخيرة (التسمية)، ، السّبب في حشدٍ من الغموض..

يعترف المؤلّف ذاته، أيضًا، أن ، ليس هُناكَ إلاّ مقياسٌ واحدٌ يُعوّل عليه في التعرّف على السّاميّين ؛ هو اللغة .. وبهذا يلحق بتعريف العربيّ الذي سقناه في مقدّمتنا، والمتعلّق بـ"كلّ من تكلم العربيّة، فهو عربيّ".

---

1. من غير المؤكّد ان عمر، لوذيّ، كتب عرمب بدل عرب، ذاك ان ، من المستحيل تشكيل نصّ عمريّ يمكن ان يكون اصيلا.. يقدّر A. Meillet، (في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانيّة") ، على كلّ نعرف نصوص عمر خلال الطبعات المختلفة التي منحنا فقهاء اللغة الهلّانيّة، (انظر كتابنا "العرب في اروبا قبل العهد المسيحيّ-تشريح للتاريخ والحضارة الإغريقيّة-الرومانيّة").

2. مصدر سبق ذكره.

2. حول الاسم "عربيّ" في القرآن

1.2 القراءات المختلفة

القرآن العربيّ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة يوسف - الآية : 2)-الكتاب البيِّن- أو حكمًا عربيًّا ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة الرّعدة - الآية : 37)، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ (سورة الزمر - الآية : 28) أنزلَ بلسانٍ عربيّ ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة الأحقاف - الآية : 12)، ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة النحل- الآية : 103) بواسطة الملك جبريل، الرّوح الأمين، -عليه السّلام- على محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- "الرّسول العربيّ" قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ . . .﴾ (سورفصلت - الآية : 44)، قرآن بلسان الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ (سورة مريم - الآية : 97) (أي باللّسان العربيّ) ...

إنّ الإشارة إلى كلمة "عربيّ" في النّص القرآنيّ، ذات علاقة، إمّا بالكتاب أو الحكم (الشّرع)، أو باللّغة أو الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-، نلتقيها اثنتا عشرة مرّة -دون أن ندرج في الحساب هنا الإشارة إلى البدو أو الرّحل، المسمّين الأعراب. أنزل الله القرآن العربيّ بواسطة المَلَكِ جبريل (أمين الوحي) على محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، يُنعتُ هذا القرآن بالعربيّ، ليس فقط لعلّة نقله باللّسان العربيّ، ولكن أيضًا لاحتمال معانٍ أخَرِ. هذا الحكم (النّصّ القرآنيّ) سمّي عربيًّا، ليس فقط لأنه مكتوب ومقروء باللّسان العربيّ، ولكن نظرًا لاعتبارات دلاليّةٍ أخرى. ومحمد -صلّى الله عليه وسلّم- سمّي بالرّسول العربيّ، ليس فقط لأنه عربيّ ويتكلّم اللّسان العربيّ، ولكن لأسبابٍ أُخَرِ.

1.1.2 قرآن عربيّ

لم يُنزّل الكتاب الكريم -القرآن الكريم- (أو كلام الله) موجّها لساكني الحجاز فقط، أو حتى ساكني جزيرة البلاد العربيّة (جزيرة العرب) فحسب.

هو رسالة لجميع الأقوام والشّعوب، لكلّ الكون ، سواء منهم العرب أو الذين يلهجون بغير اللّسان العربيّ.

لا يعقل أنّ القرآن، الذي يخاطب البشريّة كافّة، يوصَفُ باسمٍ لَهُ علاقة بقوميّة محدّدة، ممّا يسلبه (جَدَلاً) عالميّته، ويَحُدُّ (جَدَلاً) فضاءهُ، وبخاصّةٍ يُخَوِّلُ القوميّة هذه صفة الاصطفاء إن لم نقل التفوّق على الشّعوب الأخر، دون الالتفات إلى تقْواها. فهناك حديث شريف مشهورٌ بيِّنَ : «لا فضل لعربيَ على أعجميَ ولا لأبيضَ على أسود إلاّ بالتقوى».

بناءً على المباحثة الدّلاليّة والفقهيّة اللّغويّة، التي أجريناها في مُدرج العنوان السّابق، وبالنّظر إلى الفروقات المختلفة للجذر عرب وخصوصًا الكلمات عروباء "اسم السّماء السّابعة" وعريب "مزن ينزل المطر" (ممّا يستلزم فكرة رِفعَةٍ وعُلُوٍّ) -هذه الكلمة الأخيرة توجد في الكنعانيّة-البابليّة مع عَرَبَتو (جمعه عرب) وفي الفانقيّة الكنعانيّة مع عربة- يمكننا تأويل نعت بيان "عربيّ" بحمْله على اسم القرآن بـ"عَالٍ، سام".

هكذا، الصّيغة "قرآن عربيّ" المشار إليها سبع مرّاتٍ يمكن أن تقابل بـ"القرآن العالي" و"القرآن المجيد" أو "القرآن العظيم". جميع هذه النّعوت لها علاقة مع الرِّفعة الرّوحيّة والعظمة ، الصّفة "عربيّ" هي التي تسبَقُ غالبًا بعبارة "إنّا أنزلناه" (تتكلّم عن القرآن)، أي بتضمّن فكرة العلوّ والعظمة.

الاسم "عربيّ" يمكن أن يحتمل دلالات أخرى حسب سياقِ النّصّ القرآني، حيث هنا الاسم -أو أحد مجانسيه- مُشارٌ إليه :

أ/ إذا ما قابلنا الآية الرّابعة والسّبعين بعد المائة من سورة النّساء(174) ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾، بالآية الثالثة عشر بعد المائة من سورة طه (113) ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.

يمكن تأويل النعت "عربي" بـ "بيّن، نيّر، واضح"

ب/ في الآية الرّابعة عشر من سورة هود :

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

يستلزم عن قراءة الكلمة "علم" عند المخاطب بالآية القرآنيّة مفهوم استقبال العلم (التّلقّي)، تعلّم عن معرفة، حفظ شيئا، إلخ. فضلاً عن هذا، فالاسم علم يعني أيضًا "إيمان (عقيدة) أكيد"، معنى يدعمه آخر الآية (فَهَل أنتم مُسلِمُونَ) ممّا يستنتج عنه أنّ الإيمان الجازم بالله (بالتحديد الإسلام) منوط بالمسلمين (الذين يلتزمون بتعاليم الإسلام ويَنصاعون لله سبحانه)[1]. وبعبارة أخرى، الاسم "عربيّ" (مثلما هو في التعبير "قرآن عربيّ") **يمكن ان يشبّه بالعلم والمعرفة او بالدّين،** كما نصّ عليه في الآية الثالثة (3) من سورة فصّلت :

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

هذه الترجمة تلْحَقُ إذا بإحدى دلالات الاسم "عربيّ"، التي باحثناها في بداية هذا الفصل، والمرتبطة بالعلاقة التبادليّة بين الجذرين عرب و علم.

ج/ في الآية الخامسة والستين (65) من سورة النحل ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

يمكن مقارنتها بالوحي القرآنيّ : القرآن حسب نصّ القرآن ذاته، هو رحمةٌ وبركة من الله، وبشرى وشفاء.

وتتمة الآية ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾،

---

1. وصف إسماعيل بعليم، في الآية الثالثة والخمسين (53) من سورة الحجر : ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾.

دائمًا على صعيدٍ تناظريّ، ينبغي أن تفهمنا أنّ القرآن قد نزل لحثّ النّاس على اقتضاء الصّراط المستقيم، الحقّ (المُحيي) ونبذ حياة الاعوجاج والخزي (الموت).

وعلاوةً على هذا. فالإنسان يقابل بالنّبات الذي أخرجه الله سبحانه من الأرض.

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (سورة نوح - الآية : 17)

صورة الماء الذي يتنزّل من السّماء (الغيث) يلحق هكذا بمعنى الجذر عرب ذي العلاقة : مع الماء النّافق (مجرى ماء متدفّقٍ، نهر سريع، المزن الذي يعطي المطر،...).

د/ فضلاً عن هذا، هذا الكتاب المجيد قبل تبليغه للبشر، كان موجودًا في السّماء ولا يزال ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾. (عند الله)، كما نصّت عليه الآية الثّانية والعشرون (22) من سورة البروج، أو في الآية الرّابعة (4) من سورة الزّخرف :

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

2.1.2 حكمٌ عربيٌّ

الحكم العربيّ (الوارد في الكتاب المبارك) يمكن أن ينعَتَ الكتاب الكريم أو مختلف التّشريعات، الأوامر، عظات ومبادئ ربّانيّة التي يتضمّنها. إذا كان القرآن قد نزل بلسان عربيّ بوساطة أمين الوحي جبريل، الرُّوح الأمين -عليه السّلام- على محمّد -صلّى الله عليه وسلم-، فهل يمكننا القول أنّ العبارة "حكم عربيّ " -المشار إليها مرّة واحدة في القرآن (سورة الرّعد- الآية : 37)- يمكن فهمه على أنه حُكْمٌ أصدره وصنعه العرب ؟

في حين أنّ الآية رقم أربع وستين بعد المائة (164) من سورة آل عمران، تنصّ على أنّ الرّسول محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- لقّن قومه في مكّة

﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

وهو ما تعضده الآية الخمسون (50) من سورة المائدة

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

تعارض هذه الآية الحكم زمن الجاهليّة عند "العرب" بحكم (تشريع) الله سبحانه للمؤمنين، اي حكم (تشريع) عادلٍ ومقسط، حكم "عربيّ".

هكذا، كلمة "عربيّ" في الصّيغة "حكم عربيّ" لا ينبغي أن تُلابسَها أيّ صلةٍ مع القوميّة، ولكن تعني "عادل ومقسط" (واصفة الحكم "العربيّ" المنزّل على محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-). تدعونا بعض إشارات الاسم "حكم" وصفته "حكيم"، الكثيرة في نصّ القرآن، أيضًا، إلى إعطاء معنى "حكيم" للنّعت "عربيّ". نجد بالضّبط هذين الوصفين -عليّ وحكيم- في الآية التي ذكرناها في مدرج العنوان السّابق، وهي

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.(الآية : 4).

فضلا عن هذا، جعل القرآن الكريم، العلم والمعرفة مشتركين في الحكم العربيّ :

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ (الرّعد - الآية : 37).

وهو ما يؤكّد، أيضًا، مرّة أخرى، العلاقات الدّلاليّة بين الجذور عرب، من جهةٍ وعلم أو عرف، من جهة أخرى.

3.1.2 الرّسول العربيّ -صلّى الله عليه وسلّم-

أوّلا، يَخضَر التعريف الذي قدّمه النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- للعربيّ، ذاته، أن تخمِل هذه الصّفة على القوميّة :

« كلّ من تكلّم العربيّة فهو عربيّ »[1].

ثمّ إنّه، إذا كان محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- آخر الرّسل وخاتم الأنبياء، قد وُلِد بمكّة (منطقة الحجاز، وسط شبه الجزيرة العربيّة)، فلا ينبغي أن يُعتبر فقط كعربيّ (قوميًا عمومًا) ولكن بخاصّةٍ كممثل البشريّة جمعاء، أو بتعبير أدقّ كممثل كلّ العالم الإسلاميّ، المؤلف من مسلمين (العرب وغير العرب).

علاوةً عن هذا، إذا كان محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- الممثل المجسّد لأمّة المسلمين، فهو أيضًا الممثل الخلقيّ والرّوحيّ، والأسوة : بهذه الحجّة، حتّى قبل بداية تلقيه للنّبوّة، كان يسمّى "الصّادق الأمين". بعد سلوكِ حيَاةٍ ديدنها الاستقامة ومثاليّة الخلق، تلقّى، في الأربعين من العمر الوحي، القرآن الكريم.

وفي القرآن ذاته تنويه بهذا ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم - الآية : 04) مع استعمال الصّفة عظيم، التي تترجمُ فكرة العظمة والمجد والرّفعة -استعملت أيضًا لوصف القرآن، مع معنى "خبر عظيم" : ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة صاد - الآية : 67).

تقابل الصّفة عظيم في الأكاديّة أو الفانقيّة بـ رب[2].

"الخُلُقَ العظيم" يقرن بـ "السّداد" و "الاستقامة"، كما هو منصوصٌ في الآيتين الثالثة والرّابعة من سورة يس : ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

وأيضًا في :

- سورة الحجر، الآية الثالثة والخمسين (53) :

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (تتكلم الآية عن إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السّلام-)

---

1. حديث نبويّ شريف.
2. نجد الجذر ربّ في العربيّة، الذي يعني "نشأ شخصا (كبّره)"، مع الاسم ربّ "سيّد، مولى".

مع الكلمة عليم، نعت علم، الذي يعني المعرفة كما الإيمان "العقيدة (التين)"؛

- كما في سورة الحجر الآية الخامسة والخمسين (55) :

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾

وفيها الحقّ "الحقيقة" مقرونة بميلاد النبيّ المُعَدّ، إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السّلام-. هذا الاسم "الحقّ" يمكن موازاته بالكنية الملحقة بمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم- (كنية ذكرناها أعلاه) "الصّادق الأمين"، أي ذلك الذي هو مستقيم ومقسط. ولا ينبغي غَيْرُ هذا. لأنّ إسماعيل -عليه السّلام- جدّ محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- (عبر عدنان) في عمود نسب مباشر، وقيّم الكعبة في الوقت ذاته.

هذا الاسم "الحقّ"، استعمل أيضًا لتعريف القرآن :

﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الأحقاف - الآية : 30)

يمكن هكذا معاينة أنّ هذه التعاريف المشتركة، أو النعوت نفسها، ترجع على الكتاب الكريم، كما الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-.

ضف إلى جانب هذا وذاك، أنّ الآية الأولى من سورة إبراهيم، نصّت على :

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

ولا ينبغي إلاّ لرجلٍ مفطورٍ على "خلق عظيم" مثل محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، وبإذن الله، أن يُخرِجَ النّاس من دهاليزِ الظّلمات إلى آفاق النّور[1] ؛ حيث الظّلمات مثال للجهل وَسُوءِ الفِعالِ، والنّور مثال للمعرفة والعلم أي الإدراك

1. لقد نُدب الرّسل الآخرون قبل محمّد -عليهم السّلام- للمهمّة نفسها (ولكن لأقوامهم فقط)، ليخرجوا قومهم من الظلمات إلى النّور : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ كما ورد في سورة إبراهيم (الآية : 5) بصدد موسى -عليه السّلام-.

الحسَنِ للقرآنِ، الذي وُصِفَ في مناسبات عدّة "نور" أو "الكتاب المنير"[1]، ويوصف الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- بسراج منير[2].

بهذا يسمح لنا نصّ الآية الكريمة : ﴿ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ (سورة فصلت- الآية : 44)، الذي ينكر فكرة قرآن غير عربيّ أو أعجميّ -اي غموض الآي وعدم وضوحه- مع فكرة رسول عربيّ، بالقول بأنّ محمّدًا -صلّى الله عليه وسلّم- الصادق الأمين، وصف بالعربيّ لشيمهِ وخُلُقِهِ العظيم، تمامًا كما وصف القرآن بالنّعت "قرآن عربيّ".

4.1.2 لسانٌ عربيٌّ

تصف كلمة لسان الكلام كما اللّغة (اللّغة المتكلّمة للتعبير عن فكرٍ بوساطةِ رُموزٍ صوتيّةٍ أو الجهاز العضو الطّبيعيّ للكلام). والمعنى الذي تترجم به هذه الكلمة ينزع نحو الكلم أكثر من وصفه اللّسان (لهجة أو لغة قبيلة، أو شعب أو أمّة) إذ أنّ الكلام هو طريقة، أسلوب كلام[3]، عبر تعابير منتقاةٍ نوعًا ما ومتكلّفةٍ إن واضحة أو غامضة وخاطئةٍ. وما يجعلنا نتوجّه نحو هذا التأويل هو أنّه في الإشارات الأربع للعبارة "لسانٍ عربيٌّ" التي يحويها النّصّ القرآنيّ، اثنتان منها مقيّدة بالصّفة مبين "واضح". زيادة على هذا إشارة اخرى مرتبطة بنفي العوج : الجزء الأوّل من الآية 28 من سورة الزّمر :

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾

ويتبعه الجزء الثاني، وهو :

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾.

---

1. سورة فاطر، الآية الخامسة والعشرون (25).
2. سورة الأحزاب، الآية السّادسة والأربعون (46).
3. ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، كما ورد في الآية الثلاثين (30) من سورة محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، بصدد الكلام عن المنافقين.

وهو التعبير الذي يعني فيه الجذر عوج "صارملتويا، انحنى، به عيب طبيعيّ" مع الاسم عوج "خداع، طريقة تصرّف، مراوغة".

في مواطن كثيرة، يرجع النصّ القرآنيّ ليّ عُنُقِ اللّغة (الافتراء على الله) إلى الظّالمين، والجاحدين :

﴿الذين يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (سورة هود - الآيتان : 18 -19)،

وتوعّد بعقاب الكفّار :

﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا، أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (سورة إبراهيم - الآيتان : 2-3)،

ويجعل العوج مقابلا للاستقامة :

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا، قَيِّمًا . . .﴾ (سورة الكهف - الآيتان : 1-2)

من جهةٍ أخرى، الكلمة أعجميّ -مضادّة العربيّ- التي دُرِجَ على ترجمتها بغير العرب، ليست على وفاقٍ مع القوميّة، هي الأخرى :

في الآية الرّابعة والأربعين (44) من سورة فصّلت :

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾.

الصّيغة الاستفهاميّة "قرآنا أعجميًا" تحتمل معنى "غامض، صعب الفهم" عكس "قرآن مبين"

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة يس-الآية : 69)

"واضح، يسير التّذكر (الفهم)" أي "قرآن عربيّ".

النّصّ القرآنيّ، في سياق آخر متعلّق، بلسان القرآن نصّ :

﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾

مع استعمال الفعل ألحد، الذي يعني "حاد عن الطّرق" موازاة مع الصّفة أعجميّ بالنّسبة للّسان ومقابلةً مع الشّطر الثّاني من الآية :

﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (سورة النّحل-الآية ، 103)

وهو ما يؤكّد قراءتنا للنّعت "عربيّ".

في كتابٍ لنا بعنوان "العرب محرّكو الدّيانات الحنيفيّة الثّلاث"، كتبنا بهذا الصّدد : . خاتم الأديان، الإسلام، ظهر أساسًا ليؤكّد، ويكمل، ويتمّ الدّين السّابق (ويهيمن عليه) -المسيحيّة- كما فعلت هذه الشّريعة مع اليهوديّة. وهكذا في رحاب ثمانية عشر قرنًا، في حيّزٍ فضائيّ مثلّث، محدّدٍ ، أقطابه هي سيناء (جبل حورب)، فلسطين (النّاصرة والقدس/ أورسلام) والحجاز (مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة) ظهرت ديانات توحيد ثلاثٍ في مناطق عربيّة ، بعث ثلاثة أنبياء-رسل إلى أقوامٍ عرب (أمّا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- الخاتم فلجميع الجنس البشري). ولغات وحي، ثلاثتها (الكتب) لغات عربيّة..

تدعو ديانات التّوحيد الثّلاث (في الأصل) إلى العقائد ذاتها، وتلقّن الشّيم نفسها وتأمر بالخلق عينه -جميع الأنبياء الّذين أرسلوا تترى، من نوح إلى محمّد، مرورًا بإبراهيم -عليهم جميعا السّلام- أذعنوا لله سبحانه ودانوا بالإسلام وتكلّموا لغة واحدة "لسانٌ عربيٌّ مبين".

- ختامًا، نصّت الآية الرّابعة والعشرون (24) بصدد أولئك الّذين استحقّوا -بأعمالهم الصّالحة بإذن الله- الجنّة، مُوردةً التّعبير :

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (سورة الحجّ - الآية ، 24)

اي أولئك الّذين اعملوا "لسانا عربيًا".

في حين أنّ الآية الثلاثين (30) من السّورة نفسها تأمر :

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.

وهو الأمر الذي يمكن أن نفهمه (شطره الثاني) "اجتنبوا لِسانا غير عربيَ (مفترٍ)"، ممّا يسمح بإيقاع نِسبةٍ مباشرةٍ بين الوثنيّين والمزاعم المفترَاة، وأن نسجّلَ مفارقة صريحة بين المشركين، عبّاد الأصنام (كفّار مكّة) والعرب (المسلمين).

في أساليب الجمل، في العربيّة، يتبع الاسم غالبًا بنعتين مترادفين أو ذوَي معنى متقارب، حال العبارة القرآنيّة "لسان عربيّ مبينٍ"، الذي سُقناهُ للتوّ. هكذا، للنعت "عربيّ"، في هذه الحالة بالذّات، معنى تخوّله جميع المعاجم، ويتعلّق بـ "السّائل، يتدفّق كالماء الجاري (ماء نهر أو مجرى ماءٍ)"، معطوفا على النعت الثاني "مبين" (بالتناظر مع ماء منبع/ ماء معين)[1].

لا تستسيغ العقول كون القرآن (وَحاشاه) -كلام الله- يوحى بلغة (العربيّة) وبه تعابير غامضة، وأسلوب تجانب السّلامة وكلام معوجّ. إذًا، يمكن أن نسقط النّعت "عربيّ" نعت بيان اسم "لسان أو كلام"، المعنى "شريف، رفيع، مستقيم، مبين". وهو ما تؤكّده الصّيغة الفعليّة عَرُب "أي تفصّح بالعربيّة" أو الأخرى أعرب "استخدم أسلوبًا عربيًّا منقّحًا، احتجّ ببراهين جليّة، أفصح عن أفكاره بوضوح".

2.2 تعليقات

الوصف "عربيّ"، في جميع هذه الشّواهد القرآنيّة، لا يحيل على مفهومٍ قبليّ أو وطنيّ أو قوميّ معيّن، ولكن يُحيل على خاصّة سموّ خلقيّ، وعظمة أو روحانيّة متعالية. هذا الكلام العظيم للقرآن "العربيّ" الذي يتلافى كلّ اعوجاج، هو مضادّ لسان أعجميّ (يترجم بـ "غير عربيّ") أي "غامض، مستعصي الفهم، ذو عوج".

1. سنرى أدنى السّياق أنّ كلمة عرب، تنعت (كذلك) "ماء دافقا وصافيًا".

بهذه الحجّة، يمكن أن تمثل الكلمة أعجميّ بالجاهل، في المعنى المستخدم في القرآن :

- في الآية الخامسة والخمسين (55) من سورة القصص :

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾.

- في الآية التاسعة والخمسين (59) من سورة القصص :

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.

ممّا يسمح لنا بالقول بأن مشركي شبه الجزيرة العربيّة في عهد الجاهليّة (قبل مجيء الإسلام)، كانوا كفّارًا ظلمة، ... باختصار، عكس "العرب".

نجد فضلاً عن هذا، الجذر عرب في القرآن موظّفًا بالمعنى الصّريح، وليس الغامض الذي أشرنا إليه (اي مستقلٌ عن كلّ إيحاءٍ قوميّ) : يتعلّق بالعبارة : ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ "أنيقات، قرينات" (سورة الواقعة- الآية : 37)، المستعمل بصدد الكلام عن الحوريّات العذروات (سورة الواقعة- الآية : 36) حيث الكلمة عَرب[1] (مفرد عروب بفتح العين) تعني الأنيقات العفيفات. هذه الإشارة للحوريّات في هذه الآية "عُرُبًا" هي الدّلالة على "المتودّدات"، المكافأ بهنّ المقرّبون (يوم القيامة)، والمسبوقة بـ "أصحاب اليمين" (المؤمنين)، الذين هم في حالٍ من ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ . . .﴾ (سورة الواقعة- الآية : 31)، ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ (سورة الواقعة- الآية : 34). هكذا نجد، أسماء ذات علاقة بالكلمة عَرُب، لها معنى "الماء الجاري" ومعنى منزلة "مكانة سامية "المرادفة إذا لهذا الاسم "عربيّ".

لقد استخدم في القرآن الكريم، في مواضع عديدة، من نصّه، تعابير مشتركة ترجع إلى القرآن كما الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- : بشير ونذير، أو كلمات متقاربة مثل نور (لوصف القرآن) أو منير (لوصف الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-) ،

1. مفرد الاسم عَرُب هو عرُوب (على نحو طُعم طَعوم).

كما يمكن معاينة نعتٍ واحدٍ يصف، ليس فقط الكتاب (القرآن) والرّسول محمّد -صلى الله عليه وسلم- ولكن أيضًا اللّسان. ويتعلّق الأمر بالنعت "عربيّ" اللّصيق بالكتاب الكريم (القرآن العربيّ) و بحامِلِهِ (اللّسان العربيّ)، كما نبيّه (الرّسول العربيّ) -عليه الصلاة والسّلام-.

ممّا يؤكّد دلالة الاسم "عربيّ" ويضفي عليه دلالة ذات ميزات روحيّة أو خلقيّة، بإقصاء كلّ انتساب مرتبطٍ بالأرض (البلاد) أو الدّم (القوميّة). ممّا يجعل -بداهةً- عند من الأشخاص أو حتى بعض المؤلفين غير المتبصّرين، العرب شبيهين للمسلمين. وهنا، نصل عند التقاء دلاليّ لدين (الإسلام) وكتابٍ كريم (القرآن) ولسانٍ (العربيّة).

لا يكون المتكلّم بالعربيّة (أو العربيّ كما حدّده الرّسول -صلى الله عليه وسلّم-) مُسلمًا، ولا يصيرُ المسلم عربيًّا، منصاعًا لله سبحانه إلاّ في حال بلوغ الاثنين مستوى خلقيًا وروحيًا ساميًا، توافقًا مع الالتزام اليوميّ بأفعال مادّيّة كما دينيّة، كما ينصّ عليه الكتاب العظيم :

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. (سورة محمّد-الآية : 3).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (سورة محمّد-الآية : 33).

- وفي الآية الخامسة والثلاثون (35) ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾.

في معنى "الأقوى". النعت "عربيّ" لصيق بالاسم "القرآن" يمكن أن يَحتمِلَ أيضًا هذه الدّلالة -كما نصّت عليه الآية الواحدة والأربعون (41) من سورة فصّلت :

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾

هذه القراءة (القرآن) تنضمّ إلى المعنى الذي يحُوزه الجذر "عرب" في الفانقيّة (الكنعانيّة) : "عضد، ساعد، دافع عن شخص"، معنى على طرف معادلة مع المسلم ("العربيّ")، الذي يتواجد دائمًا حُذاء الحكم أو الحقّ أو الخُلق.

3. العلاقات الدّلاليّة للاسم "عربيّ" بألقاب الأنبياء، وهذا الاسم نفسه في اللّغات العروبيّة

1.3. عند الأنبياء

1.1.3 نوح -عليه السّلام-

في السّورة التي تحمل اسم النّبيّ نوحٍ -عليه السلام- أشير في الآية الثالثة والعشرين (23) إلى الأصنام الخمسة التي عبدها قوم نوحٍ -عليه السلام-[1]. ثمّ نجد هذه الآلهة "آلهة قوم نوحٍ" في وسط وجنوب شبه الجزيرة العربيّة. فمن المنطقيّ إذًا أن نعتقد أنّ هذه الآلهة الخمس رافقت الهجرات العروبيّة، نحو الجنوب، (بلاد بابل وسوريّة الفراتيّة) ومن هنالك نحو وسط الجزيرة العربيّة وجنوبها[2]، وفق التقدّم شمالاً-جنوبًا الذي وضّحناه في الباب الأوّل.

في السّورة نفسها، خاطب نوح قومه قائلاً :

﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (الآية : 12).

ممّا يستنتج عنه انّ موطن نوحٍ وابنائه تواجَدَ في منطقةٍ مُكتنفةٍ أنهارًا (قبل الطّوفان)، مثل بلاد الرّافدين أو وادٍ آخر، قريب من موقع رُسُوّ الفُلك، بعد الطّوفان (ارمانيا، الحوض الأعلى لبلاد الرّافدين، ...).

---

1. سمّيت هذه الأصنام باسم خمسة رجال صالحين-ودّ وسواع ويعوق ويغوث ونسر- توفّوا في ظرف شهر، فألّهوا. سمّيت هذه الآلهة الخمسة "نوحيّة"، لأنه، حسب القران، رفض قوم نوح -عليه السّلام- ان يتركوا وثنيّتهم.

2. حسب ابن الكلبيّ (في كتابه "كتاب الأصنام")، يوجد صنم ودّ في جدّة، نصب في مزار بـدومة. له شكل رجل فارع القوام، مكسوّ بحلّتين متراكبتين، يمتشق سيفا ويحمل قوسا. امامه نصب رمح وهنالك كنانة مليئة بالسّهام. ودّ، هو كذلك الهة القمر عند عرب الجنوب.

هكذا نلتقي، في هذا البلد -المهد المفترض لمتكلّمي اللّغة العربيّة- البلد الذي ارتوى أنهارًا ومجارٍ مائيّة بإحدى دلالات الجذر عرب "فاض (النهر)" مع الاسم عربة (بفتح الراء) "نهر سريع" والنعوت عارب "ممتلأ، فائض (نهر، سيل)" وعربة (بكسر الراء) "غزير الماء (بئر)". هذه الدّلالات توجد في توأمةٍ مع أخرى، تخصّ الجذر نفسه : دلالة كنّا درسناها أعلى السّياق ("عالٍ، مرتفع")، أي أنّ جميع الأنهار التي يتواجد منبعها -عمومًا- في منطقةٍ جبليّةٍ، تجري دائما في صبَبٍ نحو الأسفل تجاه البحر.

نصادف إذًا في تسمية هذه المناطق المرتفعة والتي تجتازها مجارٍ مائيّة، حُرُوفًا مكوّنة (وعرضةً للإبدال) لجذور معناها ذو علاقة بناحية جبليّة نوعًا ما، والمتخلّلة بأطباع وأنهار : يتعلّق الأمر بالجذور أرم-عرم - عرب ورب/ رم.

والجدير بالمعاينة ها هُنا أيضًا هو العلاقات الدّلاليّة بين أحد أبناء نوحٍ- عليه السّلام- سام وابنه أرم. هذا الاسم أرم الذي أحد معانيه "عالٍ، مرتفع" هو مُرادف لتسمية سم ذي الجذر س. م. وسَمَا "أصبح عاليًا، مرتفعا" مع الأسماء سموّ "ارتفاع، علوّ، عظمة" وسماء "القبّة التي تعلو الأرض على غير عمد ترى"، سحابة، مطر"، مع النّعت سميّ "عالٍ، مرتفع، عظيم" أو ساميّ (من المعنى نفسه). كما أنّ الجذر عرب الذي أحد معانيه ذي علاقة بالماء (نهر، بئر، ...) قريب دلاليًّا من الجذر سام، مع الاسمين سام "نقر ينبجس منه الماء" أو سامة "تجويف في بئر".

2.1.3 إبراهيم -عليه السّلام-

أشار "العهد القديم" إلى هذا النّبيّ (الشيخ حسب التعبير) بلقب أبرَم، قبل أن يغادر كِلْديا. نقرأ هذه التسمية على هيئة أبر-رَم التي فيها أبر أو بر تعني "ابن" في الفانقيّة والأرميّة، في حين أنّ رَمْ -التقيناها أعلاه- لها معنى

"عالٍ، مرتفع"[1]. وحينما أمر بالاختتان كعلامة عهد، كان عُمرُه تسعًا وتسعين سنةً، وكان عمر ابنه إسماعيل -عليه السّلام- ثلاث عشرة سنة، غيّر اسمه أبرام إلى إبراهيم ("سفر التكوين").

اسم هذا الرّسول إبراهيم -عليه السّلام- عرّفه "الكتاب المقدّس" على أنه « أبو عَدَدٍ كبير من الأمم، كثير النسل، ... من صلبك يخرج ملوك ». هذا الاسم ذو الأصل العربيّ يمكن أن يفسّر كما يلي : أبر وبر بالنّسبة للجزء الأوّل "ابن، ابن ..." وامّا الثاني رَهم أو رَهيم، من الجذر رهم "أمطر رَذاذًا مستمرًا (السّماء)"[2] مع الاسم رهمة "مطر رذاذ مستمر".

يمكن لنا اعتبار هذا الاسم "ابن المزن"، كأب أمم كثيرة، متعدّدة كقطرات ماء المطر ، هذه الأخيرة بريّها الأرض تخصبها وتضاعف ثمارها. روحيًا الماء ينعت العلم والمعرفة والمدارك التّهنيّة، لا سيّما حينما يتعلّق الأمر بماء المطر عطيّة الكريم (الرّبّ). الماء إلى جانب هذا وذاك مصدر الحياة، وعنصر طهارة في الدّيانات الحنيفيّة أو حتى فيما سواها (طهارة، وضوء، ماء مبارك، ...)[3].

حينما نزل إبراهيم -عليه السّلام- راجعا من مصر، استقرّ « بين بلّوطات ممرة، قرب حبرون، ("سفر التكوين"). يُخبرنا "سفر التكوين"، أنّ سارة زوجة إبراهيم -عليه السّلام- « توفيّت في قرية عربة، التي هي حبرون، في بلاد كنعان ». وليواريها الثّرى، اشترى إبراهيم -عليه السّلام- حقلاً ملكًا لعفرون، من بني حتّ :

« حقل عفرون في مكفيلة، قبالة ممرة، وجميع الشّجر الذي كان في الحقل وفي جميع الحدود المحيطة ... قبالة ممرة، الذي هو حبرون »

---

1. الاسم ابرم، في كتابته الواردة في "العهد القديم" قد يعني "ابن الربّ" (ملك أو وزير) مثلما كان طارح، أبوه (حسب الطبري)-انظر الإحالة رقم 1 من الصفحة 154.
2. رهم، هو اسم عربيّ، به تلقّب جدّ شلق، معبّر يمنيّ شهير للرّؤى (زمن المناذرة).
3. انظر كتابنا "العرب محرّكو الديانات الحنيفيّة الثلاث".

قرية عربة[1] -مكان مسمّى قرب حبرون- استحقّ التسمية، إشارة إلى إبراهيم -عليه السّلام- الرّافديّ، المنحدر من "وادي الماء" (ما بين النهرين)، وادر اسمه، ترجمة لكلمة وادي عربة. كلمة عربة في الكنعانيّة لها معنى "السّحابة التي تعطي المطر"[2]، وبالتالي نظيرة اسم إبراهيم "ابن المطر". من جهةٍ أخرى، مدينة حبرون ذاتها، هي من تسمّت بعد ذلك باسم هذا الرّسول، أي الخليل -"خليل الرّحمن (الله)"- كما هو مشار إليه في القرآن :

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (سورة النساء، الآية : 125)[3]

هكذا نجد أيضًا دَلالةً مشتركة للأسماء : عرب، إبراهيم، سام ذات علاقةٍ مع الماء والمطر والسّماء من جهةٍ ؛ ومن أخرى بين التسميات أرم، أبرم وسام، ذات صلةٍ مع العلوّ والرّفعة.

3.1.3 إسماعيل -عليه السّلام-

إذا كان اسم أوّل وَلدِ إبراهيم، إسماعيل -عليهما السّلام-، عرّفه جَمهرة من الكتاب المسلمين على أنه "سَمِعَ الله" أو "استجاب الله"-مع إسماع، يسمع "يلبّي، يجيب"، وإلّ أو نيل "الله"- معضودين في هذا بالتفسير الذي أعطاه "العهد القديم" ،وقد سمع الرّبّ لمذلّتك (الكلام هنا عن هاجر)، ("سفر التكوين")، فيمكن، أن نقترح ترجمة (تأويلاً) أخرى لهذا الاسم، وهو يتألّف من أقسام ثلاثة :

- الأوّل هو سما "سماء (السّماك)، سحابة، مطر"[4]

---

1. قرية بالعربيّة، لها معنى "تجمّع سكنيّ صغير، مدينة، حاضرة"، جنيس الفانقيّ قرت. قرية عربة يمكن ان تعني ايضا "مدينة الآبار".
2. تعطينا قراءة اخرى مع الجذر ربع مع الفعل رُبع (بضمّ الرّاء وكسر الباء)" أمطر في الرّبيع" والاسم ربيع "مطر ربيعيّ" او "نباتات ربيعيّة"-معنى دائما في علاقة مع الماء.
3. يمكن تجزئة الاسم خليل إلى خلّ "صديق حميم" (من الجذر خلّ-صيغة خالّ) "كان صديقا لشخص"- و نيل، كلمة تعني الله في كثير من الألقاب للزجيّة باسم آلهة (مثل إسماعيل).
4. الحرف إ الذي يستهلّ هو جنيس يَ او يُ، في مستهلّ كثير من الألقاب العروبيّة (يوسف، يونس، يغوث، ...)، هذا الحرف إ يوجد في الأسماء : إبراهيم، إسحاق، إسماعيل، إلخ.

- الثاني ع (الشكل المرخّم لعين) "نبع، أصل، جوهر الشئ"

- القسم الثالث ئيل، قد عُرّف أعلى السّياق.

معنى هذا الاسم ينبغي أن يكون إذا : "مطر (أو ماء) السّماء، أنزله الله (بفضله)" أو "مطر (أو ماء) عين ذرأها الله". هذه الترجمة تتوافق دلاليًّا مع الاسمين إبراهيم وعرب[1]، من جهةٍ، ومن أخرى في طرف معادلة تسمية إسماعيل، وهو ما يقول به "العهد القديم" ("سفر التكوين") : « سأجعله مخصبًا وسأكثرهُ بلا حدّ». وهي جملة نظيرة تلك التي نصادفها في "الكتاب المقدّس" (ذكرناها أعلاه) بصَدَدِ الكلام عن إبراهيم -عليه السّلام-.

التسمية عربة إسماعيل، التي تنعت بئرَ زمزم الشّهير (بمكّة) في تناغم مع قراءَتِنا (تأويلنا) لاسم إسماعيل لأنّ هذا البئر مصدر ماء ربّانيّ، ذو علاقة مع اسم ابن هاجر. وهو الماء الذي سمح -بإذن الله- لإسماعيل -عليه السّلام- بأن يظلّ حيًا في الصّحراء، وأن يكبر ويؤسّس ذرّيّةً كبيرة، منها سينحدر الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-.

4.1.3 إسحاق -عليه السّلام-

اسم هذا النبيّ ابن إبراهيم -عليهما السّلام- (المذكور "إسحاق" في القرآن) يترجم في "الكتاب المقدّس" (النسخة المجمعيّة) بـ "يضحك" (هو الفعل ضحك)، ذو علاقة بدهشة أمّه سارة، التي ضحكت حينما بُشرت على الكبر (تسعون سنةً) بأنّها ستلد غُلامًا. في الواقع يبدو أنّ تأويل هذا الاسم مستمدٌّ من قراءة خاطئة من لدن الناسخين الذين يُبْدِلُون السّين (س) بالضّاد (ض) : هذا الاسم الذي يكتب بحرف السّين، يعطينا إسحاق، وهي كلمة اسميّة لا فعليّة، معناها "وابل،

1. يمكن ان نلتقي مرادف التسسمية إسماعيل في لقب قديم "ماء السّماء" او "ماء المطر". فضلا عن هذا، لقد اشار الطبريّ (مصدر سبق ذكره، الجزء الثاني، الصفحة 271) انّ إسماعيل يلقب ايضا اعراق الثرى، حسب رواية امّ سلمة -رضي الله عنها- زوجة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، تسمية ذات علاقة بالماء والرّطوبة.

صيّب".[1] جذرها سحق له معنى "صار نائيا" أو "صار عاليا/ مرتفعا" مع الاسمين سحق "سحابة صافية" وسحيقة "مطرٌ شديد".

هذا المعنى يتفق مع سياق "العهد القديم" ("سفر التكوين") حيث خاطب الرّبُّ إبراهيم -عليه السّلام- قائلاً : ، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل. لقد عرفنا، بصدد الكلام عن اسم إبراهيم، دلالة الكلمة "مطر" التي تتناسب مع ذرّيّة مِكْثارةٍ "كعَدَدِ نجوم السّماء"[2]. في مُباركتِهِ لابنه يعقوب ("سفر التكوين") قال إسحاق -عليهما السّلام-: ، لِيَمْنَحَكَ الله ندى السّماء ،.

يمكن أن نلاحظ، هنا أيضًا، العلاقات الدّلاليّة بين تسميات إسحاق وإسماعيل وإبراهيم من جهة، ومن أخرى، بين إسحاق وأبرم وأرم وسام.

5.1.3 الأسباط ويعقوب -عليه السّلام-

أ/ الأسباط يمثلون مجموعة قبائل، إليها نزَلَ الوحي مثلما هو مشارٌ إليه في القرآن

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ﴾ (سورة النساء - الآية : 163)

اسم الأسباط هذا، جَمْعٌ مفرَدُهُ سِبط (بكسر السّين) "قبيلة"، كلمة من الجذر سبط لها معنى "صار غزيرًا (المطر)" مع الصفة سبط "غزير (المطر)"؛ مَعنى في تناغم مع النّص القرآنيّ (سورة الأعراف - الآية : 160) :

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾

﴿فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾

بعد أن ضرب موسى -عليه السّلام- بعصاه الحجر.

---

1. يمدّنا النّص بالعبريّة، في فصل آخر، بالجذر نفسه سحقשחק، المترجم في "الكتاب المقدّس" بـ"عراصة تسكب مطرا" (سفر أيوب). بل هي الكتابة عينها (إسحاق) التي يسعنا قراءتها في النّسخة بالعربيّة لـ"الكتاب المقدّس".

2. انظر كتابنا "العرب، محرّكو الدّيانات الحنيفيّة الثلاث".

هكذا، نلاحظ، مرّة أخرى، التناظر الدّلاليّ بين أسماء أنبياء، مثل إبراهيم، وإسماعيل وإسحاق وأسماء قبائل مثل الأسباط، وأسماء شيوخ، مثل سام، أرم (أو عرب).

ب/ يعقوب -عليه السّلام- لقد تكلّمنا في الفصل الثاني من الباب الثالث (في المدرج الثالث : معجم)، عن تعدّد المعاني لِجُذورٍ كثيرةٍ من معجم اللّغة العربيّة، وأوردنا من بين بعض الأمثلة، اسم يعقوب (المدرج 3.3) من الجذر عقب. هذا المُتقَدِّم، إضافةً إلى ثلاثة المعاني التي أشرنا إليها، له معنى آخر، مع الاسم عقبة "مطلع، ربوة، تلّة"، وعقاب "مكان مرتفع" والمعقّبات "ملائكة اللّيل والنّهار".

وبهذا نجد أنّ اسم النّبيّ يعقوب -عليه السّلام- واسم القبائل (الأسباط) اللّذين لكليهما معنى يتفق دلاليًا، إمّا مع اسمي سام وأرم (مفهوم العلوّ والارتفاع) أو مع أسماء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق -عليهم السّلام-، وسام أو مع الكلمة "عرب" (ذي علاقةٍ بالماء، السّماء والمطر).

2.3. الكتب المنزّلة على الرّسل - عليهم السّلام-

تتبع أسماء الأنبياء (و/ أو الرّسل) الخطّيّة العلميّة نفسها. هذا الأمر يُتفهّم إذا ما استذكرنا أنّ هؤلاء الأنبياء (و/ أو الرّسل) لقّبتهم الملائكة، وفاقًا لمهمّتهم الرّسليّة، أو فضائلهم وسجاياهم الخاصّة. لقد أعلن "العهد القديم" ميلاد أنبياء، مُشيرًا إلى الاسم الذي يتلقّب به إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ... كما أنّ القرآن، سمّى الأنبياء (و/ أوالرّسل) الذين بعثوا في الأرض، إلى اقوامهم : إسحاق ويعقوب ويحيى وعيسى -عليهم الصّلاة والسّلام- واحمد أو محمّد-عليه الصّلاة والسّلام- (امّا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- فللبشرية جمعاء).

كما أنّ أسماء الكتب المنزّلة، سلكت الخطّيّة العلميّة ذاتها. ما عدا تسمية القرآن، الذي يبدو حصُول الإجماع على تأويله، نعني بالقراءة "التلاوة، التعليم" -من الجذر قرأ "طالع، درس، تلا"- تعتري تسميات الكتب المنزّلة الأخرى تفسيرات متنوّعة.

1.2.3 التوراة

أنزلت التوراة على الرّسول موسى -عليه السّلام-. هذا الاسم توراة[1]، ينبغي أن يكون له علاقةً مع الجذر العربيّ تار بمعنى "جرى (الماء)". لقد تعرّضنا لدلالة كلمة الماء مع الاسم إبراهيم -عليه السّلام-، التي تشير في الصّعيد الرّوحيّ إلى العلم والمعرفة.

إذا ما استذكرنا أنّ الحروف تاء (ت) وثاء (ث) حرفان يدخلان في تناوب، يمكن أن نلاحظ مُرادفًا للجذر الذي عاينّاه للتوّ، الذي هو قريب منه خطيًا : ثرّ "أعطى مَاءً غزيرًا (نبع)" مع النّعت ثرّ [بضمّ الثّاء] (مؤنثه ثرّة) "وفير الماء (مزن، نبع)" والصّيغة الفعليّة ثرّر "أروى حقلاً "[2] -جذرٌ نلتقيه في القرآن : ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (سورة طه-الآية : 6) مع الكلمة ثرى "الأرض الرّطبة"[3].

يمكن موازاة هذه التّرجمة مع الآية الخامسة والسّتين (65) من سورة النّحل :

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

هذا المثل يمكن إسقاطه، على القرآن، كما الكتب المنزّلة السّابقة التي منها التّوراة -حكم الله-، مثلما نصّ عليه القرآن الكريم، حين كلامه عن هذا الكتاب (التّوراة) :

﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ (سورة المائدة-الآية : 43).

---

1. حسب موسى بن ميمون (مصدر سبق ذكره)، يترجم اسم التوراة بـ"الحكم، العقيدة".
2. تتجسّد هذه الترجمة، فيما يبدو لنا، في الآية الخامسة (5) من سورة الجمعة، حينما استخدم تحديدا بصدد الكلام عن التوراة، الفعل حمل إحدى معانيه "امتلأ، فاض (النّهر)".
3. يمكننا معاينة أنّ هذا الاسم ثرى، متواجد في إحدى تسميات إسماعيل، التي رأيناها أعلى السّياق.

2.2.3 الإنجيل

أنزل الإنجيل على الرّسول عيسى -عليه السّلام- ويمكن أن تتفسّر هذه التّسمية بمعنى الكلمة الأصليّ العربيّ : تتكوّن من جزأين ، الأوّل إنجيـ من الجذر نجا، الذي يعني "أنقذ، سَلم من". وفي صيغةٍ فعليّة أخرى أنجى، لها مَعنى "ابتعد بعد أن سكب الماء (مزن) ، أثمر تمرًا يانعًا (نخيل)". الاسم ذو علاقة بالجذر الأوّل وهو نجو أو نجاء الذي يعني "عافية، سلامة" ، واسم آخر يدلّ على خاصّةِ العلوّ والعظمة والارتفاع، مع نجاةٍ أو نجوةٍ "مكان مرتفع، هضبة". ونحصل مع الصّيغة الفعليّة الثانية على مَعنى "المُزن المُثقل ماءً، الذي يسقي أرضا ضمأى" أو "النّخلة التي تثمر تمرًا يانِعًا"، تعبير مجازيّ للرّوحانيّة[1]. أمّا الجزء الثاني نيل، اسم ينعت به الله (كما في التّسميات إسماعيل، إسرائيل، رفعائيل).

هكذا، الاسم، إنجيل يعني "النّجاة من عند الله"[2].

يمكن أن نلتقي اسمًا في اللّغة البربريّة معناه قريب من الكلمة نجو "المُزن الذي يسكب الماء" : وهو أنجي (ينطق بالجيم المصريّة أي أنڨي)[3] "نبع غزير الماء"[4]-كلمة لجنيستها (بالعربيّة) ثرّ (مؤنثه ثرّة) هي ذاتها التي رأيناها في مباحثة اسم التوراة- مع الفعل إنجي (أنڨي) "أعطى الماء بغزارة (نبع، مزن، سماء)".

هناك، إذًا، علاقة دلاليّة صريحة بين تسمية الكتابين المنزّلين، التوراة والإنجيل، وأسماء أخرى لأنبياء -عليهم السّلام-.

---

1. هذان المعنيان، في تناسب مع النّصّ القرآنيّ (سورة مريم-الآيتان : 24-25)، حيث يسرد مخاض مريم -عليها السّلام-، امّ الرّسول عيسى -عليه السّلام- : ﴿قد جعل ربّك تحتك سريًا﴾ (24)، ﴿وهزّي إليك بجذع النّخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا﴾ (25). [ها هنا، الجذر جنى هو مرادف وإقلاب للصّيغة انجى (الجذر نجا). السّريّ والرّطب الجنيّ هما الترجمة الحرفيّة واستعارة اسم الإنجيل، للوحي على عيسى -عليه السّلام-].
2. يذكر عيسى -عليه السّلام- احيانا، في الإنجيل، حسب لوقا باسم المخلّص.
3. بتناوب بين الجيم (ج) و القاف (ڨ).
4. في مجموع الآلهة البابلي، يتلقب بالاسم أنڨي (جنيس الآخر البربريّ الذي ذكرناه للتوّ) الهة المياه والعنصر السائل.

3.2.3 القرآن

أ/ دراسة دلاليّة

ترجمة الكلمة قرآن -التي عليها ينعقد الإجماع فيما يبدو- المشتركة عند جميع المؤلفين (العرب منهم أو المستشرقين)، أهي الوحيدة المحصّل عليها، بالنّظر إلى المبحث الدّلاليّ الذي كرّسناه بخصوص، أسماء الأنبياء و/ أو الرّسل وتسميات الكتب المنزّلة قبل نزول القرآن ؟

1/ الجذر قرأ يعني في المقام الأوّل "شفَر كتابة (طالع)، تلا، درس" : يسمح هذا المعنى بالتفسير المألوف للكلمة قرآن (من الجذر قرأ) على أنها "قرآءة، تلاوة، تعليم". ترجم قاموس "المعجم الوسيط"[1] كلمة "قرآن" بـ : كلام الله المنزّل على الرّسول محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- مخطوط في النّسخ الشّريفة.. وعلى هذا، فجذرنا (الجذر محلّ النّظر قرأ) يحتمل دلالات أخرى : "قرأ (كتابًا، أو في كتاب)، تلا بقراءة النّصّ القرآنيّ أو بغير قراءته (استظهر عن ظهر قلب)، جمَع ووحّد (أشياء...)". الصّيغة الفعليّة أقْرأ بدورها تعني : "هبّت في وقت ملائم (الرّياح)، طلب القراءة من أحدٍ، بلّغ تحيّات لأحد"، وأيضًا "اعتكف طاعةً لله، تفرّغ لعبادة الله".

في الفصل السّابق، رأينا أنّ إبدال بعض الحروف في الجذور العربيّة ليس نادرًا، بالمحافظة -في الغالب من الأحيان- على معناها الأصليّ. يمكن إسقاط هذا القياس على الحروف أ. و. ي.، المسمّاة بحروف العلّة، التي تعوّض واحدتها الأخرى بصورةٍ جارية[2]. يتعلّق الأمر ها هُنا بالجذرين قرا وقرى. نذكر أساسًا

---

1. لمجمع اللغة العربيّة (1393/ 1973).
2. على سبيل المثال :
- جائع وجوعان، جمعها جياع وجوّع،
- روى "ماء غزير" وريّ "سقي وفير"،
- بريّ، جمعها بُراة وبراء وابرياء.

المعاني التي تنسجم مع السّياق الدّلاليّ للعلميّة المدروسة سابقًا (أسماء الأنبياء وتسمية كتب منزّلة).

2/ الجذر قرا

- الاسم قرو يعني "حوض، مورد (مسقاة)، قناة مِعصار، وِعاء ماء" ؛ "كلّ ما هو على طريق واحد، يتبنى أشخاص التوجّهات نفسها، قاعدة الحياة ذاتها" ؛ "أرض مغطّاة كلّيّة بماء المطر"؛
- الاسم قَرْوَى له معنى "طريقة تصرّف، عادة، طريق أصليّ (أوّل)" ؛

3/ الجذر قرى

- الفعل قرى يعني "جمع، وحّد" (مرادف الفعل قرأ إذا في أحد معانيه)، وأيضًا "قدّم طعامًا (لضيفٍ) ؛ احتبس الماء في حوض" ؛
- الاسم قَرِيّ [بفتح القاف وكسر الرّاء] (جمعه أقراء وقُريان) له معنى "مجرى سيل أو نهر، قناة، مجرى يتصبّب الماء فيه من تلّةٍ أو ربوة (مكان مرتفع) نحو جنّة غنّاء، أو نحو حوض أو بئر" ؛ كلّ ما هو على طريق واحد" ؛

4/ فضلاً عن هذا، تكشف لنا، صِيَغ مشتقّة (حروف واحدة من الجذر قرأ مرصوفة بأوجه مختلفة بعضها إلى جانب بعض) عن معانٍ ذات علاقةٍ بمفهوم التديّن أو بالعنصر السّائل. لهذا :

- راق تعني "صار صافيًا، نقيًا، أصبح أفضل من "مع الصّيغة أراق "أهرق، سكب سائلاً" وللصّفة روق معنى "خالص (ماء)" ؛
- رقى "صعد، ارتفع درجات"، إلخ ؛ وأيضًا "عوفي من أذى بقراءة القرآن" ؛ مع الصّيغة ترقّى "مضى قُدُمًا (تحسّن) في علم" ؛
- وقّر "بجّل، احترم شخصًا، عظّم، اثنى"، وأيضًا "صار هادئًا وصبورًا"؛ كما "صار مثقلاً ثمرًا (النخلة)" ؛ مع الاسم وِقْر (بكسر الواو) عبءٌ،

ثقل، حمل"[1] كما ورد في القرآن ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ (سورة الذاريات- الآية : 2).
الذي يصف، حسب المفسّرين ، السّحاب (الممتلإ ماءً) ؛

• ورق "صفح، طلع/ أنمى، أنتج ورقًا (الشّجرة)" مع الأسماء ورق "أوراق (الشّجر)" ، "صفحة كتاب، صفحة من قرطاس" ووراق "اخضرار الأرض المغطّاة نباتًا".

هذا الجذر له علاقة دلاليّة مع الرّطوبة كما الكتابة والمسطور : وهو (المعنى الأخير) ما ورد في نصّ الآية :

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾[2] (سورة الطور- الآيتان : 2-3).

ب/ تأويلات

تسمح لنا المباحثة الدّلاليّة للجذور الثّلاثة، سابقة الذّكر (قرأ وقرا وقرى) ومباحثة أسماء كثيرٍ من الأنبياء -عليهم السّلام- وتسمية كتب منزّلة (التوراة والإنجيل) باستنتاج أنّ **كلمة (تسمية) "قرآن" هي اسمٌ متعدّد الدّلالات :**

1/ موازاةً لمعناه الذي هو "قراءة، تلاوة، كلام الله المنزّل والمكتوب"، نستطيع فهمه بـ "كتاب" ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ (سورة الحجر- الآية الأولى)، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (سورة فصلت- الآية :41)، ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ (سورة الطور- الآية : 2).

---

1. هذان المعنيان "صار مثقلا (او اعطى) ثمرا" و"حمل عبئا، حملا" هما ترجمة، (الآية الخامسة -5- من سورة الجمعة) لجذر آخر (حمل)، المستخدم بصدد كتاب كريم، التوراة (لقد ذكرنا ذلك وشرحناه اعلى السّياق-الفصل الثاني-3.3).
2. الاسم رق "قرطاس رهيف، صفيحة ورق"، هو مرادف ورق.

هذه الترجمة، تتوافق مع سيرورة تحليل وتركيب كلماتِ معجم اللّسان العربيّ (أو اللّغات العروبيّة)، سيرورة قدّمناها في الفصل السّابق. هكذا يمكن تحليل الاسم "قرآن" إلى جزأين :

- الأوّل قُ، مقطع صوتيّ، ينتسب إلى الجذر وقى، الذي يعني "حمى، حفظ (شيئا)، رعَى ..." كما في الآية السّادسة من سورة التحريم :

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾

- الجزء الثاني هو "ر" (الشكل المختصر لكلمة المعجم البربريّ "رَا") بمعنى "مكتوب، كتابة"[1]، بينما النون (ن) هي لاحقة (حرف زائد). الاسم قرآن يعني بالتالي "الكتاب المحفوظ أو المصون" كما هو مُعرّفٌ في النّصّ القرآنيّ :

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (سورة الحجر-الآية : 9)

2/ المعنى "نهج أصليّ أو أوّل" يمكن الاحتفاظ به. ممثلةً له الآيات (من بين الآيات) :

- ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾، (سورة الحديد-الآية : 26) ؛
- ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (سورة الشعراء-الآية : 196) ؛
- ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ (سورة النحل- الآية : 125)

3/ التفسير الثالث يخصّ "مجرى سيل أو نهر (من مكان مرتفع نحو جنّة مخضوضرة، أو حوضٍ أو بئر)". هو ترجمة (أو كما ينبغي أن تكون) الاسم

---

1. نجد مفهوم المكتوب هنا -ممثلا له بالحرف ر- في كلمات عربيّة مثل : - رسالة "خطاب، جواب، مهمّة".
- رسم "أثر، خط، مخطط، رسم".
- رقم " كتابة، رمز " ورقيم "كتاب".
- سطر "عمود ممدود، خطّ، مكتوب، كتابة".
، إلخ.

قريان (جمع مفرده قريّ)، كتابة تحويليّة لاسم قرآن -مع إبدال الألف ياء (ممدودًا بألف أو "مدّة").

تستند هذه القرآة المتميّزة إلى كون هذه الدّلالة لها علاقةٌ مع مجرى الماء (سيول، أنهار)، كما المناطق المرتفعة أو الأماكن المليئة بالماء (بئر، حوض، ...) ؛ وهو ما يُقيم قرابةً دلاليّة مباشرة مع الاسم "عرب"... ما يربط تحديدًا بالعبارة "قرآن عربيّ"، المشار إليها سبع مرّات.

ترجمة هذا المجاز "مجرى سيل أو نهر ..." يمكن أن تحمل -فيما يبدو لنا- على آيتين (وليستا الوحيدتين) :

-﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ (سورة هود - الآية : 14)

- ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (سورة النحل - الآية : 65)

هاتان الآيتان اللّتان شرحناهما أعلاه هما -بين أخريات عديدات- تعبير عن "علم الله"، علم "مسوق" أو "منقولا ًبالكتاب" : هو صورة المطر الذي يتنزّل من السّماء، أو ماء النّهر الجاري، من نبعه، نحو الوادي (ماءً يقلّه مجرى النّهر ذاته) ؛

- ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (سورة نوح- الآية : 12)

هذه العبارة تبدي تناظرا تترجمه الكلمة قرآن، في آخر دلالاتها، وهي "مجرى نهر، الذي ينحدر من رابية صوب جنّة مخضوضرة".

- تعطينا الآية السّابعة عشر (17) من سورة الرعد الترجمة الحرفيّة لمعنى قريّ، (جمعه قريان)، الذي هو "مجرى نهر" :

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾.

تتمة الآية تسمح لنا بمعاينة أنَ الاسم قرآن (أو قريان)، له معنىً يتناسب مع دلالة -التي لها علاقة مع الماء المنزّل من السَماء- تسمية الكتب الأخرى المنزّلة، التوراة والإنجيل،، وهكذا يمكن أن نقرأ :

﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً. وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾. (سورة الرّعد-الآية : 17)

هذا الماء الذي أنزله الله من السَماء يمثل تجسيدًا ملموسًا لإنزال الكتب، بخاصةٍ القرآن، الذي يمثل الحقيقة، الحقّ والحكم والعلم ... : رسالة موجّهة للعالمين.

4/ التفسير الرابع لهذا الاسم ذاته -مع المعنى "كلّ ما هو على طريقٍ واحدٍ"- ينعت الصّراط المستقيم، كما أنّ كلّ كتابٍ يؤكّد سابقهُ

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة المائدة- الآية : 46)،

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (سورة المائدة - الآية : 48)

يمكن أن نلاحظ أنّ كلمة هدى "الصّراط المستقيم" تستخدم لنعت، في النصّ القرآنيّ، كلّ واحدٍ من الكتب المنزّلة الثلاثة.

على غرار آية مماثلة (في المعنى) :

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (سورة فصلت - الآية : 43)

ما تلخّصه الآية التالية في شطرها الأوّل :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (سورة آل عمران - الآية : 19)

هذا الاستقراء الإضافيّ (للاسم قرآن) يسمح لنا بتحرير ترجمة ثانية لمعنى الآيتين، السّابعة عشر والثامنة عشر (17-18) من سورة القيامة في كليهما يبدو الاسم قرآن -اسم في معنى مختلف عن الدّلالة "كتاب" (قرآن)، لأنّ هذا المتقدّم يُلفظ هـ (ـه) "ضمير عائد على هو" نعت بيان لكلمة قرآن، كلمةٌ تسبق الضّمير- :

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (الآية : 17) حيث قرآن له معنى "مجراه، طرقه"[1]

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (الآية : 18) "دليله (أو اخضع لتعاليمه)"[2]

نجد هذا المعنى -مع الفعل ذاته "اتبع، اخضع"- في الآية الثانية من سورة الأحزاب :

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾

5/ الفعل قرى، الذي يعني "قدّم طعامًا (للضّيف)" أو "احتجز الماء في حوضٍ" له معنى يتناسب مع معنى الاسم "إنجيل" في علاقاته مع التغذية (الرّوحيّة)، مجسّدة بمثل "النخلة التي تثمرُ رطبا جنيّا" من جهةٍ، ومن أخرى مع معنى تسمية الكتابين المنزّلين (التوراة والإنجيل)، في سياقٍ دلاليّ "رطب" (نبع، بئر، حوض، أرض مرويّة، مزن مثقل ماء). بهذه الحجّة يلتقي الجذران قرى وعرب ؛

6/ علاوة عن هذا، الكلمة "قرآن"يمكن أن تكون مرادفةً للكلمة جمع "ضمّ، اجتماع"، كما نصّت عليه الآية ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (سورة القيامة- الآية : 17)، التي أوردناها للتوّ، المتعلّقة بالوحي المنزّل على محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- والممتدّ على ثلاثٍ وعشرين سنة، الذي جمع وضمّ في كتابٍ واحد، القرآن (بعد نسخه). مرادف آخر للمصطلح "قرآن" هي الكلمة ذكر "ما ينبغي استحضاره اقتضاءً للصّراط المستقيم"

والله أعلم

---

1. ترجمته، في مرجع الوزارة السّعوديّة، المذكور في ثبت المراجع، هي "وجه تلاوته".
2. الترجمة، في المرجع نفسه، هي "تلاوته".

3.3 في اللّغات العروبيّة

1.3.3 في علاقة مباشرة مع الجذر "عرب" (معنى ذو علاقة بالماء)

أ/ معجم

- في الأكاديّة : عَرَبَتُو (جمع عرب) "مزن محمّل ماء"[1]. يمكن مجانسة هذه الكلمة مع الكلمة "سماء" العربيّة، من الجذر سما "صار مرتفعا، علا"، التي تعني أيضًا "سحاب، مطر".

- في الكنعانيّة : عربة "سحاب يعطي المطر"[2].

- في الأرميّة[3] :

  • عرّاب أو عرب : كاهن معمّد (كاهنٌ يُعمّدُ[4] طفلاً في الكنيسة)،

  • تعريب : فصَلَ القطانيّات، الحبوب، بالماء ..."،

- في العربيّة[5] :

  • عربة إسماعيل "بئر زمزم" (بمكّة المكرّمة)،

  • وادي عربة "وادي الماء" (الرّافدين)،

  • العربات "زوارق تمخر دجلة" (النّهر)،

  • عروب هي زوجة "صريحة وصافية، كما نبع الماء"،

  • عرب "ماء غزير وصافٍ"،

  • الأعراب "من ليس لهم ماء (البدو)"،

  • العرب "الذين يقيمون قرب مواقع الماء (الحضر)"،

---

1. محمّد بهجت قبيسي "ملامح في فقه اللّهجات العربيّات".
2. محمّد بهجت قبيسي، مصدر سبق ذكره.
3. محمّد بهجت قبيسي، مصدر سبق ذكره.
4. للاسم تعميد في اللّغة اليونانيّة معنى الغمس.
5. محمّد بهجت قبيسي، مصدر سبق ذكره.

- عريب "سحاب يعطي المطر"
- عروباء "اسم السّماء السّابعة"

- في عبريّة القرن الثاني عشر (القرن السّادس للهجرة) عند موسى بن ميمون[1] : بالنسبة لهذا المؤلّف، الكلمة من الجذر عرب، عربوت تعني الفلك العلويّ الذي يحرّك الأفلاك الأخر ويحيط بها. هذا الفلك وصفه "الكتاب المقدّس" بالكلمة عربوت ערבות ويقال دائمًا انّ هناك سبع سماواتٍ وانّ عربوت هي أعلاهنّ ("سفر المزامير"). أشير إلى أنّ كلمة عربوت جمع عربة ערבה، مرادفة لكلمة مركبة ذات الجمع مركبوت מרכבות، كلتا الكلمتين مجانستين للكلمتين العربيّتين : عربة ومركب اللّتين لهما المعنى نفسه.

ب/ أسماء أعلام

- عربايا : اسم مملكة أرميّةً، عاصمتها تسمّى الحضر، تقع في وادي الثرتار، في بلاد الرّافدين، شماليّ بغداد.

يخبرنا محمّد بهجت قبيسي أنّ رواية عربايا هي صيغة الجمع المعرّف للاسم عرب أي العرب (بينما الجمع غير المعرّف يكتب عربين أي "عرب")[2].

- عربات (سهم عربات) : لسانُ أرضٍ رمليّ ضيّقٍ وطويل متصل بشبه جزيرة كريميا، عند بحر الضّوء[3] (خليج شكّله البحر الأسود ويصبّ فيه نهر التانيس). هذه التسمية -إمّا في علاقة مع تواجد بئر ماء زلالٍ أو في علاقة مع وضعيّة "ارتفاع، علوّ"، لسان الرّمل هذا الذي يمتدّ ناتئاً على الماء

---

1. موسى بن ميمون -في "دليل الحائرين" (ترجمة S. Munk)- تتلمذ على بن رشد، طبيب وفمصفائيّ أندلسيّ (ولد بـقرطبة) شارح رئاستنيل.

2. حسب محمّد بهجت قبيسي (مصدر سبق ذكره)، ، عربين أو عربيل هو اسم أرميّ، يعني "مياه الرّبّ"،- أي عرب نيل (حيث عرب تنعت المياه). يمكن أن نلاحظ المدينة من الاسم نفسه عربيل (اربيل أو إربيل) في شمال بلاد الرّافدين (شمال العراق الحاليّة).

3. نجد في هذه التسمية -بحر "الضّوء"- الاسم الضّوء، الذي شرحناه أعلى السّياق.

"مرتفعًا" بالنّسبة لمستوى سطح البحر- هي عنصر إضافيّ يضمّ إلى رصيد الاستعمار العروبيّ في شمال البحر الأسود (وادي التانيس ووادي الدّانوب).

- شطّ العرب : هو الجزء الشّماليّ للخليج العربيّ، الذي فيه يصُبُّ نهرا دجلة والفرات. هذه التسمية التي تُفسّرُ عادةً "شاطئ العرب" قد تقرأ -توافقًا مع دلالة الاسم "عرب" المنصوص أعلاه- بمعنى له علاقة بالماء، أي "شاطئ (أو مصبّ) الماء العذب (لهذين النّهرين)".

- عروبة وعروبا : اسم الأميرة الفانقيّة.

لقد رأينا أعلى السّياق أنّ الاسم عرب، أسم فانقيّ (أو عروبيّ)، لا يزال مستعملاً إلى يومنا هذا، خاصّة في المغرب، بشكل عرب أو العربيّ. مؤنّثه عروبا (أو عروبة)، يكتب باليونانيّة "Eurôpê"[1]. هذا الاسم يعني "جميلة، لطيفة" أو "خالصة وصافية" (كما الرّصد)، اسم نلتقيه بالدّلالة المشار إليها أعلاه نفسها في القرآن:-

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (سورة الواقعة-الآية : 37)

عروبا، اسم تلقّبت به حفيدة ميناو، ملك قرتا (يكتب Aeropê أو Erope)،

امّ لأجاممنون وميناليل[2]، وتلقّبت به أيضًا جدّتها، ابنة فانق أو أجانور (ملك فانقيا) واخت قادم. وخطفها "ضوء" الآلهة متنكّرًا بهيئة ثورٍ، وجلبها إلى قرتا[3] وأعطت اسمها للقارّة الأروبيّة (بإبدال العين ألفا).

2.3.3 في علاقةٍ دلاليّة مع الجذر عرب

أ/ مجموع الآلهة الكنعانيّ-الأرميّ

- بعل : آلهة السّماء والأرض والعاصفة : لَوَّح بالرّعد وأنزل الأمطار المُخصبة. ابن لأشرات-يم"سيّدة البحر"، يشرف على العناصر الرّطبة. وامتثلت الآلهة حداد، آلهة العموريّين والأرميّين، المسمّى بالتالي بعل-حدّاد.

---

1. هذا الاسم، عروبا (من الجذر عرب) أشار إليه Z.S.Harris (مرجع سبق ذكره) باعتباره اسم فانقيّ. حسب الصّرف والنّحو الأرميّ، الحرف الصائت للذكّ (ألف) الذي به ينتهي هذا الاسم، أي ا لعروبا، ينبغي أنه أداة التعريف العهديّة، ممّا يجعلنا نترجم هذا الاسم عروبا بـ"الظّريفة، اللّطيفة".
2. انظر كتابنا "الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة".
3. صارت عروبا أمّا لميناو، غذامتن وسرفدون.

- هذا الاسم، حدّاد، يتألّف من كلمتين كنعانيّتين : حـَ (أداة التعريف) وذاذ [بإبدال بين الدّال (د) والذّال (ذ) في الفانقيّة]، الذي يعني "ساعد، دافع عن شخص"، وبالتالي مُرادف الجذر الكنعانيّ عرب، الذي صادفناه في المدرج (1- ز) من الفصل نفسه. وهو الاسم ذاته للنبيّ داوود -عليه السّلام-[1].

نجد هذا الجذر ذاد في العربيّة، بمعنى "حمى" أو في الاسم حديد (من الجذر نفسه للاسم الكنعانيّ المزجيّ باسم آلهة)[2] الذي يعني "معدن" أي "ما يحمي أو يدافع عن شخص" هذه الدّلالة أيضًا، متناسبة مع:

• معنى الآية القرآنيّة

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (سورة الأنبياء-الآية : 80)

مع استعمال كلمة لبوسٍ بمعنى "لباس، درع، زرد" (معدنيّ)،

• كذلك مع معنى الآية الخامسة والعشرين (25) من السّورة المسمّاة تقييدًا "الحديد" (سورة الحديد-الآية : 57) :

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

بالفانقيّة، الاسم بعل يعني كذلك "سيّد"، مرادف رب، الذي يعني أيضًا "عالٍ، مرتفع".

- رمّون "المرعد"[3] : هو أحد أسماء آلهة العاصفة والرّعد، حدّاد، عند الأرميّين. بيت-رمّون، في دمشق، كان مَعْبدًا شهيرًا بمذبحٍ ملحوظ. نجد في هذا الاسم المزجيّ باسم آلهة الجذر ر. م. "عالٍ، مرتفع"، مقرون باللاحقة ن (أو ـــون)".

1. انظر كتابنا "العرب، محرّكو الدّيانات الحنيفيّة الثلاث".
2. الاسم حديد، إذا، يتألّف من كلمتين، حيث يمثل المقطع الأوّل حـ أداة التعريف (في الكنعانيّة).
3. وإلى جانب ذلك فهو اسم مدينة بكنعان (فانقيا).

- عليّين : روح المياه الجارية، التي تسبّب الإنبات ، وهو ابن بعل. بإمكاننا معاينة أنّ الجذر علا، الذي يعني "صار مرتفعا، ..."، له علاقة مع المياه الجارية : مَعْنَيَيْن كامِنَيْنِ في الجذر عرب، الذي كنّا قد درسناه. الصّفة عليّ (جمعها عليّون) تعني "سام، كبير، شريف، مجيد، مرتفع" في حين أنّ الاسم عليّون له معنى "مكان شاهق في السّماء ، ملائكة".

- دجون أو دجان : آلهة الحصاد والزّرع، مبدع القمح : هو والد بعل. الاسم دَجن (جمعه دُجون ودِجان وأدجان) يعني "ظِلّ السّحاب، مطر غزير"، من الجذر دجن "أصبح مُظلمًا ومُمطرًا (الجوّ/ الطّقس)".

ب/ مجموع الالهة البابليّ

- أنكي أو آيا : آلهة المياه، والعنصر السّائل، كان له اليَدُ الطُولى على الشّعائر، أين كان للماء دور رائد، وكذا ربّ العلم والحكمة[1]. لقد رأينا أعلى السّياق الاسم المجانس لهذا الاسم المزجيّ باسم آلهة، في اللّغة البربريّة التي معناها "نبع ماءٍ غزير".

- أنو : آلهة السّماء (السّماء باعتبارها مصدر الماء، المكان الذي فيه يتألف الوَدَق). نجد هذا الاسم المزجيّ باسم آلهة، كاسم جنس في العربيّة مع نوء (النّوء) "المطر"، وفي البربريّة أنو "البئر"[2].

- أدَد أو حدَد : من أصل كنعانيّ آلهة العواصف والزّوابع، وأيضًا ربّ المطر، "سيّد الرّخاء".

3.3.3 أسماء اخر

أ/ معان، اسم مشتقّ من عين "نبع".

في الباب الأوّل (الفصل الثاني)، تكلّمنا عن الإشارة التي في الكتابات المنقوشة البابليّة لأهالٍ، سمُّوا معينيّين أو معانيّين[3]، باعتبارهم عمالقة، من

---

1. لقد رأينا مع تاويل تسمية الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل) ن ان الماء، على الصّعيد الرّوحيّ، ينعت العلم والمعرفة.

2. تامّل تناظر هذه الأسماء مع الكلمة عين "نبع" في الباب الثالث-الفصل الثاني (معجم).

3. يكتب هذا الاسم أيضا ميناويّين.

أصولٍ رافديّة. هذا الاسم معانيّين او معينيّين قد يكون جنيس التسمية عرب، بشكل دلاليّ واضح. على غرار اسم عرب، الذي يَمُتَ معناه بصلةٍ للماء، تسمية شعب السَابقة (أي المعينيّين) ذات الجذر ع. ي. ن.، حيث يعني اسم عين "نبع" واسم الفاعل معين "الذي ينبجس على سطح الأرض (نبع)". نجد هذا الاسم الأخير في الآية الثلاثين (30) من سورة الملك، بمعنى "نبع" ﴿مَاءٍ مَعِينٍ﴾.

ب/ عدن أو عدّان

كلمة تستخدم في سوريَة ؛ في الفلاحة، تنعت كميّة الماء النهريّ المستخدم والمَقيس حسب مساحة الأرض المرويّة والزّمن الذي يستغرقه سقي الحقل، حسب الماء المتوفر أو موسم الأمطار[1]. واندراج استعمال هذه الكلمة قصرًا على سوريَة، لا يوسعنا إلاّ افتراض أصلها الفانقيّ (أو الأرميّ).

للفعل عدّن في العربيّة معنى "سمّد (التربة)، حفر (الأرض)" : نجد الاسم عَدن غالبًا نعت بيان لكلمة"جنّات" (جنّات عدن).

ج/ رمى - عرب

- الجذر رمى، يرادف معنى الجذر عرب، مرتين : طورًا مع معنى "السّحاب" (رميّ) وطورًا ثانٍ مع "قرض (ربويّ)"رماء؛

- الجذر رمى، يعني أيضًا "قذف قذيفة، بلغ، أصاب شخصًا في بعض جسده (الله هو الذي يصيب)"، مع الاسم رميّ جمعه أرماء وأرمية "مزن صغير يعطي قطرًا كبيرا الحجم".

ارميا (أرمياو وإرميا) هو اسم نبيّ مذكور في "الكتاب المقدّس"، -الاسم الذي يترجم الكلمة "سحاب"- معاصر ملك بابل، نبو-خذ-نصر. له معنى

---

1. تعريف قدّمه محمّد بهجت قبيسي (مصدر سبق ذكره).

جنيس أسماء أخرى لأنبياء (إبراهيم، إسماعيل وإسحاق -عليه السّلام-) في علاقتها الدّلاليّة بالمطر. وهو أيضًا تسمية منطقة بأعالي الرّافدين (شمال شرقيّ نينوى)،

- الجذر رمى لِ، الذي من معانيه "دافع، حمى شخصًا"، يلحق دلاليًا بالجذر الفانقيّ عرب "ساعد"، دافع عن شخصٍ" ؛ أمّا صيغة الفعل أرمى على "أربى" والاسم رماء "ربا"، معناهما قريب لمعنى الكلمتين : عارب "رهن، ضمان" الفانقيّة أو العربيّة "عربون، ضمان، رهن"، مشتق من صيغة الفعل أعرب "أعطى عُربُونًا".

هذه الدّلالة الأخيرة نجدُها في الجذر رَبَا "ارتقى تلّةً" -الذي كنّا صادفناه في مدرج العنوان 1- مع الصّيغة رابى "أقرض بفائدة" مع الاسم ربى (رِبًا) "قرض بفائدة".

- الاسم رمي على "امتياز، تفوّق على شخص" قريبٌ دلاليًا من الجذر أرب -الذي كنّا رأيناه في بداية هذا الفصل- والذي له معنى "ماهر في شيء، أنهى، أتقن شيئًا" مع الصّيغة الفعليّة آرَبَ "تفوّق على شخصٍ".

د/ أرم = عرب

كلمة أروم وأرومة (من الجذر أرم) تعني "جذر، أصل"، معنى يمكن أن يسقط على اللّغة العربيّة، لسان القرآن -اللّغة-الأمّ لجميع اللّغات العروبيّة- كما على الأريم (أو الأزميّين-العرميّين) أي العرب، متكلّمي لغةٍ واحدة، ذوي سلفٍ مشترك. كما يمكن حَمْلُهُ أيضًا كأصل البشريّة الثانية، بعد الطّوفان، المنحدرة من مناطق مرتفعة (مناطق جبليّة).

4.3 العرب والأعراب في القرآن

إذا كان الاسم "عربيّ" لم يستعمل في القرآن إلاّ كصفة، نعت بيان للقرآن الكريم أو الحكم أو اللّغة، أو النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فالاسم أعراب يستعمل هو الآخر كاسم، ويشير إلى نمطِ مجتمعٍ محدّد، مجتمع البدو والرّحّل.

هؤلاء المذكورون يتعرّفون -وقد رأينا ذلك مع دلالة الجذر عرب- كأولئك "الذين يَعُوزهم الماء"، أي مُقابلةً للعرب "الذين يقطنون قرب موقع ماء (الحضر)"[1].

الآيات -في بعضها على الأقلّ- التي تتكلّم عن الرّحّل تتيح لنا رَصْدَ معنى هذا الاسم أعراب، في الصّعيد الأخلاقيّ والرّوحيّ : يتعلّق الأمر بـ "أولئك فاقدي الماء" ولم يتلقّوا علمًا (دينًا) في الأصل، ولا سجايا (أخلاقية)، خِلافًا لـ "أولئك الذين يستفيدون من الماء"، أولئك المهتدون.

- هكذا تقدّم لنا الآية التالية :

﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾،

(سورة التوبة-الآية : 97)

- وفي الآية الواحدة بعد المائة (101) من السّورة ذاتها :

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾.

- وفي آية أخرى (سورة التوبة- الآية : 99)، يصف بعض الرّحّل كمؤمنين حقًّا:

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾.

ممّا يَلْزم عنه أنه لا يكفي وفقط أن تكون من الحضر (مقيمًا قرب موقع ماء) لتكون مؤمنًا، كما أنّ كون المرء بدويًا، لا يحول دون التقرّب من الله والتوبة إليه. وهو بالتحديد ما اتفق من ذكر اسم أعراب في السّورة المسمّاة بسورة التوبة، ستّ مرّات (من كَسْرِ تسعٍ في مجمل القرآن).

---

1. ممّا يعطينا المتلازمات الثلاثيّة التالية :
- لا تحضّر دونما ماء.
- لا طهارة دون ماء.﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ (سورة الأنفال-الآية : 11)
- لا انبياء دون حضر.﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ (سورة يوسف-الآية ، 109)

4. جملة القول

في متن هذا الفصل، أعطينا ترجمة أسماء عدّة لشيوخ وأنبياء و/ أو رسل، من سام إلى أرميا (بالتحفّظ إذ لم يذكرا في القرآن)، مرورًا بإبراهيم وأبنائه، الذين ينحدر جميعُهم في عمودِ نسب مباشرٍ عن النبيّ نوح -عليهم جميعًا الصّلاة والسّلام-.

هذا المتقدّم، يتلقّب باسم يكتب "نوح" في العربيّة، ذي الجذر ناح، الذي "لا يُساير" -بدلالة واضحة- النّصّ القرآنيّ أو نصّ "العهد القديم". في حين أنّه مُراعاةً لمهمّته النبويّة (أي نوح -عليه السّلام-، مذكور في القرآن، في السّورة القرآنيّة التي تتسمّى باسمه) وبالنظر إلى تسمية كثير من ولده وأحفاده (حتى إسماعيل وإسحاق -عليهما السّلام- مثلاً)، وهي التسمية التي ترتبط دلالتها بالسّماء، والسّحب والمطر، فإنّنا نُحَالُ -بصورةٍ طبيعيّةٍ- إلى اسم ذي معنًى جنيس.

زيادة على هذا، إذا ما استحضرنا أنّ هنالك حروفا (أو أصواتا) يمكن أن تختلط بأخرى (هي ظاهرة إبدال الحروف المُتباحثة في الفصل الثاني من الباب الثالث)- بالضّبط الهمزة (ء) والحاء (ح)[1] في حالتنا هذه- يمكن قراءة اسم نوح بالأداء "نوء" (من الجذر ناء). تحديدا هذه الكلمة هي التي تعني "مطر"، والتي تكتب "نوء" (جمعها أنواء أو أنوء).

هذا التأويل يتوافق مع نصوص "الكتاب المقدّس (سفر التكوين)" المرتبطة مع الطّوفان: « سأمطر الأرضَ أربعين يومًا وليلة ... سيعمّ طّوفان المياه الأرض ... انفجرت كلّ ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السّماء ». وفي نهاية الطّوفان ("سفر التكوين")، بارك الله نوحًا وبنيه، ويخاطبهم: « لتخصبُوا، وتتكاثروا، ولتملأوا الأرض » (تعبير جنيس ذلك الذي به خوطب إبراهيم وإسماعيل وإسحاق).

1. لقد رأينا، في الباب الأوّل (الفصل الثالث)، أن الجذر رفح يمكن امتثاله في رفأ.

وكذا يثبت القرآن : (سورة نوح - الآيتان : 1 و11)

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

نجد اسم هذا الرّسول -عليه السّلام-، يتلقّبُ به آلهة رافدية -أنو، آلهة السّماء- اسم مرادفه وجنيسه. إنّه من الرّاجح أنّ العرب الوثنيّين الذين عبدوا الصّالحين الخمسة، بعد موتهم (قد أشير لهذه الآلهة في القرآن، في الآية الثالثة والعشرين) أو خلفاءهم، قد سلكوا الفعل نفسه مع نوحٍ وألّهوه محافظين على اسمه، أنوا أو أنوء أو أنوء (تحويله الصّوتيّ أنو).

فضلاً عن هذا، هناك جذرٌ يوافق تقريبا الأوّل، وهو نوى[1] يعني "حافظ، رعى شخصًا (الله)"، وأيضًا "هاجر من مكانٍ لآخر" أو "نأى، أصبح بعيدًا عن ..."؛ جميع هذه المعاني في طرف معادلة مع الطّوفان وملاذ نوحٍ وأسرته داخل الفلك ... وكون ، وأمّا نوح فوجد نعمة في عيني الرّبّ ، ("سفر التّكوين").

وهو ما يتفق أيضًا مع القرآن :

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ . . .﴾ (سورة الأنبياء - الآية : 76).

﴿وَنَصَرْنَاهُ﴾ (سورة الأنبياء -الآية : 77).

الجذر ذاته يعطينا الاسم نواة (جمعه أنواء، جنيس أنواء "الأمطار"). هذه الكلمة التي تعني "لبّ، جوهر"، ويمثلها بجلاءٍ النبيّ نوح -عليه السّلام-، الذي سيصبح (مع أولاده)، نواة البشريّة، النّواة هذه منحت ميلاد الجنس البشريّ، ما بعد الطّوفان، وأتاحت إعمار الأرض.

1. التناوب بين حروف العلة : الألف (ا) والواو (و) والياء (ي) وارد بتواتر في معجم اللّغة العربيّة.

وقد حدثت إعادة الإعمار رأسًا في المناطق الأناضوليّة، والقوقصيّة ومناطق شمال بلاد الرّافدين -مناطق تختلط بالمهد الفضائيّ المفترض للمتكلّمين بلغات عروبيّة-وبعده نحو المناطق المجاورة.

في كتابه "حضارة العرب"، كتب G. Lebon : ،تثبت لنا الّلسانيّات أنّه في عهد جدّ قديم، جميع المناطق الواسعة، المنحصرة بين القوقص وجنوب البلاد العربيّة قطنتها شعوب تتكلّم لغة واحدة إن لم نقل من عرق واحد،. وأضاف في سياق آخر : ، والحال هذه، فأدبٌ ولغة ما، لا ينبغي ارتجالهما، ووجودهما، لَهُوَ بُرهان ماضٍ سحيق ... لا بدّ من اقتضاء استعدادات هي دائمًا ثمار تراكمات وراثيّة بطيئة، وبالتالي ثقافةٍ عريضةٍ سابقةٍ ،.

هذا الاستشهاد الفيصل لـ G. Lebon يجسّد بجلاءٍ المباحثة التاريخيّة التي قاربناها خلال متن هذا المصنف، كما يُبلوِرُ بصراحةٍ حالة الكمال التي بلغتها (أو حازتها منذ أصلها) الّلغة العربيّة، وهي حالة ترتبط بخاصنةٍ تعقيدٍ بالغ -خاصنةٍ أجملناها بضرب مثال واحد "حيّ"، واضحٍ دلاليًا وفقهيًا (لغويًا).

حقائق لسانيّة عديدة -دوولت في الفصل السّابق- مثل الاشتقاق والإقلاب وإبدال الحروف، والاشتراك الّلفظيّ لجذر واحد، والمتضادّات والّلواحق، إلخ. قد تسمح لنا باستجلاء الجزء الظّاهر من الّلغة العربيّة، ولكن لا تسمح بسبر الأغوار العميقة لهذا الّلسان، مثل جبلٍ عائمٍ رواسيه في المحيط أو ذاهبة في الأرض.

يسمح لنا مثال واحد، متعلّق بكلمة "عربيّ" - كلمة دوننا الإحاطة بها- باستكشاف عددٍ كبير من الدّلالات المرتبطة بهذا الجذر ومشتقّاته. كما هو الحال لكلّ جذر من الّلغة العربيّة. الاسم "عربيّ"، لوحده، يمكن أن يعتبر تلخيصا أو ملتقًى لاستوصاف الأرض والتاريخ والعلم والأخلاق والرّوحانيّة والدّين ... دون حصر.

يفسَحُ لنا هذا المثال مجالات بحث مضاعفة ومتنوّعة، التي قد تمتدّ لا على مستوى كلّ جذرٍ من اللّغة فحسب، ولكن تطال كلّ حرفٍ من معجم اللّغة العربيّة ! وهنا، نستوعب أفضل معنى الحديث -الذي رَواه الترميذي-، ونصّه :

قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : ﴿مَنْ قرأ حَرْفًا من كتابِ اللهِ فلهُ بهِ حسنةٌ والحسنةُ بعشرِ أمثالها﴾ (رواه الترمذيّ والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنهما).

1.4 مقترحات

تتيح لنا الدّراسة الدّلاليّة للجذر عرب تهجيته إلى أقسام ثلاثة (يمثل كلّ منها حرفًا من الجذر) ونقترح دلالة أو عدّة لكلّ حرف.

• الاقتراح الأوّل :

ع	الصّيغة المرخّمة من كلمة عين "نبع، أصل، جوهر شيء" نلتقيها في الجزء الثاني من ترجمتنا لاسم إسماعيل
ر	هي الكلمة الفانقيّة (التي رأيناها)، التي تنعت "الجبل" (أي مكانٍ مرتفع)
ب	الصّيغة المرخّمة لِبت (في الفانقيّة والأرميّة) أو بيت (في العربيّة) "سكن، منزل"، وأيضًا "معبد، مسجد"[1]. في الهجاءات العروبيّة، يمثل حرف الباء بمنزل ويسمّى تحديدًا بت.

1. نجد هذه الدلالة في القرآن ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾(سورة إبراهيم-الآية : 37). وكذا ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ، . . .﴾ (سورة الحج-الآية : 26). ومعنى المسجد مُقرّ في ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ (سورة الحج-الآية : 25).

الكلمة "عرب" التي بها يتلقّب الأهالي (العرب)، أو من باب أولى متكلّمي لغات عروبيّة، لها معنى :

- "أولئك الذين، في الأصل، سكنوا الجبل أو أرضًا مرتفعة : هم الجبليّون، قوم حضر"؛

- "أولئك الذين يحوزون سجايا أخلاقيّة شريفة وسامية ".

• **الاقتراح الثاني :**

إذا كانت معرفة لسان الكتاب الكريم، تسمح لنا بفهم قسطٍ كبيرٍ من مختلف معاني آي النصّ المقدّس، فالقرآن في حدّ ذاته يساعدنا على ترجمة بعض الكلمات أو الحروف المكوّنة لبعض الكلمات : وهو ما أثبتناه أعلاه، مع دلالة -ليس جليّة دائمًا- للاسم "عربيّ".

يمكن محاولة تبنّي هذه القراءة -باعتبارها أطروحة عمل- على حروف الجذر عرب (على أنموذج شعريّ، يقوم على تأليف عنوان القصيدة انطلاقا من الحرف الأوّل من كلّ بيت بها)، معتبرين في ذلك الآية الثالثة من سورة قريش، التي تتسمّى تبعًا لقبيلة بني قريش، وهم عرب :

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾.

ع	الصّيغة المرخّمة للفعل عبد "قصد بالعبادة، أطاع (الله)، خدمه"[1]
ر	أوّل حرف لكلمة ربّ "سيّد "
ب	الصّيغة المرخّمة لكلمة بيت (عرّفت أعلاه)

---

1. يمكن معاينة إمكان التناوب بين الحروف : الدّال (د) والرّاء (ر)، ممّا استدعى قرب الجذر عبد من الجذر عبر (أو عرب بعد الإقلاب). من جهة أخرى، الجذر عبد (في الكنعانيّة) هو مرادف الأفعال (في العربيّة) عمل "اشتغل، أنجز شيئا"، خدم "قام بمهمة، كان تحت تصرف شخص" أو طاع "انصاع لشخص، استجاب له/ انقاد".
لقد رأينا، في بداية الفصل، أنّ الفعل عرب (في الكنعانيّة) يعني "وقف لجانب شخص، دعمه، ذاد عنه"، ممّا يجعل من هذه الدّلالة قريبة من عبد وجنيساتها. بهذا فالتسمية المتقلّدة من طرف ملك المملكة العربيّة السّعوديّة الحاليّة (البلاد التي بها البقاع المقدّسة) تترجم -بالفعل خدم، خادم الحرمين الشّريفين (قيّم البقاع المقدّسة)- بالمعنى عبد " تزلّف إلى الله، أطاعه، قام بخدمته".

يمكن تهجية الكلمة ربّ، أيضًا، إلى حرفين-جذرين : الأوّل، الرّاء (ر) ممثلةً الكلمة الفانقيّة "جبل" (أو مكان عالٍ) كما الكلمة (الفانقيّة والأكاديّة) ربّ "عالٍ، مرتفع"، في حين أنّ الجزء الثاني هو الباء (ب) التي نتناوَلها بِـ "منزل". هكذا على الصّعيد الاجتماعيّ (أو الأسريّ) -في العربيّة كما في سائر اللّغات العروبيّة- تعني ربّ "سيّد (البيت)، شيط (القبيلة)، سيّد (العائلة)"، وعلى الصّعيد الدّينيّ، لها معنى "إله (البيت المشرّف)" أي مسجد مكّة المكرّمة، كما تنصّ عليه الآية المذكورة أعلى السّياق.

كلمة "عرب" التي بها يسمّى النّاطقون باللّغات العروبيّة إذاً لها معنى : "أولئك الذين يعبدون الرّبّ ويخدمون بيته".

• **الاقتراح الثالث :**

تسمح لنا الآيتين، الأولى والرّابعة من سورة العلق، باستقراء الحروف الثلاثة للجذر محلّ النّظر، كما يلي :

- الآية الأولى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، بتهجية كلمة اقرأ إلى حرفين-جذرين : ق (من الجذر و. ق. ي.، عُولجت أعلاه) والرّاء (ر) (سبقت مباحثتها). اقرأ إي "احفظ (بتبليغ) المكتوب (الكتاب)".

- الآية الرّابعة : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾.

ع	الصّيغة المرخّمة من الفعل علم : علّم "أفهم شيئًا لشخصٍ ما، عرّفَ"
ر	كلمة المعجم البربريّ (التقيناها) تنعت "مكتوب أو كتاب"، وتدخل في تكوين الفعل قرأ والاسم قرآن الذي شرحناه أعلاه.
ب	الصّيغة المرخّمة لكلمة بيت، أو الجزء الثاني من كلمة ربّ

الكلمة "عرب" التي بها يتلقّب الأهالي "العرب" تعني بالتالي :

- "أولئك الذين علّموا الدّين (بوساطة الكتاب)، في المسجد أو المعبد"

- "أولئك الذين أنزل عليهم مكتوب (كتاب) من طرف الله"

- "أولئك الذين يعرفون العلوم (الدّينيّة والدّنيويّة) والكتابة".

يمكن أن يزوّدنا حرف النون، بمثالٍ مميّز لهذه الحروف-الكلمات، وهو الذي ينعت الحرف من الاسم ذاته من الهجاءات العروبيّة، وكذا "الحوت" : معنى مشترك بين لغات عروبيّة عدّة. في حين أنّ معجم اللّغة العربيّة يترجم هذه الكلمة "بسمك ضخم" (من جنس الثديّات البحرية)، كما أشير إليه في القرآن، مع النّبيّ يونس -عليه السّلام-[1]، الذي يسمّى أيضًا ذا النّون (سورة الأنبياء-الآية : 87) أو صاحب الحوت، من معنى واحدٍ (سورة القلم-الآية : 48)[2] وهي تعابير ذات علاقة بإقامة هذا النّبيّ -عليه السّلام- في بطن الحوت.

يطلق على استخدام الصّيغة المختزلة من كلمة (أي نطق الصّوت الأوّل أو الحرف الأوّل، أو المقطع الأوّل من الكلمة)، في العربيّة مصطلح الترخيم (حرفيًا "اختصار وتخفيف كلمة") : وقد ظلّت هذه الصّيغة دارجةً ولا تزال في اللّغة العربيّة، بخاصّة في بعض المناطق وعند بعض القبائل أو في اللّهجة الشّعبيّة. وقد أورد محمّد بهجت قبيسي[3] بعض أمثلة (في الصّفحة الثالثة والسّتين بعد المائة) :

- يافا ← يا فاطمة

- يا م ← يا محمّد (مستعملة في سوريّة، في شمال دمشق)

- يا مح ← يا محمّد (مستعملة في الجزائر)

- ابن ما ← ابن مالك (مستعملة في قبيلة طيء)

- درس المنا ← درس المنازل

---

1. يمكن ان نعثر في الاسم يونس على اللاّحقة العربيّة "س" في نهاية الاسم، يو (او يا) هو السّابقة التي نلتقيها في غير ما لقب عروبيّ، مثل يوسف، يوحنا، ياغموراسن، يغوث، يعوق، إلخ. ممّا يعطينا كجذر للاسم يونس، نون -اي حرف النّون (ن) (مجرّد من كل سابقة او لاحقة)-.

2. تسمّى هذه السّورة ايضا بسورة نون، انتحالا من ابتدائها بـ"ن والقلم ...".

3. مصدر سبق ذكره.

وهل يكون هذا النطق الخاصّ يا ترى بقيّة استخدام حروف- كلمات او اسماء-أصوات في اللّغات العروبيّة في زمن جدّ قديم، او ذكرى عهدٍ عتيق، يرقى إلى حقبة "تفكّك" اللّغة-الأمّ إلى فروع عدّة ؟

2.4 استنتاجات

بهذا، يتيح لنا الجذر عرب، بمختلف معانيه، وعلاقاته الدّلاليّة مع جذورٍ جنيسةٍ وبعلاقاته الكتابيّة او الخطّيّة (إبدال الحروف) مع كلمات اخرى، بمختلف معاني كلّ حرفٍ من هذا الجذر، **بتأكيد او استنتاج انّ :**

1.2.4 على الصّعيد التاريخيّ والاستوصافيّ-الأرضيّ والاجتماعيّ

- العربيّ، في الأصل، يتحدّد راسًا بمسكنه الفضائيّ : هو حضريّ يسكن قرب مجرى نهرٍ أو سيل، بتفضيل مقاربة منبعه، أي في المناطق المرتفعة كفايةً (مناطق جبليّة، تلال، هضاب عليا، ...)، مناطق قد حدّدناها بدراسة المهد الأوّل للناطقين بالعربيّة. وبالتالي، نرتقي إلى حقبة أقدم، قد تكون حقبة انقسام الجذع المشترك للّغة-الأمّ إلى فروع عدّة، مع ظهور اللّغات العروبيّة ؛

- ثمّ، تحت طائلة هجراته المتوالية، يقطن السّهول والأنحاء السّاحليّة، حينما يتبع مجرى هذا النهر أو هذا السّيل (اي من منبعه، في الجبل) إلى غاية مصبّه، في البحر؛

- اخيرًا، العربيّ ينعت البدويّ، الذي يعيش في الصّحراء ويبحث -دائبا- عن مواقع الماء (آبار، نقوب الصخر اين يكمن الماء، ...). هو هذا الماء من اتاح الحياة له، وحتى العيش في استكفاء.

2.2.4 على الصّعيد التّجاريّ والملاحيّ والماليّ

- العرب تجّار موهوبون، ملأحة مقتدرون، بحّارة أنهار محنّكون وحرفيّون أصحاب صنعة[1]؛
- بعضٌ منهم خبراء بالشّؤون الماليّة رفهون، ولكن نهمون للكسب.

3.2.4 على الصّعيد الخلقيّ

- يُميّزهم سموّ الخلق والنّبل والكرم؛
- يصطبغون بالاعتزاز النّفسيّ والفروسيّة والإباء.

بهذا الصّدد، صوّرَ G. Lebon[2] العرب كما يلي : « للعرب روحٌ متقدة، خاصّة العزّ والاستقلال، وهم حذرون متكتّمون ولكن بَواسِل وأصحاب إقدام. ببراعة فائقة وذكاء ألمعيّ ونادرٍ، لهم القابليّة على مِراسٍ جميع الفنون والمهن. طبائع سخائهم وكرمهم أنجبت شيم الفروسيّة، التي كانت عليها عالة شعوب أوربا».

ينهي الكاتب، هذا التّصوير الخلقيّ مصرّحًا : « العرب أحد أنبل أجناس المعمورة، بخاصّةٍ عرب المدن ».

هذا التّصوير الوجيز للعرب، على صعيد الطّبائع والأخلاق، الذي يرسمه مؤلّفون كُثرٌ، يؤكّد تأويلنا الفقهيّ اللّغويّ والدّلالي للاسم "عربيّ".

4.2.4 على الصّعيد الدّينيّ والنّسبيّ

- يمكن تجلية العربيّ في المسلم، حسب الدّلالة التي قدّمناها في الفقرة السّابقة، المتعلّقة بسمُوّ الخلق والاستقامة والكرم، إلخ. توازيًا مع تقوى الله وطاعته، والتزام حسنٍ بأحكام الدّين؛

---

1. الجذر ربن (أو الصّيغة الفعليّة اربن) يعني "أعطى عربونا لشخص" (مرادف الفعل عربن) وكذا الصّيغة الفعليّة تربّن لها معنى "صار قائدا لمركب".
2. في كتابه "حضارة العرب".

- إنّ قراءة أسماء أنبياء كثر (نوح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، إلخ، -عليهم السلام-) وكتب منزّلة (التوراة والإنجيل والقرآن) في طرف معادلة مع دلالة الاسم "عربيّ"، تماشيًا مع "ترجمة" اسم هذه الكتب الثلاثة التي اجريناها، يمكن القول أنه إذا كان القرآن قد نعت بـ "العربيّ" في النصّ القرآنيّ، هذا الإيعاز ذاته يمكن إسقاطه على الكتابين الموحيين الآخرين، يتعلّق الأمر بكون التوراة والإنجيل هما الأخريان "عربيّان".

- يتناغم تفسير أسماء ذرّيّة نوح (سام، أرم/ عرم، عابر) مع إحدى معاني الاسم "عربيّ".

5.2.4 على الصّعيد العلميّ

- لقد نهَلَ العرب العلم (الدّينيّ أو الدّنيويّ) وعرّفوه (غيرهم). حسب G. Lebon (في كتابه "حضارة العرب")، ، هي ترجمات الكتب العربيّة-وبخاصّة المرتبطة منها بالعلوم- من خدم أساسا، وحصرا التعليم بالجامعات الأروبيّة، طيلة خمسمائة إلى ستمائة سنة. ففي بعض الفروع، كالطّبّ، على سبيل المثال، بوسعنا القول أنّ تأثيره لا يزال متصلا بيومنا هذا. ففي نهاية القرن الماضي، لا تزال تشرح في مدينة مونت بيليا مصنّفات ابن سينا،

- لقد اكتشف العرب (بفضل الله) الكتابة (أو أنماط الكتابة المختلفة) وعلّموها (غيرهم).

6.2.4 على الصّعيد الدّلاليّ

- تعدّد المعاني للاسم "عرب"، هو القاعدة في لُغات عروبيّة كثيرة ،

- للاسم "عرب" معنيان متضادّان : يعني في الحين ذاته "حضرًا" (عربيّ) وبدوًا (أعرابي)،

- المعنى الوارد غالبًا، مرتبطًا بالاسم "عرب"، المشترك بين لغات عروبيّة عدّة هو :

- إمّا في علاقة بالسّماء والمطر والماء (بئر، نبع) أو منطقة مرتفعة (مثل الجبل، الذي منه تنساب الينابيع ومجاري الماء) -انظر الملحق السّادس،

هذه الدّلالة "الرّطبة"، في علاقة مع الاسم قرآن (قد شرحنا ذلك ضمن هذا الفصل نفسه-3.2.3) وكذا مع نعته "عربيّ"، تتيح لنا إجراء قراءة جديدة لبعض الكلمات متعدّدة المعاني، المستعملة في النصّ القرآنيّ، على سبيل المثال، المتعلّقة بالجذر نصر، الذي يترجم عادةً ب "ساعد، عاون، انجد شخصًا".

لهذا الجذر، أيضًا، معنى "سقى بغزارة (الأرض ؛ المطر)". هذه الترجمة الأخيرة قد تتناسب اكثر في بعض الآي، بخاصّة تلك التي تذكر "النّار"، مثل ؛

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (سورة القصص- الآية ، 41)

في هذا المقام معنى "النّجدة" (في صورة مطر) محدّد[1]. النّار هي مرادفة الجحيم، في حين انّ الجنان (أو الجنّة) يمثّلها المطر (او الماء). يمكن معاينة آياتٍ اخر ورد فيها استعمال المتضادّات نار ونصر "ماء المطر" (منها الآية 25 من سورة نوح) ؛

﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾.

على غرار "نصر"، هناك جذور عديدة اخر في علاقة مع المطر (او السّحب التي تعطي المطر) ؛ لقد أحصي في معجم اللّغة العربيّة، مائتين ونيف،

- وإمّا بدرجة اقلّ، في علاقة بالعربون، الضّمان او الرّبا (اي مع التّمويل والتّجارة).

7.2.4 على الصّعيد العَلَميّ

- ارم/ عرم هو كتابة ثانية (او نطق) للقب عرب،

- الأرم او الأرميّون (العرميّون/ العربيّون)، هم العرب،

---

1. تفسير الآية، في المرجع للوزارة السّعوديّة، الوارد في ثبت المراجع هو كالآتي ؛ «جعلناهم ائمّة يدعون النّاس للنّار ويوم القيامة لا ينصرون (لن ينجون)».

- الأهالي، المحلّيون لأروبا، قبل مجيء الهنود-الأروبيّين، كانوا عربًا أو عروبيّين (أروبيّين) أي قاطني القارّة الأروبيّة، التي سمّيت تبعًا للأميرة العربيّة-الفانقيّة عروبا-بإبدال الباء العربيّ بالصّوت P اللاّتينيّ؛

- الاسم "عرب"، إضافة إلى معانيه الكثيرة، الواضحة والنّقيّة، يَضُمُّ دلالات أخرات، التي وإن كانت مستترة، لها فضائل مخفيّة، يشي بها السّياق : هذا ما بيّناه بصدد الصّفة "عربيّ"، نعت بيان للكلمات قرآن، حكم أو لغة.

هكذا الاسم "عرب" يمكن أن ينعت أناسا (تسمية أشخاص)، بلدا أو منطقة (تسمية أماكن)، مجرى ماء (تسمية أنهار). كما أنّه يمكن أن يكون اسم جنس متعدّد الدّلالات : مصطلحًا دينيًا، مصطلحًا فنّيًا (الزّراعة، التّجارة، الاقتصاد، الرّصد الجويّ، اللّسانيّات)، وسيلة تنقّل (بريّة أو نهريّة). ويمكن أيضًا أن يُجسّد الجمال والأناقة، ويمثّل السّموّ الخلقيّ والرّوحيّ. الاسم "عرب" يمكن نهايةً أن يفيد في تسمية أهالٍ كُثُر (سواءً في حدود شبه الجزيرة العربيّة أو خارجها) يتألّفون من أجناسٍ بشريّة متنوّعة مشكّلة قُزحة مجتمعات ، أهالٍ تجمعهم ثقافة واحدة، رصّتهم لغة واحدة، هي اللّسان العربيّ.

الملحق السّادس

جذور أخرى -من غير الرّاء-

لها معان ذات علاقة في الحين ذاته بالمكان المرتفع (سماء، جبل، ...)

والماء المتحدّر (مطر، ماء نبع)

الجذر	
تلّ	"وقع/ سقط، انصبّ وجرى (سائل) مع الاسم تلّ "رابية، أكمة، هضبة، ربوة "
تلع	مع الاسم تلعة "ارتفاع، أكمة"، "تيّار ماء دافق من عل"
جبل	"شكّل، خلق، مزج (التراب بالماء)" مع الاسم جبل "المرتفع الصّلد الذّاهب في السّماء" والاسم جبل "خلْق، عجن"
دهق	"شطر إلى أجزاء، كسر شيئا" و"ملأ (كوب شرب)" مع الاسم دهاق "مترع (كاس، كوب شرب)، غزير (ماء)"
زلّ	"انزلق، تعثّر" مع الاسم زلّة "حجر أملس مزحلق" وماء زلال "ماء صاف، عذب"
سدّ	"أوكأ، أغلق (ثقبا)، ملأ فراغا" مع الاسم سدّ "حاجز، جبل" وسُدّ "سحاب أسود، وادٍ مليء بالصّخور حيث يحتبس الماء"
شعب	"تفرّق، انقسم، أعاد تجميع، جمّع شيئا" مع الاسم شِعب "ممرّ خلال الجبال، معبر ماء في الأرض" والاسم شعبة "مجرى ماء في الرّمل، صدع، فلق"

شعف	مع الاسمين شَعَفَة "ذروة، قمّة" وشَعَفة "مطر رذاذ"
شقّ	"مخر السّماء (برق)، فطر، شطر "مع الاسمين شِقّ "سفح جبل" وشقيقة "مطر غزير، واد خصب بين جبلين"
شال	"عتل صخرا" والصّيغة الفعليّة شوّل "شحّ (بكمية قليلة، حليب أو ماء)" مع الاسم شول "فضلة ماء في الوعاء"
صدّ	"ارتدّ عن" مع الاسمين صدّ "جبل، عقبة واد" وصدّاد "طريق يقود إلى الماء"
صدع	"فلق، فرق، اجتاز (مفازة او نهرا)" مع الاسم صادع "ما يمتدّ نحو الآفاق (جبل او نهر) "
صفا	"صار نقيّا، صافيا، (الماء)" مع الاسمين صفاة "صخر، حجر" وصفو "واضح، خالص"
صها	مع الاسم صهوة "برج في قمّة الجبل" وأيضا "نقب حيث الماء"
صاب	"سقط (المطر)، سكب، أراق (سائلا)" مع الاسمين صوبة "ركام، كدس" وصوب "مزن يعطي الغيث"
طبز	"ملأ (وعاء)" مع الاسم طبز "صخر"
طغا	"فاض (النهر)" مع الاسمين طغية "جبل وعر" وطاغية "صاعقة"
طلّ	"بلّل يسيرا الأرض (ندى)" مع الاسم طلّ "زخّة أو رذاذ"
أطلّ على	"ارتقى علوّا، أشرف ..." مع الاسم مطلّ "مكان مرتفع، برج"

عدن	"حفر (الأرض)، نزع، اقتلع صخرا" مع الاسمين عدان "ضفة، شاطئ (بحر، نهر)" و"(جنات) عدن"
عقل	"تسنم الجبل (ضبي)" مع الاسمين معقل "ملاذ، منيع، جبل شاهق" وعاقول "البحر المائج أو أمواجه"
علّ	"شرب ثانية" مع الاسمين علل "الإرواء الثاني" وعلّية "غرفة علويّة"
علم	مع الاسمين علم "جبل مرتفع" وعيلم "جبّ به ماء وفير، بحر"
علا أو على	"صار مرتفعا، سما، ارتقى مكانا" مع الاسم عِلاية "كلّ مكان مرتفع" مع الاسم علياء "مكان مرتفع، سماء، جبل"
عنّ	"تبدّى، تواجد في طريق شخص (شيء)" مع الاسمين أعنان "قمّة الشجرة، الأفق المرئي (من السّماء)" وعنان "سحاب مطير"
غدر	"مليء بالمحصبات (المناطق كثيرة الحصى)، شرب من ماء المطر" مع الاسمين غدر "أرض غير مستوية، صلدة، حجريّة" وغدير "بركة، رزنة، سيل صغير"
فضّ	مع الاسمين فضّة "أرض حصباء" وفضض "قطرات الماء السّاقطة حينما نغتسل"
مصد	صار شديدا (البرد أو الحرر)" مع الاسمين مصد "قمّة جبل" ومصدة "مطر، زخّة مطر، مزنة"

الفصل الرّابع

حول التّطابقات بين العربيّة واللّغات الهنديّة-الأروبيّة

1. العلاقات الدّلاليّة

يخبرنا المؤلّفون ذوو اللّغة اليونانيّة الذين كتبوا في حقبة متأخّرة عن اجتباء اللّغة المشتركة (Koinè) -مثل ابن طوقيد وعرض-وسطان وديودور الصّقليّ وسطرابو، ... بأنّ بعض الكلمات مثل سميّ (Samoi)، برج (Polis)، ورد Wrôdon (Rodon)، إلخ. لم تعُد مستعملة في اللّغة اليونانيّة الفصحى، وكانت حاضرة في اللّغة اليونانيّة القديمة، أي قبل اجتباء اللّغة المشتركة. هؤلاء المؤلّفون يذكرون هذه الكلمات كأنّها مستعملة من طرف كتّاب أقدم (سابقين للقرن الخامس قبل الميلاد)، كلمات ترقى إلى عمر بن معان، أقدم الكتاب "الإغريق". انطلاقًا من كون الكلمات المذكورة كمثلٍ والتي لا مشاحة في عربيّة أصلها، -سميّ "مكان مرتفع"، برج كلمة تنعت "الحصن" في الأوّل، وعن طريق التوسّع الدّلاليّ حملت معنى "مدينة" "polis" (تحويل الباء العربيّة إلى P وتناوب بين اللاّم والرّاء)، وورد أي، إلخ.- فمن الصّواب القول أنّ هذه اللّغة اليونانيّة القديمة كانت ببساطة لغة عروبيّة :

- لقد بيّنا في الباب الأوّل (الفصل الخامس) والباب الثّالث (الفصل الأوّل) بعد دراسة تاريخ الاستعمارات العروبيّة في بلاد الإغريق وذكر المؤلّفين الذين يقرّون بأنّ أولى أهالي بلاد الإغريق، لم يكونوا هنودًا-أروبيّين ولكن "شرقيّين" [1]،

---

1. انظر كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة".

- ليست اللّغة اليونانيّة القديمة فريدة، والمؤلّفون، بحجّة صحيحة، يصرّحون بأنه تواجدت لغات يونانيّة قديمة كثيرة في بلاد الإغريق، قد تتطابق كلّ واحدة منها بلغة استعمار عروبيّ خاصّة : مصريّة، فانقيّة، بابليّة، أشوريّة، إلخ.؛

- اللّغة اليونانيّة لأثينا كانت قريبة إن لم نقل مطابقة لليونياويّة المتكلّمة في آسيا الصّغرى[1]؛ لقد لاحظ A. Jardé[2] التأثير الأدبيّ لبلاد يونيا على أثينا، بخاصّة بفضل الأشعار العمريّة، والقرابة القوميّة واللّسانيّة للمنطقتين؛

- اللّغة الأجاويّة، أيضًا، يمكن اعتبارها كلغة عروبيّة، ذلك أنّ المؤلّفين يتكلّمون عن هذه اللّغة كلغة ما قبل-الهلأنيّة جاريّة في جميع مناطق حوض البحر الأبيض المتوسّط الشّرقيّ هذه، في عهد (سابق للألفيّة الثانية قبل الميلاد) حيث لم يتواجد غير الأهالي العروبيّين في المشرق (رافديّون، فانقيّون، مصريّون، ...) الذين تكلّموا بطبيعة الحال لغات عروبيّة. يصرّح المؤلّف A. Meillet[3] « الكلم الإغريقيّ يضمّ ألفاظا كثيرة مستعارة عن حضارات من المنطقة الأجاويّة. بلاد الإغريق مدينةٌ للحضارات الأجاويّة والبابليّة والمصريّة بقدر أكبر ممّا قاله وعرفه المؤلّفون القدامى».

لقد بدأ اللّسانيّون، بفضل أبحاثهم العلميّة المحتفاة أكثر، والأقلّ ذاتيّة، يعترفون بأثر بعض اللّغات "الآسيانيّة" أو "السّاميّة" على اليونانيّة، أو تطابقهنّ، ليس فقط في صعيد المعجم ولكن بشكل يطال أيضًا صعيد الصّرف. لهذا كتب A. Meillet[4] : « ما من مبرّر للاعتقاد أنّ بعض اللّغات المشتركة من حيث خرجت العائلات الكبيرة المثبّتة، لسن، بدورهنّ، تحوّلات للغة واحدة أقدم ... لقد أشير إلى تطابقات بين الهنديّة-الأروبيّة والسّاميّة ». كما صرّح المؤلّف de la Vallée Poussin[5] أنّ « جزءً معتبر من الكلم الإغريقيّ تأتي من آسيا الصّغرى وقد قدّر أنّ تشكّلت القواعد اليونانيّة هناك ».

---

1. يؤكّد A. Meillet الأصل الأسيويّ للغة اليونانيّة الأولى وكذا تسمية الأماكن.
2. مصدر سبق ذكره.
3. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللّغة اليونانيّة".
4. في كتابه "لسانيّات تاريخيّة ولسانيّات عامّة".
5. مصدر سبق ذكره.

2. بلدان كانت جسرًا لِمُرُور اللّغات العروبيّة

نحو اللّغات الهنديّة-الأروبيّة

يطلّعنا تاريخ الاستعمارات العروبيّة في أروبا أنّ ثلاثة بلدانٍ أسهمت، بفضل نفوذ أهاليها المحلّيّين، وهم أهالي ما قبل الهنود-الأروبيّين، في إدخال قسط كبير من المعجم العربيّ (أو العروبيّ) في كلم اللّغات الهنديّة-الأروبيّة لأروبا، وهي لغات سيتكلّمها المهاجرون الجدد في هذه القارّة : من حدود آسيا المتوسّطيّة، في الشّرق، إلى أقصى الغرب. لقد أسهمت بلاد الإغريق، وشبه الجزيرة الإيطاليّة وإيبريا -على سبيل المثال- في هذه التبادلات اللّسانيّة.

1.2 في بلاد الإغريق (الإغريق-العظمى)

أصبح العروبيّون الذين استعمروا بلاد الإغريق سابقًا للألفيّة الثانية إغريق؛ هؤلاء الإغريق تكلّموا لغات عروبيّة، قبل اجتياح شبه الجزيرة الإغريقيّة من طرف الدّوريّين ذوي لغات هنديّة-أروبيّة، في بداية الألفيّة الأولى التي سبقت العهد المسيحيّ. يتباحث اثنان من كتبنا هذا الاستعمار العروبيّ، ليس فقط في شبه الجزيرة الإغريقيّة، ولكن أيضًا في جزر بحر أجا وقبرس وقرتا والمناطق المجاورة[1].

وحتى بعد الاجتياح الدّوريّ لشبه الجزيرة الإغريقيّة، بقيت أسماء كثيرة لملوك وشخصيّات شهيرة (والحال نفسه مع أفراد الشّعب، بالتّأكيد) عروبيّة، وتحمل سمة الحضارات الرّافديّة والفانقيّة والأناضوليّة والمصريّة، إلخ. مع ألقاب مثل إسكندر وأمونئيل وفليبًا (في مجدونيا)، وأرب-بعل وعلَمبا (في أبرًا) وعطى-نيل وأجرون وكلاءة-فاطرة (في إيليريا) وعليّات وخرصو (في لونيا)[2]... جميع

---

1. - "العرب في أروبا قبل العهد المسيحيّ".
- "تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة".

2. في كتابه "تاريخ اللّغات السّاميّة"، يقدّر E. Renan، في الصّفحة 183، أنّ ، الأسماء ساديات، ميات، عليات في لونيا، تنتمي إلى طبقة أهال ساميّين، أسماء ذات بنية سامية، صارخة حقًّا.

هذه الأسماء بقيت حتى بعد الاحتلال الرّوماني، وكثير منها لا يزال مستعملاً، ليس فقط في شبه الجزيرة البلقانيّة، ولكن أيضًا في جميع أروبا.

إذا كان احتلال مَناطق شبه الجزيرة الإغريقيّة من طرف "الهلانيّين" ذوي لغات هنديّة-أروبيّة، قد امتدّ على مرّ الزّمن، فقد اكتشف هؤلاء، الذين شكّلوا أقليّة بالنّسبة للأهالي المحليّين، تدريجيًا عالمًا كان مجهولاً عندهم تمامًا، عالمًا بمجتمع متحضِرٍ، ديوانٍ محقّق، وزراعة وتجارة مزدهرة قبل قدومهم العنيف في شبه الجزيرة، وثقافة متعدّدة الدّهور. على مرّ الأجيال، اكتشف ذريّة "الهمجيّين" الأوّل في علاقة مع عبيدهم وخدامهم وفلاّحيهم وتجّارهم وموظّفيهم الإغريق (هؤلاء الأهالي الذين استعبدوا من طرفهم) وتبنّوا تدريجيًا الممارسات الشّعائريّة والثّقافيّة وحتى المؤسّسيّة "لرعاياهم".

لقد فُرضت اللّغة الهنديّة-الأروبيّة للغزاة على الإغريق، غير أنّ هذه اللّغة لم تستطع أن تترجم جميع الأعمال الملموسة للحياة اليوميّة في مجتمع حضريّ، ناهيك عن الأفكار والتيّارات الأدبيّة والفمصفائيّة والعلميّة والدّينيّة.[1] هكذا مرّ كلم كثير ممّا أعمل الإغريق إلى معجم اللّغة اليونانيّة، أو بالأحرى إلى معجم اللّغة اليونانيّة الجديدة (اليونانيّة الفصحى). كلمات عربيّة عدّة سمحت لنا باستجلاء المعنى الأصلي لتسمية الأشخاص والأماكن والشّعوب والآلهة[2]، ضاعت من الكلم الإغريقيّ، بعد احتباء اللّغة المشتركة (Koinè).

في حين أنّ كلمات عربيّة أخرى ظلّت في اليونانيّة الفصحى. وبوساطة هذه الأخيرة انتقل عدد كبير من هذه الكلمات العربيّة ليدخلن اللّغة اللاّتينيّة (ولسن الوحيدات)، ومنها، إلى لغات أروبيّة عدّة.

---

1. بالنّسبة للدّين كما الكهانة في حقبة ما قبل-الهلانيّة، قامت روابط اكيدة مع ما كان في آسيا (الأناضول، الرّافدين، فانقيا) ومصر. هذه للمارسات الدّينيّة والعرافيّة تتابعت، دونما انقطاع، إلى غاية العهد الرّومانيّ. يمكن ان نحصي من الأسماء التي مرّت إلى اليونانيّة الفصحى (على سبيل المثال) الجذر فتا، الذي اعطى كمشتقّات اسماء جنس (prophète, pythonisse, pythie) وكذا اسماء اعلام- في بلاد الإغريق ويونيا- (Pythô، الاسم القديم لمدينة دلفى، Python ، حيّة كاهنة، فتا-جريء). انظر كتابنا " العرب في اروبا قبل العهد المسيحي".

2. انظر كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة، من خلال علم الأساطير وتسمية الأماكن والعلميّات والمعجم".

سنورد مثالاً واحدًا يشخّص بجلاء ظاهرة الاستعارة اللّسانيّة هذه، ويكشف لنا عن صعوبة بحث معنى الكلمة الأصليّ، إذا مالم ندرج في الحسبان أهمّيّة جوهر اللّغة العربيّة في اللّغة اليونانيّة الفصحى، من جهة، وكذا حجيّة اللّسانيّات التاريخيّة، من جهة أخرى. وهو ما يصرّح به A. Meillet[1] بهذا الصّدد ،احيانا يكون لكلمة ما الهيئة الهنديّة-الأروبيّة، وهو داعٍ للانخداع ، الكلمات الأجنبيّة المستعارة بوساطة الرّواية الشفويّة يتداعين للقالب العامّ للغة، ولا يتميّزن مطلقًا عن الكلمات القديمات بهيئتهنّ العامّة ..

نتناول كانموذج لهذه الاستعارة الكلمة "oasis"، كلمة لا تحتمل أيّ منازعة من وجهة معناها الأصليّ. هذه الكلمة هي "ترجمة" -في هذه الحالة، لا يمكننا الكلام، لا عن تحويلها الصّوتيّ ولا عن تحويلها الحرفيّ- تختلف بشكل محسوس عن جنيستها العربيّة واحة. في البداية كانت تكتب في اليونانيّة الفصحى أواسيس (مثلما أورد سطرابو) : استعيض بالسّين (S) عن الحاء (ح)، وأضيفت إليها اللاّحقة "الهلاّنيّة" "S". ممّا جعلها مطموسةً عن الاستبيان.

2.2 في شبه الجزيرة الإيطاليّة

1.2.2 في صقلّيّة

لقد سكن صقليّة ما قبل التّاريخ بداية ثلاثة شعوب : الإسكوال والإسكوان والعلوميّين. يقال في القديم أنّ الإسكوان كانوا أهالٍ محليّين. كتب المؤلّف G. Glotz[2] أنّ . الإغريق يميّزونهم عن الإسكوال عادة، ويقبلون قرابتهم لأهالٍ قطنوا إيبريا على ضفاف نهر إسكوان. ممّا دعَا بعض المؤلّفين المحدثين لإلحاقهم بالعرق الإيبريّ-البربريّ. غير أنّ تسمية الأماكن تتيح تقريبهم من اللّيجويّين كما الإسكوال، وقد يمكن أن يكون اللّيجويّين امتدّوا إلى غاية إيبريا. يبدو أنّ

1. في كتابه "مدخل لدراسة تقابليّة للغات الهنديّة-الأروبيّة"

2. في كتابه "تاريخ إغريقي".

الإسكوان والإسكوال من العرق نفسه ... حتى قبل اجتياح الإسكوال ظهر العلوميّون. الأصل الثوراويّ الذي تلحق بهم الرّواية، يؤشّر دونما ريب، أنهم كانوا سابقي الفانقيّين والإغريق. رحّبوا طواعيّة بالفانقيّين.

في كتاب سابق[1]، بيّنّا أنّ العلوميّين من أصل ثوراويّ، كما أنّ الموسيّين (ساكني بلاد ثورا) واللّوذيّين الآخرين ... إلخ، هم من أصل عروبيّ، تمامًا مثلما الإسكوال والإسكوان.

يؤكّد E. Curtius[2] الأصل الآسيويّ للعلوميّين الذين لهم قرابة، حسب شهادة الرّواية الجمعيّة، مع أهالي ساحل آسيا الصغرى، وخاصة مع الدّردانيّين أي أهالِ سوريّين-فانقيّين[3]. كما أنّ السّاكنين الأوائل لإيبريا كانوا من أصل قوقصيّ، ممّا يدلّ على أنهم ينتسبون إلى السّوريّين-الفانقيّين.

في كتاب آخر من مؤلّفاتنا[4]، شرحنا الأصل البربريّ لتسميتي الشّعبين الإسكوان والإسكوال، اللّتين هما مترادفتين. يتألّف اسمهما من كلمتين : الأولى إسك "قمّة جبل" أو "جبيّل"؛ الثانية يوون أو يوول (بتناوب بين اللاّم والنّون) بمعنى "صعد، ارتفع، تسلّق جبلاً ". ممّا يمكّننا من ترجمة تسمية الشّعبين هذين بـ"ساكني الجبال" أو "الجبليّين"، من دلالة واحدة مع تسمية الشّعبين الإيبر والبربر.

2.2.2 في إيطاليا

سكن إيطاليا ما قبل التاريخ الإسكوال، آباء أولئك الذين نجدهم في صقليّة، أهالٍ محليّين. ثمّ جاء الثورانيّون أوالثوراسن من لوذيا عبر بحر أجا، واحتلّوا إيطاليا الوسطى، ثمّ جميع شبه الجزيرة، من جبال الحلب إلى غاية خليج تارنطة.[5] فضلاً عن هذا، تردّ الرّواية أصول روما إلى الثوراويّين، الذين استقرّوا مع آناس في لاتينيا.

---

1. "العرب في اروبا قبل العهد المسيحي".
2. في كتابه "تاريخ إغريقي".
3. انظر كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة".
4. "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة".
5. A. Jardé في كتابه "تكوّن الشعب الإغريقي".

في كتابنا "العرب في أروبا قبل العهد المسيحيّ"، رأينا أنّ الثوراويّين قد هاجروا إلى إيطاليا نحو نهاية الألفيّة الثانية قبل العهد المسيحيّ، أي بعد حرب ثورا. أسّس آناس، أمير ثوراويّ، سلالة ملكيّة في بلاد اللاّتين. هذه الأسطورة -حسب "Grand Larousse Encyclopédique"- هي « التعبير الأسطوريّ لهجرة شعوب آسيا نحو إيطاليا (الثوراسكيّون) ولد أسطورة الأصول الثوراويّة لروما ».

حينما اجتاحت القبائل ذات لغات هنديّة-أروبيّة لاتينيا -مثل أعضاؤها أقليّة قياسًا إلى الأهالي المحليّين- وجدت هنالك أهالٍ متحدّرين من مناطق مختلفة من آسيا (بلاد الرّافدين، سوريا-فانقيا، أناضول، ...) ومن إفريقيا (مصر، بربريا)، أهالٍ يستخدمون لغاتٍ عروبيّة.

زيادة عن هذا، بعد بداية العهد المسيحيّ، دخل أوائل الملوك الرّومانيّين من أصولٍ إيبريّة وبربريّة التّاريخ -تباعًا، انطلاقًا من السّنة السّابعة والتسعين (97) مع ثوريان، إلى غاية سنة خمسة وثلاثين ومائتين (235) مع إسكندر شاور. حكم الإيبر-البربر في روما طيلة ستّة عشر سنةٍ ومائة (116) دونما انقطاع تقريبا (يفصل الملك أنطونين الذي حكم من سنة ثمانية وثلاثين ومائة -138- إلى واحد وستين ومائة -161- الحقبة الإيبريّة للمملكة الرّومانيّة عن حقبتها البربريّة). أدار الكنيسة الرّومانيّة ثلاثة باباوات بربر وواحد إيبريّ -حيث الأوّل بكثور الأوّل، بداية من سنة تسع وثمانين ومائة (189)، والأخير جالس الأوّل، من سنة اثنين وتسعين وأربعمائة (492) إلى غاية ستّة وتسعين وأربعمائة (496).

هذا يعني التّأثير -المباشر أو غير المباشر- الذي قد تكون قامت به الأهالي العروبيّة لشبه الجزيرة الإيطاليّة، في اختيار الملوك[1]، إمّا بوساطة جند الفيالق أو بوساطة مجلس الشّيوخ، الذي قد يكون بعض أعضائه بالتّأكيد مسيحيّين أو

1. مع كركلا، ابن سبع شاور، هو، حسب E. F. Gautier (في كتابه "ماضي شمال إفريقيا") « الثّار لقرطاجنة الذي ما حلم به حنا بعل ». أقام الملك في جميع أنحاء المملكة تماثيل كثر لحنا بعل.

على الأقلّ متعاطفين مع الكنيسة، وهذا المجلس هو الذي يصدّق على اختيار الجيش، أو على الأقلّ، لا يعارضه.

هذا يعني الشّغف الذي أحدثته الدّيانة المسيحيّة لدى الأهالي العروبيّين المحلّيّين (الأغلبية) من جميع المناطق الإيطاليّة، أهالٍ اعتنقوا الدّين الجديد عن قناعة عقديّة، وتعاطف ثقافيّ[1] وبمعارضة لحكم الأقلّيّة المضطهدة لأهالي شبه الجزيرة الوثنيّين مخضعي الأعناق والمسخّرين من جهة والمسيحيّين المضطهدين من جهة أخرى في الحين نفسه، وأيضًا لأنّ هذا الدّين انحدر من آسيا، الأرض التي فيها تتغلغل جذورهم ولغاتهم.

ليس من قبيل الصّدفة تحرير ممارسة الدّين المسيحيّ من طرف المملكة، سنة ثلاثة عشر وثلاثمائة (313)، إذ أن أسقف روما هو ميلتياد الإفريقيّ. ليس من باب الصّدفة تبنّي المملكة الرّومانيّة للمسيحيّة كدين الدّولة سنة واحد وثمانين وثلاثمائة (381)، إذ أنّ أسقف روما (البابا) هو دماس الأوّل الإيبريّ.

إذا ما اعتبرنا أن اختيار الحبر الأعظم (البابا)، أسقف روما -الذي كان ينتخبه أوفياء الأسقفيّة، إلى غاية القرن الحادي عشر (القرن الخامس للهجرة)، ثمّ من طرف الأساقفة الآخرين لمقاطعة روما- كان دائما، إلى غاية سنة ثمانية وسبعين وثلاثمائة وألف (1378) (الموافق لتسع وسبعين وسبعمائة -779- للهجرة) كاهنا من جمعيّة قسّيسي روما أو أسقفًا من مقاطعة روما ينتخب. يمكن لنا إذًا استخلاص أنّ وفيّي الأسقفيّة، أو أساقفة مقاطعة روما من أصل عروبيّ كانوا كثرا (بل وأغلبيّة)، على السّواء في روما كما في المناطق الغربيّة الأخرى لأوروبا (إيطاليا، جرمانيا، جاليا، إلخ.).

هكذا استقرّ أهالٍ عربٌ-أوروبيّون (فانقيّون، سوريّون أو إيبر-بربر أساسًا) في جميع هذه البلدان، قرونا كثيرةً قبل الاحتلال الرّومانيّ، وأسهموا في التأثير على معجم اللّغة اللاّتينيّة، أو بعبارة أفضل اللاّتينيّة الجديدة.

1. انظر كتابنا "العرب، محرّكو الدّيانات الحنيفيّة الثلاث".

3.2 في إيبريا

في كتاب سابق[1]، بيّنا أنه قبل قدوم الفانقيّين إلى بربريا وإيبريا، خلال الألفيّة الثانية قبل العهد المسيحيّ، انبثق الإيبر والبربر عن الأصل القوميّ نفسه، ولغاتهم -حسب أقوال المؤلفين قدامى ومحدثين- كانت ذات نسب متقارب، إن لم نقل متطابق.

إذا كان المؤلفون، في أغلبيّتهم، لا يُقرّون بالاستعمارات العروبيّة في بلاد الإغريق وفي شبه الجزيرة الإيطاليّة، فهم يتقبّلون -هي حال كثير من بينهم- القرابة القوميّة واللّسانية والفضائيّة بين البربر (لشمال إفريقيا) والإيبر (لأروبا الغربيّة).

احتلّ الرّومان إيسبانيا (إيبريا) في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد ؛ لقد آذنت خسارة جادر (قادس) سنة ستّ ومائتين (206) بنهاية السّيادة القرطاجنيّة في إيبريا، وسجّلت بداية الاحتلال الرّومانيّ لشبه الجزيرة. في أثناء هذه الحقبة بدأت اللّغة اللاّتينيّة تتشكّل. حسب M. Niedermann ، خلال القرن الثالث قبل الميلاد انطلق الأدب الحقّ مع الأعمال الشّعريّة لـLivius Andronicus ونابيوس وبلاوط وكتاب نثريّ لقطون الشيخ. تثبّتت اللّغة الأدبيّة المؤسّسة من لهجة روما، منذ القرن الأوّل قبل عهدنا بشكل شبه قارّ، مؤطّرٍ قواعديًا من طرف النحويّين».

إذا، أثري معجم اللّغة اللاّتينيّة بعدد من الكلمات العروبيّة، بفضل اللّغات العروبيّة المستخدمة من طرف أهالٍ كُثر لشبه الجزيرة الإيطالية، وأيضًا من طرف أهالي إيبريا. من بين هذه الكلمات (التي أثري بها المعجم اللاّتينيّ) صار عدد منها لا يستهان به، لاتينيًا، معناها الأصليّ إيبريّ-بربريّ أو فانقيّ. ونضرب بعض الأمثلة من خلال الجذرين اللّذين تباحثناهما في الفصل الماضي.

---

1. "إيبريا وبربريا".

1.3.2 الجذر البربري (أو الإيبريّ - البربريّ) إسك

يمكن أن نلاحظ أنّ هذا الجذر يدخل في تكوين كلمات إيسبانيّة، يعتبرها مؤلّفون عدّة كأنها من أصل لاتينيّ. نجد تحديدًا هذا الجذر مشاركا في تأليف تسمية شعب إيبريّ : يتعلّق الأمر بالباسك أو الويسك، يلقّبهم سطرابو بالويسك، الإوسك، الباباسك، الإسكاتان. بالنسبة لـA. Garrigou، الباسك (أو الإسكاتانيون) هي تسمية أخرى للويسك.

أ/ في الإيسبانيّة

- Escuela (في اللاّتينيّة Schola) : "مدرسة"،

اسم يتألف من Esk (إسك) وUela (بالنسبة ليوول)[1] الذي معناه "فعل تسلّق الجبل" -أي، جبل المعارف- أي المكان الذي به ندرس أو نتعلّم ؛

- Escala (في اللاّتينيّة Scala) : "سلّم"[2]

اسم يتألف من Esc (إسك) وAla (بالنسبة ليوول) : هي رواية ثانية للكلمة السابقة تترجم بـ "أداة (أو وسيلة) تسمح بالصّعود". يمكن أن نلاحظ أنّ الكلمة "escabeau" في الفرنسيّة (في اللاّتينيّة Scabellum) هي كتابة ثانية لـescala "سلّم" مع إدخال الحرف B ؛

- Escritura (في اللاّتينيّة Scriptura) : "كتابة"

اسم مؤلف من Esc (إسك) و Ri (رِ أوْ رَا) "مكتوب، كتاب" في البربريّة ومن Ura (أر او رَا)، كلمة فانقيّة شرحت اعلاه. هو فعل الكتابة على الحجر : في الأصل، كانت الكتابة تنحت على الصّخر، مع المنقوشات (أو المحفورات)؛

- Escultura (في اللاّتينيّة Sculptura) : "نحَت"

اسم مؤلف من Esc (إسك) ومن Ul (بالنسبة ليوول) ومن Ura (ار أو را). وهو فعل نقب، نحت الحجر (عالٍ او مرتفع) أو الصّخور[3]؛

---

1. لقد التقينا هاتين الكلمتين في تسمية الشعبين الإسكوال والإسكوان.
2. هي الكلمة تاسكالا في البربريّة، المطابقة للكلمة الإيسبانيّة (بإخفاء الحرف الأوّل).
3. الكلمة اليونانيّة التي تترجم الفعل "نحت" هي αξω (axo) في المستقبل أو الفعل الآخر "حت" (ώ-ξέω ō-xéo).

ب/ في الفرنسيّة

- Sicaire (من Sica "خنجر")

مجرم مؤجّر يستخدم سلاحًا أبيض لارتكاب جرائمه. حوّل الجذر Isk هنا بـ Sica،

- Escrime : فنّ استعمال سيف، حسام، ...، أي "سيف ذو نصلٍ طويلٍ"،

- Acier "الفولاذ" (في اللاّتينيّة Acies) "حدّ"

الجذر Acs هو إقلاب ومرادف الكلمة البربريّة إسك، التي تعني أيضًا "حدّ" (نجدها في الكلمة اليونانيّة أكسو "نحت"). معنى الكلمة الأصليّ العروبيّ للفولاذ منطقيّ، إذا ما استذكرنا أنّ العدانة كانت ممارسة في مصر وآسيا الغربيّة، ثمّ، من هناك، انتقلت فنيّاتها إلى أوروبا عن طريق الهجرات العروبيّة ؛

- Scier (في اللاّتينيّة Secare) : "نشر"

ذكر المؤلّف A. Meillet[1]، بصدد هذه الكلمة تحديدًا Gilliéron و Mongin، اللّذين في دراستهما لاستوصاف الأرض اللّسانيّ "نشر في جاليا الرّومانيّة" ، طرحا هذا المبدأ الجوهريّ، أنّ كثيرًا من الكلمات التي لا تُعرف بهيئتها الصّوتيّة كاستعارات استدينت مع ذلك من لهجات مجاورة، ويمكن التّعرّف على ذلك ببعض الدّلائل، الكلمة "Scier" أي "نشر" التي تابعت "Secare" اللاّتينيّة أي "قطع" لا تمثل، حسب هذين المؤلّفَيْن، إلاّ استخدامًا جدّ خاصّ، وبالخصوص ريفيّ لـSecare، يتعلّق الأمر بـ "حصد (القمح) بمنجل مسنّنٍ"،

في الواقع إذا كانت الكلمة الفرنسيّة قد اشتقّت من تلك اللاّتينيّة Secare، فإنّ هذه الأخيرة انحدرت مباشرة من الجذر البربريّ إسك، الذي يعني في هذه الحالة الخاصّة "حدّ، أداة قاطعة"[2]،

2. في كتابه "لسانيّات تاريخيّة ولسانيّات عامّة".

1. نجد هذا الجذر في الكلمة اللاّتينيّة saxum "حجر، صخر".

- Ischion (كلمة يونانيّة) : إحدى العظام الثلاثة التي تشكّل العظم الحرقفيّ. هذا الجزء العظميّ يظهر كثقب، بوجود الثقبة المسدودة. هذا المعنى يتوافق مع إحدى ترجمات الجذر البربريّ إسك "ثقب، قسم"، وبالتوسّع الدّلاليّ "حفر"، معنى نجده في الفعل إسكر أو إسكا "حفر" أو "طوّق بجدران"؛

- Soc "حديدة المحراث" (كلمة "مستعارة من الجاليّة"، حسب القاموس Larousse) : هي الجزء من المحراث الذي يحفر الثلم، قاطعا الأرض عرضيًا،

- Sac : "كيس" اسم فانقيّ (بالجذر نفسه س. ك. أو إسك الذي في البربرية أساكو). مرّت هذه الكلمة في اليونانية σάκκος (أقرّها المؤلّف A. Meillet[1])، Saccus في اللاّتينية ثم "Sac" في الفرنسية .

- Ascension : فعل الصّعود والارتفاع

هذا الاسم يتكون من Asc (إسك) وEnsiong (بالنسبة لـ : يوون). هو بالتحديد دلالة هاتين الكلمتين البربريّتين، على الترتيب "قمّة جبل" و"فعل الارتفاع، تسلّق جبل" .

2.3.2. الجذر الفانقي "ر" (ار او رَا) "حجر، جبل"

هذه الكلمة هي من أعطى piedra في الإسبانيّة، التي منها اشتقت الكلمات petra (في اليونانية واللاّتينيّة)، pierre (في الفرنسية)، gora (في السقالبيّة)، جر(في الإيرانيّة)، .... زيادة على هذا، يمكن أن نجد التحويل الحرفيّ للكلمة الفانقية "جبل" في اليونانية مع ορος (oros) : هي الكلمة أرْ أو أرّ[2] التي أضيفت إليها اللاّحقة " الهلاّنيّة " os.

يمكن معاينة كلمات أخرى في اللّغة الفرنسيّة -على سبيل المثال- تشكّلت مع الجذر الفانقي هذا، كلمات معناها في علاقة مع الحجر أو الجبل. سنذكر بعضا منها كأنموذج :

- ardoise : صخر نضيديّ يقسم بيسر إلى صفائح

---

1. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللّغة اليونانيّة".

2. بين الحرفين الصائتين ا و أ تناوب.

معناها الأصليّ الجاليّ، الذي أعطاه قاموس Larousse، يؤكّد ما قلناه، بصدد اللّغة الجاليّة، في الفصل الأول من الباب الثالث ؛

- arête : تقاطع سفحي جبل،

- roc : كتلة حجارة جد صلبة ...

ومشتقاتها (rocaille "حصى" roche "جلمود"، rocher "صخرة"، إلخ.).

إذا كان جذر عروبيّ واحد حال إسك أو رَا (أز) بوسعه أن يعطي كلمات كثيرة دارجة اليوم في اللّغات الأروبيّة -دونما اعتبار مشتقّاتها- فيمكننا أن نتصوّر بيسر العدد الهائل من الكلمات التي نجدها في معجم جميع هذه وهي كلمات ذات أصل عروبي"[1].

3. جملة القول

1.3 في الحقبة التاريخية

حسب A. Meillet[2] ، ظهرت اللّغات الهنديّة-الأروبيّة في التاريخ في أزمنة مختلفة، بين القرنين السّادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد والقرن السّادس عشر أو السّابع عشر للميلاد.. جميع المؤلفين يقرّون أن السّامسكريتيّة -أوّل لغة هنديّة-أروبيّة علمية- لم تولّد أدبا بما للكلمة من معنى إلاّ مع "البداء"، في نهاية الألفيّة الثانية أو بداية الألفيّة الأولى قبل الميلاد، بعض المؤلفين يرتقون بظهورها نحو الحقبة الممتدة من خمسمائة وألف إلى مائتين وألف (1500-1200) قبل الميلاد. وقد تلي هذا الأدب قرونا بعدها بأدب اللّغة الإيرانيّة، مع "البستاء"، في القرن السّابع ممّا سبق العهد المسيحيّ.

---

1. في ما يخصّ الجذر إسك وحده، تبيّنا أكثر من أربع مائة كلمة (400) بـ"إسك" احصيت في معجم اللغة الإيسبانيّة، أسماء دلالاتها الخاصّة في توافق مع المعاني المشتركة لهذا الجذر.

2. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانية".

أما بالنسبة للّغة اليونانيّة المشتركة (Koinè) للإغريق، ، تأسّست بتأسّس المملكة الأثينيّة نحو خمسة وسبعين وأربعمائة (475) قبل الميلاد. هي لغة أناس مثقّفين، تلك التي استخدمها الخطباء والفمصفائيّون والشّعراء الهزليّون، تلك التي قبلتها المدينة ضمن مراسيمها ومخطوطاتها .. يلخّص A. Meillet في الكتاب ذاته، قائلا أنّ الإخضاع المجدونيّ لبلاد الإغريق، قد أسهم في إنجاح هذه اللّغة المشتركة (أي في القرن الرّابع قبل الميلاد).

فيما يتعلّق باللّغة الرّومانية الهنديّة-الأروبيّة، يؤكّد المؤلّف عينه أنّ «اللأتينية التي كتبت من عهد أوقسط إلى غاية النهضة، استخدمت كلغة علميّة وحتى أدبية عند شعوب ذوي لغات متنوّعة وكثير منهم لا يتكلّم اللّغات الرّومانيّة».

هكذا، إمّا بوساطة اللّغة اليونانيّة المشتركة أو اللأتينية -سليلة اللّغة الهلأنيّة- كرّست اليونانيّة على كَلِم جميع اللّغات الأروبيّة أثرا بالغا. وبالتالي اللّغات العروبية، التي منها استعير قسط كبير من معجم اليونانيّة الفصحى ، هي من لها مزيّة الأثر على كلم جميع اللّغات الأروبيّة، ليس فقط حكرًا على اللأتينيّة منها ولكن أيضًا السّقالبيّة والجرمانيّة.

يمكنُ تفسير حضور الجوهر اللّغويّ العروبيّ بطريقتين :

- الأولى إفريقيّة-آسيويّة، التي سلكتها هجرات المتكلّمين بلغات عروبيّة (الأكاديّة-البابليّة، الأرميّة، العربيّة الوسطى، المصريّة، إلخ.) نحو أروبا (من وادي الدّانوب إلى غاية حوض الوردان أو شمال جرمانيا)،

- الثّانية، إفريقيّة-أروبيّة، التي تبعتها هجرات المتكلّمين بلغات عروبيّة أخرى (إيبريّة-بربريّة وفانقيّة، أساسًا) نحو جاليا وشبه الجزيرة الإيطاليّة وشمال أروبا.

هذا التقسيم الاستوصاقيّ-الأرضيّ، هو تقسيم تخطيطيّ ولا يعكسُ حقيقة الهجرات، ذاك أنّه تواجدت مناطق حيث تآلفت موجات الهجرات من جماعات بشريّة (أو أهالٍ) إفريقيّة-آسيويّة كما جماعات بشريّة (أو أهالٍ)

إفريقيّة-اروبيّة. وتجلي لنا ذلك بوضوح دراسة تسمية الأماكن والشعوب في جميع المناطق الأروبيّة.

حينما احتلّت القبائل ذات لغات هنديّة-اروبيّة اروبا (من المشرق إلى المغرب)، اخضعت الأهالي المحليّين العروبيّين-الأروبيّين وفرضت عليهم لغاتها (بخاصّة النظام النحويّ والصرفيّ) وتبنّت جزءًا من كلم لغات الأهالي المضطهدين إمّا بصفةٍ تحويليّة حرفيّة او مركّبة. وفي الحالة الأخيرة تخضع هذه التركيبات المعجميّة إلى القواعد الصرفيّة والنحويّة للغات الهنديّة-الأروبيّة.

إذا كان الاحتلال الرّومانيّ لأروبا قد فرض اللّغة الرّومانيّة (المسمّاة اللاّتينيّة) على أهالٍ أروبيّين كُثرٍ، فهذه اللّغة لم تظلّ وحيدة، بعدها. هذا يُحيل بخاصّة على كون أهالي كلّ بلاد، بل كلّ إقليم، يتكلّمون لغات (عروبيّة) تختلف واحدتها عن الأخريات-إن يسيرًا أو كثيرًا-. وتبعًا لتطوّر المجتمعات الخاصّة لكلّ منطقة، انفرجت اللّغات المحليّة أكثر عن بعضها بصلتها باللاّتينيّة، التي تطوّرت هي الأخرى لتصبح لغةً عاميّة. وهكذا تكلّم الأهالي المختلفون لأروبا، بعد"تبنّي" اللاّتينيّة لغاتٍ ابتعدت شيئًا فشيئًا عن الهيئة الأولى.

وهو ما اقرّ به A. Miellet[1] حينما كتب : «الأهل الذين يتعلّمون لغة جديدة، ينزعون دائمًا لإقحام تغييرات على هذه اللّغة، بصورة افضع من الأهل الذين يواصلون استعمالها القديم».

2.3 حول اطروحة الأصل المشترك للغات العروبيّة واللّغات الهنديّة-الأروبيّة

إذا كانت اللّغات الأروبيّة القديمة -اليونانيّة واللاّتينيّة- قد تأثرت باللّغات العروبيّة، اللاّئي استخدمن في أروبا من طرف أهالٍ عروبيّي، الذين استعمروا المناطق المختلفة من هذه القارّة، قبل مجيء القبائل ذات لغات هنديّة-اروبيّة بكثير، فضلا عن هذا، حسب أعمال وخلاصات بعض المؤلفين، وأيضًا دراستنا هذه المرتبطة بالمهد

---

1. في كتابه "اللسانيّات التاريخيّة واللّسانيّات العامّة".

الأوّل للناطقين بالعربيّة، إلى معاينة أطروحة، ترتقي بتأثير اللّغات العروبيّة على اللّغات الهنديّة-الأروبيّة -أو بصورة أدقّ انبجاس هذه الأخيرة (اللّغات) انطلاقًا من منابع لسانية عروبيّة- إلى حقبةٍ أقدم، ليس في أروبا بل في آسيا بالذّات.

1.2.3 عناصر استهلاليّة

إذا أخذنا في الحسبان شهادة لسانيّ ألمعيّ ومشهور، A. Meillet :

- «ما من مبرّر للاعتقاد بأنّ بعض اللّغات المشتركة، من حيث خرجت العائلات الكبيرة المثبّتة لسن، بدورهنّ، تحوّلات للغة واحدة أقدم. يمكن أن نتصوّر مثلاً، أنّ الهنديّة-الأروبيّة والسّاميّة (المتقاربة مع الحاميّة) والقوقصيّة الجنوبيّة والفينيّة-المجريّة خرجن من لغةٍ واحدة أقدم ... »[1].

. إذا أخذنا شهادة لسانيّ آخر B. Hrozny[2]، "مترجم" كثير من كتابات آسيا الغربيّة وقرتا :

- «القرابة، وعلى بُعدها محتملة، بين اللّغات الحامية-السّاميّة واللّغات الهنديّة-الأروبيّة، ممّا يَحضر علينا البحث عن موطن أصليّ للحاميّين-السّاميّين في نقطة جدّ قصيّة عن المسكن الأصليّ-نسبيًا- للهنود-الأروبيّين، مسكن تموقع دونما ريب في شمال البحر الأسود والقوقص وبحر قصوين...».

إذا ما أقررنا أيضًا مع De la Vallée-Poussin

- «أنّ جزءًا معتبرًا من الكلم الإغريقيّ تأتى من آسيا الصّغرى، من حيث أخذ النّحو والصّرف اليونانيّ صيغته».

يمكن أن نستنتج :

أ/ قبل أن تظهر اللّغات الهنديّة-الأروبيّة في التاريخ (أي أبكر، بداية من القرن السّادس عشر قبل الميلاد)، كانت اللّغات العروبيّة -مثل الأكاديّة والبابليّة والفانقيّة والمصريّة ...- لغات حضارة ولهنّ أدب محقّق ؛

---

1. في كتابه "لسانيات تاريخيّة ولسانيات عامّة".
2. مصدر سبق ذكره.

ب/ اللّغات التي ذكرناها للتوّ والقوقصيّة الجنوبيّة (التي رأينا انتماءها لعائلة اللّغات العروبيّة) هنّ لغات متقاربة ؛

ج/ مهد المتكلّمين بلغات عروبيّة، الذي سمح لنا بحثنا بتحديده في المناطق الأناضوليّة (البحر الأسود) والقوقصيّة (بين البحر الأسود وبحر قصوين) وشمال بلاد الرّافدين، في حقبة ترتقي إلى ألفيّات كثيرة من السّنين قبل العهد المسيحيّ، من جهة ؛ الاستعمارات العروبيّة نحو الشمال : وادي الدّانوب (المناطق الشماليّة للبحر الأسود)، وحوض البولغا (مناطق تتموقع في شمال قصوين) وبلاد القوقص الشماليّة، من جهة أخرى، هي عناصر[1] تسمح لنا بطرح أنّ متكلّمي لغات عروبيّة سكنوا مناطق، سيشغلها فيما بعد بكثير متكلّمو لغات هنديّة-أروبيّة. أي أنه قبل مجيء الهنود-الأروبيّين في هذا الفضاء (حسب طَرْحِنا) أو قريبًا من هذا الفضاء (المتحدّد من طرف B. Hrozny)، شكّل العروبيّون الجوهر البشريّ للأهالي الذين أقاموا في هذه الأراضي.

على غرار ما جرى في بلاد الإغريق (في بداية الألفيّة الأولى ممّا سبق العهد المسيحيّ)، يمكن أنّ نفكّر بوجهةٍ تراجعيّة ونفترض أنّ الهنود-الأروبيّين -أقليّة قياسًا إلى الأهالي المحلّيّين- قد صاروا قَطِينَ المناطق المستعمرة من طرف العروبيّين وفرضوا لغاتهم، على الصّعيد البنويّ، بالحفاظ على قسط كبيرٍ من معجم لغات الأهالي المحلّيين، الذين دُحروا حربيًّا وأخضعوا.

في حين أنّ هذا الافتراض لا يبدو مؤسّسا لا تاريخيًّا ولا لسانيًّا. عناصر موضوعيّة عديدة أخرى، بعض شهادات اللّسانيّين وفقهاء اللّغة، تدعونا إلى قبول حالة تصوّر أخرى، اقتراح فرضٍ آخر قد يكون أليق بالأصل الوحيد للإنسان ووحدانيّة اللّغة في العهود الأولى للبشريّة -كما يورد "الكتاب المقدّس" والقرآن الكريم- لغة انطلاقًا منها اشتقّت جميع العائلات اللّغويّة الكبيرة.

---

1. انظر كتبنا : -"العرب في أروبا قبل العهد المسيحيّ".
-"العرب، أسلاف الجاليّين ؟".
- "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة".

2.2.3 اطروحة حول الأصل المشترك للّغات العروبيّة واللّغات الهندية-الأروبيّة

أ/ شهادات مؤلّفين وتفسيرات

- في كتاب سابق "العرب، أسلاف الجاليّين؟" بيّنا تأسيس مستعمرات عروبيّة- فانقيّة على طول طرق العنبر -عبر القارّات- تسلك إمّا مجرى الدّانوب أو مجرى البولغا، موازاة للطّرق البحريّة للعنبر والقصدير، عبر مضيق جبل طارق والأرخبيل البيريتاني؛

- يؤكّد G. Lebon[1] الحضور الفانقيّ في مصبّ نهر الأردان (خليج البندقيّة، في شمال بحر أدريا)، ممّا يبرّر أنّ الفانقيّين قد استقرّوا في المناطق الدّانوبيّة، من البحر الأسود إلى أستريا، هذه المنطقة الأخيرة -تتلقّب- مثل الدّانوب (أو إستر)- باسم الآلهة السّوريّة- الفانقيّة. قد أشرنا إلى ذلك في الباب الأوّل (الفصل الرّابع) ؛

- يعتقد J.B Eyriès[2] أنّ الفانقيّين، ؛ منذ الأزمنة الغابرة ؛ تردّدوا على سواحل الدّانمارك وبحر البلط ليقوموا هناك بتجارة العنبر الأصفر، ممّا يستنتج منه أنّ الفانقيّين قد استعمروا المناطق المتموقعة بين مصبّ البولغا (في بحر قصوين) وضفاف بحر البلط، وتركوا هناك إلى غاية اليوم، تسميات أماكن وأنهار عروبيّة[3]. من بين هذه الأخيرة، ألقاب طرفي هذا الطّريق، البولغا (في واديها الأسفل) والبلط، هما اسما آلهة (مزجيّة باسم آلهة). لقد تكلّمنا عن ذلك في الفصل الرّابع من الباب الأوّل ؛

- هذا الطّريق البريّ، القصوينيّ-البلطيّ، سيسلكه قرونا كثيرة بعدها -ممّا يؤكّد استخدامه القديم- تجّار أروبيّون، في العصر الوسيط ؛ كتب H. Pirenne[4] بهذا

---

1. في كتابه " اولى الحضارات ".
2. في كتابه "الدّانمارك".
3. لقد عالجنا هذا الموضوع في كتابنا "العرب، اسلاف الجاليّين ؟".
4. في كتابه "محمّد وكارل الكبير".

الصّدد، أنّ التجّار الإسكانيّين قد فتحوا سبلاً تجاريّة جديدة ، من بحر قصوين إلى بحر البلط، عبر البولغا، مع المناطق الإسلاميّة المفتوحة، وأشار إلى أنّ سككا شرقيةً كثيرة -مؤرّخة (حسبه) بالعهد الأوّل العربيّ الإسلاميّ- قد عثر عليها في بلاد الجدّ (إسكانيا).

- أشارت موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" إلى مدينة قديمة جلاون، قرب قازان الحاليّة، في مكان أين يصبّ نهر القامة في البولغا؛ هذه المدينة ستصبح همزة وصل هامّة للطّرق التجاريّة، بخاصّة تلك القادمة من إسكانيا عبر وادي وكاء-بولغا جالبةً العنبر؛ عبر طريق الشّرق، وحاملةً جلود وفراء وقلزّ سيبريا؛ والثالثة قادمة من الجنوب عبر وادي التانيس-بولغا جالبةً أشياء من أصل إغريقيّ وبنطسيّ وقوقصيّ. حسب أروادوت، هذه المدينة (جلاون) هي من أصل إغريقيّ؛
- الإسكوتيّون، لقد رأينا[1] أنهم من أصل سوريّ أو إيبريّ-قوقصيّ -كما يُستشفّ من تسميتهم (من بين العوامل الأخرى) وما يقول به مؤلّفون كثر : حسب ديودور الصّقلّيّ، قد استقرّوا (في جزءٍ منهم) في قبادكيا، منطقة أهلها السّوريّون البيض؛ حسب فند-راس ، قاد السّوريّين الأمازول (الأمازون). حسب ديودور الصّقلّيّ إسكوتيّو قبادكيا حكمهم ملكات ... الإسكوتيّون الآخرون أقاموا من أسفل وادي الدّانوب إلى غاية حوض البولغا؛
- يقدر E. F. Gautier[2] أنّ « قطين البحر الأسود ليس لهم سحنة مختلفة عن الإسكانيّين؛
- يشهد A. Byhan[3] أنّ « الخواصّ القوميّة للقوقصيّين تلتقى في جزء كبير من أهالي آسيا الصغرى وسوريّة، ذاك أنّ القوقصيّين ليسوا إلاّ فرعا من جنس آسيا

1. "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة".
2. في كتابه "قيس-عرك ملك الوندال".
3. مصدر سبق ذكره.

الصغرى هذا، زحزحُوا نحو الشمال، على طول قصوين والبحر الأسود ... كما خلف قمم السّلسلة الجبلية، وَعزة عادة ».

جميع شهادات المؤلفين -قدامى ومحدثين- التي أشرنا إليها -كلّ واحدة في سياقها الخاص- خلال كامل هذا الفصل، تؤلف عناصر عديدة للغز، يسمح لنا بجمعها توضيح أفضل وعضد أكبر لاقتراحنا :

- السّوريّون، الذين يمكن تسميتهم كما يسوق المؤلفون، بروايات مختلفة : الأرمان، القبّادكيّون، الأناضوليّون، الرّافديّون، الإسكوتيّون، القوقصيّون، الإيبر، إلخ. استقرّوا في جنوب البحر الأسود والقوقص وقصوين كما في شمال هذه المناطق (من حوض الدّانوب إلى غاية وادي البولغا)،

- طبيعيًا، يشابه الإسكانيّون السّوريّين البيض. ممّا يعني أنه يمكن خلط الأهالي الأوائل (أهالي بحر البلط) بالآخرين (أهالي البحر الأسود وبحر قصوين وأعلى بلاد الرّافدين). هو إحدى الشّهادات على الاستعمارات السوريّة -الفانقيّة (أو السّورية- القوقصية) في شمال أروبا،

- تواجد السّوريون-الفانقيّون والأناضوليّون والقوقص على سبيل المثال، متكلّمو لغات عروبيّة، ليس فقط في وادي بولغا ولكن في شرق هذا النّهر أيضا -كما أشارت إليه موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique"، كتجّار في سيبريا. في غرب هذا النّهر نفسه، التقت المستعمرات السّورية-الفانقيّة مع نظيراتها للمناطق الدّانوبية، ومن هناك، توزعت على بقية أروبا الغربيّة. حدثت هذه الاستعمارات في عهد يمكن تحديده سابقا لبداية الألفيّة الثانية قبل الميلاد، أي قبل ظهور قبائل ذات لغات هنديّة-أروبيّة في الهند، في النّصف الثاني من ذات الألفيّة، أو بعدها بقليل، في شبه الجزيرة الهلأنيّة.

وهو ما يترجمه بجلاءٍ -دون تسمية هؤلاء الأهالي- ما اوردته موسوعة "Grand Larousse Encyclopédique" (الجزء الخامس)، بخصوص استوصاف الأرض البشريّ لأروبا، وهو السّياق الذي يطلعنا بأنه في عهد الحجر المصقول، نلاحظ اجتياحات أهالٍ مختلفين :

- من أصول شمال كريميا : يتقدم هؤلاء الأهالي بولندا والدانمارك والحوض الباريسيّ وسهل الأردان[1]،
- التيّار الثقافيّ المتوسّطي، من أصل مصريّ وشرقيّ متوسّطيّ : يتقدّم هؤلاء الأهالي جنوب إيطاليا وإيسبانيا ثمّ النّصف الجنوبيّ لفرنسا[2]،
- التيّار الثقافيّ الدّانوبيّ، من أصل رافديّ، امتدّ على أروبا الوسطى والشرقيّة[3].

هذه الشّهادة، فاصلة وموضوعيّة، تنضمّ إلى دراستنا حول الموضوع (انظر المصادر)، يتعلّق الأمر بكون جميع هؤلاء الأهالي الذين استعمروا أروبا، من الجنوب إلى الشّمال ومن الشّرق إلى الغرب، كانوا أساسًا متكلّمي لغات عروبيّة. الآن نفهم بصورة أوضح E. Renan حينما يتكلّم عن التّشابه الطّبائعيّ للإنسان بين السّاميّين والهنود-الأروبيّين ويفترض أنّ «عرقا واحدا» صدر عن المهد نفسه». ويصرّح[4] : «الأطروحة الأكثر طبيعيّة التي تقدّم لشرح ظاهرة كهذه، هو افتراض أنّ عرقًا واحدًا، صدر عن مهدٍ واحدٍ، انقسم إلى فرعين قبل حيازة لغةٍ نهائيّةٍ. مِمّا يبدو مؤكّدًا هذه الأطروحة، هو أنّ كِلا نظامي اللّغات التي تكلّمنا عنها وإن كانا متمايزين، فلا يُعْدَم بينهما جوّ عائليّ ما، تقريبًا مثل توأمين نشآ بعيدين شيئًا ما عن بعضهما، فُصِلا تماما عن بعضٍ في سنّ الرّابعة أو الخامسة».

حقيقةً، إذا كان العروبيّون، أو بتعبير أفضل متكلّمو لغات عروبيّة قد سكنوا شمال البحر الأسود والقوقص وبحر قصوين، فالهنود-الأروبيّون أو بتعبير أفضل متكلّمو لغات هنديّة-أروبيّة (هم أيضًا) موطنهم الأوّل - حسب B. Hrozny الذي ذكرناه- كان في المناطق نفسها، ولكن في حقبة أحدث. فما من حائل إذًا دون التوافق مع فرضيّة E. Renan الذي يقدّر أنّ

---

1. موضوع عالجناه في كتابنا : "العرب، أسلاف الجاليّين ؟"
2. موضوع عالجناه في كتابنا : -"العرب في أروبا قبل العهد المسيحي".
3. موضوع عالجناه في كتابنا : -"العرب في أروبا قبل العهد المسيحي".
4. في كتابه "حول أصل اللسان".

«عرقًا واحدًا، صَدَر عن مهدٍ واحدٍ، انقسم إلى فرعين قبل حيازة لغةٍ نهائيّة، مع تحفّظ واحد هو أنّ اللّغات العروبيّة المتقدّمة بجدّة عن اللّغات الهنديّة-الأروبيّة، ينبغي أن تكون مصدرًا أو أمًّا للأخيرات -بدل التوأم- اللأئي، أقدمهنّ السّامسكريتيّة، التي حضّرها علماء ونحاة (لسانيّون).

ب/ تعليقات

عروبيّو الشّمال المحلّيّون (أي متكلّمو لغات عروبيّة قاطنو المناطق الشّمالية للبحر الأسود وبحر قصوين وشمال القوقص)، بعد التّفريط في الأواصر أيًّا هي، التي تربطهم بالأهالي الآخرين الجنوبيّين النّاطقين بالعروبيّة (في جنوب القوقص والبحر الأسود وبحر قصوين)، اتخذوا، للتميّز -لسانيًّا وبالتالي ثقافيًّا- عن نظرائهم وراء البحار والجبال، اجتبوا من عناصر مختلفة نظاما بنويًّا لغويًّا جديدًا، على غرار إنشاء اللّغة السّامسكريتيّة -في نهاية الألفيّة الثانية قبل العهد المسيحيّ- أو على غرار إنشاء اليونانيّة المشتركة، في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد في بلاد الإغريق[1].

جاء اجتباء لغةٍ جديدة ليستجيب لحالة قطيعة شبه كاملة مع المتجانسين النّاطقين بالعروبيّة في للمناطق الجنوبيّة، حالةٌ إمّا متلقّاة (كوارث طبيعيّة، ظروف مناخيّة واقتصاديّةٍ جديدةٍ، تغيّر المجتمعات، إلخ.) أو مفْرَزَة (استقرار طغاة "أجانب"، مجيئ "كهنة" مرقّو أديانٍ جديدة، حروب عائليّة طاحنة شاملة، إلخ.).

هذه اللّغة المصطنعة من طرف النّحاة ورجال الثّقافة، في الميدان البنويّ، حافظت على معجم اللّغات العروبيّة التي تكلّمتها هذه الأهالي المختلفة، معجمٍ تطوّر ونما مبتعدًا شيئًا فشيئًا عن الأصل.

هكذا أصبح متكلّمو لغات عروبيّة متكلّمي لغات تسمّى هنديّة-أروبيّة : أصبح العروبيّون (أو حسب اصطلاح آخر الحاميّون-السّاميّون هنودًا-أروبيّين.

---

1. هكذا تساءل de la Vallée Poussin (مصدر سبق ذكره) إن كان يمكن اعتبار الهنديّة (لغة البداويّة-السّامسكريتيّة-الهنديّة الشّعبيّة) كاليونانيّة حيث أقرّ اللّسانيّون عناصر غير هنديّة-أروبيّة عديدة وخطيرة.

بهذا الصدد كتب A. Meillet[1] أنّ : « حجّة قرابة لغة تنتج في مجملها من أنّ وجود بعض التوافق يتماشى حتما مع رواية تاريخيّة مشتركة ».

ظهرت هذه اللّغة المصطنعة، على نحو السامسكريتيّة[2] -إن لم تكن اللّغة نفسها- في الحقبة الممتدّة من منتصف الألفيّة الثانية إلى نهاية الألفيّة ذاتها. ويمكن أن نسقط على هذه اللّغة "الهنديّة-الأروبيّة" الشهادة التي أوردها لنا G. Lebon[3] بصدد السامسكريتيّة (التي برزت بغرابة في الحقبة ذاتها !) : « ليس تحرير "رقّ البداء" إنجاز رعاة بدائيّين ولكن أدباء وفقهاء في الدّين ممحّصين : وكلّ ما فيه مصطنع. هذا يقتضي قُرونا من التحضير السّابق. إذًا وراء هذا الشّعب تاريخ عريق ».

1- رقّ البداء : أقدم نصوص البداء، كتب مقدّسة لبلدان وادي السّند.

تمّ تحضير القسط الأكبر من رقّ البداء ما بين خمسمائة وألف (1500) ومائتين وألف (1200) قبل عهدنا (حسب D. Kosambi) ، في سنة ألف (1000) قبل الميلاد (حسب Max Muller ذكرة G.Lebon). في كتابه "ثقافة وحضارة الهند القديمة"، يصوّر لنا D. Kosambi الآريّين (أي الهنود-الأروبيّين) في هذه الحقبة، التي خلالها حرّر نصّ البداء، كمحاربين بدوًا دونما حضارة : « كان مستواهم الثقافيّ أوضع من مستوى الأهالي الحضر الذين دمّروا». وعلّق عن هذه الحقيقة مصرّحًا : «هو مبدأ عامٌّ كون أيّ لغة أجنبيّة ليس لها أن تفرض نفسها على أهلٍ كثيري العدد إلاّ أن تُرفق بنمط إنتاج يفوق ذلك الذي عرفه هؤلاء الأهل قبلاً. لم يشكّل الآريّون المكتسحون غوغاءً كثيري العدد». ويطرح، بحقّ، السّؤال : « كيف تأتّى لهم فرض أنفسهم ولغتهم؟ ».

---

1. مصدر سبق ذكره ("لسانيّات تاريخيّة ولسانيّات عامّة").

2. حسب de la Vallée Poussin (مصدر سبق ذكره)، تعني كلمة السامسكريتيّة (السانسكريتيّة) "إجماليّة أو تركيبيّة".

3. في كتابه "حضارات الهند".

تجيب شهادة G. Lebon التي أشرنا إليها أعلاه ببيانٍ عن هذا السؤال : إنّ تحرير رقّ البداء ليس صنيعة رعاةٍ بدائيّين ولكن هو شأن أدباء وفقهاء في الدّين ممحّصين ... يؤكّد A. Daniélou[1] أقوال G. Lebon كاتبًا : «جهل الآريّون، في عهد التأليف الأوّل لأولى أناشيد رقّ البداء، الكتابة». في هذا العهد، أي نحو منتصف الألفيّة الثانية قبل العهد المسيحيّ، كانت لُغات حضارة الوحيدة في هذا الفضاء، من السّند إلى البحر الأبيض المتوسّط، هي اللّغات العروبيّة ؛ لقد رأينا أنّ الأكادية-البابليّة والفانقيّة، قرونا كثيرة قبلها، بلغت مستوًى أدبيًّا وفمصفانيًّا وعلميًّا ودينيًّا رفيعا.

يؤكّد المؤلفون الحضورَ والهيمنة للّغات العروبيّة، بالقول بأنّه مع حمو-ربي والملكة البابليّة، أصبحت اللّغة الأشوريّة، انطلاقًا من القرن الثامن عشر قبل الميلاد لغة السّياسة الخارجيّة لجميع الشرق القديم (من الهند إلى البحر الأبيض المتوسّط) ولمصر. أي أنّه قرون كثيرة قبل تحرير البداء الذي كتب بالسّامسكريتيّة -في وادي السّند أساسًا- استعملت اللّغة الأكاديّة (أو الأشوريّة-البابليّة) في هذه المنطقة نفسها، بتعبير أفضل، مثلت لغة حضارةٍ.

زيادة عن هذا، قد بيّنّا في الباب الأوّل أنّ الاستعمارات العروبيّة قدّمت في وادي السّند وأنّ الحضارة التي رافقتها كانت متألّقة ؛ يصف المؤلفون هذه الحضارة بغير الهنديّة-الأروبيّة (أو غير-الآريّة، حسب مصطلحات M. Wheeler). تحديدًا في إحدى هذه المناطق، الفنجاب -يقطنه متكلّمو لغاتٍ عروبيّة- حرّر في معظمه رقّ البداء.

يخبرنا D. Kosambi، في هذا الصّدد، أنّ الثقافة الرّافديّة تمنح أكثر قواسم مشتركة مع الأخرى السّنديّة من تلك مع الثقافة المصريّة. الأمر شديد الوضوح والذي يتيح لنا استيعاب الشهادة الثانية (اشير إليها في بداية مدرج العنوان هذا) لـ Meillet A.، تتعلّق بكون الساميّة (والحاميّة) والهنديّة-الأروبيّة، إلخ، خرجت من لغةٍ واحدةٍ أقدم.

---

1. في كتابه "تاريخ الهند".

هكذا يمكننا تفسير حضور كلمات عربيّة عديدة في نصوص البداء أو في الكلم السّامسكريتيّ[1]:

- "pur" التي تعني "مكان منيع" -هذا الاسم ينعت المدينة (polis في اليونانيّة) : هو الكلمة العربيّة برج، من الدّلالة ذاتها (على حدّ السّواء في السّامسكريتيّة كما اليونانيّة)[2]. وكان الجيم يُخرَس في الكلمة الهنديّة، مع إبدال الباء بحرف P،
- ذكر A. Meillet[3] الكلمة "pater " أي "أب" في اللّغة الهنديّة-الأروبيّة المشتركة، مصرّحًا : «يبدو أنّ هذه الكلمة انتقلت بصورة دائبة من جيل لجيلٍ منذ عهد اللّغة الهنديّة-الأروبيّة المشتركة إلى غاية اللاّتينيّة الفصحى. ولكنّها تلقّت في هيئتها تغيّرات عميقة : الكلمة الهنديّة-الأروبيّة تنعت وظيفة اجتماعيّة ، الأب هو ربّ بيت، ولهذا تكتسي الكلمة قيمة دينيّة، تستخدم في وصف "السّماء الأب"، يوفاطر الرّومانيّ. ما زالت في اللاّتينيّة، الكلمة "pater" تكتسي معنىً اجتماعيًا رأسًا : تنعت وضعيّةً عائليّة. المُنجب ينعت بالأحرى بكلمة أخرى "genitor"». بالنسبة لـ de la Vallée-Poussin، الاسم الهنديّ "pitar" يعني قديمًا "سيّد، مَوْلى". هذه الكلمة "pater" ينبغي أن تكون، في رأينا، تحويلاً حرفيًا للكلمة العربيّة فاطر "خالق، مبدع"، من الجذر فطر "أبدع أو بدأ شيئًا، خلق شيئًا (الله)" بإبدال الفاء (ف) بحرف P[4]،

يشير المؤلّف A. Meillet، في كتاب آخر[5]، لاسم ثان : «الاسم الهنديّ-الأروبيّ لـ"آلهة"، déiwo، الذي يعني حرفيًا "مضيء" يوجد في "dyauh" في البداء : هو الاسم القديم للسّماء المضيئة. صار في مجموع الآلهة الإغريقيّة، Zeus، الرّبّ الأعلى، آلهة الرّعد، وهو أيضًا الآلهة التي تعبد على القمم الخاليّة، غالبًا تكتنف برقا. جميع هذه

---

1. هي اللغة المقدّسة والأدبيّة للهند، ظهرت ضمن مجموع اللّغات الهنديّة-الأروبيّة.
2. انظر كتابنا "العرب في أروبا قبل العهد المسيحيّ".
3. في كتابه "لسانيات تاريخيّة ولسانيات عامّة".
4. هناك كلمة اخرى في العربيّة لها هذه الدّلالة المضاعفة : يتعلّق الأمر باسم ربّ الذي يعني "إله" أو "سيّد العائلة".
5. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانيّة".

النعوت لها معنى، تحديدًا، لتلك التي تعطيها الكلمة العربيّة للموافقة، التي هي ضياء (أو ضوء). لقد شرحنا هذا الاسم في الباب الأوّل (الصفحة 147)؛

- أشار de la Vallée-Poussin[1] إلى الاسم اليونانيّ (والهنديّ) πελεχυς (Peleku) وأقرّ أنه مستعار من الأشوريّة Pilakku (الجذر العربيّ فلق "فلج، قطع شيئًا إلى شطرين"). مع اسم الفاعل فالق "الذي يشطر إلى اثنين")؛

- يمكن أن نلاحظ أيضًا، إلى جانب عناصر معجميّة موجودة في البداء، تسمية شعوب عروبيّة (مثل تسمية برجة الهند أو البرجو) وردت في رقّ البداء. هذا الاسم له الأصل نفسه كما الاسم الفارجيّون (البرجة) الذي كنّا رأينا معناه الأصليّ أعلاه (الفصل الخامس من الباب الأوّل).

حسب D. Kosambi، الاسم برج وينعت ،واحدة من أهمّ العشائر ذات المصاهرة الخارجيّة البراهمنيّة، دائمًا قويّة وخطيرة.. وتابع، كاتبًا : ،رقّ البداء يشهد عن تكوّن جمعيّة قسّيسين جديدة براهمنيّة، يخدم أعضاؤها، عند الحاجة، سادة كثر، آريّين أو غيرهم. في السّياق ذاته، أشار المؤلّف إلى ملكين أسماؤهما (بعل-بطو وتاركسا) يفتقران إلى الفئة الآريّة، وقد يكونا أشوريين تاريخيين. قد أشير أيضا إلى الجَمَلِ في هذا النّص، في حين أنّ ،هذا الحيوان ظهر نادرًا في الرّواية الهنديّة القديمة..

في سياق الأفكار نفسه، وحسب B. Hrozny[2] ،نجد في الهند جزءًا آخر من هذا الشعب (القصّ) : حوفظ على بقيّة أخيرة من هذا الشّعب إلى يومنا في مقاطعة جلجيت، يتعلّق الأمر بالبُروشو من جبل الهندو-كوش[3]، حيث لغتهم البروشسكيّة ذات قرابة كاملة مع اللّغات القوقصيّة الحاليّة.

يمكن أن نلاحظ في تسمية الشّعب هذه (البروشو)، التي بها تتلقّب أهالِ جبليّة، المقطع الصّوتيّ بر الذي قد لا يكون إلاّ ذلك الذي نجده في الأسماء الإيبر

---

1. مصدر سبق ذكره.
2. مصدر سبق ذكره.
3. سلسلة الهندو-كوش هي جارة جبل القمر. E. Renan في كتابه ("من أصل اللسان" صفحة-114) بصدد الكلام عن جبل القمر يصرّح ،استقراءات متينة تحضّنا على جعله في العلم نفسه.- يتعلّق الأمر بهضبة القمر ،المهد الأوّل للعرق السامي.

والبربر وأبر (للقوقص) والتيبارن (للأناضول) ... كما أنّ الجزء الثاني من هذه التسمية، وشو قد لا يكون إلاّ ترجمة للكلمة البربريّة إشِنّ (أو إسك)، قد شرحناها أعلاه[1].

هكذا قد التقينا الاسم القوميّ "عربيّ" في الفنجاب، وثان عربيتا في المناطق السّاحليّة الغربيّة للهند، نجد الاسم القوميّ "البرجو"، نظير السّابقين، أيضًا في الهند وآخر من القصّ أو القصوينيّين (مع البُروشو) في جبل الهندو-كوش، تسمية شعب لأهال القوقص.

- لاحظ de la Vallée-Poussin (في مرجع سبق ذكره)، في المجال الدّينيّ استعارات هنديّة-إيرانيّة للساميّين : «الآلهة Amesha-Spentas وAdityas التي جاءت شعائرها من الخارج، من شعب أكثر تقدّما منهم (الإيرانيّين) في معرفة السّماء، من الكلد السّاميّين أو أكاديي بابل». فضلاً عن هذا، أورد المؤلف F.W. Thomas ، الذي تساءل إن كانت الرّتبة أسورا "سيّد، ربّ سماويّ، ذو سلطة عجيبة ونفوذ" «لم يستعرها الهنود-الإيرانيّون عن جيرانهم الغربيّين، ما لم يتلقّب أورونا باسم الآلهة الكبيرة لبلاد أسور (أشور)».
- يبدو أنّ الدّين المعروف في الهند بلقب "الشَعابيّة" (بكسر الشّين) (دين الشعب)-الذي يعتبر إسهامًا للفمصفاء القديمة ما قبل الآريّة- قد توسّع فيما قبل تاريخ العالم الهنديّ-المتوسّطيّ : تعتبر أسطورة أوزيريس في مصر تبديلة إحدى حكايات شعابة ... عبادة ضوء-نوسا في بلاد الإغريق[2]، هي فرع من الشّعابيّة[3]...

هذا العنصر الأخير، لصالح الاستعمار العروبيّ في الهند، يزوّدنا به الإغريق : «هؤلاء يتكلّمون عن الهند كأرض مقدّسة لضوء-نوسا قرب الجبل المقدّس

1. انظر كتابنا "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة".
2. ضوء-نوسا هو ابن سمالة الفانقية.
3. A. Daniélou في كتابه "تاريخ الهند".

لِنوسا (منطقة جلال أباد، في افغانستان) »[1]. بالفعل، العلاقة مع الفانقيّين واضحة وقائمة. ضوء-نوسا هو ابن سمالة، وهي الأخرى ابنة قادم الفانقيّ. وقد أجرينا أعلاه (الفصل الخامس-مدرج العنوان 4.2.5) المقاربة بين الأميرة سمالة ومدينة سملة، شمال باكستان الحاليّة.

في كتاب سابق "الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة- من جبال إمالأين إلى الأرضوان-"، بخصوص المناطق المستعمرة من طرف العروبيّين في شمال السّند، لقد أشرنا إلى المعنى الأصليّ الفانقيّ-الإيبريّ-البربريّ في أسماء عدّة لمدن افغانيّة، أسماء لبعضها كلمة "آر" أو "ر" (جبل) مثل كنداهار، ننجاهار -تمامًا مثل المنطقة المتموقعة في الشّمال الشّرقيّ لكابول، القشمير، حيث تحوز التّسمية معنى ذا علاقة مباشرة مع الجبل. الجبليّون الذين هم القوقص (بصفة عامّة) عرفوا وسكنوا المناطق المرتفعة للأنحاء المجاورة، من جبل حلب الرّأس (القوقص الجنوبيّ) إلى جبل كركورم (القشمير) عبر جبل فمير. القشمير هو جار الفنجاب الشّماليّ الذي فيه توجد مدينتي شنداجار وسملة. من هذه المنطقة الأخيرة ينبع نهر السّند، وحيث تبدأ السّلسلة الكبرى لإمالاين، تسمية شرحنا أصلها الإيبريّ-البربريّ، في حين أنّ الاسم فمير يحيلنا إلى أصل فانقيّ.

عنصر آخر يشفع لصالح اطروحتنا، يقدّمه لنا A. Daniélou[2] : « ثقافة قديمة تمتدّ من البحر الأبيض المتوسّط إلى وادي جانجا، تراث مشترك لجميع الشّرق القديم. حسب دارسي الطّبائع البشريّة المحدثين، شكّل الدّراوديّون فرعا من العرق المتوسّطيّ. ينبغي ضرورة أنه وجدت علاقات بين دراوديّي الهند والفروع الأخرى للعرق المتوسّطيّ الكبير : الإيبر، الفالجيّين، الثّوراسكيّين، اللّيبيّين، ميناويّي قرتا، القبارسة، المصريّين، الحتيّين والسّومريّين ». أدنى السّياق، يُورِد المؤلّف نفسه عاملاً آخر، هذا العامل لسانيّ بالدّرجة الأولى : « اللّغات الدّراوديّة لها قرابة مع الجرجيّة (إيبر الشّرق) والباسكيّة (إيبر الغرب). هذا يعني قرابة مع

1. A. Daniélou . مصدر سبق ذكره.

2. مصدر سبق ذكره.

اللّغة الإيبريّة-البربريّة. في هذا الصّعيد، يحدّد لنا هذا الكاتب أنّ أقدم كتابة سامسكريتيّة، البراهمية، مشتقّة من الفانقيّة. دلائل حضارة جدّ عتيقة، توقع الاعتقاد بأنه ثلاثة آلاف سنة قبل العهد المسيحيّ، وجدت علاقات اجتماعيّة بين كلدا وأهالي مُندا الهند، وقد كشف عنها حديثا، على السّواء من طرف علماء الآثار كما اللّسانيّين.

من المنظور ذاته، يقدّر E. Renan (في كتابه "دراسات حديثة في التاريخ الدّينيّ") أنّ «دون الزّنديّة، لم تكن قيمة فقه اللّغة للسّامسكريتيّة لتستوعب».

2- البستاء : هي الكتب المقدّسة للفرس القدامى

حسب G. Courtillier[1]، «البداء متكافل مع البستاء بمقتضى اللّغة وأحيانا بمقتضى الدّين». على كلّ حال، رأينا أعلاه (الفصل الثالث من الباب الأوّل) أنّ الزّنديّة -لغة البستاء- لها قرابة باللّغات القوقصيّة، التي في حدّ ذاتهنّ قريبات من الإيبريّة- البربريّة.

تؤكّد شهادة G. Courtillier أقوال فقيه اللّغة Anquetil du Perron[2]، حيث يصرّح : «كانت الزّنديّة، قبل العهد المسيحيّ، لغة جرجيا، وإيران، بمعنى الكلمة، وازربيجان. هناك تشابه مباشر بين الزّنديّة والجرجيّة، بخاصّة في التتمّات النّحويّة».

يخبرنا المؤلّف نفسه، الذي استنتج، انطلاقا من نصّ البستاء، أنّ موطن أزراشتر ينبغي أن يكون أزربيجان الحاليّة، أنّ «تشبه كتابة الزّنديّة الكتابة العربيّة للقرآن في بعض الحروف وفي بعض آخر، الأرميّة -في الرّسم (الشّكل)-».

في كتاب سابق معنون بـ"الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة"، بيّنّا أنّ أهالٍ قدامى مختلفين من القوقص وفارس وآسيا الصّغرى (بخاصّة أهالي

1. في كتابه "حضارات الهند القديمة".
2. في كتابه "زنديّة البستاء".

ضفاف البحر الأسود وبحر قصوين) كانوا متكلّمي لغات عروبيّة وليس لغاتٍ هنديّة-أروبيّة ؛ تسميتهم للشعوب تتفسّر بيسر باللّغة البربريّة الحاليّة (الإمقران، التيبارن، الشاشاون، الإيبر، الشرقصَ، اللّولوتن، القصَ، إلخ.). وهو مَا يُعضد -بصورة ضمنيّة- من طرف المؤلّفين الذين يقدّرون أنّ اللّغات القوقصيّة (الشماليّة منها والجنوبيّة) تتقاربن فيما بينها، من جهة، ومن جهة أخرى، تتقاربن أيضًا مع لُغات آسيا الصّغرى، وأعلى بلاد الرّافدين وبلاد سوسة (عربستان).

3. حول بعض العناصر للّسانيات المشتركة

إذا كان التاريخ والعلميّة (حسب بحثنا)، والحضارة (حسب شهادات المؤلّفين) لمناطق آسيا الوسطى وآسيا الغربيّة حتى البحر الأبيض المتوسّط (من الهند إلى آسيا الصّغرى مرورًا ببلاد الرّافدين) وأهاليها (من الدّراوديّين إلى الأشوريّين والمصريّين على سبيل المثال) تسمح بصياغة الأطروحة بخصوصِ الأصل المشترك للّغات العروبيّة واللّغات المسمّاة الهنديّة-الأروبيّة، وقد يمكن أن تعضد اللّسانيّات بحدّ ذاتها، هذه الأطروحة.

بدأت اللّسانيّات في أروبا مع ما يسمّى اكتشاف السّامسكريتيّة (أو السّانسكريتيّة) من طرف الفرنسيّين والإنجليز في الهند. وجود لغة قريبة من اليونانيّة واللاّتينيّة في هذه البلاد القصيّة طرح إشكالاً معضلاً للبحّاثة في نهاية القرن الثامن عشر من العهد المسيحيّ (القرن الثاني عشر للهجرة). صدمت التناقضات العرقيّة للاكتشاف (قرابة بين الأروبيّين والهنود) بعض الأشخاص، الذين راحوا حتى إلى درجة إنكار وجود اللّغة السّامسكريتيّة. هؤلاء اعتقدوا أنّ نصوص هذه اللّغة تألّفت من طرف براهمةٍ دهاة عن أنموذج اليونانيّة واللأتينيّة. تبدو هذه القرابة مُتقبّلة، إذا ما اعتقد أنها ترجع إلى قِدمٍ غابر، انطلاقًا منه حدث انحطاط طويل.[1]

1. في "علم القوميّات العامّ".

a/ مع اللاّتينيّة

يمكن أن نعطي، في هذا الإطار المحدّد، مثالاً واحدًا -بداهةً- لظاهرة نحويّة التي ترتبط بالتشابه "العجيب" لتصاريف بعض الكلمات او النعوت، في اللّغتين العربيّة واللاّتينيّة.

في الأكاديّة (لغة عروبيّة)، التمويم هو صوت الميم (م) الذي يلحق بنهاية الكلمات (الأسماء غير المعرّفة) بوساطة الحروف الصائتة وُ، أ ، إ : ممّا يعطي مقطعًا صوتيًا اخيرا للكلمة، حسب الحالة، أُم (في الرّفع) او أمْ (في النصب) أو إمْ (في الجر)[1]. الإعراب عينه يلتقى -لا يلاحظ مع ذلك في الحالات ذاتها- في اللاّتينيّة (في المفرد)[2] :

- في المفعوليّة (مفعول به) : مع الاسم Ancilla "خادمة"

• Ancillam interrógo "أسأل خادمة"

• Bonam Ancillam laudo "أهنئ الخادمة الحاذقة"

نعت الاسم، كما في العربيّة، يتبع جنسًا وعددًا الاسم الذي يعود عليه،

- في الإضافة (مكمّل بيان)

• Puellae rosam das "تعطي وردة للفتاة الشابة"

- في حالة النصب (أسماء ونعوت مذكّرة)

• Dominum novum "المعلّم الجديد" (المفرد)

- في حالة الإضافة

• Dominorum novorum "المعلّمون الجدد" (الجمع)

- في حالة الاسميّة (أسماء ونعوت معدومة الجنس)

1. مقابل التنوين في العربيّة، حيث تعوّض النون الميم.
2. تحوي اللغة اللاّتينيّة خمس حالات (تصاريف) في حين لا تحوي العربيّة (او الأكاديّة) سوى ثلاث.

• Templum novum المعبد الجديد" (المفرد)

- في النصب

• Templum novum "المعبد الجديد" (المفرد)

- في حالة الإضافة

• Templōrum novōrum "المعابد الجدد" (الجمع)

النعت المستخدم وحيدا يتخذ في اللاّتينية قيمة اسم ويمكن أن يختتم بـ um (كما في الأكاديّة) :

• malum "ألم، حزن"

• bonum "خير"[1]

ß/ مع اليونانيّة

- اللأحقة العربيّة تتواجد في اليونانيّة : لقد تكلّمنا عن ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب الثالث،

- من جهةٍ أخرى، فيما يخصّ تشابه اللّغتين العربيّة واليونانيّة، على الصَعيد النحويّ، يمكن ملاحظة حضور بعض أدوات للبنية اليونانيّة متطابقة مع نظرائها في اللّغة العربيّة :

• أداة استفهام

ê (في اليونانية) - أ (في العربية)

• أداة النفي

mê (في اليونانيّة) - مَا (في العربيّة)

• أداة ربط

1. مأخوذ من كتاب "السنة الأولى اللاتينيّة" صدر عن F.Nathan-1960.

dê (في اليونانيّة) الذي يعني "إذا-إذن، تحديداً " هو نظير إذن (في العربيّة)".

- أداة تدلّ على التمنّي

ân (في اليونانيّة) = أنْ وَ أنّ (في العربيّة)

- أداة تدلّ على الشرط

eî، eân (ân أو ên) (في اليونانيّة) = إن (في العربيّة)

- أداة تدلّ على التخيير

ê...ê (في اليونانيّة) = أوْ... أوْ (في العربيّة)

- ضمير إشارة

soth (في اليونانيّة) - زُوط (في الفانقيّة) أي "هذا"

- خواصّ بنويّة أخرى للّغة اليونانيّة تماثل تلك الملتقاة في اللّغة العربيّة. نذكر منها :

- نهاية الكلمة تتغيّر تبعًا للفئة النحويّة المعبّر عنها،
- كلّ كلمة تحمل في حدّ ذاتها خواصّ الفئات النحويّة وعلامة كافية لدورها في الجملة،
- العدد وصيغة الأفعال العائدة على ضمير، يدلّ عليه الفعل دون ضمير محدّد ،
- اليونانيّة تحافظ، فضلاً عن المفرد والجمع، عن النمط القديم للمثنّى،
- ليس لترتيب الكلمات عمومًا أيّ قيمة نحويّة محدّدة : ترتيب الكلمات متحرّر، وهذا لا يعني أنّه عشوائيّ. وظائف الكلمات تتحدّد بصيغها[1]،

1. ذكر A. Meillet هذه الخواصّ البنويّة للغة اليونانيّة في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللّغة اليونانيّة".

- ظاهرة لسانيّة أخرى ينبغي أخذها في الحسبان : تتعلّق بأداة التعريف التي لم تكن بعد موجودة في اللّغة اليونانيّة المشتركة. تقديم أداة التعريف في اللّغة اليونانيّة يعتبر كتجديد[1]، الذي قد يكون طرأ على أداة التعريف الفانقيّة HA، أصبحت في اليونانيّة Ò ("الـ ... مذكّر") و H ("الـ ... مؤنث")[2] في الحالة الاسميّة المفردة، في حين أنّ الأجناس الأخرى والأعداد لأداة التعريف خضعت للتصاريف الهلانيّة؛

- نطق اليونانيّة، حسب A. Meillet[3] ،كان واضحًا (أصوات مختصرة أو ممدودة، منبورة أو غير منبورة)، جميع الحروف لصائتة كانت تنطق بصورة ملحوظة، بشكل تظهر به المقاطع الصوتية تمامًا، ولا واحدة منها تتعرّض لعدم التساوي، الذي يمسّ مختلف أجزاء الكلمة في اللّغات الحديثة لأروبا الغربيّة؛

- بالنسبة للإيقاع، يقدّر المؤلّف ذاته أنّ «الإيقاع في اليونانيّة القديمة، كما في السّامسكريتيّة، مختصّ بالكميّة وينتج عن تناوب المقاطع الصّوتيّة الممدودة والأخرى المختصرة دونما اعتبار النبرة، وهو ما نجده في اللّغة العربيّة (سواء في التطق كما الإيقاع)، بخاصّةٍ في الشّعر.

γ/ جملة القول

بناءً على كلّ ما سبق و ...

- إذا اعتبرنا أنّ لغة البداء (السّامسكريتيّة) ولغة البستاء (الزّنديّة) متقاربتين من بعضهما، من جهةٍ، ومن أخرى، أنّ هاتين اللّغتين تتقاربان مع اللّغات القوقصيّة؛

- إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ موطن أزراشتر ينبغي أن يكون أزربيجان (بلاد القوقص، متاخم لبحر قصوين)، وأنّ كتابة الزّنديّة تشبه الكتابات العربيّة ،

---

1. لليونانيّة كما الفرنسيّة أوالإيسبانيّة الأداة التي تعدمها اللاّتينية. أولم تستعر اللّغات المشتقّة من اللاّتينيّة ادوات تعريفها من العربيّة (اداة واحدة ووحيدة الـ) وذلك مع le, la, les في الفرنسيّة (من الجذر والتصويت نفسه) ؟
2. هو الحرف êta الذي ينطق ا.
3. في كتابه "لمحة حول تاريخ في اللغة اليونانيّة".

- إذا ما أدرجنا في الاعتبار كون أقدم كتابة للسامسكريتيّة، البراهميّة، المشتقّة من الفانقيّة والسامسكريتيّة هي اللّغة التي بها كتب البداء؛

- إذا ما استذكرنا أنّ الشعائر والأديان من الهند، وبلاد الرّافدين والأناضول،... إلى غاية البحر الأبيض المتوسّط تتدخّل وتتماثل؛

- إذا ما أخذنا في الحسبان حضور كلمات عربيّة عديدة في السّامسكريتيّة؛ تسميات أماكن (مدن وجبال) وشعوب، إلخ. من أصل عروبيّ في وادي السّند (حيث حضر قسط كبير من رقّ البداء)،

يسعنا القول أنّ أطروحتنا لاً ينبغي أن تقصى : قد يكون علماء وأدباء ونحاة وادي السّند -النخبة المثقّفة من الأهالي العروبيّة- لعلّة أو لأخرى، احتبوا لغةً جديدةً، نفترض أنّ تكون في أبلغ الاحتمالات السّامسكرتيّة، التي ما لم تكن اللّغة الهنديّة-الأروبيّة المشتركة، فقد تكون قريبة جدًا منها.

دراسة اللّسانيّات التاريخيّة، التحليل المقارن لنحو اللّغات الهنديّة-الأروبيّة ونحو الأخرى العربيّة، التي ستجريها فرق جامعيّة متعدّدة التخصّصات (فقهاء لغة، لسانيّون، أدباء، مؤرّخون، مختصّو علم الاجتماع، ... متعدّدو اللّغات)، ستسلك نهج الموضوعيّة العلميّة، تتنكّر للتحيّز أو الأحكام المسبقة، يمكن أن تتيح بلوغ نجاعة هذا البحث خدمة لمصلحة العلم وللخير الأعظم للأخوّة البشريّة.

الخاتمة

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَأُتِيَ بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ قَالَ أَنَسٌ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ[1]

يحصل من الدّراسة محلّ النّظر انّ اللّسان العربيّ لسان موغل في القدم، قد يعود إلى نوح -عليه السّلام- وابنائه، بل إلى أصل البشريّة. من جهته يبدو E. Renan مؤكّدا لما يذهب إليه المحدّثون للسلمون في السّياق الذي أشرنا إليه في مقدّمتنا، الذي يبدو أنّه مطّلع عليه -المتعلّق بكون العربيّة تكلّمت من طرف آدم عليه السّلام- فلذا كتب[2] : «من جهة أخرى يبدي فقه اللّغة السّاميّة مزيّة : مادّتها صلبة، وحافظت منذ أقدم العصور، بل ربّما قبل أوّل عهود ظهور اللّغات، على وحدة الذّات الأبين. وأضاف، بعد نعت اللّغات "السّاميّة" بــلغات غير عضويّة، وصلبة : لا الجذور ولا النّحو السّاميّ خضعا لتحوير ذي بال» وأجمل مصرّحا أنّ «بوساطة عائلة هذه اللّغات يحصل لنا بحقّ تماسّ مع أصول البشريّة»[3] .

---

1. حديث نبويّ شريف (في صحيح البخاريّ-الجزء الأوّل. الصّفحة 58-طبعة دار الفكر.).
2. في كتابه "تاريخ اللّغات السّاميّة".
3. استخدم E. Renan هذه العبارة، وقد يكون يعني بالخصوص اللّغة-الأمّ، العربيّة -اللّغة الواحدة التي تكلّم البشر الأوائل- حسب قوله ، من المؤكّد حقيقة انّ العربيّة، ولاعتبارات عدّة، اختزلت اللّغات السّاميّة ...، كما انّ ، تبدو العربيّة كعلويّة اللّغات السّاميّة، في كتابه "تاريخ اللّغات السّاميّة" (الصّفحتان 481-482).

إذا كان اللّسان العربيّ قد عاود الظّهور في الحجاز (وسط شبه الجزيرة العربيّة)، آلفيّات كثيرة بعد انقسامه إلى فروع عدّة، فقد نبع هذا اللّسان، بعد الطّوفان أكثر شمالا، في المهد المحتمل لمتكلّمي لغات عروبيّة. تمّ كلّ ذلك وكأنّ اللّسان العربيّ -اللّسان الخالص والبيّن لكتاب غير ذي عوج- هبط إلى الأرض مع آدم -عليه السّلام-، ثمّ رفع إلى السّماء في حقبة ما بعد الطّوفان، كي لا يلتقي خلفاء قوم نوح ووثنيّتهم.

وعلى هذا فقد ذرا هذا اللّسان بذوره قبل "اختفائه"، وهي البذور التي أنبتت وأثمرت اللّغات العروبيّة. وبمجيء الإسلام، نزل اللّسان العربيّ -لسان القرآن- مجدّدا إلى الأرض، مع الوحي القرآنيّ. على غرار المطر الذي يولّد ويخصب أرضا بورا، أروى "الكتاب المرقوم" -بوساطة حامله اللّسان العربيّ- "المنصاعين لله" وهذّبهم.

أصبحت اللّغات العروبيّة قريبات نوعا ما من اللّغة-الأمّ، تبعا للفضاء والزّمن والتّاريخ المشترك للأقوام البشريّة التي تتكلّم هذه اللّهجات. لقد نعتنا جميع هذه اللّغات بلغات ما قبل العربيّة، ذاك أنها تستبقي في بنيتها الخاصّة -كلّ بمفردها- نواة اللّغة-الأمّ. مثلما يحدث في مجال النبات، النّواة المطمورة في تربة خصبة، متوافقة مع عوامل ملائمة لنموّها وانتاشها، قد تنتج الفسيلة[1] التي تتيح إعادة الانبعاث أو ميلاد اللّغة-الأمّ. يمكن أن نعتبر أنّ هذا التّرب الخصب قد شكّل انطلاقا من تتالي الوحي على الأنبياء-الرّسل : بداية مع "صحف" إبراهيم -عليه السّلام- المكتوبة باللّغة البابليّة، ثمّ التّوراة، مع موسى -عليه السّلام- بالكنعانيّة (الفانقيّة)، ويليه الإنجيل المنزّل على عيسى -عليه السّلام- بالأرميّة، وختاما، القرآن بلسان عربيّ مبين، المبلّغ إلى محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-.

وأتاح كلّ من النّصوص الموحاة، تثبيت اللّغة التي بها كتب، بعد أن تعلّم كلّ قوم، الذي نحوه وجّه "كتابه"، على مرّ قرون كثيرة، إعمال هذه اللّغة، على أكمل وجه وصولا إلى ملك ناصيتها وتكييفها حسب الرّغبة، من خلال أدب خليق بهذا الاسم.

---

1. مثل "فسيلة شجرة مخصبة قرب نبع" ("الكتاب القدس").

بهذا تسنمت لغة إبراهيم -عليه السّلام-، البابليّة مستوى لسانيّا ساميا، مستوى يمكن الحكم عليه بالاستعانة بقانون حمو-ربي -مواطن ومعاصر إبراهيم -عليه السّلام-. بلغت الكنعانيّة ذرى الأدب مع أشعار رأس- شمرة، صيتا ذائعا مع الكتابات المنقوشة العديدة لفانقيا ومخطوطات المستعمرات الفانقيّة في القارّات الثلاث. أصبحت الأرمية بعد قرون كثيرة من التطوّر المرتقي، انطلاقا من لهجة بدوية بسيطة في الأصل، لغة السّياسة الخارجيّة للعالم المتحضّر.

أمّا بالنّسبة للعربيّة الوسطى التي تقترب منها -بنويّا ومعجميّا بشكل واضح- اللّغات الثلاث المتقدّمات، تطوّرت -يمكن القول أنّها تفتقت في الظلّ بعيدا عن الأضواء-، مستترة في الشّساعة الصّحراويّة لشبه الجزيرة العربيّة وخلال مدّة طويلة، مصقولة بعلاقة الرّياح والرّمل، منخلة بمرور القرون، متمحّصة خلال الأسواق والمهرجانات الشعريّة، إلى أن ظهرت للأنظار كلسان القرآن -مثل رعد في سماء صافية- عند مجيء الإسلام.

يمكن ان نلاحظ أنّه كان للعربيّة الوسطى (أو الحجازيّة) دور (أو قدر) تهيئة متكلّميها لقابليّة استعمال لسان القرآن. رويدا رويدا ودونما مقاومة، تطوّرت اللّغة العربيّة الوسطى -باجتماع وامتزاج لهجات عديدة للبلاد، بالتأثير الأكيد لبعض اللّغات العروبيّة- لتصبح، عشيّة ميلاد محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، أقرب لغة للسان القرآن.

وهو ما يكشفه نصّ الآية الثالثة من سورة السّجدة، أو بالأحرى القراءة التي أجرينا :

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

اي أنّ محمّدا -صلّى الله عليه وسلّم-، مولود مكّة المكرّمة، كلّف برسالة، أوّلا تجاه قومه، ثمّ تجاه ساكني الحجاز وشبه الجزيرة العربيّة، ثمّ نحو جميع

البشريّة. قوم ﴿مَآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، ممّا يفترض انّ افراد هذا القوم تكلّموا وفهموا اللّسان العربيّ -لسان القرآن- لأنّ :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (سورة ابراهيم-الآية : 04).

ممّا يعني انّ الأنبياء السّابقين، من هود إلى عيسى، مرورا بصالح وموسى ويونس وشعيب وايّوب وداوود، وغيرهم -عليهم السّلام- قد بعثوا إلى أقوام (خارج الحجاز) يتكلّمون -ليس لسان القرآن ذاته- ولكن لغات عروبيّة قريبات نوعا ما للّغة-الأمّ العربيّة.

إنه هذا اللّسان من سيعوّض الأرميّة، تماما كما سيعوّض الإسلام المسيحيّة. كما أنّ الفانقيّة افسحت المجال للأرميّة، توازيا مع اليهوديّة التي امّحت أمام المسيحيّة. أكثر من خمسة وعشرين قرنا، انتش الفسيل الذي غرسه إبراهيم البابليّ -عليه السّلام- في صحراء مكّة -وقد تجسّد هذا الغراس في ابنه إسماعيل وأولاده- وآتى أكله. بهذه الحجّة، استحقّ إبراهيم -عليه السّلام- لقبه-وهو اسم ترجمناه بـ"ابن المطر".

لقد انبعث الإسلام الذي دعا إليه إبراهيم -عليه السّلام :

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأنعام-الآية : 163)

مجدّدا، ليس في منطقة مكتنفة أنهارا (حال بلاد الررافدين أو وادي النيل) ولكن في بلاد قاحلة، مع محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-.

لقد عوقب العرب -متكلّمو اللّغات العروبيّة المختلفة- ساكنو مناطق مرتفعة ووديان خصيبة، جيران ينابيع ومجاري الماء الوافر، عن وثنيّتهم، في الحقبة ما بعد الطّوفان. هذه العقوبة الإلهيّة أجبرتهم على مغادرة مواطنهم، والهجرة نحو آفاق اقلّ رخاء وسخاء. هكذا نجدهم، في غالبيّتهم، في الفضاءات الصّحراويّة الكبرى لآسيا او إفريقيا، متعوّدين العيش في البلدان الجافـــــة، على أراض مقفرة وبــور، في بحث

مستديم عن الماء للاقتيات. وبالتالي أصبح العرب، الحضر، بدوا -أعرابا- في حركة دائبة، فرارا من "الجوع والخوف" أو الظّمإ والضّحاء".

العقوبة ذاتها طالت، الفيات بعدها، ولأسباب دينيّة مطابقة، الأهالي العروبيّين الجنوبيّين مع تحطّم الحواجز والسّدود اليمنيّة (فلاحة غدت زلقا، وأنعام أبيدت). ممّا ولّد هجرات جديدة، ولكن هذا الطّور نحو الشّمال.

حدثت معاودة ظهور العرب العرب -اسم يفهم ضمن دلالة العنصر السّائل- في مكّة المكرّمة، مع إسماعيل، بن إبراهيم -عليهما السّلام- وانبثاق نبع زمزم، الذي سمّي أيضا -قد ذكرناه أعلى السّياق-، عربة إسماعيل؛ نبع أتاح تحضّر البدو بمكّة ... عبادة أصنام أخرى حلّت، جفاف الأرض وقسوة القلوب ... حتى انبثاق نبع زمزم الثاني ومجيء محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-[1]

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الزّمر-الآية 12).

... إلى غاية "نزول" القرآن "العربيّ" وردّ اعتبار العرب -اسم ينحصر ضمن دلالة عبادة الله والانصياع له.

حدث ذلك كما لو أنّ هذه البلاد الجافّة -بلاد الوثنيّين قبل الوحي القرآنيّ- ارتقبت المطر الذي ينزل من السّماء (القرآن) من اجل أن "تعود إليها الحياة، وتخضرّ وتثمر" -هذه البلاد التي غدت أرض الإسلام- مع وحي "الكتاب الكريم" على محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-.

لقد جلّيت في كتاب E. Dhorme "العربيّة الفصحى ولغة حمو-ربي"، القرابة الوطيدة -البنويّة والمعجميّة بين اللغة البابليّة، سليلة الأكاديّة والعربيّة الفصحى، بين لغة إبراهيم ولغة محمّد -عليهما السّلام-. ثبّتت هكذا جسرا لا دينيّا ولسانيّا فحسب، بين النّبيّين الرّسولين، ولكن تاريخيّا واستوصافيّا للأرض

1. هو جدّ محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- من حفر الأرض، إثر منام ، ممّا اتاح عودة ظهور الماء، في بئر زمزم.

أيضا. كما ثبّتت رابطا بين اللّغتين العروبيّتين، الفانقيّة والأرميّة، لغتين خاصّتين بموسى وعيسى -عليهما السّلام- من جهة، وجميع اللّغات العروبيّة الأخرى، من المحيط الأطلسيّ إلى المحيط الهنديّ، من جهة أخرى.

إذا كانت اللّغات العروبيّة هنّ سواعد العربيّة الفصحى -والمتقدّمات المسمّاة التحليليّة- فمن الممكن استصحاب إسهامهنّ في ترجمة بعض الظّواهر اللّسانيّة التي نلتقي في النّصّ القرآنيّ، كما تفسير بعض الكلمات، التي يعتبرها -دون تروّ- المستشرقون وحتى مؤلّفون عرب كلمات دخيلة.

يمكن أن تساعدنا دراسة جزء أو عدّة أجزاء لمجموع ما من فهم هذا المجموع المنظور، ليس باعتباره جمع أجزاء كثيرة، مستقلّة بعضها عن بعض، ولكن ككلّ.

دوننا رمز "أقدار" التوام، للتّين واللّغة، يمكننا القول أنّ الإسلام هو أوّل أديان البشريّة وخاتمها، تماما كما أنّ العربيّة أوّل لسان تكلّم آدم وذريّته، وهو في نظر المسلمين، اللّسان الذي يتكلّم الله مع عباده، يوم المعاد.

تنصّ الآيتان الواحدة والعشرون (21) والثانية والعشرون (22) من سورة البروج على:

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾

كما أنّ الله "ضمن" حفظ القرآن، فذلك بالتالي منطبق على لغته العربيّة-لسان القرآن.

على غرار الأنبياء -الرّسل السّابقين، الذين أمرهم الله بالإقرار والإيمان بمحمّد (خاتم الأنبياء والمرسلين) وأن ينصروه (يعزّروه) -مع الجذر نصر- (سورة آل عمران-الآية : 81)، فاللّغات العروبيّة بعد الوحي القرآنيّ، انصهرن في اللّغة العربيّة و"نصرنها".

إذا كانت شبه الجزيرة العربيّة، من الشّمال، تنكفئ -في مجال استوصاف الأرض- عند أسفل واديي دجلة والفرات (الرّافدين)، فإنّها تصل لسانيّا إلى ضفاف البحر الأسود وبحر قصوين. يُدني E. Renan في الفصل الثاني من

كتابه[1]، حدود شبه الجزيرة العربيّة إلى غاية التضاريس المرتفعة لأرمانيا، معرّفا شبه الجزيرة العربيّة هذه كـ : «نطاق شبه جزريّ مكوّن شمالا من جبال أرمانيا، وشرقا من الجبال التي تحدّ حوض دجلة ...»، في موضع أدناه، في الصفحة 169، حدّد فكرته : «الكلّ يجمع على تقصّي المقام التاريخيّ الأوّل للساميّين في جبال أرمانيا، بين المجرى العلويّ لدجلة والفرات ونهر قورش».

إذا كان هذا المؤلّف يموقع بدقّة أوّل موطن تاريخيّ "للساميّين"، فهذا يعني بلا شكّ أنّه يستحضر "نصّ الكتاب المقدّس" ("سفر التكوين") ، حيث رسا فلك نوح، على جبل أرارات »، وهو النصّ الذي يُسند بما ذهب إليه الرّواة العرب، الذين يسمّون هذا الجبل الجودي[2].

هو التأكيد الضمنيّ للطرح اللسانيّ الذي باحثنا في هذه الدّراسة، والمتعلّق بكون نوح وذريّته تكلّموا اللّغة العربيّة، لغة "انفطرت" بعد ذلك، معطية لغات عروبيّة وجودها، وهي اللّغات التي أعملها أهال كثر سمّوا "عربا".

يمكن القول مشفوعين بعمر اللّوذيّ وظتون وسطرابو، أنّ "العرب" -تسمية تنعت أهال يتكلّمون اللّغة العربيّة (أو لغة عربيّة)- يمكن أن تخلط مع الأريم أو الأرميّين (السّوريّين). ويمدّنا بحجّة هذا الترادف تسمية الأشخاص عرب (أو العربيّ)، الدّارجة خصوصا عند أهالي الغرب العروبيّين (شمال إفريقيا)، النّظير الإفريقيّ لأرم (أو عرم)، اسم به تلقّبت أهال جنيسين من الشّرق (أرميا-سوريّة). وهكذا فإنّ ابن سام، أرم أو عرم -بتناوب بين الألف (أ) والعين (ع)- كان يسمّى أيضا عرب. كما ينبغي أنّ الأرميّين خلطوا (في الأصل) مع العربيّين (العرب).

فضلا عن هذا، فالعلاقات الدّلاليّة بين الأسماء نوح وإبراهيم وإسماعيل -عليهم السّلام- (هذا المتقدّم باعتباره جدّ مباشر -عبر عدنان- لمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم-) وسام من جهة، وعرب أو أرم/ عرم (ابن سام) من جهة أخرى، علاقات بديهيّة وجليّة.

---

1. في كتابه "تاريخ اللغات الساميّة".

2. الاسم الجودي، له معنى يحيلنا قطعا على العنصر السائل وعلى دلالة كلمة "عرب" : الجذر جاد يعني "صار غزيرا (المطر)" وأيضا "امتاز، تكرّم على شخص". الاسم جود (الذي يعتبر الجودي أحد مشتقّاته) يعني " مطر غزير، السّماء التي تنزل المطر". كما أن هذا الاسم هكذا في تناغم مع الاسم نوح، الذي رأينا دلالته.

في مقدّمة الكتاب طرحنا السؤال : ماذا يعني عربيّ ؟ من هو العربيّ ؟

تعريف العربيّ، الذي قدّمه الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- يتوافق مع مفهوم اللّغة، بدل القوميّة، العرق أوالأرض : (كلّ من تكلّم العربيّة فهو عربيّ).

ينبغي أن يتمّم هذا التعريف -من وجهة نظرنا- بتعريف آخر للّغة العربيّة حيث لا ينبغي تحديد مفهوم الحديث وحصره. هكذا تختلف اللّغة العربيّة، لسان القرآن، بشكل محسوس (نوعا ما) عن اللّغة المحكيّة (غير المكتوبة) لكلّ منطقة أو بلاد، في عصرنا؛ تماما كما اختلفت اللّغات العروبيّة عن بعضها -إن يسيرا أو كثيرا- وعلى ذلك ظللن قريبات من بعض. ونحن مدعوّون بالتالي إلى تحديد تعريفنا : عربيّ كلّ شخص أعمل العربيّة (لسان القرآن)، أو كلّ لغة عربيّة متكلّمة، (شعبيّة وإقليميّة) أو أيّ لغة عروبيّة أخرى قديمة، أيّا كان الاستعمال، شعائريّ (كحال القبطيّة أو الكلديّة في التصرانيّة مثلا) أو كلغة محلّية (الأرميّة[1]، البربريّة، الحبشيّة، المالطيّة، إلخ.).

يتواجد هذا التفسير باللّغة لا القوميّة في طرف معادلة مع مختلف أنواع سمات العربيّ[2]، من الأبيض بعينين ملوّنين الذي نلتقي في سورية مثلا، إلى الأصهب، ذي البشرة المتورّدة (مثل ذاك الذي ذكره Caussin de Perceval[3] بلقب قدار الأحمر "الأصهب"، ثموديّ من زمن صالح -عليه السّلام-)، من الأسمر ذي عينين داكنتين (نوع البحر الأبيض المتوسّط) ... إلى الأسمر الدّاكن (الحبشيّ)، ذي ملامح دقيقة وشعر ناعم، والأسود الحالك، ذي الأنف الأفطس بشعر أجعد (السّودانيّ). كما يختلف شكل الجمجمة (من الاستطاليّة إلى العريضة) وكذا الأنف من المعقوف، المدبّب، المستقيم والرّقيق، إلى " المظهر

1. لا تزال الأرميّة إلى اليوم مستعملة في ثلاث قرى بسورية، إلى جانب العربيّة.

2. غالبا ما يتواجد نوع سمة مرتبط بنطق خاص، في إفريقيا وآسيا : بشرة فاتحة وعينان ملوّنان في تلمسان (غرب الجزائر) مرتبط بهمز القاف، وهي الفئة التي نصادف في غرب آسيا، بشرة وعينان ملوّنان عند أهل جيجل (في شرق الجزائر، في المناطق الساحليّة او غير بعيد عنها) مرتبطا بنطق القاف كافا، وهي الفئات التي نصادف في النّاحي الفراتيّة.

3. في "مقالات حول تاريخ العرب".

الإغريقيّ الجانبيّ"، إلخ.)، وكذا يتباين القوام : من ضخام القدّ من بلاد الصّعيد (مصر)، إلى صغار القدّ المتوسّطيّين، كما يمكن ملاحظة تواجد أشكال مجتمعات كثيرة : من شكل أبويّ أوأموميّ، حضريّ (حضر أو جبليّون)، فلأحون، بدو-رعاة وبحّارة-صيّادون ... إلى مقتاتي الأسماك. ليس عبثا سمّي مجموع هذه البلاد والتضاريس والمناخات والمجتمعات..."العالم العربيّ".

إذا كان العربيّ، في الأصل يتحدّد باللّغة، فذلك يفضي إلى استنتاج : الممارسة اليوميّة لعادات وأعراف واحدة والمجتمع المنتظم والعلّم بلغة واحدة (أو لغات تتكلّم قريبات من بعضها) جعل من جميع الناطقين بالعربيّة يحوزون ثقافات متقاربة من بعضها، إن لم نقل ثقافة واحدة. وبعدها، وَثَقَ تأليه أرباب أو أوثان واحدة، أو التزام الشعائر نفسها(لعقيدة التوحيد) العرى الثقافيّة.

هذا ما كان جاريا في مناطق ناطقة بالعربيّة في آسيا، على الصّعيد الدّينيّ والثقافيّ، كما في مناطق الناطقين بالعربيّة في أروبا، وبخاصّة مناطق شبه الجزيرة الإغريقيّة. لقد بيّنا في كتاب سابق[1] أنّ آسيا الصّغرى (يونيا)-التي كان سكّانها متكلّمي لغات عروبيّة[2]- كانت هي منبع الفنّ والفمصفاء في بلاد الإغريق القديمة. حقيقة ما ظهر الفنّ أوالثقافة، بما للكلمة من معنى، أو عاود في بلاد الإغريق القارّيّة -بعد الغزو الدّوريّ- إلاّ انطلاقا من القرن الخامس قبل الميلاد، "قرن بَركـ-نيل"[3]، بمواقع مختارة انحصرت خصوصا في أثينا أو طيّبة، مدينتين "فانقيّتين" قديمتين".[4]

---

1. "تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة".

2. شهد سطرابو انه على عهده (القرن الأوّل للعهد المسيحيّ) كانت الفانقيّة لاتزال تتكلّم في آسيا الصّغرى. انظر الباب الثالث-الفصل الخامس،

3. بركـ-نيل، هو زعيم دولة اثينا (495-429 قبل الميلاد) ينتسب إلى عائلة اللّقمانيّين الحقه كثير من المؤلفين (من بينهم A. Jardé) بأصل فانقيّ.

4. حسب G. Glotz (مصدر سبق ذكره)،بدا الغزو الدّوريّ في مستهلّ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، مفرزا نتائج آنيّة وخطيرة. افول كارثيّ آذن بالعصر الوسيط لبلاد الإغريق..

إذا كانت صراعات سياسيّة عدّة قد عارضت الإغريق بحكومة الأقليّة الدّوريّة، فقد أسهمت صراعات أخرى أقلّ ظهورا، وأكثر خفاء في الدّفع بالحكم الجماهيريّ : يتعلّق الأمر تحديدا بسلاح الثقافة (الفمصفاء والآداب والمسرح أساسا). إنّ الأسماء العظام في بلاد الإغريق الكبرى، جلّها ألقاب عروبيّة، بها تسمّى رجال ثقافة، لا يعترف بمتحدَّرهم العربيّ-الفانقيّ، دائما من طرف المؤلفين : عمر، لقمان، أنق-جُرأة، رقّ-لوى ... في يونيا، قرينة، ابن عرب، فند-راس، سوقرت ... في شبه الجزيرة الإغريقيّة، صفو، روان ... في جزيرة عيسى : راستبًا، الحارثة لإقّورن(في ليبيا)، إلخ.[1]

بعض الأسماء رقّت، من بين أخرى كثيرة، قبل اجتباء اللّغة اليونانيّة المشتركة (في القرن الخامس قبل الميلاد) بكثير، مع استخدام لغات عروبيّة في آسيا الصّغرى وفي بلاد الإغريق، إلى أعلى القمم، الإبداع الشّعريّ، شعر الطّارنة الغنائيّ، شعر الشّورى الجماعيّة، أو الفكر الفمصفائيّ. كانت اللّغات العروبيّة مثل الأكديّة-البابليّة والفانقيّة والمصريّة لغات حضارة معروفة ومقرور بها، مستعملة في شبه الجزيرة الإغريقيّة، من طرف أهال عروبيّين محلّيّين، قرونا كثيرة حتى قبل مجيء قبائل ذات لغات هنديّة-أروبيّة في كلّ هذه المناطق. أي أنّ اللّغات العروبيّة، حازت، موازاة لمعجمها العلميّ متعدّد الألفيّات (رياضيات، علم الفلك، فنّ العمران، إلخ.)، والدّينيّ أو الأدبيّ، كلما قادرا على ترجمة الأفكار المجرّدة، والمفاهيم ما وراء الطّبيعية أو النّظريّات الفمصفائيّة لكتابها، متكلّمي هذه اللّغات نفسها.

بالطّريقة نفسها، أصبح اللّسان العربيّ، ترجمان الكتاب "المبين"، لغة أدبيّة وعلميّة وفنّية، وتابع خطّية اللّغات العروبيّة القديمة، لغات العلوم والآداب والفنون. وهكذا أصبحت العربيّة مجدّدا، في أكثر من مقام، لسان العالمين :

- باستعماله في جميع ميادين الحياة الطّبيعيّة وما وراء الطّبيعة والرّوحيّة،

---

1. انظر كتابنا "تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة".

- باستعماله في جميع بلدان العالم العربيّ، بل وحتى خارجها، في جميع البلدان حيث يوجد متكلّمون باللّغة العربيّة،
- بوساطة الإسلام، في القارّات الخمس. إذا أمكن تجلّي العربيّ في المسلم، كما أنّ غير العربيّ معتنق الإسلام، بنطقه للشهادتين وتلاوته الآيات القرآنيّة، يصبح هو الآخر عربيّا،
- لأهمّيّة جوهره اللّغويّ في اليونانيّة الفصحى وبالتالي في عائلات اللّغات اللأتينيّة والجرمانيّة والسّقالبيّة، ممّا يستنتج عنه، حسب تقدير E. Renan بصدد اللّغات اليونانيّة واللأتينيّة وحسب كلّ ما قلناه خلال متن هذا الكتاب، فبالوسع إضفاء قسط هامّ من عالميّة هاتين اللّغتين لصالح اللّغة العربيّة ،
- بحضوره في تسميات أماكن عدّة (بلدان ومناطق ومدن ومقامات) وفي تسميات أنهار وجبال وأشخاص في أروبا. هذا الاسم الأخير Eurôpê (في اليونانيّة) هو عروبا، اسم الأميرة الفانقيّة أخت قادم،
- بإسهامه في إعمال لغات كثيرة في آسيا و إفريقيا مادون الصّحراء وفي أروبا. في هذا الصّدد كتب E. Renan (في كتابه "تاريخ اللّغات الساميّة) : « العربيّة دونما منافعة هي اللّغة التي غزت أكبر مدى من البلدان. لغتان فقط من بين اللّغات قاسمتاها شرف العالميّة، اليونانيّة واللأتينيّة، لودّ أن أقول أنّها نظام فكر دينيّ وسياسيّ فائق على اختلاف الأعراق، ولكنّ نفوذ اللأتينيّة واليونانيّة لا يداني الذي للعربيّة ... الهيمنة العظيمة للّغة العربيّة تحتضن إيسبانيا وإفريقيا إلى غاية الخطّ الاستوائيّ، وجنوب آسيا إلى غاية جاوة، وروسيا إلى غاية قازان.

على غرار الكتاب " المحفوظ "، ستبقى العربيّة، حاملة القرآن، لسانا " محفوظا" أي مصونا مدى الزّمن وفي كلّ فضاء، غير زائل تداعيا لتأثير لغات أخرى، لسان دافق أبدا ومبين.

إذا كان هناك من الحقائق ما هو قمين بالملاحظة، هو أنّ اللّسان العربيّ، منذ الوحي القرآنيّ (قرابة خمسة عشر قرنا) لم يتبدّل. وقبل هذه الحقبة، لم تنل اللّغات العروبيّة -لو تقريبا- تحويرات جديرة بالإشارة. أكبر خاصّة للوحدة

بين العربيّة الفصحى المكتوبة والعربيّة العاميّة (المتكلّمة في مختلف البلدان العربيّة) ، تشكّل ظاهرة مدهشة، حسب تعبير E.Renan.

يمكن مقارنة اللّسان العربيّ، ترجمان القرآن، المنزّل على محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- بوساطة الرّوح الأمين جبريل -عليه السّلام- ب"الماء المتنزّل من السّماء" :

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾،

هذا التّعبير المتقدّم (او مكافئه) -مذكور خمسا وعشرين مرّة في القرآن- يمكن ان يحمل ايضا على المطر المغيثة كما القرآن "العربيّ" أو على اللّسان"العربيّ".
هكذا نجد أنّ هذه الدّلالة ذاتها في علاقة بالماء، في الاسم "عربيّ" (عرب " ماء وفير وصاف/ زلال") ومشتقّاته.

كما نجد ايضا، في الإسلام، الماء الذي يمثّل عنصرا أساسا ومطهّرا في العبادة، بخاصّة في الصّلاة. لا صلاة بغير طهور ودون وضوء[1].

العربيّ، إذا، هو من يتكلّم العربيّة -لسان غير ذي عوج- أو من فطر على سجايا خلقيّة سامية. ممّا يبيّن انّ العربيّ -حسب تعريفنا- يختلط بالمسلم ذاك الذي ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، المسلم ايّا لونه او لغته الأم، الذي يلتزم بتعاليم ومقتضيات ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

والله أعلم

والحمد لله ربّ العالمين

محرّم 1427

الموافق له فيفري 2006

---

1. الوضوء التعبّدي من الجذر وضؤ "تنقّى، خلص، حسن"، قريب من الاسم الضّوء "وضوح، نور". انظر الإحالة في الصّفحة 321 .

ثبت مسارد المصطلحات

تسمية الشّعوب والأقوام Ethnonymes

Abars	الأبر
Epirotes	أبراويّون
Egéens	الأجاويّون
Achéménides	بنو أخمينا
Achéens	الأخاويّون
Ahhijavâ	الأخاياوى
Akhaioi	الأخايو
Arméniens	الأرمان
Araméens	الأرميّون/ العرميّون
Européens	الأروبيّون
Arimes	الأريم
Aryas -Aryens	الآريّون
Akouitanoï	الإسكاتان
Aquitains	الإسكاتانيّون
Scandinaves	الإسكانيّون
Saxons	الإسكسونيّون

Sicules	الإسكوال
Sicanes	الإسكوان
Scythes	الإسكوتيَون
Asianites/ Asianiques	الآسيانيَون
Etrusques (Tyrsènes)	الأطرار (التوراسن)
Thraces/ Thrakes	الأطراق
Grecs	الإغريق
Akaiwaši	الأكايواش
Albanais	الألبنيَون
Illyriens	الإلّيريَون
Lasoniens (Alasones -Amazones)	الأمازول
Macrons	الإمقران
Anatoliens	الأناضوليَون
Nabatéens	الأنباط
Ioski	الإوسك
Iraniens	الإيرانيَون
Vibiski	البباسك
Bébryces (Bébrikes)	البابرحة/ البابرقة
Basques	الباسك
Paphlagoniens	البافالجيَون
Argonautes	بحّارة سفينة "رقوة"
Barbarides (Baures)	البرابر(البوري)
Berbères	البربر
Bryges	البرجة
Burgondes (Brigantes)	البرجة الجند
Brighous de l'Inde	برجة الهند (البرجو)
Brigantes	البرجنط
Bryces	البُرقة
Bructères	البُرقتر
Burushou	البروشو
Battiades	بنو بطّو

Bactriens	البلخيّون
Boussères	البوسر
Pisidiens	البوصيداويّون
Bithyniens	البوطيونيّون
Puniques(Carthaginois)	البونيّون
Tibarènes	التيبارن
Tyrsènes (Etrusques)	التّوراسن (التّورسكيّون)
Tyrrhéniens (Etrusques)	الثورانيّون
Troyens	التّوراويّون
Tyriens	الثّوريّون
Galates	الجالطيّون
Gaulois	الجاليّون
Goths	الجُدّ
Gutti	الجُدّيّون
Germains	الجرمان
Jats	الجطّ
Ethiopiens/ Abyssins	الحبشيّون/ الأحباش
Hittites	الحتيّون
Dravidiens	الدّراوديّون
Dardaniens	الدّردانيّون
Doriens	الدّوريّون
Arsacides	الرّاسكيّون
Mésopotamiens	الرّافديّون
Byzantins	الرّوم
Romains	الرّومان
Sassanides	بنو ساسان
Solymes	السّليميّون
Syriens	السوريون
Leuco- Syriens	السّوريّون البيض
Chéchènes	الشّاشاون

Tcherkesses	الشَرقصَ
Slaves	الصَقالبة
Sidoniens	الصَيداويّون
Térahites	بنو طارح
Thyniens	الطَيّونيّون
Hébreux	العبر
Arabes	العرب
Arabita	عربيتا
Arabites	العروبيّون
Elymes	العلوميّون
Amalécites	العمالقة
Amorrites	العموريّون
Elamites	العيلاميّون
Ghassanides	الغساسنة
Parthes	الفارثيّون
Phrygiens (Phryges)	الفارُجيّون (الفرجة)
Pélasges	الفالجيّون
Phéniciens	الفانقيّون
Perses	الفرس
Palestiniens	الفلسطينيّون
Pamphyliens	الفنفوليّون
Cappadociens	القبادكيّون
Cabaliens	القبليّون
Carthaginois	القرطاجنيّون
Crétois	القرتويّون
Cariens	القرياويّون
Kaspii-Caspiens	القصوينيّون/ القصَ
Kassites	القصيّون
Cataoniens	القطاويّون
Caucasiens	القوقصيّون
Ciliciens	القلقيليّون
Kurdes (Carduques)	الكردوق/ الكرد (الأكراد)

Celtes	الكلت
Chaldes	الكلد
Colches	الكلش
Latins	اللأتين
Lebou (Rebou)	اللَبو(الرَبو)
Alcméonides	بنو لقمان
Lydiens	اللوذيّون
Lyciens	اللوقيّون
Lullubi	اللولوتن/ اللالأن
Ligures	الّيجويّون
Macchabéens	المخابيّون
Mèdes (Madaï)	المذاية
Marmarides (Maures)	المرامر(اللورى)
Maonites (Meones)	المعانيّون
Moanites	المعينيّون
Mycéniens	المكانويّون
Mundarites	المناذرة
Munda	ألمندا
Myrmidons	المورمدون
Mysiens	الموسيّون
Milyens	الميلويّون
Minéens	الميناويّون
Hyksos	الهكسوس
Hellènes	الهلأنيّون
Proto- Indiens	الأهالي ما قبل الهنود
Indiens	الهنود
Indo- Iraniens	الهنود -الإيرانيّون
Indo- Européens	الهنود-الأروبيّون
Vandales	الوندال
Euskes/ Ouiski	الويسك
Judéens	اليهود
Ioniens	اليونياويّون

تسمية الأماكن والمدن والأنهار والبحار والجبال

Toponymes, hydronymes et oronymes

Epire	أبرًا
Utica	أتيكا
Athènes	أثينا
Achaïe	أخايا
Daghestan	أدوغستان
Archipel des Canaries	أرخبيل أكناري
Cyclades	أرخبيل القوقلاد (الأرخبيل الجنوبيّ لبحر آجا)
Argolide	أرجوليطة
Erzeroum	أرضرم
Ardennes	الأرضوان
Arcadie	أرقايا
Aram Naharaïm	أرم نهرايم
Arménie	أرمانيا
Aramée	أرَميا
Arad	أرواد
Europe	أروبا
Azerbaïdjan	أزربيجان
Astrakhan	إسترخان
Istrie	إستريا
Aquitaine	إسكاتانيا
Ascalon	أسكالون
Scandia (Scandinavie)	إسكانيا
Scythie	إسكوتيا
Sénégal (pays)	إستغل (بلاد)
Ashdod	أشدود
Assyrie	أشور (بلاد)
Etrurie	الأطرار (بلاد)

Thrace	الأطراق (بلاد)/ طراقيا
Cyrène	إقورن (قورن)
Colonnes d'Hercule (détroit de Gibraltar)	أعمدة عركثيل (مضيق جبل طارق)
Grèce	الإغريق (بلاد)
Grande - Grèce	الإغريق الكبيرة (بلاد)
Akkad (Agad)	أكاد (أجاد)
Albanie	ألبنيا
Illyrie	إلّيريا
Anatolie	اناضول
Ingouchie	إنجوشيا
Van (ville)	أوان
Jérusalem (Jébus)	أورسلام (يابوس)
Ouganda	أوغندا
Ougarit/ Ras Sharma	أوقريت/ رأس شمرة
Ukraine	أوكرانيا
Ibérie	إيبريا
Iran	إيران
Espagne	إيسبانيا
Islande	إيسلاندا
Italie	إيطاليا
Itanos	إيطانس
Beer-Shéba	بئر سبعة
Balachov	بالشوف
Palu	بالو
Balouchistan	بالوشستان
Belakovo	باليعقوب
Bénin	بانين
Béthel	بتئيل
Béthléem	بتلحم (بيت لحم)

Mer Egée	بحر أجا
Mer Rouge (mer des roseaux)	البحر الأحمر (يم سوف)
Mer Adriatique	بحر أذريَا
Mer des Sargasses	بحر إسارقاس
Mer Noire (Pont-Euxin)	البحر الأسود (بحر بنطس- بلطس- بلتس)
Mer Erythrée	بحر إيريثريا
Mer Baltique	بحر البلط
Mer des Khazars (Caspienne)	بحر الخزر (بحر قصوين)
Mer d'Azov	بحر الضَوء
Mer d' Oman	بحر عمان
Lac de Van	بحيرة أوَان
Lac Urmiya	بحيرة أورميا
Lac Balaton	بحيرة بالطون
Lac Balvanyos	بحيرة بالفنيوس
Lac Balea	بحيرة باليَا
Dora Baltea	بحيرة دورا بالطيَة
Lac Ladoga	بحيرة اللأذقة
Berbérie	بربريا
Bactriane	بلخ (بلاد)
Bactres (Balkh)	بلخ
Petit Belt	البلط الصَغير
Grand Belt	البلط الكبير
Balkans	البلقان
Péloponnèse	بلوبتاس
Bengale	بنجلا
Bangla-Desh	بنجلادش
Venise	البندقية
Birmanie	بورما
Byzance (grec Buzantion)	بوزند
Volvic	بولبيك
Volkhov	بولخوف

Volsk	بولسك
Volgogard	بولغوقرت
Bologbi	بولغبي
Voljski	بوليسكي
Pount (pays de...)	بون (بلاد) (بنط- بُنت)
Hippone (Bône)	بونة
Beyrouth	بيروت
Bretagne	بيريتانيا
Beishan	بيشان
Béotie	بيوتيّا
Tarente	تارنطة
Thasos	تازس
Tanzanie	تانزانيا
Palmyre (Tadmur)	تدمر
Tyr	ثور (سور)
Troie	ثورا
Troade	ثورا (بلاد)
Galatie	جالطيَة
Gaule	جاليا
Mont Ardenne	جبل الأرضوان
Monts Zagros	جبل إسكروس
Mont Cachemire	جبل إقشمير
Monts Himalaya	جبل (جبال) إمالاين
Mont Makran	جبل إمقران
Mont Ida	جبل إيدا
Mont Amanus	جبل الأمن
Mont Ballon	جبل بالّون
Mont Pyrénées	جبل البرانس
Mont Taygète	جبل التاج
Mont Taurus	جبل الثور (او الطّور)

Mont Ararat (Gûdî)	جبل الجودي
Mont Alpes	جبل الحلب
Mont Elbourz (Alborz)	جبل حلبروس
Mont Horeb	جبل حورب
Mont Daedala	جبل دندلة
Mont Pamir	جبل فمير
Mont Karakoram	جبل كركورم
Mont Hindou-Kush	جبل هندو-كوش
Java	جاوة
Byblos	جبيْل
Gothland	الجدّ (بلاد)
Gédrosie (Balouchistan)	جدروسيا (بالوشستان)
Guérar	جرار
Géorgie	جرج (كرج)
Germanie	جرمانيا
Îles Baléares	جزر باليار
Îles Khurya-Muruya	جزر خوريا-موريا
Îles Maldives	جزر الذّيبة (المالديف)
Îles Laquedives	جزر الفال (الكالديف)
Îles Cassitérides	جزر القصدير
Îles Comores	جزر القمر
Îles Britaniques	الجزر البيريتانيّة
Île Théra (Santorin)	جزيرة ثيرا
Îles Issa (Lesbos)	جزيرة عيسى
Île de Rhodes	جزيرة ورد
Gélaunos	جلاون
Giligit	جلجيت
Galilée	الجليل
Haran (Charan)	حاران
Hérat	حارث
Hébron (Al-Halîl)	حبرون (الخليل)

Abyssinie (Ethiopie)	الحبشة
Alep	حلب
Hilmand	حلماند
Hamat	حماة
Colchide	الخلق (بلاد) (أو الكلش)
Golfe de Venise	خليج البندقيّة
Golfe d'Issus	خليج عيسو
Khûlan	خولان
Havila	خويلة
Mésopotamie (l'Entre-deux-fleuves)	الرّافدين (بلاد) (ما بين النّهرين)
Danemark	الدّانمارك
Delphes	دفلى
Délos	دلس
Dilmûn (Tilmûn)	دِلون-تلمون
Dodone	دودان
Dibon	ديبون
Retenou (Syrie)	رتانو (بلاد)-(سوريّة)
Cap de Bonne-Espérance	رأس الرّجاء الصّالح
Sparte	زافرة
Samarie	السّامرة
Setubal	ستو - بعل
Sardes	سردا
Sardaigne	سردانيا
Ceylan	سرنديب (سيلان)
Socotra	سقطرى
Salé	سلا
Simla	سملة
Singapour	سنجافور
Sind (pays)	السّند (بلاد)
Sivas	سواس

Syrte	سورت الليبيّة
Syrie-creuse (Cocle-Syrie)	سوريّة المجوّفة
Suse (Susiane-Arabistan)	سوسة (بلاد سوسة-عربستان)
Sumer	سومر
Suède	السّويد
Thaïlande (Siam)	سيام
Sibérie	سيبريا
Séistan	سيستان
Sinope	سينوبا
Chéchénie	الشاشاون (بلاد)
Shandigar	شنداجار
Sumatra	شمطرى
Shûr	شور
Sicile	صقليّا
Saïda	صيداء
Thèbes	طيبة
El-Obeïd	العُبيد
Attique	عتيقا
Harappa	عربّا
Arabie petrée	العربيّة الصّخريّة (البلاد)
Arabie centrale	العربيّة الوسطى (البلاد)
Ilion (Troie)	عليون (ثورا)
Elam	عيلام
Avva	عوّا
Paran	فاران
Perse	فارس
Phénicie (Canaan)	فانقيا (كنعان)
Paddan-Aram	فدان أرم
Phrygie	فرجيا
Paros	فروس
Penjab (pays des 5 fleuves)	الفنجاب (بلاد الأنهار الخمسة)

Gadès ou Gadir	قادس أو جادر
Qadesh Barnea	قادس برنيَة
Kazan	قازان
Cappadoce	قبادكيا
Chypre	قبرس
Carat	قرت
Crète	قرتا
Corse	قرسيكا
Cachemire	القشمير (أو إقشمير)
Carthage	القرية الحديثة (قرطاجنة)
Carie	قريًا
Kirjath-Arba	قرية عربة
Corinthe	قرينطة
Cilicie	قلقيليا
Transcaucasie	القوقص الجنوبيَ (بلاد)
Ciscausasie	القوقص الشماليَ (بلاد)
Kaboul	كابول
Karnak	الكارناك
Crimée	كريميا
Chaldée	كلدا (بلاد)
Kandahar	كنداهار
Canaan (Phénicie)	كنعان (بلاد) (فانقيا)
Congo-Kinshasa	كنغو-كنشاسة
Cnossos	كنوسس
Cutha	كوث
Kenya	كينيا
Latium	لاتينيا (بلاد اللأت)
Lydie	لوذيا
Lycie	لوقيا
Libye	ليبيا

Ligurie	ليجوا
Malte	مالطا
Mogador	مجادور
Magan	مجان
Macédoine	مجدونيا
Marseille (Massalia)	مرساليا (مساليا)
Egypte	مصر
Dardanelles (Hellespont)	مضيق بوغازا
Détroit de Gibraltar	مضيق جبل طارق
Pas-de- Calais	مضيق كلت
Détroit d'Hormuz	مضيق هرموز
Méonie	معان
Mamré	معمرة
Moanie	معين
Mycènes	مُكانا
Macpéla	مكفيلة
Meluhha	ملوحة
Malabar	الليبار (بلاد)
Malaisie	مليزيا
Mohenjo-daro	مناوجو-دارو
Mahra	المهرة
Mauritanie	موريتانيا
Moscou	موسكو
Mysie	موسيا
Negeb	التاجب (التاقب)
Nazareth	التاصرة
Narbonnaise	نربونيا
Numidie	نميديا
Pô (fleuve)	نهر الأردان
Styx (fleuve)	نهر إستوكا
Sicanos (fleuve)	نهر إسكوان

Sénégal (fleuve)	نهر إسَنغل
Borysthène/ Dniepr (fleuve)	نهر البورستان
Volga (fleuve)	نهر البولغا
Tanaïs/ Don(fleuve)	نهر التانيس
Tartare (fleuve)	نهر الترتار
Gange (fleuve)	نهر جانجا
Garonne (fleuve)	نهر جرعيْن
Danube (fleuve)	نهر الدّانوب
Ravi (fleuve)	نهر الرّاوي
Arax/ Aras (fleuve)	نهر الرّسّ
Sind (fleuve)=Indus	نهر السّند (مهران)
Oronte (fleuve)	نهر العاصي
Halys (fleuve)	نهر العالي
Karun (fleuve)	نهر القارون
Kama (fleuve)	نهر القامة
Rhône (fleuve)	نهر الوردان
Karkha (fleuve)	نهر قرخة
Ccrus/ Cyrus (fleuve)	نهر قورش
Indus (fleuve)	نهر الهند (السّند أو مهران)
Guadalquivir (fleuve)	نهر الوادي الكبير
Oka (fleuve)	نهر وكاء
Ninive	نينوى
Nysa	نوسى
Valdaï (plateau)	هضبة البالداي
Croissant fertile	الهلال الخصيب
Inde	الهند
Jaffa	يافا
Judée	يهوذيا
Ionie	يونيا

تسمية الأشخاص والآلهة

Anthroponymes et théonymes

Ababê 1er	أبابا الأول
Abraham	إبراهيم
Abram	أبرم
Thucydide	ابن طوق- يد
Euripide	ابن عرب
Apollon	أبو اللّون (آلهة)
Sphinx	أبو الهول
Polydore	أبولو-ثور
Polymneste	أبولونست
Atatürk	أتاترك
Théophraste	إثعوفرست
Egée	أجا
Agamemnon	اجاممنون
Agénor	اجانور
Agron	أجرون
Ahmès	أحمس
Ahiram	أخ-رم
Xerxès	أخشا يرشاه
Achéménès	أخ -مينا
Adad/ Hadad	أداد/ حداد (آلهة)
Arrybas	أرب- بعل
Arpacshad	أرفخشد
Hérode	أرواد
Hérodote	أروادوت
Hérode Antipas	أرواد عنث-بعل
Ister(Ashtart)	إستر (عشترت) (آلهة)
Alexandre	إسكندر
Asher	أشر

Asherat(yam)	اشرات-يم (آلهة)
Esaïe	أشعياء
Assur-Bani-Pal	اشور- بني- بعل
Assur-Nasir-Bal	اشور- نصر- بعل
Amilcar Barca	املقر برقة
Amyntas	أمون- نيل
Enée (Einéas)	أناس
Antonin	أنطونين
Enki /Ea	أنكي / آيا (آلهة)
Anaxagore	أنق- جرأة
Anu	أنو (آلهة)
Varuna	أورونا (آلهة)
Auguste	أوقسط
Aïetès	أياتا
Juba	أيّوب
Pasiphaé	باصفاء
Bethuel	بتونيل
Bar-Hadad	بر-حداد
Barnabé	بر-نبيَ
Vercingétorix	برّاس-مجد الرّاس
Périclès	برك-نيل
Varron	برّون
Priam	بر-ريَم
Ptolémée	بطعلم
Battus (Battos)	بطّو
Balthazar	بعل-آزر
Baal(Bel, Bol)	بعل/ بل/ بول (آلهة)
Victor	بكثور
Pilate (Ponce)	بلاط (فنس)
Platon	بلاطون

Plaute	بلاوط
Volos	بولس (آلهة)
Taglat-Phal-Azar	تاج اللأت-فن-آزر
Tuqulti Ninurta	تاج اللأت-نينو-الحارث
Trajan	ثوريان
Gélase	جالس
Gabriel	جبرائيل (جبريل)
Arêté	الحارثة
Artaxerxès	الحارث-أخشا- يرشاه
Harmonia	حرمانية
Hammou-Rabî	حمو- ربي
(H)Annibal/ Hannabal	حنا- بعل
Hor	حور (آلهة)
Chéphren	خاف- رع
Choeriles	خرائيل
Crésus	خرصو
Chéops	خوفو
Chiron	خيرون
Darius	دارا
Démosthène	داموسطان
Daniel	دانئيل
Dagon/ Dagan	دجون/ دجان
Deucalion	دعقة-عليون
Damase	دماس
Diodore de Sicile	ديودور الصنقلي
Aristotelès (Aristote)	رئاسة-نيل
Aristippe	راستبا
Rachel	رخل
Rà	رع (آلهة)
Ramsès	رع-مسيس
Rafaël	رفعئيل

Rebecca	رفيقة
Archélaos	رق- لوى
Argo(vaisseau)	رقوة (سفينة)
Rimmon	رمّون (آلهة)
Arion	روان
Zarathoustra(Zoroastre)	زكريا
Xénophon	زنأ فن
Sadyattes	ساديات
Sassan	ساسان
Septime Sévère	سبع شاور
Séthi	ستي
Sésostris	سحو-رع
Sargon	سرجون
Sarpédon	سرفدون
Strabon	سطرابو
Salman-Azar	سلمان- آزر
Salluste	سلّوست
Semélé	سمالة
Siméon	سمعون
Socrate	سوقرت
Sennacherib	سن- أخ -رب
Sévère	شاور
Shiva	شعابة (آلهة)
Syphax	صفاقص
Sapho	صفو
Sophocle	صفو- عقل
Sophonisbe	صفوا-نسبا
Dionysos	ضوء- نوسا (آلهة)
Zeus	ضياء/ ضوء (آلهة)
Zénon	ظنّون

Héber	عابر
Oedipe	عذاب
Eusèbe	عازب
Eratosthène	عرض- وسطان
Europe (Aérope)	عروبا
Esdras	عزرا
Atys	عطى
Attale	عطى- نيل
Hector	عقد- ثور
Achille	عقيل
Olympias	علْمبا
Alyatte	عليات
Aleyin	عليَين (آلهة)
Homère	عمر (اللّوذي/ عمر بن معان)
Omri	عمريّ
Antipater	عَنِث- فاطر
Esaü	عيسو
Elam	عيلام
Rhadamante	غدامتن
Patrocle	فاطر-عقل
Phénix	فانق
Péleg	فالج
Pythagore	فتى-جريء
Philip (Philippos)	فليبّا
Pline	فلّين
Pindare (Pindaros)	فند-راس
Puth	فوط
Cybèle	قُبائيل (آلهة)
Cadmos	قادم
Corinne	قرينة
Caton	قطّون

Cambyse	قمبوس
Cyrus	قورش
Geiséric (Genséric)	قيس-عرك
Charlemagne	كارل الكبير
Caracalla	كركلا
Chosroès	كسرى
Cléopâtre	كلاءة- فاطرة
Lévi	لاوي
Laban	لبن
Alcman	لقمان
Lud (Lydos)	لوذ
Luc	لوق
Laïos	ليا
Milca	مالكة
Manéthon	مانيطون
Mésha	مشى
Melqart	ملقرت (ملك القرية) (آلهة)
Melchisédek	ملكي-صادق
Ménélas	مينا-نيل
Mykérinos	منكو-رع
Myattes	ميات
Miltiade	ميلتياد
Ménès/ Manès	مينا
Membliare	مينا-بعل-رأس
Mineptah	مينا-فتح
Minos	ميناو
Naevius	نابيوس
Nahor	ناحور
Naram- Sin	نار-رم-سن
Nabuchodonosor	نبو-خذ- نصر

Nabonide	نبو-ناض
Néhémie	نحميا
Néarque	نيَر-راق
Ninus	نينوى
Hellen	هلأن
Johann (Jean)	يحي (يوحنا)
Jason	يسون
Juda	يهوذا
Joram	يورم
Jupiter	يوفاطر (آلهة)
Jocaste	يوقسط

Langues اللّغات

Egéen	الأجاويّة
Achéen	الأخاويّة
Arcadien-Cypriote	الأرقاويّة-القبرسيّة
Araméen	الأرميّة
Arien	الآريّة
Asianique	الأسيانيّة
Assyrien	الأشوريّة
Akkadien	الأكاديّة
Ugaritique	الأوقريتيّة
Ibère	الإيبريّة
Islandais	الإيسلانديّة
Babylonien/ Chaldéen	البابليّة/ الكلديّة
Védique	البداويّة
Basque	الباسكيّة
Bantou	لغة البنطو
Brahmî	البراهميّة
Berbère	البربريّة
Burushaski	البروشسكيّة

Punique	البونيّة
Tatare	التتاريّة
Gaulois	الجاليّة
Javanais	الجاويّة
Géorgien	الجرجيّة (الكرجيّة)
Germain	الجرمانيّة
Danois	الدّانماركيّة
Dakhni	الدّخنيّة
Dravidien	الدّراوديّة
Roumain	الرّومانياويّة
Roman(e)	الرّومانيّة
Zend	الزّنديّة
Sanscrit	السّامسكريتيّة (سامسكريتان)
Syriaque	السّريانيّة
Swahili	السّواحليّة
Suédois	السّويديّة
Slave	الصّقالبيّة
Hébreu	العبريّة
Attique	العتيقاويّة
Langues arabiques	اللّغات العروبيّة
Sud-arabique	العربيّة الجنوبيّة
Centre-arabique (hijâzî)	العربيّة الوسطى (الحجازيّة)
Homérique	العمريّة
Parthe	الفارثيّة
Phénicien/ Cananéen	الفانقيّة/ الكنعانيّة
Finno-ougrien	الفينيّة-المجريّة
Copte	القبطيّة
Caucasique	القوقصيّة
Celtibère	الكلتيّة-الإيبريّة
Latin	اللاّتينيّة

Lydien	اللّوذيّة
Maltais	المالطيّة
Malais	الملاويّة
Moabite	المؤابيّة
Hindoustani	الهندوستانيّة
Hindou	الهندويّة
Neerlandais	الهولنديّة
Urdu	الوردو
Wolof	الولوف
Grec/ Hellénique	اليونانيّة/ الهلاّنيّة
Ionien	اليونياويّة

Ecritures (الخطّ (الكتابة

Araméenne	الأرميّ
Thamoudéenne	الثموديّ
Hiéroglyphique	الخطّ المقدّس القديم
Zend	الزّنديّ
Syriaque	السّريانيّ
Sinaïtique	السّينائيّ
Safaïtique	الصّفائيّ
Sud-arabique	العربيّ الجنوبيّ
Nord-arabique	العربيّ الشّماليّ
Centre-arabique	العربيّ الوسطيّ
Phénicienne	الفانقيّ
Karoshtî	القورشتيّ
Lihyanique	اللّحيانيّ
Cunéiforme	المسماريّ
Nabatéenne	النّبطيّ

حول بعض مصطلحات اللّسانيّات

De quelques termes de linguistique

Interchangement	الإبدال/ التناوب
Epenthèse	الإدخال الحرفيّ
Assimilation	الإدغام
Métathèse	الإقلاب
Translittération	التحويل الحرفيّ
Transcription	التحويل الصّوتيّ
Anthroponymes	تسمية اشخاص
Théonymes	تسمية آلهة
Toponymes	تسمية اماكن
Oronymes	تسمية جبال
Hydronymes	تسمية سيول وانهار
Ethnonymes	تسمية شعوب
Antonymie(de sens opposé)	التضادّ
Radical,thème, racine	الجذر
Radical trilitère	الجذر الثلاثيّ
Radical bilitère	الجذر الثنائيّ
Voyelle	الحرف الصّائت
Consonne	الحرف الصّامت
Préfixe	السّابقة
Forme apocopée	الشكل المرخّم
Morphologie	الصّرف
Phonème	الصّوت
Phonème–thème	صوت-جذر
Phonétique	الصّوتيّات
Onomastique	العلميّات
Philologie	فقه اللّغة
Désinence/ Affixe	اللاّحقة/ الزّائدة
Métaphore	المجاز
Etymologie	معنى الكلمة الأصليّ

حول بعض المصطلحات الدّينيّة

De quelques termes religieux

Chroniques	أخبار الأيّام
Ariens/ Aryens	الآريّة
Coptes	الأقباط
Divinité (s)	الآلهة
Evangile/ Nouveau Testament	الإنجيل/ العهد الجديد
Véda (Rig-Véda)	البداء (رق البداء)
Brahmane (s)	البراهمن (جمعه البراهمة)
Avesta	البستاء (البشتاء)
Catholiques	التابعون للكنيسة الرّومانيّة
Thora/ Ancien Testament	التوراة/ العهد القديم
Clergé	جمعيّة قسّيسين
Religion monothéistes	ديانات التوحيد
Religion non monothéistes	الدّيانات غير توحيديّة
Messager/ Annonciateur	الرّسول/ النّبيّ
Genèse	سفر التكوين
Exode	سفر الخروج
Polythéisme/ Polythéistes	الشرك/ المشركون
Shivaïsme	الشّعابيّة
Patriarche	الشّيخ
Idole (s)	الصّنم (الأصنام)
Monophysites	القائلون بوحدة الطّبيعة في المسيح
La Bible	الكتاب المقدّس
Panthéon	مجموع الآلهة
Mishna	المشنة
Mazdéens	المجوس
Psaumes	المزامير
Chrétiens	المسيحيّون/النّصارى

Maronites	الموارنة
Version synodale(Bible)	النسخة المجمعيّة
Paganisme	الوثنيّة
Jacobites	اليعقوبيّون
Juifs (Judéens)	اليهود

Termes divers كلمات مختلفة

Note	الإحالة
Colonisation (sens en accord avec le texte coranique)	الاستعمار(بالمعنى الذي يوجد في النصّ القرآنيّ)
Géographie	استوصاف الأرض
Chronologie	التسلسل الزمنيّ
Colonialisme	التسلّطيّة
Ere quaternaire	الحقبة الرّباعيّة
Toison d'Or	الجزّة الذهبيّة
Démocratie	الحكم الجماهيريّ
Equateur	خط الاستواء
Caractères anatomiques	الخصائص الجسمانيّة
Capitaine de cabotage	ربّان (جمعه ربابنة)
Dynastie	السّلالة الملكيّة
Généalogie	سلسلة النّسب
Physionomie	السّيمة
Lyrisme choral	شعر الشّورى الجماعيّة
Tragédie	شعر الطّارنة الغنائيّ
Longitude	الطّول
Famille régnante	العائلة الملكيّة

Latitude	العرض
Race	العرق
Arabité/ Arabites	العروبة/ العروبيّون
Mythologie	علم الأساطير
Anthropologie	علم طبائع الإنسان
Ethnologie	علم القوميّات
Géographes	علماء استوصاف الأرض
Colonisation (avec asssservissement des populations du pays colonisé et exploitation des ressources de ce pays)	الغلّ والاستغلال
Philosophie	فمّ الصنفاء
Philosophes	الفمصفائيّون
Aède	قصّاص
Etain	القصدير
Bronze	القلزّ
Ethnique	القوميّ
Epigraphes	الكتابات المحفورة/ المخطوطات المنقوشة
Celticité	الكلوتيّة
Electron/ Electronique	الكهيرب/ الكهيربيّة
Armateur	ناخوذة (صاحب المركب)
Eponyme	نسبة الاسم
Ancêtre éponyme	نسبة اسم السّلف
Tropique du Cancer	مدار السّرطان
Cadran aimanté (Magan-Magnésie)	الإبرة المجانيّة(مجان)
Capitaine au long cours	معلم (جمعه معالمة)
Migrations arabiques	الهجرات العروبيّة

ثبت المراجع والمصادر

1. باللّغة العربيّة

المؤلّف	العنوان	النّاشر
ابن منظور	لسان العرب	دار صادر بيروت
محمد بن عبد الله الأزرقي	أخبار مكّة المشرّفة	
السّيّد يعقوب بكر	نصوص في فقه اللّغة العربيّة	دار النّهضة العربيّة بيروت
فليبّا حتّى	تاريخ العرب	دار غندوز بيروت
محمد عزّة دروزة	تاريخ موجات الجنس العربيّ في وادي النّيل	المكتبة العصريّة بيروت
جرجي زيدان	تاريخ أدب اللّغة العربيّة	مطبعة الهلال مصر
عبده الزرجي	اللّهجات العربيّة لقراءات القرآن	مكتبة المعارف الرّياض
عبد العزيز سليم	تاريخ الدّولة العربيّة	دار النّهضة العربيّة بيروت
حسن ص. شهاب	فنّ الملاحة عند العرب	دار العودة بيروت
الطبري	تاريخ الأنبياء والملوك	دار المعارف القاهرة
محمد بهجت قبيسي	ملامح في فقه اللّهجات العربيات	دار شمال دمشق
جواد علي	تاريخ العرب قبل الإسلام	مكتبة النّهضة بغداد
عبد الوهّاب النّجار	قصص الأنبياء	دار الكتب العلميّة بيروت
أمين مدني	التّاريخ العربيّ وبدايته	دار المعارف القاهرة

	المعجم الوسيط	مطبعة المعارف مصر
ج.ب. بيلو	المعجم عربيّة-فرنسيّة	للطبعة الكاثوليكيّة بيروت

2. باللّغة الأجنبيّة

النّاشر	العنوان مرفق بترجمته	المؤلّف
Hachette -Paris	-La Crète antique - بلاد قرتا القديمة	*S.ALEXIOU*
Ed. Benatia -Alger	-Les Arabes en Europe avant l'ère chrétienne -العرب في أروبا قبل العهد المسيحيّ	*A.BENATIA*
Ed. Benatia -Alger	-Les Arabes ancêtres des Gaulois? -العرب اسلاف الجاليّين؟	
Ed. Benatia -Alger	-Les Arabes, promoteurs des trois religions monothéistes - العرب، محرّكو الدّيانات الحنيفيّة الثلاث.	
Ed. Benatia -Alger	-Ibérie et Berbérie - إيبريا وبربريا	
Ed. Houma -Alger	-Histoire de la colonisation arabique dans la Grèce antique à travers la mythologie, la toponymie, l'onomastique et le vocabulaire – Importance du substrat de la langue arabe dans le grec classique - تاريخ الاستعمار العروبيّ في بلاد الإغريق القديمة من خلال علم الأساطير وتسمية الأماكن والعلميّات والمعجم-أهمّية جوهر اللّغة العربيّة في اللّغة اليونانيّة الفصحى	
Ed. Benatia -Alger	-Le périple méconnu d'une langue ancienne, le berbère – de l'Himalaya aux Ardennes - الرّحلة المجهولة للغة قديمة، البربريّة -من الإمالاين إلى الأرضوان	*A.BENATIA*

A-Van der BRANDEN	-Grammaire phénicienne - قواعد اللّغة الفانقيّة	Lib.du Liban - Beyrouth
A.BYHAN	-La civilisation caucasienne - الحضارة القوقصيّة	Ed. Payot -Paris
CAUSSIN DE PERCEVAL	-Essai sur l'histoire des Arabes - مقالات حول تاريخ العرب	Lib. Firmin -Didot - Paris
E.CAVAIGNAC	-Le monde méditerranéen jusqu'au 4e siècle av. J.C. -العالم المتوسّطيّ إلى القرن الرّابع قبل الميلاد	De Boccard -Paris
J.CAZENEUVE	-Les mythologies à travers le monde - علم الأساطير عبر العالم	Hachette
G.COURTILLIER	-Les anciennes civilisations de l'Inde - حضارات الهند القديمة	Lib.A.Colin -Paris
E.CURTIUS	-Histoire grecque - تاريخ إغريقيّ	Leroux -Paris
A.DANIELOU	-Histoire de l'Inde - تاريخ الهند	Ed. Fayard
G.DHORME	-L'arabe littéral et la langue de Hammourabi - العربيّة الفصحى ولغة حمو-ربي	Institut français de Damas
DIODORE (de Sicile)	-Bibliothèque historique - المكتبة التاريخيّة	Lib. A.Delahays
A.DUPONT-SOMMER	-Les Araméens - الأرم	Lib.Maisonneuve - Paris
R.DUSSAUD	-Les Arabes en Syrie avant l'Islam -العرب في سورية قبل الإسلام	Ed. E.Leroux - Paris
J.B. EYRIES	-Le Danemark - الدانمارك	Firmim Didot -Paris
T.FAHD	-La divination arabe - الكهانة العربيّة	Ed.Sindbad -Paris
A.GARRIGOU	-Ibères, Ibérie - إيبر، إيبريا	Ed. E.Leroux -Paris
E.F.GAUTIER	-L'Afrique Noire Occidentale - إفريقيا السّمراء الغربيّة	Lib. Larose -Paris

F.GAUTIER	-Genséric, roi des Vandales - قيس-عرك، ملك الوندال	Ed. Payot -Paris
R.GIRSHMANN	-L'Iran, des origines à l'Islam -إيران، من الأصول إلى الإسلام	Ed. Albin Michel
G .GLOTZ	-Histoire grecque - تاريـخ إغريقيّ	Ed. P.U.F. -Paris
A.GRENIER	-Les Gaulois - الجاليّون	Ed. Payot - Paris
Z.S.HARRIS	-Grammar of the Phoenician language - قواعد اللغة الفانقيّة	New Haven Connect. American Oriental Society (U.S.A.)
HERODOTE	-Histoires - تواريـخ	Lib. Hachette -Paris
Ph HITTI	-Précis d'histoire des Arabes - موجز في تاريـخ العرب	Ed. Payot -Paris
B.HROZNY	-Histoire de l'Asie antérieure, de l'Inde et de la Crète - تاريـخ آسيا الغربيّة، الهند وقرتا	Ed. Payot -Paris
IBN HAUQAL	-Configuration de la Terre (trad. J.H. Kramers et G.Wiet) -صورة الأرض(ترجمة J.H. Kramers et G.Wiet)	Ed. Maison neuve et Larose -Paris
H.IBN AL-KALBI	-Le livre des idoles (traduit par W.Atallah) - كتاب الأصنام (ترجمة عطا الله)	Ed.Maison neuve et Larose -Paris
A.JARDE	-La formation du peuple grec - تكوّن الشعب الإغريقيّ	Lib. Klincksieck -Paris
A.JAUSSEN	-Coutumes des Arabes au pays de Moab - أعراف العرب في بلاد موآب	Lib. A. Maison neuve -Paris
C.JULLIAN	-Vercingétorix - برّاس-مجد الرّاس	Lib. Hachette -Paris
Ch.A.JULIEN	-Histoire de l'Afrique du Nord - تاريـخ شمال إفريقيا	Ed. Payot -Paris
D.KOSAMBI	-Culture et civilisation de l'Inde ancienne - ثقافة وحضارة الهند القديمة	F. Maspéro -Paris

Ph. LE BAS	-L'Asie mineure depuis les temps les plus anciens - آسيا الصّغرى منذ أقدم الأعصر	Firmin Didot -Paris
G.LE BON	-La civilisation des Arabes - حضارة العرب	S.N.E.D. -Alger
	-Les premières civilisations - أولى الحضارات	Ed. Marpon et Flammarion - Paris
	-Les civilisations de l'Inde - حضارات الهند	Ed. Flammarion -Paris
Ph.LIPPENS	-Expédition en Arabie centrale - رحلة علميّة في البلاد العربيّة الوسطى	Lib. A. Maison neuve -Paris
F.LOT	-La Gaule - جاليا	Arthème Fayard -Paris
M.MAIMONIDE	-Le guide des égarés (trad. S.Munk) - دليل الحائرين	Ed. Maison neuve et Larose -Paris
C.MARRO et H.HAUPTMANN	-Chronologie des pays du Caucase et de l'Euphrate aux 4e-3e millénaires - التسلسل الزّمنيّ لبلدان القوقص والفرات من الألفيّة الرّابعة إلى الثالثة.	Ed. de Boccard -Paris
A.MEILLET	-Aperçu d'une histoire de la langue grecque - لمحة حول تاريخ في اللّغة اليونانيّة	Klincksieck -Paris
	-Linguistique historique et linguistique générale - لسانيّات تاريخيّة ولسانيّات عامّة	Ed. Champion -Paris
	-Introduction à l'étude comparative des langues européennes - مدخل إلى الدّراسة المقارنة للّغات الأوروبيّة	Lib. Hachette -Paris
A.MORET	-Histoire de l'Orient - تاريخ الشرق	P.U.F. -Paris
T.OBENGA	-L'Afrique dans l'Antiquité - إفريقيا في القدم	Ed Présence africaine -Paris
H.PIRENNE	-Mahomet et Charlemagne - محمّد وكارل الكبير	P.U.F. – Paris

E.RENAN	-Vie de Jésus - حياة يسوع (عيسى)	Ed. Arléa
	-De l'origine du langage - حول اصل الكلام	Ed. Calma -Lévy
	-Histoire des langues sémitiques - تاريخ اللّغات السامية	Ed. Calmann -Lévy
G.RYCKMANS	-Les religions arabes pré-islamiques - الدّيانات العر بيّة قبل الإسلام	Université de Louvain
A.SEVERYNS	-Grèce et Proche-Orient avant Homère - بلاد الإغريق والشرق الأدنى قبل عمر	Office de Publicite -Bruxelles
L.SIRET	-Essai sur la chronologie proto-historique de l'Espagne - مقالات حول التسلسل الزّمنيّ ما قبل التاريخ لإيسبانيا	Revue archéologique Ed. Leroux -Paris
SOPHOCLE	-Théâtre complet - المسرح التامّ	Ed. Garnier -Flammarion
STRABON	-Géographie - استوصاف الأرض	Lib. Hachette -Paris
H. TIDJANI	-La doctrine abrogationniste de l'exégèse et ses dimensions soiciales - نظرية النّسخ وابعادها الاجتماعيّة	E.N.L. -Alger
L.de la VALLÉE-POUSSIN	-Indo-Européens et Indo-Iraniens - الهنود-الأروبيّون والهنود-الإيرانيّون	Ed. de Boccard -Paris
C.VIROLLEAUD	-Légendes de Babylone et de Canaan - أساطير بابل وكنعان	Lib. Maison neuve -Paris
M. WHEELER	-L'Inde ancienne - الهند القديمة	Ed. Arthaud -Paris
J.ALLARD et FEUILLATRE	-Cours de langue grecque - دروس في اللغة اليونانيّة	Hachette -Paris
J.B. BELOT	-Vocabulaire arabe-français - معجم عربي-فرنسي	Imp. catholique -Beyrouth
BIBLE	-Version synodale -الرّواية المجمعيّة	Sté biblique de France -Paris
	-Version de L. Segond -رواية لـ L. Segond	La Maison de la Bible -Genèse
CORAN	-Traduction du sens des versets coraniques - ترجمة معاني القرآن الكريم	Presses du Complexe du roi Fahd -Médine (Arabie)

ثبت المحتوى

الباب الأوّل

التّاريخ واللّسانيّات

الباب الثّاني

ديانات الأنبياء ولسانهم

الباب الثّالث

قرابة اللّغات العروبيّة فيما بينها والتّوافق بين اللّغة العربيّة واللّغات الهنديّة-الأوروبيّة

طبع بمطبعة دار هومه
34، حي لابروبيار – بوزريعة – الجزائر
الهاتف: 021.94.41.19/ 021.94.19.36
الفاكس: 021.94.17.75/ 021.79.91.84
www.editionshouma.com
email : Info@editionshouma.com







للطباعة والنشر والتوزيع

34 حي لابروفار- بوزريعة- الجزائر

الهاتف: 021 94 19 36 الفاكس: 021 94 17 75

021 94 41 19 021 79 91 84

www.editionshouma.com

e-mail:info@editionshouma.com